



حَدائقُ الْعَرَبِ

عَنِّي بِجَمْعِهِ وَضَبْطِهِ وَتَصْحِيحِهِ

الاب لويس شينغو اليسوعي

الجزء الرابع



طبعة الآباء اليسوعيين

بيروت

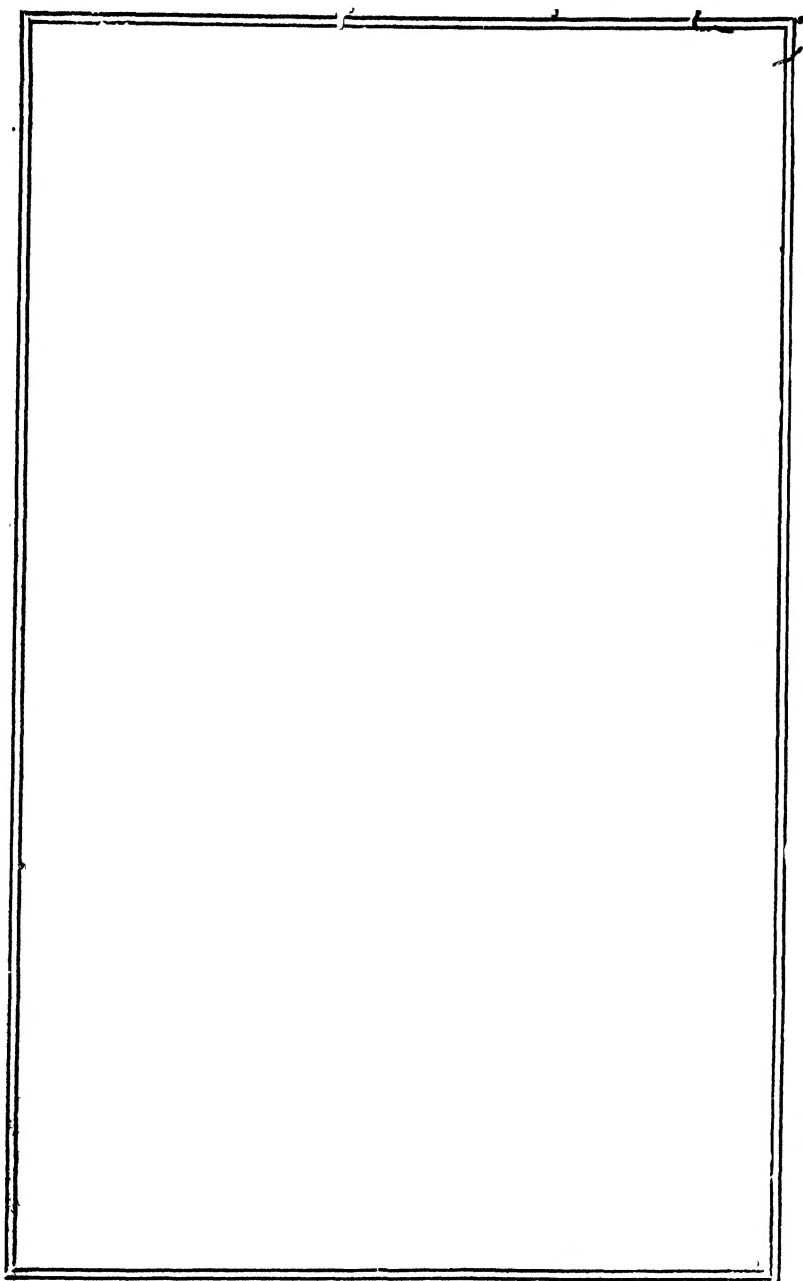
حقوق طبعه محفوظة للمطبعة



١ سُجَّانَ مَنْ تَقَدَّسَتْ شُجَّاتُ جَمَالِهِ عَنْ سَمَةِ الْحُدُوثِ وَالزَّوَالِ .
وَتَنَزَّهَتْ سُرَادِقَاتُ جَلَالِهِ عَنْ وَضْمَةِ التَّغْيِيرِ وَالْإِتْقَالِ . تَلَأَلَّتْ عَلَى
صَفَحَاتِ الْمَوْجُودَاتِ أَنْوَارُ جَبَرُوتِهِ وَسُلْطَانِهِ . وَتَمَلَّتْ عَلَى وَجَنَاتِ
الْكَاثِنَاتِ آثَارُ مَلَكُوتِهِ وَإِحْسَانِهِ . تَحَيَّرَتِ الْعُقُولُ وَالْأَفْهَامُ فِي
كِبَرِيَاءِ ذَاتِهِ . وَتَوَلَّهَتْ الْأَذْهَانُ وَالْأَوْهَامُ فِي بَيْدَاءِ عَظَمَةِ صِفَاتِهِ .
دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ . وَشَهِدَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ نِظَامُ مَصْنُوعَاتِهِ

(شرح مواقف الايجبي للبحر حاذي)

٢ الْعَظْمَةُ لَكَ وَالْكِبَرِيَاءُ لَجَلَالِكَ يَا قَائِمَ الذَّاتِ . وَمُفِضَ الْخَيْرَاتِ .
وَوَاجِبَ الْوُجُودِ وَوَاهِبَ الْعُقُولِ وَقَاطِرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ . وَمُبْدِيَ
الْحَرَكَةِ وَالزَّمَانِ . وَمُبْدِعَ الْحَيِّينَ وَالْمَمَاتِ . وَقَاعِلَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَشْبَاحِ .
وَجَاعِلَ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ . وَنَحْرَكَ الْأَفْلَاقِ الْمُدْبِرَاتِ . وَمُزَيِّنَهَا بِالنُّجُومِ .
الْثَوَابِ وَالسَّيَّارَاتِ . وَمُقَرِّرَ الْأَرْضِ وَمُمَهِّدَهَا لِأَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ
وَأَصْنَافِ الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ . دَامَ حَمْدُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ . وَتَعَالَى ذِكْرُكَ
وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ . لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ ، وَكَثُرَتْ
آلَاؤُكَ وَنِعْمَاؤُكَ . أَفِضْ عَلَيْنَا أَنْوَارَ مَعْرِفَتِكَ . وَطَهِّرْ نُفُوسَنَا عَنْ



ثُمَّ سِرُّ غَامِضٍ مِنْ دُونِهِ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ إِلَّاكَ وَلَمْ
 لَا وَلَا تَذَرِي صِفَاتٍ رُكِبَتْ
 أَيْنَ مِنْكَ الرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَا
 أَنْتَ أَكْثَلُ الْخَبَرِ لَا تَعْرِفُهُ
 فَإِذَا بَكَاتِ طَوَايَاكَ الَّتِي
 كَيْفَ تَذَرِي مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
 فَهُوَ لَا كَيْفَ وَلَا أَيْنَ لَهُ
 وَهُوَ فَوْقَ الْفَوْقِ لَا فَوْقَ لَهُ
 جَلَّ ذَاتًا وَصِفَاتٍ وَعَلَا
 ضَرَبَتْ بِالسَّيْفِ أَعْنَاقُ الْفُجُولِ
 تَذَرِي مَنْ أَنْتَ وَلَا كَيْفَ الْوُضُولِ
 فِيكَ حَارَتْ فِي خَفَايَاهَا الْعُقُولِ
 هَلْ تَرَاهَا أَوْ تَرَى كَيْفَ تَحُولِ
 كَيْفَ يَجْرِي فِيكَ أَمْ كَيْفَ يُوُولِ
 بَيْنَ جَنْبِكَ بِهَا أَنْتَ جَهُولِ
 لَا تَقُلْ كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ الْوُضُولِ
 هُوَ رَبُّ الْكَيْفِ وَالْكَيفُ يَحُولِ
 وَهُوَ فِي كُلِّ اتِّوَاجٍ لَا يَزُولِ
 وَتَعَالَى رَبَّنَا عَمَّا نَقُولِ

قصيدة لاحمد البرعي في الاستدلال على الحق تعالى

كُلُّ شَيْءٍ مِنْكُمْ عَلَيْكُمْ دَلِيلُ
 أَحَدَثَ الْخَلْقِ بَيْنَ كَافٍ وَنُونِ
 مَنْ أَقَامَ السَّمَاءَ سَقْفًا رَفِيعًا
 وَدَحَا الْأَرْضَ فَهِيَ بِحَرْ وَرِ
 وَجِبَالٍ مُنِيفَةٍ شَائِخَاتٍ
 وَرِيَّاحٍ تَهْبُ فِي كُلِّ جَوِّ
 وَدَرَارٍ بِكُمْ وَتَمْسُ وَبَدَدُ
 حِكْمَتُهُ تَاهَبُ الْبَصَارُ فِيهَا
 وَصَحَّ الْحَقُّ وَأَسْتَبَانَ السَّبِيلُ
 مَنْ يَكُونُ الْمُرَادُ حِينَ يَقُولُ
 يَرْجِعُ الْطَّرْفُ عَنْهُ وَهُوَ كَلِيلُ
 وَوَعُودُ تَجْهُولَةٍ وَسَهُولُ
 وَعُيُونُ مَعِينَةٍ وَسُيُولُ
 وَتَحَابُّ يَسْقِي الْجِهَاتِ ثَقِيلُ
 وَتُجُومُ طَوَالِمُ وَأَفُولُ
 وَأَعْرَاهَا دُونَ الدُّهُولِ ذُهُولُ

كُدُورَاتِ مَعْصِيَتِكَ . وَأَمْطِرْ عَلَيْنَا سَحَابَ فَضْلِكَ وَمَرَحْمَتِكَ وَأَضْرِبْ
عَلَيْنَا سِرَادِقَاتِ عَفْوِكَ وَمَغْفِرَتِكَ . وَأَدْخِلْنَا فِي حِفْظِ عِنَايَتِكَ وَمَكْرَمَتِكَ
(عجائب المخلوقات، للقرظيني)

متن الشيانية في التوحيد

سَاحِدُ رَبِّي طَاعَةً وَتَعَبُدًا وَأَنْظُمُ عَقْدًا فِي الْعَقِيدَةِ أَوْحَدًا
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ تَعَزَّزَ قِدَمًا بِالْبَقَا وَتَبَسَّرَدَا
هُوَ الْأَوَّلُ الْمُبْدِي بَنِيْرُ بَدَايَةِ وَآخِرُ مَنْ يَبْقَى مُقِيمًا مُوَبَّدًا
سَمِيعُ بَصِيرُ عَالَمٌ مُتَكَلِّمٌ قَدِيرٌ يُعِيدُ الْعَالَمِينَ كَمَا بَدَأَ
مُرِيدٌ أَرَادَ الْكَائِنَاتِ لَوْقَتَهَا قَدِيمٌ فَانْشَأَ مَا أَرَادَ وَأَوْجَدَا
إِلَاهٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ قَدِ اسْتَوَى وَبَانَ مَخْلُوقَاتِهِ وَتَوَحَّدَا
فَلَا جِهَةٌ تَحْوِي الْإِلَاهَ وَلَا لَهُ مَكَانٌ تَعَالَى عَنْهُمَا وَتَعَبَّدَا
إِذِ الْكُونُ مَخْلُوقٌ وَرَبِّي خَالِقٌ لَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْكُونِ رَبًّا وَسَيِّدًا
وَلَا حَلَ فِي شَيْءٍ تَعَالَى وَلَمْ يَزَلْ مَلِيًّا غَنِيًّا دَائِمٌ الْغَيْرُ سَرْمَدًا
وَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا لَهُ شَيْبُهُ تَعَالَى رَبَّنَا أَنْ يُجَدِّدَا
وَمَنْ قَالَ فِي الدُّنْيَا يَرَاهُ بِعَيْنِهِ فَذَلِكَ زَنْدِيقُ طَغَا وَتَمَرَّدَا
وَأَكْبَنَ يَرَاهُ فِي الْجَنَانِ عِبَادُهُ كَمَا صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ زَوِيهِ مُسْنَدًا
٤ رَوَى أَنَّ الزُّنْحَشَرِيَّ سَأَلَ الْإِمَامَ الْغَزَالِيَّ عَنْ قَوْلِ الْقَائِلِ:

الْإِحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . فَأَجَابَ :

يُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولُ أَنْزَلَكَ أَنْبَحَثَ فَذَا شَرْحُ يَطْوِي

صِفَاتُ الذَّاتِ وَالْأَفْعَالِ طُرًّا
 لَسَمِيَّ اللَّهِ شَيْئًا لَا كَالْأَشْيَاءِ
 وَلَيْسَ الْإِنْسَمُ غَيْرًا لِلْمُسَمَى
 وَمَا إِنْ جَوْهَرُ رَبِّي وَجِسْمُ
 وَرَبُّ الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنْ
 وَمَا التَّنْشِيهُ لِلرَّحْمَانِ وَجْهًا
 وَلَا يَمِضِي عَلَى الدِّيَانِ وَقْتُ
 وَمُسْتَعْنٍ إِلَّا هِيَ عَنْ عِبَادِ
 يُمِيتُ الْخَلْقَ طُرًّا ثُمَّ يُحْيِي
 لِأَهْلِ الْخَيْرِ جَنَّاتٍ وَنَعْمَى
 وَلَا يَفْنَى الْجَحِيمُ وَلَا الْجَنَانُ
 يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ كَيْفٍ
 فَيَسْئَلُونَ النَّعِيمَ إِذَا رَأَوْهُ
 قَدِيمَاتُ مَصُونَاتِ الزَّوَالِ
 وَذَاتًا عَنْ جِهَاتِ السَّيِّ خَالِ
 لَدَى أَهْلِ الْبَصِيرَةِ خَيْرِ آلِ
 وَلَا كُلُّ وَبَعْضُ ذُو اشْتِمَالِ
 بِمَا وَصَفِ التَّمَكُّنِ وَاتِّصَالِ
 فَصْنُ عَنْ ذَلِكَ أَصْنَافُ الْأَهَالِي
 وَأَحْوَالُ وَأَزْمَانُ بِحَالِ
 تَفَرَّدَ ذُو الْجَلَالِ وَذُو الْمَعَالِي
 فَيَفْزِيهِمْ عَلَى وَقْفِ الْخِصَالِ
 وَلِلْكَفَّارِ إِدْرَاكُ النَّكَالِ
 وَلَا أَهْلُوهَا أَهْلُ انْتِقَالِ
 وَإِدْرَاكُ وَضَرْبُ مِنْ مِثَالِ
 فَيَا خُسْرَانَ أَهْلِ الْإِعْتِرَالِ

قصيدة للبرعي في الحق سبحانه

٧

أُنِيبُ وَذُو اللَّطَائِفِ لَا يَنْيِبُ
 وَأَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ مِنْ زَمَانٍ
 وَأُنْزِلُ حَاجَتِي فِي كُلِّ حَالٍ
 وَلَا أَرْجُو سِوَاهُ إِذَا دَهَانِي
 فَكَمْ لِلَّهِ مِنْ تَذْيِيرِ أَمْرِ
 وَأَرْجُوهُ رَجَاءً لَا يَخِيبُ
 بَلِّيتُ بِهِ نَوَائِبُهُ تُشِيبُ
 إِلَى مَنْ تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ
 زَمَانُ الْجُمُودِ وَالْجَارُ الْمُرِيبُ
 طَوْتُهُ عَنِ الْمُشَاهَدَةِ الْغُيُوبُ

فَالْسَّمَاوَاتُ السَّمْعُ وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ وَالنَّجْبُ ذِكْرُهَا التَّهْلِيلُ
 مُنْسَكُ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ وَمُخَيُّ الْحَوْتِ فِي الْمَاءِ فَهُوَ كَافٍ كَفِيلُ
 سَرْمَدِيُّ الْبَقَا أَخِيرُ قَدِيمُ قَصَرَتْ عَنْ مَدَى عِلَّاهُ الْعُقُولُ
 حَيْثُ لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ مَكَانٌ يَخْتَوِيهِ أَوْ غُدُوَّةٌ وَأَصِيلُ
 مَنْ لَهُ الْمُلْكُ وَالْمُلُوكُ عَيْدُ وَلَهُ الْعِزُّ وَالْعَزِيزُ ذَلِيلُ
 كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ يَفْنَى وَيَبْلَى وَهُوَ حَيٌّ سُبْحَانَهُ لَا يَزُولُ
 أَلَقَتْ بِهِ الْبَرَايَا فَهَمُّ فِي رَحْمَةٍ ظَاهِرًا عَلَيْهِمْ ظَالِمُ
 سَيِّدِي أَنْتَ مَقْصِدِي وَمُرَادِي أَنْتَ حَسْبِي وَأَنْتَ نِعَمُ الْوَكِيلُ
 أَحْيِ قَلْبِي بِمَوْتِ نَفْسِي وَصَلِّني وَأَنْلِي إِنْ الْكَرِيمُ يُنِيلُ
 وَأَجْرِي مِنْ كُلِّ خَطْبٍ جَلِيلُ قَبْلَ قَوْلِ الْوَشَاةِ صَبْرُ جَمِيلُ
 وَأَفْتَمِدْنِي بِرَحْمَةٍ وَأَفْئِنِّي مِنْ عِثَارِي فَإِنِّي مُسْتَقِيلُ
 كَيْفَ يَظْمَأُ قَلْبِي وَعَمَقُوكَ بَحْرُ زَاخِرُ طَافِحُ عَرِيضُ طَوِيلُ
 رَبِّ صَفْحًا فَإِنَّ ذَنْبِي كَبِيرُ وَأَصْطَبَارِي عَلَى الْعَذَابِ قَلِيلُ
 وَالرَّجَائِكَ وَالرِّضَا مِنْكَ فَضْلُ وَلَكَ الْمُنُّ وَالْعَطَاءُ الْجَزِيلُ

نُجَّةٌ مِنْ مَتْنِ بَدِ . الْإِمَالِي فِي التَّوْحِيدِ

٦

يَقُولُ الْعَبْدُ فِي بَدْءِ الْإِمَالِي لِتَوْحِيدِ بِنَظْمٍ كَاللَّائِلِي
 إِلَهِ الْخَلْقِ مَوْلَانَا قَدِيمُ وَمَوْصُوفُ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ
 هُوَ الْحَيُّ الْمُدَبِّرُ كُلِّ أَمْرٍ هُوَ الْحَقُّ الْمُقَدَّرُ ذُو الْجَلَالِ
 صِفَاتُ اللَّهِ لَيْسَتْ عَيْنَ ذَاتٍ وَلَا غَيْرًا سِوَاهُ ذَا أَنْفِصَالِ

وَرَاعَ حِمَايَتِي وَتَوَلَّى نَصْرِي وَشَدَّ عُرَايَ إِنْ عَرَّتِ الْخُطُوبُ
وَأَفْنَى عِدَايَ وَأَعْمَرَنَ نَجْمَ حَظِّي بِسَعْدٍ مَا لَطَالَعِهِ غُرُوبُ
وَالْهَبْنِي لِذِكْرِكَ طُولَ عُمْرِي فَإِنَّ بِذِكْرِكَ الدُّنْيَا تَطِيبُ
فَقْطَنِي فِيكَ يَا سَنَدِي جَمِيلُ وَمَرَعَى ذُودِ آمَالِي خَصِيبُ

قصيدة له في الإتهال الى الله تعالى

٨

قَفَّ بِالْخُضُوعِ وَنَادَى رَبَّكَ يَا هُوَ إِنَّ الْكَرِيمَ يُجِيبُ مَنْ نَادَاهُ
وَأَطْلَبَ بِطَاعَتِهِ رِضَاءَ فَلَمْ يَزَلْ بِالْجُودِ يُرْضِي طَالِبِينَ رِضَاهُ
وَأَسْأَلُهُ مَسْئَلَةً وَتَضَلَّ إِنَّهُ مَبْسُوطَتَانِ لِسَائِلِيهِ يَدَاهُ
وَأَقْصَدُهُ مُنْتَطِعًا إِلَيْهِ فَكُلُّ مَنْ يَرْجُوهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ كِفَاهُ
شَمَلَتْ لَطَائِفَهُ الْخَلَائِقُ كُنَّهَا مَا لِلْخَلَائِقِ كَعَائِلُ إِلَّا هُوَ
فَعَزَّزُهَا وَذَلَّلَهَا وَغَنَّاها وَفَقَّرَهَا لَا يَتَّخِذُونَ سِوَاهُ
مَلِكٌ تَدِينُ لَهُ أُمُورُكَ وَيُنْجِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُقَرَاهُمْ بَغْنَاهُ
هُوَ أَوَّلُ هُوَ آخِرُ هُوَ ظَاهِرُ هُوَ بَاطِنُ لَيْسَ الْعِيُونَ تَرَاهُ
حُجَّتُهُ أَسْرَارُ الْجَلَالِ فَدُونَهُ تَقِفُ الظُّنُونُ وَتَخْرُسُ الْأَفْوَاهُ
صَمَدٌ بِلَا كُفٍّ وَلَا كَيْفِيَّةٍ أَبَدًا فَمَا النُّظْرَاءُ وَالْأَشْبَاهُ
شَهِدَتْ غُرَابُ صُنْعِهِ بِوُجُودِهِ لَوْلَاهُ مَا شَهِدَتْ بِهِ لَوْلَاهُ
وَالِيهِ أَدْعَتِ الْعُقُولُ فَأَمَنْتُ بِالْغَيْبِ تَوَثَّرُ حُبَّهَا إِيَّاهُ
سُبْحَانَ مَنْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لَوَجْهِهِ وَلَهُ سُجُودُ أَوْجُهُ وَجَبَاهُ
صَلُوعًا وَكُرْهَا خَاشِعِينَ لِعِزِّهِ وَلَهُ عَلَيْهَا الطُّوعُ وَالْإِكْرَاهُ

وَكَمْ فِي الْغَيْبِ مِنْ تَسْيِيرٍ غَيْرِ
وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ أَطْفٍ خَفِيٍّ
وَمَا لِي غَيْرَ بَابِ اللَّهِ بَابٍ
كَرِيمٍ مُنْعَمٍ بِرُطِينٍ
حَلِيمٍ لَا يُعَاجِلُ بِالْخَطَايَا
فَمَا مَلَكَ الْمُلُوكِ أَفْلَ عِثَارِي
وَأَمْرَضَنِي الْهُوَى لِهَوَانِ حَظِّي
وَعَانَدَنِي الزَّمَانُ وَقَلَّ صَبْرِي
وَعَدَّ النَّائِبَاتِ إِلَى عَدُوِّي
وَأَنَسَنِي بِأَوْلَادِي وَأَهْلِي
وَأَكْبَنِي نَبَذْتُ زَمَانَ أَمْرِي
هُوَ الرَّحْمَانُ حَوْلِي وَاعْتَصَامِي
إِلَهِمَّ أَنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ حَالِي
وَكَمْ مُتَمَلِّقٍ يُخْجِي عَنَادَا
وَحَافِرِ حُفْرَةٍ لِي هَارَ فِيهَا
وَمُتَمَتِّعِ الْهُوَى مُسْتَغْفِ بِرِي
وَذِي عَصِيَّةٍ بِالْمَكْرِ يَسْعَى
فَيَادِيَانِ يَوْمَ الدِّينِ فَرَجٌ
وَصِلْ حَبْلِي بِحَبْلِ رِضَاكَ وَأَنْظُرْ

وَمِنْ تَفَرُّجٍ نَائِبَةٍ تَتُوبُ
وَمِنْ فَرَجٍ تَزُولُ بِهِ الْكَرُوبُ
وَلَا مَوْلَى سِوَاهُ وَلَا حَبِيبُ
حَمِيلُ السَّيْرِ لِلدَّاعِي مُجِيبُ
رَحِيمٍ غَيْمٍ رَحْمَتِهِ يَصُوبُ
فَإِنِّي عَنْكَ أَنَا تُنِي الذُّنُوبُ
وَلَكِنْ لَيْسَ غَيْرُكَ لِي طَيبُ
وَصَاقُ بَعْدِكَ الْبَلَدُ الرَّحِيبُ
فَإِنَّ النَّائِبَاتِ لَهَا نِيُوبُ
فَقَدْ يَسْتَوْحِشُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ
لِمَنْ تَذْنِيبُهُ فِيهِ عَجِيبُ
بِهِ وَإِلَيْهِ مُبْتَهَلٌ أُنِيبُ
فَهَلْ يَأْسِدِي فَرَجٌ قَرِيبُ
وَأَنْتَ عَلَى سَرِيرَتِهِ رَقِيبُ
وَسَنَّهُمُ الْبَغْيُ يَذْرِي مَنْ يُصِيبُ
قَضَمْتَ قَوَاهُ عَنِّي يَا حَسِيبُ
إِلَى سَفْيٍ بِهِ يَوْمٌ عَصِيبُ
هُمُومًا فِي الْهُوَادِ لَهَا دَيْبُ
إِلَيَّ وَتُبْ عَلَيَّ عَسَى أَنْ تُوْبُ

وَيَا كَاذِبَ الْحَيْثَانِ فِي لُجِّ بَحْرِهَا
وَيَا مُخْصِي الْأَوْدَاقِ وَالنَّبْتِ وَالْخَصَى
إِلَيْكَ تَوَسَّلْنَا بِكَ أَغْفِرْ ذُنُوبَنَا
وَحَبِّبْ إِلَيْنَا الْحَقَّ وَأَعْصِمْ قُلُوبَنَا
وَدَمِّرْ أَعَادِيئَنَا بِسُلْطَانِكَ الَّذِي
وَمَنْ عَلَيْنَا يَوْمَ يَبْكَشِفُ الْغَطَا

وله أيضاً من قصيدة في الرجاء بالله

١٠

إِكْلَ خَطْبٍ مِنْهُمْ حَسْبِيَ اللَّهُ
وَأَسْتَغِيثُ بِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
ذُو الْمَنِّ وَالْمَجْدِ وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَمَنْ
لَهُ الْمَوَاهِبُ وَالْأَلَاءُ وَالْمَثَلُ أَوْ
أَلْقَادِرُ الْأَمْرِ النَّاهِي الْمُدِيرُ لَا
مَنْ لَا يَتَأَلَّ بِحَالٍ عَنْهُ كَيْفٌ وَلَا
وَلَا يُغَيِّرُهُ مَرُّ الدُّهُورِ وَلَا
وَلَا يَعْبُرُهُ عَنْهُ بِالْحُلُولِ وَلَا
أَنْشَأَ الْعَوَالِمَ أَغْلَامًا بِقُدْرَتِهِ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَسْتُ تُوبَ الرَّجَاوِ النَّاسُ قَدَرَقَدُوا
فَقُمْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِدُ
فَوُهِلْتُ يَا عِدَّتِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
وَمَنْ عَلَيْهِ لِدَفْعِ الضَّرِّ اعْتَمِدُ

سَلَّ عَنْهُ دَارَاتِ الْوُجُودِ فَإِنَّهَا تَدْعُوهُ مَعْبُودًا لَهَا رَبَّاهُ
 مَا كَانَ يُعْبَدُ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَالْكَلِّ تَحْتَ الْقَهْرِ وَهُوَ إِلَاهُ
 أَبَدَى يُخَفِّكُم صُنْعِهِ مِنْ نُطْقَةٍ بَشَرًا سَوِيًّا جَلَّ مَنْ سِوَاهُ
 وَبَنَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ ثُمَّ عَلَا الْجَمِيعَ عُلَاهُ
 وَدَحَا بَسِيطَ الْأَرْضِ قَرَشًا مُثْنَتًا بِالزَّائِسِيَّاتِ وَبِالنَّبَاتِ حُلَاهُ
 تَجْرِي الرِّيَّاحُ عَلَى اخْتِلَافِ هُبُوبِهَا عَنْ إِذْنِهِ وَالْفَلَكَ وَالْأَمْوَاهُ
 رَبُّ رَحِيمٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ لَا يَنْتَهِي بِالْخَضِرِ مَا أَعْطَاهُ
 كَمْ نِعْمَةٍ أَوَّلَى وَكَمْ مِنْ كُرْبَةٍ أَجْلَى وَكَمْ مِنْ مُبْتَلَى عَاقَاهُ
 فَإِذَا بُلِيتَ بَعْرَبَةً أَوْ كُرْبَةً فَادْعُ الْإِلَاهَ وَقُلْ سَرِيعًا يَا هُوَ
 لَا تُخَسِّنِ الظَّنَّ الْجَمِيلَ بِهِ بَرَى سُوءًا وَلَا رَاجِيَهُ خَابَ رَجَاهُ
 وَلِحَلِيمِهِ سُبْحَانَهُ يُعْصَى فَلَمْ يَجْعَلْ عَلَى عَبْدٍ عَمَى مَوْلَاهُ
 يَأْتِيهِ مُعْتَذِرًا فَيَقْبَلُ عُذْرَهُ كَرَمًا وَيَغْفِرُ عَمْدَهُ وَخَطَاهُ

وللبرعي في حمد الله

٩

لَكَ الْحَمْدُ يَا مُسْتَوْجِبَ الْحَمْدِ دَائِمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ حَمْدَ قَانَ لِدَائِمٍ
 وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ تَسْبِيحَ شَاكِرٍ لِمَعْرِوْفِكَ الْمَعْرُوفِ يَا ذَا الْمَرَامِ
 فَكَمْ لَكَ مِنْ سِرٍّ عَلَى كُلِّ خَاطِئٍ وَكَمْ لَكَ مِنْ بَرٍّ عَلَى كُلِّ ظَالِمٍ
 وَجُودُكَ مَوْجُودٌ وَفَضْلُكَ قَائِمٌ وَأَنْتَ الَّذِي تُرْجَى لِكَشْفِ الْعِظَامِ
 وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مُؤَمِّلٍ وَبِرُّكَ تَمْنُوحٌ لِكُلِّ مُصَادِمٍ
 فَيَا قَائِلَ الْأَصْبَاحِ وَالْحَبِّ وَالنَّوَى وَيَا قَائِمَ الْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْعَوَالِمِ

تَابِعَا كُنْ دَائِمًا أَنْتَ وَلَا تَتَمَنَّ أَنَّهُ لَوْ تَبِعَكَ
وَدَعَ التَّدْبِيرَ فِي الْأَمْرِ لَهُ وَأَصْنَعَ الْمَعْرُوفَ مَعَ مَنْ صَنَعَكَ
وَأَخِظْ حُرْمَةً مَنْ يُبْصِرُ إِنْ رَمَتْ فِعْلًا أَوْ تُكَادِي سَمْعَكَ
كُنْ بِهِ مُعْتَصِمًا وَأَخْضَعْ لَهُ لَا تُعَانِدْ فِيهِ وَاهْجُرْ بِدَعَاكَ
١٢ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَانَ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

قَصْدِي رِسَالِكَ بِكُلِّ وَجْهِ أَمَكْنَا قَامُنْ عَلَيَّ بِذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْفَسَا
وَلَنْ رَضِيتَ فَذَاكَ غَايَةً مَطْلَبِي وَالْقَصْدُ كُلُّ الْقَصْدِ بِلْ كُلِّ الْمُنَى
لَوْ أَبْذَانُ رُوحِي فِدَى لَرَأَيْتَهَا أَمْرًا حَقِيرًا فِي جَنَابِكَ هِنَا
وَبَقِيتُ فِي تَجَلٍّ كَعَبْدٍ قَدْ جَنَى وَالْكَلُّ مُلْكُكُمْ قَمَا مِنِّي أَنَا
وَلَقَدْ تَفَضَّلْتُمْ بِإِبْجَادِي كَمَا أَنْعَمْتُمْ أَيْضًا بِكَ وَنِي مُؤْمِنًا
لَوْلَا تَطَوُّلُكُمْ عَلَيَّ وَفَضْلُكُمْ مَا كُنْتُ مُوجُودًا وَلَا مِنِّي ثَنَا
مَنْ ذَا الَّذِي يَسْعَى وَيَشْكُو فَضْلَكُمْ لَوْ عَمَرَ الْأَبْدَيْنِ يَشْكُرُ مُعْلِنًا
وَأَنَا السَّيِّكِينَ الَّذِي قَدْ جَاءَكُمْ لِلْعَفْوِ مِنْكُمْ طَالِبًا وَلَقَدْ جَنَى
فَبِإِسْمِكُمْ وَبِعِزِّكُمْ وَبِجَاهِكُمْ مُنَا عَلَيَّ وَأَذْهَبُوا عَنِّي الْغِنَا
قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ :

لَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ سِوَاكَ فَإِنْ يَفُتْ وَدَعَتْ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَدَاعَا
لَا أَسْتَلِدُّ بغيرِ وَجْهِكَ مَنْظَرًا وَسِوَى حَدِيثِكَ لَا أُرِيدُ سَمَاعَا

قصيدة للباي في التوسل والاستعطاف

هَوَتْ الْمَشَاعِرُ وَالْمَدَا وَكَ عَنْ مَعَارِجِ كِبَرِيَاكَ

لَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَالضَّرُّ مُشْتَدِلٌ إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدٌ
قصيدة لعبد الغني النابلسي في اللغة بالله

كُنْ مَعَ اللَّهِ تَرَّ اللَّهُ مَعَكَ وَأَتْرَكَ الْكُلَّ وَحَازِرَ طَمَعِكَ
وَالزَّمِ الْقَنَعَ يَمْنُ أَنْتَ لَهُ فِي جَمِيعِ الْكَوْنِ حَتَّى يَسَعَكَ
بِالضَّفَاعِ كَدْرُ الْحِسِّ قَبْ وَأُطْرَجِ الْأَغْيَارَ وَأَتْرَكَ خُدَعَكَ
لَا تَمُوهُ بِكَ وَأَطْلُبْ مِنْكَ مَا نَوْرَكَ اللَّهُ بِهِ كُنْ مُشْرِقًا
وَأَعْبُدِ اللَّهَ بِكَشْفِ وَأَصْطَبِرْ وَعَلَى الْكَشْفِ تَوَقَّ جَزَعَكَ
لَا تَقُلْ لَمْ يَفْتَحِ اللَّهُ وَلَا تَطْلُبِ الْقَنَعَ وَحَرِّزْ وَرَعَانَ
كَيْفَمَا شَاءَ فَكُنْ فِي يَدِهِ لَكَ إِنْ فَرَّقَ أَوْ إِنْ جَمَعَكَ
فِي أَوْرَى إِنْ شَاءَ خَفَضَ ذِقَّتَهُ وَإِذَا شَاءَ عَلَيْهِمْ رَفَعَكَ
وَإِذَا ضَرَّكَ لَا نَافِعَ مِنْ دُونِهِ وَالضَّرُّ لَا إِنْ نَفَعَكَ
وَإِذَا أَعْطَاكَ مَنْ يَمْنَعُهُ ثُمَّ مَنْ يُعْطَى إِذَا مَا مَنَعَكَ
لَيْسَ يُوقِيكَ إِذَا أَحَدُ وَإِنْ اسْتَنْصَرْتَ فِيهِ شَيْعَكَ
إِنَّمَا أَنْتَ لَهُ عَبْدٌ فَكُنْ جَاعِلًا بِالْقُرْبِ مِنْهُ وَلَمْ تَكُنْ
كُلَّمَا نَابَكَ أَمْرٌ ثِقَ بِهِ وَاحْتَرِزْ لِلْغَيْرِ كَشَوَ وَجَعَكَ
لَا تَوَمِّلْ مِنْ سِوَاهُ أَمَلًا إِنَّمَا يَسْقِيكَ مَنْ قَدْ ذَرَعَكَ
لَيْتَ لَوْ تَشَرُّ مَاذَا كُنْتَ مِنْ قَبْلِ مَا مَوَى الْمَوَالِي أَخْتَرَعَكَ
سَكُنْتَ لَا شَيْءَ وَأَضْبَحْتَ بِهِ خَيْرَ شَيْءٍ بَشَرًا قَدْ طَبَعَكَ

إِنَّ الْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ يَدِ الْإِلَهِ يُقَلِّبُ الْأَحْوََالَ
فَدَعِ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطِلَالِهِمْ لَهْجًا تُضَعِضُ لِلْعِبَادِ مُوَالَ
قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبُسْتِي :

تَقَى اللَّهَ وَالزَّمَ هُدَى دِينِهِ وَمِنْ بَعْدِ ذَا فَالزَّمِ الْقَلَسَقَةَ
وَلَا تَغْتَرِ بِأَنَاسٍ رَضُوا مِنَ الدِّينِ بِالزُّورِ وَالسَّفَسَقَةَ
وَدَعِ عَنْكَ قَوْمًا يَعْبُونَهَا ففلسفة المرء فلُ السِّمَةِ
لَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ أَبَا الْحَسَنِ الْهَمْدَانِيَّ أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ :

قَالُوا غَدًا نَأْتِي دِيَارَ الْحَمِي وَيَنْزِلُ الرَّكْبُ بِمَغْنَاهُمْ
وَكُلُّ مَنْ كَانَ مُطِيعًا لَهُمْ أَصْبَحَ مَسْرُورًا بِمَقْيَاهُمْ
فَقُلْتُ لِي ذَنْبٌ فَمَا حِيلَتِي بِأَيِّ وَجْهِ أَتَقَاهُمْ
قَالُوا أَلَيْسَ الْغَفْوُ شَأْنَهُمْ لَاسِيًا عَمَّنْ تَرَجَّاهُمْ

الْبَابُ الثَّانِي

فِي الزُّهْدِ

الزهد في الدنيا والانقطاع إلى الله

١٥ (مِنْ التَّهَجُّجِ) خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِنًا
مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ . لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاةٍ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ
أَطَاعَةٍ . فَتَقَسَّمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشُهُمْ وَوَضَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ . فَالْمُتَمَوِّنُونَ
فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ . مُنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِسَادُ وَمَشْيُهُمْ

يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ قَدْ بَهَرَ الْعُقُولَ سَنَا بِهَائِكَ
أَتَيْتَنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَأَيْنُ عَلِمِي مِنْ ثَنَائِكَ
مُتَّحِبٌ فِي غَيْبِكَ أَلَا أَحْيَى مَنِيْعٌ فِي عِلَائِكَ
وَضَهَرَتْ بِالْآثَارِ وَأَلَا أَفْعَالٍ بَادٍ فِي جَلَائِكَ
عَجَبًا خَفَاؤُكَ مِنْ ظُهُورِكَ أَمْ ظُهُورُكَ مِنْ خَفَائِكَ
مَا أَلْكَوْنُ إِلَّا ظُلْمَةٌ قَبَسَ الْأَشْعَةَ مِنْ ضِيَائِكَ
بَلْ كُلُّ مَا فِيهِ فَقِيرٌ مُسْتَسْتَجِبٌ مِنْ عَطَائِكَ
مَا فِي الْعَوَالِمِ ذَرَّةٌ فِي جَنْبِ أَرْضِكَ أَوْ سَمَائِكَ
إِلَّا وَوَجْهَتُهَا إِلَيْكَ بِالْإِفْتِقَارِ إِلَى غَنَائِكَ
فَأَنْزِلْ إِلَى مَنْ يَسْتَغِيثُكَ عَائِذًا بِكَ مِنْ بَلَائِكَ
فَدَفَعَتْ بِهِ مِنْ شَاهِقِ أَيْدِي امْتِحَانِكَ وَأَبْتِلَائِكَ
وَسَطَتْ عَلَيْهِ لَوَازِمُ أَلَا أَمَكَانَ صَدًّا عَنْ فَنَائِكَ
وَرَمَتْهُ فِي ظُلْمِ الْعَنَاءِ صِرَ وَالطَّبَائِعِ فِي شَبَائِكَ
فَإِذَا أَرْعَى أَوْ كَادَ نَا دَتَهُ الْقَيُّودُ إِلَى وَرَائِكَ
فَالْطُّفُ بِهٍ فِيمَا جَرَى فِي طَيِّ عَالَمِكَ مِنْ قَضَائِكَ
وَأَسْأَلُكَ بِهِ سَنَنَ الْهُدَا يَهٍ فِي مَعَارِجِ أَصْفِيَائِكَ
قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤْلِيُّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْحَوَائِجِ حَاجَةً
فَلْيُعْطِيَنَّكَ مَا أَرَادَ بِقُدْرَةٍ
فَادْعُ الْإِلَآهَ وَأَحْسِنِ الْأَعْمَالَ
فَهُوَ الْأَطِيفُ لِمَا أَرَادَ فَعَالًا

تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ . قَلِيلًا زَالُهُ . خَاشِعًا قَلْبُهُ . قَانِعَةً نَفْسُهُ . مَنزُورًا
أَكْنُهُ . سَهْلًا أَمْرُهُ . حَرِيذًا دِينُهُ . مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ . مَكْظُومًا غَيْظُهُ . إِنْ
كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ . وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ
يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ . يَغْتَوِعَنَّ ظَلَمَهُ . وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ . وَيَصِلُ مَنْ
قَطَعَهُ . يَبِيدُ أَمْرَهُ . لَنَا فَوَلَهُ . غَايِبًا مُنْكَرُهُ . حَاضِرًا مَرْوُفُهُ . مُقْبِلًا
خَيْرُهُ . مُدْبِرًا شَرُّهُ . فِي الزَّلَازِلِ وَقُورُ . وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورُ . وَفِي
الرِّخَاءِ شُكُورُ . لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُغْضَرُ . وَلَا يَأْتِمُّ فِيمَنْ يُجِبُّ . يَعْتَرِفُ
بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْهِ . لَا يُضِيعُ مَا اسْتَحْفَظَ . وَلَا يَنْسَى مَا ذَكَرَ .
وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ . وَلَا يُنَارُ بِالْجَارِ . وَلَا يَسْتَبُكُّ بِالْمَصَافِ . وَلَا
يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ . وَلَا يُخْرِجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْنَهُ صَمْتُهُ . وَإِنْ
صَحَّحَ لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ . وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي
يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ دَنَاهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَنْتَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ
وَأَرَّاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بَعْدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زَهْدٌ وَرَاهَةٌ . وَدُنُوهُ
مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِيْنٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكَبِيرٍ وَعَظَمَةٌ وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ
وَخَدِيعَةٍ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

قصيدة للبرعي في الزهد

١٦

أَحْبَابَ قَلْبِي مَضَى زَمَانِي وَنَقَصَتْ عَيْشِي أَلْهُومُ
وَفَرَّقَ الْمَوْتُ أَهْلَ عَصْرِي فَلَا صَدِيقٌ وَلَا حَمِيمُ
وَأَخْلَفَ الدَّهْرُ خَلْفَ سَوْءٍ كَأَنِّي بَيْنَهُمْ يَتِيمُ

أَلْتَوَضَّعُوا غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ وَرَقَعُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ
 النَّافِعِ لَهُمْ . نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ مَكَالَتِي نَزَلَتْ فِي الرِّخَاءِ
 لَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ
 طَرَفَةً عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ . وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ . عَظُمَ الْخَلْأَقُ فِي
 أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دَوَّهَ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدَّرَ آهَاهُمْ فِيهَا
 مُنْعَمُونَ . وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدَّرَ آهَاهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مُعَذَّبُونَ .
 أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسْرَتْهُمْ فَقَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . لَا يَرْضَوْنَ
 مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ الْكَثِيرَ . فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَمَمُونَ .
 وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ . إِذَا زَكَّى أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ :
 أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنِّي . اللَّهُمَّ لَا تَوَاخِذْنِي
 بِمَا يَتَوَلَّوْنَ وَأَجْعَلْنِي أَفْضَلَ بِمَا يَفْضَلُونَ وَأَغْنِنِي مَا لَا يَعْلَمُونَ . فَمِنْ
 أَعْلَامِهِ أَحَدُهُمْ أَنْكَ تَرَى لَهُ قُوَّةَ فِي الدِّينِ . وَحَزْمًا فِي الْإِيمَانِ . وَإِيمَانًا فِي
 الْيَقِينِ . وَحِرْصًا فِي الْعِلْمِ . وَعَمَلًا فِي حِلْمِهِ . وَقَصْدًا فِي غِنَى . وَخُشُوعًا
 فِي عِبَادَةٍ . وَتَجَمُّلًا فِي قَافَةٍ . وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ . رَطْبًا فِي حَلَالٍ . وَنَشَاطًا
 فِي هُدًى . وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ . يَعْمَلُ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةَ وَمُوَعَلَى وَجَلٍ .
 يَمْسِي وَهْمُهُ الشُّكْرُ . وَيُصْبِحُ وَهْمُهُ الذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذِرًا وَيُصْبِحُ فَرِحًا .
 حَذِرًا يَلْمُ حَذَرَ مِنَ الْغَفْلَةِ . وَفَرِحًا يَلْمُ أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ . إِذَا
 اسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فَيَا نَكَرَهُ لَمْ يُعْطَهَا سُؤْلَهَا فَيَا تَجِبُ . قُرَّةُ عَيْنِهِ
 فَيَا لَا يَزُولُ وَزَهَادَةٌ فَيَا لَا يَبْقَى . يَزُجُّ الْحِلْمُ بِالْعِلْمِ وَالْقَوْلُ بِالْعَمَلِ .

مُنْعَ لَمْ يَنْقُصْ . يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي . وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي . يُحِبُّ الصَّالِحِينَ
 وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ . وَيُنِصُّ الْمَذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ . وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ
 ذُنُوبِهِ وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ . إِنْ سَقَمَ ظَلَّ نَادِمًا وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ
 لَاهِيًا . يُعْجِبُ نَفْسَهُ إِذَا عُوِيَ وَيَقْنَطُ إِذَا ابْتَلِيَ . إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا
 مُضْطَرًّا . وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَفْجَرَضَ مُغْتَرًّا . تَعْلَبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا تَنْظُنُّ وَلَا
 يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ . يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَذَى مِنْ ذَنْبِهِ وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ
 بِأَكْثَرٍ مِنْ عَمَلِهِ . إِنْ اسْتَغْنَى بَطَرٌ وَفُتِنَ . وَإِنْ افْتَقَرَ قَطَعَ وَوَهِنَ .
 يَقْصِرُ إِذَا عَمِلَ . وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ . إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسَافَ الْمَعْصِيَةَ
 وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ . وَإِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ أَنْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمَلَّةِ . يَصِفُ
 الْغَيْرَ وَلَا يَعْتَبِرُ . وَيُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَعَطَّى . فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ .
 وَمِنْ الْعَمَلِ مُقِلٌّ . يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى وَبَسَامِخُ فِيمَا يَبْقَى . يَرَى الْغَنَمَ
 مَغْرَمًا . وَالْغَرَمَ مَغْنَمًا . يَخْشَى الْمَوْتَ . وَلَا يَبَادُرُ الْقَوْتَ . يَسْتَعْظِمُ مِنْ
 مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا
 يَحْتَقِرُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ . فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ . وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ . اللَّهُوْ مَعَ
 الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ : يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ
 وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لَغَيْرِهِ . يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُعْوِي نَفْسَهُ . فَهُوَ يُطَاعُ وَيُعْصَى .
 وَيَسْتَوْفِي وَلَا يُوفِي . وَيَخْشَى الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ رَبِّهِ وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي
 خَلْقِهِ . قَالَ جَامِعُ التَّلَاجِمِ : كَفَى بِهَذَا الْكَلَامِ مَوْعِظَةً نَاجِعَةً وَحِكْمَةً
 بَالِغَةً وَبَصِيرَةً لِمُبْصِرٍ وَعِبْرَةً لِنَازِلِ مُفَكِّرٍ

(لبهاء الدين)

وَأَلَانَ حَانَ الرَّحِيلِ مِنِّي وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَدُومُ
وَمَا تَرَوْدَتْ غَيْرَ ذَنْبٍ عَذَابُهُ مُرَدَّائِمٌ أَلِيمٌ
يَصْرَحُ الْوَعْظُ بِي وَقَلْبِي كَأَنَّهُ صَخْرَةٌ صَمِيمٌ
أَبَارِزُ اللَّهِ بِالْخَطَايَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ حَلِيمٌ
فَكَمْ خَلَعْتُ الْعِذَارَ جَهْلًا وَلَمْتُ فِي النَّارِ مِنْ يَلُومُ
وَكَمْ تَعَامَيْتُ عَنْ رَشَادِي وَمَنْهَجِ الْحَقِّ مُسْتَقِيمٌ
لَا أَنْتَهَيْ عَنْ قَبِيحٍ فَعَلِي وَلَا أَصْلِي وَلَا أَصُومُ
عَصَيْتُ طِفْلًا وَصِرْتُ أَعْصَى وَالشَّيْبُ فِي مَفْرِقِي يَحُومُ
شَيْبٌ وَعَيْبٌ وَحَمَلُ ذَنْبٍ وَالذَّنْبُ بَعْدَ الْمَشِيبِ شُومُ
يَا جَامِعَ أَمْوَالٍ مِنْ حَرَامٍ سَيَقْضِي مَا لَكَ الْغَرِيمُ
وَتَقْضِي وَزْرَهُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ يَغْلِي بِهَا الْحَمِيمُ
وَكَيْفَ يَهْنِكَ صَفْوُ عَيْشٍ خِتَامُهُ عَلَقَمٌ عَقِيمٌ
يَا وَاسِعَ الْأَطْفِ جُدْ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ مِنْكَ يَا كَرِيمُ
إِنْ قَالَ عَبْدُ الرَّحِيمِ ذَنْبِي فَقُلْ أَنَا الْمُسْتَفِقُ الرَّحِيمُ
وَإِنْ شَكَاهُ مِنْ خُصُومٍ سَوَاءٍ فَحُلْ مَا تَعْقِدُ الْخُصُومُ
وَسَاحِجَ الْكُلِّ فِي ذُنُوبٍ أَنْتَ بِهَا سَيِّدِي عَلِيمُ

١٧ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِرَجُلٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَعْظُمَهُ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو
الْآخِرَةَ بِالْأَعْمَلِ . وَيَرْجُو التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ . يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ
الزَّاهِدِينَ . وَيَعْمَلُ فِيهَا بِقَوْلِ الرَّاعِيَيْنِ . إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ . وَإِنْ

لَيْسَ الْأَصَمُّ وَلَا الْأَعْمَى سِوَى رَجُلٍ لَمْ يَهْدِهِ الْمَدَيَانِ الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ
لَا الدَّهْرُ يَبْقَى وَلَا الدُّنْيَا وَلَا الْفَلَاحُ أَعْلَى وَلَا النَّيْرَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
لِيَرْجُلَانِ عَنِ الدُّنْيَا وَإِنْ كَرِهَا فِرَاقَهَا الثَّوَيَانِ الْبَدْوُ وَالْخَضِرُ
١٩ قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ الْكِنَانِيُّ أَحَدُ الرَّاحِلِينَ إِلَى الْمَشْرِقِ :

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ تَطْبَعُهُ فِي الْعَيْنِ وَالْأَجَلَ الْخَتْمُ يَقْطَعُهُ
يَمْسِي وَيَضْمِجُ فِي عَشْوَاءٍ يَخْطِطُهَا أَعْمَى الْبَصِيرَةِ وَالْأَمَالَ تُخْذَعُهُ
يَغْتَرُّ بِالدَّهْرِ مَسْرُورًا بِصُحْبَتِهِ وَقَدْ تَقَيَّنَ أَنَّ الدَّهْرَ يَضْرَعُهُ
وَيَجْمَعُ الْمَالَ حِرْصًا لَا يَفَارِقُهُ وَقَدْ دَرَى أَنَّهُ لِلْغَيْرِ يَجْعَهُ
تَرَاهُ يَشْفِقُ مِنْ تَضْيِيعِ دِرْهَمِهِ وَلَيْسَ يَشْفِقُ مِنْ دَيْنٍ يَضِيعُهُ
وَأَسْوَأُ النَّاسِ تَذْبِيرًا لِعَاقِبَةٍ مَنْ أَنْفَقَ الْعُمْرَ فِي مَا لَيْسَ يَنْفَعُهُ
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَمِيرِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

فَوَادُ بِأَيْدِي النَّائِبَاتِ مُصَابٌ وَجَفَنُ لَفِيفِ الدَّمْعِ فِيهِ مُصَابٌ
تَنَاءَتْ دِيَارٌ قَدْ أَلْفَتْ وَجِيرَةً فَهَلْ لِي إِلَى عَهْدِ الْوَصَالِ إِيَابٌ
وَفَارَقْتُ أَوْطَانِي وَلَمْ أَبْلُغِ الْمُنَى وَدُونَ مُرَادِي أُنْجَرُ وَهَضَابٌ
مَضَى زَمَنِي وَالشَّيْبُ حَلَّ بِمَفْرِقِي وَأَبْعَدُ شَيْءٍ أَنْ يُرَدَّ شَبَابٌ
إِذَا صَرَ عُمْرُ الْمَرْءِ لَيْسَ بِرَاجِعٍ وَإِنْ حَلَّ شَيْبٌ لَمْ يُفِدْهُ خِضَابٌ

ذو النون والزائدة

٢٠ قَالَ ذُو النُّونِ بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِذْ بَصُرْتُ بِجَارِيَةٍ
عَلَيْهَا أَظْهَارُ شَعْرِ . فَإِذَا هِيَ نَاحِلَةٌ ذَابِلَةٌ . فَدَنَوْتُ مِنْهَا لَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ .

نهد رجل من بني عباس

١٨ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعَلِّمِ خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ حُجَّاجًا فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ
مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ رَفَضَ الدُّنْيَا
وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ . فَجِئْتَنِي وَإِيَّاهُ الطَّرِيقُ فَأَنْسَتْ بِهِ وَقُلْتُ لَهُ :
هَلْ لَكَ أَنْ تُعَادِلَنِي فَإِنْ مَعِيَ فَضْلًا مِنْ رِاحَتِي . فَجَزَانِي خَيْرًا .
ثُمَّ أُنْسَ إِلَيَّ فَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ كُنْتُ
أَسْكُنُ الْبَصْرَةَ وَكُنْتُ ذَا كِبَرٍ شَدِيدٍ وَنِعْمَةٍ طَائِلَةٍ وَمَالٍ كَثِيرٍ وَبَذَخَ
زَانِدٌ . فَأَمَرْتُ يَوْمًا خَادِمًا لِي أَنْ يَحْشُولِي فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ وَمِخْدَةَ بَوْرِدٍ
ثَنِيرٍ . فَقَعَلَ . فَإِنِّي لَنَائِمٌ إِذَا يَقَعُ وَرَدَّةٌ قَدْ نَسِيَهُ الْخَادِمُ فَخَمْتُ إِلَيْهِ
فَأَوْجَعْتُهُ ضَرْبًا . ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَضْجَعِي بَعْدَ إِخْرَاجِ الْقَمْعِ مِنَ الْخِمْدَةِ
فَأَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي فِي صُورَةِ فَطِيئَةٍ فَهَزَّنِي وَقَالَ : أَفِقْ مِنْ غَشِيَتِكَ
وَأَنْتَبَهْ مِنْ رَفَدِكَ ثُمَّ انْشَأَ يَقُولُ :

يَا خِلُّ إِنَّكَ إِنْ تَوَسَّدَ لَيْسًا وَسَدَّتْ بَعْدَ الْيَوْمِ صَمَّ الْجَنْدَلِ
فَأَمَّهْدَ لِنَفْسِكَ صَالِحًا تَسْعُدُ بِهِ فَلْتَنْدَمَنَّ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلْ
فَأَنْتَبَهَتْ عَرُوبًا . وَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِي هَارِبًا إِلَى رَبِّي

(مستهطف المستظرف للابشيحي)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَكْرِيُّ الشَّنْتَرِيُّ فِي الرَّهْدِ :

يَا مَنْ يُصْبِحُ إِلَى دَائِي السَّقَاةَ وَقَدْ نَادَى بِهِ النَّاعِيَانِ الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ
إِنْ كُنْتُ لَا أَسْمَعُ الذِّكْرَى فَعِيمٌ نَوَى فِي رَأْسِكَ الْوَاعِيَانِ السَّمْعُ وَالذِّكْرُ

فَسْتَجِيبُ. وَتَرْجُرُهَا فَنَحِيبُ. نَاقِصَةٌ لِلْعَزِيمَةِ مُرْتَجِمَةٌ لِلْمُعِطَةِ. كُلُّ مَنْ
فِيهَا يَجْرِي. إِلَى مَا لَا يَذَرِي. وَقَالَ أَبُو الْعَرَبِ الصَّقِيلِيُّ :

وَلَا يَغْرُزُكَ مِنْهَا حُسْنُ بُرْدٍ لَهُ عِلْمَانِ مِنْ عِلْمِ الذَّهَابِ
فَأَوَّلُهُ رَجَاءٌ مِنْ سَرَابٍ وَآخِرُهُ رِدَاءٌ مِنْ تُرَابٍ
قَالَ ابْنُ قَاضِي مِيلَةَ :

لَدُنِّيَاكَ نُورٌ وَلَكِنَّهُ ظِلَامٌ يَحَارُ بِهِ الْمُبْصِرُ
فَإِنْ عِشْتَ فِيهَا عَلَى أَنَّهَا كَمَا قِيلَ فَنَطْرَةٌ تُعْبِرُ
فَلَا تَعْمُرَنَّ بِهَا مَنْزِلًا فَإِنَّ الْحَرَابَ لَمَّا تَعْمُرُ
وَلَا تَذَخِرَنَّ خِلَافَ التَّقَى فَتَقْنَى وَيَبْقَى الَّذِي تَذَخِرُ
وَمِنْ جَيْدِ شِعْرِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ قَوْلُهُ :

وَأَعْجَبَا لِلنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا وَحَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَبْصَرُوا
وَعَبَرُوا الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِهَا فَإِنَّمَا الدُّنْيَا لَهُمْ مَعْبَرُ
الْخَيْرِ مِمَّا لَيْسَ يَخْفَى هُوَ الْمَعْرُوفُ وَالشَّرُّ هُوَ الْمُنْكَرُ
وَالْمَوْعِدُ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ الْحَشَرُ فَذَاكَ الْمَوْعِدُ الْأَكْبَرُ
لَا فَخْرَ إِلَّا فُخْرُ أَهْلِ التَّقَى غَدًا إِذَا ضَمُّهُمْ الْحَشَرُ
لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّقَى وَالْبِرَّ كَانَا خَيْرًا مِمَّا يُذَخِرُ

زوال الدنيا

٢٣ (مِنْ التَّلَاحِجِ .) وَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ .
وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا زُلْ عَنْكُمْ . وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جَدَّ بِكُمْ السَّيْرُ .

فَرَأَتْهَا مُتَّصِلَةً الْأَخْزَانِ بِالْأَشْجَانِ . وَعَصَفَتِ الرِّبَاحُ وَأَضْطَرَبَتْ
 الْأَمْوَاجُ وَظَهَرَتِ الْحِيتَانُ . فَصَرَخَتْ ثُمَّ سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ . فَلَمَّا
 قَامَتْ نَحَبَتْ ثُمَّ قَالَتْ : سَيِّدِي بِكَ تَقَرَّبَ الْمُتَقَرَّبُونَ فِي الْحُلُوتِ .
 وَلَعِظَمَتِكَ سَجَّتِ النَّيْنَانُ فِي الْبَعَارِ الزَّائِرَاتِ . وَلِجَلَالِ قُدْسِكَ
 تَصَافَقَتِ الْأَمْوَاجُ الْمُتَلَاطِمَاتُ . أَنْتَ الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ الْأَيْلِ
 وَضُوءُ النَّهَارِ . وَأَفْلَاكُ الدَّوَارِ وَالْبَجَرُ الزَّخَارُ . وَالْقَمَرُ النُّوَارُ وَالتَّجَمُّ
 الزَّهَارُ . وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ بِمَقْدَارٍ لِأَنَّكَ أَعْلَى السَّمَاوَاتِ . ثُمَّ أُنْشِدَتْ :
 يَا مُؤْنِسَ الْأَبْرَارِ فِي خُلُوتِهِمْ يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّتْ بِهِ السُّزَالُ
 مَنْ ذَاقَ حُبِّكَ لَا يَزَالُ مُتِمِّمًا قَرَحَ الْفُؤَادِ مُتِمِّمًا بَلْبَالَ
 فَقُلْتُ لَهَا : عَسَى أَنْ تَرِيدِيْنِي مِنْ هَذَا . فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي . ثُمَّ
 رَفَعَتْ طَرْفَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ فَقَالَتْ :

أُحِبُّكَ حُبِّينِ حُبَّ الْوَدَادِ وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلُ لَذَاكَ
 فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْوَدَادِ فَحُبُّ شُغْلِي بِهِ عَنْ سِوَاكَ
 وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُ لَهُ فَكَشْفُكَ لِلْحُبِّ حَتَّى أَرَاكَ
 فَمَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ
 ثُمَّ شَبَّهَتْ شَهَقَةً فَإِذَا هِيَ قَدْ فَارَقَتْ الدُّنْيَا (اسواق الاشواق للبقاعي)

ذَلَّةُ الدُّنْيَا

٢١ قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : صِفْ لَنَا الدُّنْيَا فَقَالَ : أَمَلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ .
 وَأَجَلٌ مُطْلٌ عَلَيْكَ . وَشَيْطَانٌ فَتَّانٌ . وَأَمَانِيٌّ جَرَّارَةٌ الْعِنَانِ . تَدْعُوكَ

أَرَى الْمَرْءَ وَثَابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ
تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ الْمَالُكَ غَيْرُهُ
وَأَيُّ أَمْرٍ فِي غَايَةِ لَيْسَ نَفْسُهُ
٢٤ قَالَ أَيْضًا:

طُولُ التَّعَاشُرِ بَيْنَ النَّاسِ مَمْلُولُ
يَا رَاعِي الشَّاءِ لَا تُفْعِلْ رِعَايَتَهَا
إِنِّي لَهِيَ مَنْزِلٍ مَا زِلْتُ أَعْمُرُهُ
وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعٍ يَأْتِيهِ ذُو نَفْسٍ
لَمْ يُشْغَلِ الْمَوْتُ عَنْهُ مُذْ أُعِدَّ لَنَا
وَمَنْ يَمُتْ فَهُوَ مَقْطُوعٌ وَمُجْتَنَّبُ
كُلِّ مَا بَدَأَ لَكَ فَالْأَكْلُ قَانِيَةٌ
٢٥ قَالَ الْأَسْوَدُ الدَّارِمِيُّ بَعْدَ نَكْبَةِ الْأَكْثَرَةِ لِأَلِ الْحَرَقِ:

مَاذَا نُؤْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرَّقٍ
أَهْلُ الْخَوَرَتِ وَالسَّيْرِ وَبَارِقِ
زَلُّوا بِأَنْفَرَةٍ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ
جَرَبُ الرِّيَّاحِ عَلَى رُسُومِ دِيَارِهِمْ
وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ
فَإِذَا النَّعِيمُ وَكُلُّ مَا يُلْهِي بِهِ
وَمِنْ رَفِيقٍ مَا جَاءَ فِي الزُّهْدِ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

وَأَسْتَعِدُّوا لِمَوْتٍ قَدْ أَظْلَمَ لَكُمْ . وَكُونُوا قَوْمًا صَاحِبِينَ فَانْتَبَهُوا . وَعَلِمُوا
 أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا . فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُصْكُمْ عَبَثًا
 وَلَمْ يَتْرَكْكُمْ سُدًى . وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ
 أَنْ يَنْزِلَ بِهِ . وَإِنْ غَايَةً تَقْصُرُ اللَّحْظَةُ وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجْدِيرَةٌ يَقْصُرُ
 الْمُدَّةُ . وَإِنْ غَايَةً يَخْذُوهُ الْجُدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لِحَرِيٍّ بِسُرْعَةٍ
 الْأَوْبَةِ . وَإِنْ قَادِمًا يَأْتِيهِمُ بِالْفُوزِ أَوْ الشَّقْوَةِ لِمُسْتَحْتَجٍّ لِأَفْضَلِ الْعِدَّةِ .
 فَتَرَوُا فِي الدُّنْيَا مَنْ تَحْزَنُ بِهِ نَفْسُكُمْ غَدًا . فَأَتَقَى عَبْدٌ
 مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ . فَإِنْ أَجَلُهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ وَأَمَلُهُ
 خَادِعٌ لَهُ . وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا . وَمِنْهُ التَّوْبَةُ
 لِيُسَوِّفَهَا . حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا . فَيَأْخُذُ حَسْرَةً
 عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ يَكُونَ عُمْرُهُ عَلَيْهِ خُجَّةً . وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى
 شَقْوَةٍ . نَسَأَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبَارَهُ نِعْمَةٌ . وَلَا
 يَقْصُرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ . وَلَا تُحِلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلَا
 كَابَةٌ

(لباء الدين)

قَالَ أَبُو الْأَمَةِ :

عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ إِيَّيْ مُودَعٍ وَعَيْنَايَ مِنْ مَضَى التَّفَرُّقِ تَدْمَعُ
 فَإِنْ نَحْنُ عِشْنَا يَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَإِنْ نَحْنُ مِتْنَا فَأُلْهِمَانَا تَجْمَعُ
 أَلَمْ تَرَى دَهْرِي فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ عَارِضٌ فِيهِ أَلْمَنِةٌ تَلْمَعُ
 أَيَا بَانِي الدُّنْيَا لِنَعْرِكَ تَبْتَنِي وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِنَعْرِكَ تَجْمَعُ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

وَعَايَةُ هَذِي الدَّارِ لَذَّةُ سَاعَةٍ . وَيَعْقِبُهَا الْآخِرَانُ وَالْهَمُّ وَالنَّدَمُ
وَهَابَتِكَ دَارُ الْأَمْنِ وَالْغَزِ وَالْتَقَى وَرَحْمَةُ رَبِّ النَّاسِ وَالْجُودُ وَالْكَرَمُ
٢٨ قَالَ الْأُبَيْتِيُّ :

أَقُولُ لِمَنْ لَاحَ الْمَشِيبُ بِفَوْدِهِ . وَأَلْقَيْتُهُ عَنْ غِيِّهِ لَيْسَ يَقْصِرُ
عَذْلَتُكَ أَنْ أَضَلَمْتَ رُشْدًا خَاطِئًا . وَلَيْلُ الشَّابِّ الْوَحْفِ دَاجٍ مُعْذِرُ
فَهَلْ لَكَ فِي سِنِ الْكُهُولَةِ عَازِرُ إِذَا زَغْتَ عَنْ قَصْدٍ وَلَيْلِكَ مُقْمِرُ
فَالْأَبْنُ حَاجِبٌ يَذْكُرُ إِيوَانَ كَسْرَى :

يَا مَنْ بَسَنَى بِشَاهِقِ الْبُلْبَانِ . أَلَسَيْتَ ضَنَّعَ الدَّعْرِ بِالْإِيوَانِ
هَذِي الْمَصَانِعُ وَالْدَّسَاكِرُ وَالْبِنَا . وَقُصُورُ كِسْرَانَا أَنْوَشِرَوَانِ
كَتَبَ اللَّيَالِي فِي ذَرَاهَا أَسْطُرًا . بِيَدِ الْبَلْبِلِ وَأَنَابِلِ الْحِدَنَانِ
إِنَّ الْحَوَادِثَ وَالْخُطُوبَ إِذَا سَطَتْ . أَوْدَتْ بِكُلِّ مُوْتَقٍ الْأَزْكَانِ

ذكر المنية والعواقب

٢٩ قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ :

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَذَادَتْهَا . فَأَيْنَ الْمَعْظَمُ وَالْمُتَحَقَّرُ
وَأَيْنَ الْمَذِلُّ بِسُلْطَانِهِ . وَأَيْنَ الْمَذْكِيُّ إِذَا مَا أَفْخَرُ
فَوَدِيتُ مِنْ بَيْنِهِمْ لَا أَرَى . شُخُوصًا لَهُمْ وَلَا مِنْ أَرْ
تَفَانُوا جَمِيعًا فَلَا مُخْبِرُ . وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الْخَبِرُ
فَيَا سَائِلِي عَنْ أَنَاسٍ مَضُوءَا . أَمَا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبَرُ

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمَ بْنَ عَمْرٍو أَذَلَّ الْجِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ
 هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَلِكَ لِلزَّوَالِ
 نَعَى نَفْسِي إِلَيَّ مِنَ الْأَلْيَالِ نَصَرْتُهُنَّ خَلَا بَعْدَ حَالِ
 فَمَا لِي لَسْتُ مَشْغُولًا بِنَفْسِي وَمَا لِي لَا أَخَافُ الْمَوْتَ مَا لِي
 أَمَا فِي السَّالِفِينَ لِي أَعْتِبَارُ وَمَا لَأَقْوَهُ لَمْ يَخْطُرْ بِكَالِي
 كَأَنِّي بِالْمَنِيِّ أَرْجَعْتَنِي وَنَعَشِي بَيْنَ أَرْبَعَةِ عِجَالِ
 وَخَافَنِي نِسْوَةٌ يَبْكِينَ بَعْدِي كَانَ قُلُوبُهُنَّ عَلَى الْمَقَالِي
 وَحَقَّ كُلُّ ذَا يَفْنَى سَرِيعًا وَلَا شَيْءٌ يَدُومُ مَعَ الْأَلْيَالِي
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّمَا نِعْمَةٌ دُنْيَا مُتَعَةٌ وَحَيَاةُ الْمَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعَارُ
 وَصُرُوفُ الدَّهْرِ فِي أَطْلَاقِهِ حَلَقَةٌ فِيهَا ارْتِفَاعٌ وَانْحِدَارُ
 بَيْنَمَا الْإِنْسَانُ فِي عَلَيْهَا إِذْ هَوَى فِي هُوَةٍ مِنْهَا فَعَارُ

٢٧ قَدْ شَبَّهَ بَعْضُهُمُ الدُّنْيَا بِخَيَالِ الظِّلِّ فَقَالَ :

رَأَيْتُ خَيَالَ الظِّلِّ أَعْظَمَ عِبْرَةً لِمَنْ كَانَ فِي عِلْمِ الْحَقَائِقِ رَاقِي
 سُخْرٍ وَأَشْبَاحًا يُخَالِفُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ وَأَشْكَالًا بَغِيرِ وَفَاقِ
 تَحِيٍّ وَتَمْضِيٍّ بَابَةً بَعْدَ بَابَةٍ وَتَفْنَى جَمِيعًا وَالْحُرُكُ بَاقِ
 وَقَالَ شَرَفُ بْنُ أَسَدٍ فِي مَعْنَاهُ :

يَا مَنْ تَمَلَّكَ مُلْكًا لَا بَقَاءَ لَهُ حَمَلَتْ نَفْسَكَ آمَنًا وَأَوْزَارًا
 هَلْ الْحَيَاةُ بِذِي الدُّنْيَا وَإِنْ عَذُبَتْ إِلَّا كَطَيْفِ خَيَالٍ فِي الْكُرَى زَارًا

كُلُّنَا فِي غَفْلَةٍ وَإِذَا مَوْتُ يَنْدُو وَيَدُوحُ
 لِبَنِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا يَا غَبُوقُ وَصَبُوحُ
 رَحْنٌ فِي الْوُشْيِ وَأَصْبَحَ نَ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ
 كُلُّ نَطَّاحٍ مِنَ اللَّهِ رَ لَهُ يَوْمُ نَطْرَحُ
 نَحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسْكِينُ إِنْ كُنْتَ تُسُوحُ
 لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ عُمِرْتَ مَا عُمِرَ نُوحُ

٣٢ قَالَ بِهِاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ :

لَيْتَ شِعْرِي لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ أَرْضٍ هِيَ قَبْرِي
 ضَاعَ عُمْرِي فِي انْتِرَابٍ وَرَحِيلٍ مُسْتَمِرٍ
 وَمَتَى يَوْمٌ وَفَاقِي لَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ أَذْرِي
 لَيْسَ لِي فِي كُلِّ أَرْضٍ جِثَّتْهَا مِنْ مُسْتَقَرٍّ
 بَعْدَ هَذَا لَيْتَنِي أَعْرِفُ مَا آخِرُ عُمْرِي
 وَمَتَى أَخْلُصُ مِمَّا أَنَا فِيهِ لَيْتَ شِعْرِي
 وَلَقَدْ آتَى بَانَ أَصْحُو فَمَا لِي طَالَ سُكْرِي
 أَتَرَى يُسْتَدْرَكُ الْفَا رِطُ مِنْ تَضْيِيعِ عُمْرِي

٣٣ قَالَ آخَرُ :

قَدِمَ لِنَفْسِكَ خَيْرًا وَأَنْتَ مَا لَكَ مَا لَكَ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمُوتَ وَلَوْ نَحَاكَ حَالُكَ
 لَمْ تَذَرِ نَفْسَكَ حَقًّا أَيُّ الْمَسَالِكِ سَالِكَ

تَرْوَحُ وَتَعْدُو بَنَاتُ الثَّرَى وَتُنْحَى مَجَاسِنُ تِلْكَ الصُّورِ
٣٠ قَالَ سَابِقُ الْبَرَبْرِىُّ وَأَجَادَ :

تَلْهُو وَتَأْمُلُ أَيَّامًا تَعْدُ لَنَا سَرِيعَةً الْمَرِّ تَطْوِيهَا وَنَطْوِيهَا
كَمْ مِنْ عَزِيزٍ سَلَقَى بَعْدَ عِزَّتِهِ ذُلًّا وَضَاحِكَةً يَوْمًا سَتَبِكِيهَا
وَالْخُوفِ تَرَبَّى كُلُّ مُرْضِعَةٍ وَلِلْحَنَابِ بَرَى الْأَرْوَاحِ بَارِيهَا
لَا تَبْرَحُ النَّفْسُ تَعْنَى وَهِيَ سَالِمَةٌ حَتَّى يَشُومَ بِنَادِي الْقَوْمِ بِلَاعِيهَا
أَمْوَالُنَا لِنَدْوِي الْمِيرَاثِ نَجْمَعُهَا وَدُورُنَا لِحِرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيهَا
٣١ وَلِأَيِّ الْعَتَاهِيَةِ :

خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجَبُوحُ
لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَذْمُومٌ وَزُورُوحُ
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ تَوْبَةٌ مِنْهُ نَصُوحُ
كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ
أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ مِ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
فَإِذَا الْمَسْتُورُ مِنَّا بَيْنَ تَوْبَتِهِ فَضُوحُ
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طُوعَتْ عَنْهُ الْكُشُوحُ
صَاحٍ مِنْهُ بِرَحِيلِ صَائِحِ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ
مَوْتُ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ عَلَى قَوْمٍ قُتُوحُ
سَيَصِيرُ الْمَرْءُ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
بَيْنَ عَيْنِي مُكَلِّ حَيٍّ عِلْمُ الْمَوْتِ يَلُوحُ

حَسْبُ الْحِمَامِ لَوْ أَبْقَاهُمْ وَأَمَلَهُمْ
 ٢١ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ عَلَى أَبِي حَفْصٍ الشَّيْطَرِ نَحْيِي يَوْمَهُ فِي
 عَلَيْهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا . فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ :

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمَشِيبُ وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَاكَ الْخُطُوبُ
 فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِلدَّاعِي الْفَنَاءِ فَإِنَّ الَّذِي هُوَ أَتَى قَرِيبُ
 أَلْبَسَنَا نَرَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ سِ تَفْنَى وَتَبْقَى عَلَيْهَا الذُّنُوبُ
 وَقَبْلَكَ دَاوَى الْمَرِيضِ الطَّبِيبُ فَمَا شَ أَرِيضُ وَمَاتَ الطَّبِيبُ
 يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ
 وَلَا فِي الْعَتَاهِيَةِ :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْغَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى الذَّهَابِ
 أَلَا يَا مَوْتَ لَمْ أَرِ مِنْكَ بُدَا أَتَيْتَ وَمَا تُحِيفُ وَمَا تُحَايِ
 كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبِي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي

٣٧ وَجَاءَ فِي قَلَائِدِ الْعِيقَانِ :

أَيْنَ الْمُلُوكُ وَمَنْ بِالْأَرْضِ قَدْ عَمَرُوا قَدْ فَارَقُوا مَا بَنَوْا فِيهَا وَمَا عَمَرُوا
 وَأَصْبَحُوا رَهْنًا قَبْرٍ بِالَّذِي عَمَلُوا عَادُوا رَمِيمًا بِهِ مِنْ بَدَا مَا دَثَرُوا
 أَيْنَ الْعَسَاكِرُ مَا دَثَتْ وَمَا نَقَعَتْ وَأَيْنَ مَا جَمَعُوا فِيهَا وَمَا أَذْخَرُوا
 أَنَاهُمْ أَمْرُ رَبِّ الْعَرْشِ فِي عَجَلٍ لَمْ يُنْجِهِمْ مِنْهُ لَا مَالٌ وَلَا وَزَرُ
 قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ وَلَهُ الْبَيْدُ الطُّوَلَى فِي مَعَانِي الرُّهْدِ :

إِعْمَدِ نَفْسِكَ وَأَذْكُرْ سَاعَةَ الْأَجَلِ وَلَا تُغَرَّنْ فِي دُنْيَاكَ بِالْأَمَلِ

لَبَنَةٍ أَمْ لِنَارٍ إِلَى مَمَالِكِ مَالِكٍ
وَأَنْتَ لَا بُدَّ يَوْمًا بَعْدَ التَّكَاهُلِ هَالِكٍ

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ :

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيَّا وَقَدْ أُخْرِجْتُ مِمَّا فِي يَدَيَا
كَأَنِّي صِرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا وَمُرْتَهَنًا لَدَيْكَ بِمَا عَلَيَّا
كَأَنَّ الْبَاكِاتِ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُغْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرَنْ مَنِيَّتِي فَتَعَيَّنَ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدِ أَخِيكَ يَا أَخِيًّا

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ عِنْدَ مَوْتِهِ :

يَا نَفْسُ صَبْرًا لَعَلَّ الْخَيْرَ عُقْبَاكَ خَانَكَ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ الْأَمْنِ دُنْيَاكَ
مَرَّتْ بِنَا سَحْرًا طَيْرٌ فَقُلْتُ لَهَا طُوبَاكَ يَا لَيْتَنِي إِيَّاكَ طُوبَاكَ
إِنْ كَانَ قَصْدُكَ شَرَفًا بِالسَّلَامِ عَلَيَّ شَاطِي الْفُرَاتِ أَبْلَغِي إِنْ كَانَ مَثْوَاكَ
مِنْ مُوْتَفَى بِالْمَنَاءِ لَا فَكَاكَ لَهُ يَبْكِي الدِّمَاءَ عَلَى الْفِيلِ لَهُ بَاكِ
أَظَنَّهُ آخِرَ الْأَيَّامِ مِنْ عُمْرِي وَأَوْشَكَ الْيَوْمَ أَنْ يَبْكِي لَهُ بَاكِ

٣٥ وَمَا أَحْوَدُ قَوْلِ ابْنِ أَبِي زَمَيْنٍ :

الْمَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَنْشُرُ الْكُفْنَ وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا
لَا تَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا وَإِنْ تَوَسَّخْتَ مِنْ أَثْوَابِهَا الْحُسْنَا
أَيْنَ الْأَجَبَةِ وَالْجِيرَانِ مَا فَعَلُوا أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا لَنَا سَكَنَا
سَقَاهُمُ الْمَوْتُ كَأَسَا غَيْرَ صَافِيَةٍ فَصَيَّرَتْهُمْ لِأَطْبَاقِ الثَّرَى رُهْنَا
تَبْكِي الْمَنَازِلَ مِنْهُمْ كُلَّ مُسَجِمٍ بِالْمَكْرُمَاتِ وَتَرْتِي الْبِرَّ وَالْمَنَاتِ

كِتَابٌ فِي مَعَانِيهِ غُمُوضٌ تَلُوحُ لِكُلِّ أَوَّلِيٍّ مُنِيبِ
لَدُنَّ اللَّهِ يَا صَاحِبِي شَبَابِي فَعَمِيضُ الْبَغِيضِ مِنَ الْحَبِيبِ
وَبَدَلْتُ التَّكَاسُلَ مِنْ نَشَاطِي وَمِنْ حُسْنِ النَّضَارَةِ بِالشُّحُوبِ
كَذَلِكَ الشَّمْسُ يَغْلُوهَا أَصْفَرَادُ إِذَا جَنَحَتْ وَمَا لَ لِلرُّوبِ
قَالَ الْإِلَهِيُّ :

كَأَنِّي بِنَفْسِي وَهِيَ فِي السَّكَرَاتِ تُعَالِجُ أَنْ تَرْقَى إِلَى اللَّهَوَاتِ
وَقَدْ زِمَ رَحْلِي وَأَسْتَقَلْتُ رَكَابِي وَقَدْ آذَنْتَنِي بِالرَّحِيلِ حَدَاتِي
إِلَى مَنْزِلٍ فِيهِ عَذَابٌ وَرَحْمَةٌ وَكَمْ فِيهِ مِنْ زَجَرٍ لَنَا وَعِظَاتِ
وَمِنْ أَعْيُنٍ سَالَتْ عَلَى وَجْهَتِهَا وَمِنْ أَوْجِهٍ فِي التُّرْبِ مُنْفِرَاتِ
وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى مَا يَسْرُهُ وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى الْحَسِرَاتِ

في الدهر ونوابه

٣٩ أَشَدَّ الْحَلِيفَةِ الْمُتَعَصِّدُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَصِيدَةٌ مِنْهَا :

وَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ إِنِّي أَمِنْتُهُ فَلَمْ يُبْقِ لِي خِيَلًا وَلَمْ يَرَعْ لِي حَقًّا
قَتَلْتُ صَنَادِيدَ الرِّجَالِ وَلَمْ أَدْعُ عَدُوًّا وَلَمْ أَهْلِ عَلَى طَعْنِهِ خَلْقًا
وَأَخْلَيْتُ دَارَ الْمُلْكِ مِنْ كُلِّ نَازِعٍ فَشَرَدْتُهُمْ غَرْبًا وَمَزَقْتُهُمْ شَرْقًا
فَلَمَّا بَلَغْتُ النُّجْمَ عِزًّا وَرِفْعَةً وَصَارَتْ رِقَابُ الْخَلْقِ أَجْمَعُ لِي رِيقًا
بِرِمَائِي الرَّدَى سَهْمًا فَأَخَذَ جُرْمِي هَهَا أَنَا ذَا فِي حُفْرَتِي عَاجِلًا أُلْقَى
قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُظَفَّرٍ الْأَبْيُورْجِي :

يَا مَنْ يُؤْمِلُ أَنْ يَعِيشَ مُسْلِمًا جَذْلَانِ لَا يُدْهِمِي يَخْطُبُ يُخْرِتُ

سَابِقُ خُوفِ الرَّدَى وَاعْمَلْ عَلَى هَلٍ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَسْئُولٌ وَمُنْخَصٌ
لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا
لَا يَحْذَرُ النَّفْسَ إِلَّا ذُو مُرَاقَبَةٍ
مَا أَقْرَبَ الْمَوْتِ مِنْ أَهْلِ الْحَيَاةِ وَمَا
مَا أَحْسَنَ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا
٣٨ وَلَهُ أَيْضًا :

قَدْ سَمِعْنَا الْوَعْدَ لَوْ يَنْفَعُنَا
كُلُّ نَفْسٍ سَوَاءٍ فِي سَعْيِهَا
جَفَّتِ الْأَقْلَامُ مِنْ قَبْلِ يَمَّا
يَهْرُبُ الْمَرْءُ مِنَ الْمَوْتِ وَهَلْ
كُلُّ نَفْسٍ سَتَقَابِلِي عَاجِلًا
أَيُّهَا ذَا النَّاسِ مَا حَلَّ بِكُمْ
وَسَقَامٌ ثُمَّ مَوْتٌ نَازِلٌ
وَحِسَابٌ وَكِتَابٌ حَافِظٌ
وَصِرَاطٌ مِنْ يَدِ مَنْ يَحْدَهُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

تَلَاخِظُنِي الْمُنِيَّةُ مِنْ قَرِيبٍ
وَتَقْشُرْ لِي كِتَابًا فِيهِ طَيٌّ
وَتَلْخِظُنِي مَلَاخِظَةُ الرَّقِيبِ
يَخْطُ الْأَدَّارُ أَسْطَرُهُ مَشِيئِي

وَرَبُّكَ رَزَاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ فَلَمْ لَمْ تُصَدِّقْ فِيهِمَا بِالسُّوِيَةِ
فَكَيْفَ تُرْجَى الْغُفْوُ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ وَلَسْتَ تُرْجَى الرِّزْقَ إِلَّا بِحِيلَةٍ
وَهَا هُوَ بِالْأَرْزَاقِ كَفَلَ نَفْسَهُ وَلَمْ يَتَكْفَلْ لِلْأَنَامِ بِحِجَّةٍ
وَمَا زِلْتَ تَسْعَى فِي الَّذِي قَدْ كُفِيَتهُ وَتَهْمِلُ مَا كُفِّتَهُ مِنْ وَطِئَةٍ
نُسيَ بِهِ ظَنًّا وَتُحْسِنُ بَارَةً عَلَى حَسَبِ مَا يَفْضِي الْهُوَى بِالْهَضِيَةِ

للبرعي في الاغراء بالتوبة

٤١

يَا مُخْسِنًا بِالزَّمَانِ ظَنًّا لَمْ تَدْرِ مَا يَفْعَلُ الزَّمَانُ
لَا تَتَّبِعِ النَّفْسَ فِي هَوَاهَا إِنَّ اتِّبَاعَ الْهُوَى هَوَانُ
وَأَتَجَلَّتِي مِنْ عِتَابِ رَبِّي إِنْ قَالَ أَسْرَفْتَ يَا فُلَانُ
إِلَى مَتَى أَنْتَ فِي الْمَعَاصِي تَسِيرُ مُرْتَحِي لَكَ الْعَنَانُ
لَوْ خَوْفُكَ الْحَجِيمُ بَطْشِي لَشَوَّتْ قَلْبَكَ الْحَنَانُ
أَنْتَ تُجْبَعُ عَلَى الْمَعَاصِي وَأَنْتَ عَنْ طَاعَتِي جَبَانُ
عِنْدِي لَكَ الصَّلْحُ وَهُوَ يَرِي وَعِنْدَكَ السَّيْفُ وَالسَّنَانُ
فَأَسْتَحْيِ مِنْ شَيْبَةٍ رَأَاهَا فِي النَّارِ مَسْجُونَةً تِهَانُ
أَيُّ أَوَانٍ تَتُوبُ فِيهِ هَلْ بَعْدَ قَطْعِ الرَّجَا أَوَانُ
يَا سَيِّدِي هَذِهِ عُيُوبِي وَأَنْتَ فِي الْخُطْبِ مُسْتَعَانُ
يَا مَنْ لَهُ فِي الْعَصَاةِ شَأْنُ وَشَأْنُهُ الْعَطْفُ وَالْحَنَانُ
يَا مَنْ مَلَأَ بَرَّهُ التَّوَاحِي لَمْ يَخْلُ مِنْ يَرِّهِ مَكَانُ
عَفُوا فَإِنِّي رَهِيْنُ ذَنْبِ حَاشَاكَ أَنْ يَنْتَقِ الرِّهَانُ

أَفَرَطْتَ فِي شَطَطِ الْأَمَانِي فَأَقْتَصِدْ وَأَعْلَمْ بِأَنَّ مِنَ الْمُنَى مَا يَفْتَنُ
لَيْسَ الْأَمَانُ مِنَ الزَّمَانِ بِمُمْكِنٍ وَمِنَ الْأَحْمَالِ وَجُودٌ مَا لَا يُمْكِنُ
مَعْنَى الزَّمَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَأَسْمِهِ فَلَا مَرْجُو أَنَّهُ لَا يُذَمِّنُ

قصيدة لاسماعيل المقرئ في التوبة

٤٠

إِلَى كَمِّ تَمَادِي فِي غُرُورٍ وَغَفْلَةٍ وَكَمْ هَكَذَا نَوْمٌ إِلَى غَيْرِ يَفْطَنَةٍ
لَقَدْ صَاعَ غَمْرُ سَاعَةٍ مِنْهُ تَشْتَرِي بِمِلْءِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَةً ضَيْعَةٍ
أَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ الرِّغِيدِ وَعَيْشَةِ مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِعَيْشِ الْبَيْمَةِ
فِيَادِرَةٍ بَيْنَ الْمَزَابِلِ أَلْقَيْتَ وَجُوهَرَةً بَيْعَتْ بِأَنْجَسِ قِيمَةٍ
أَفَانِ بَبَاقٍ تَشْتَرِيهِ سَفَاهَةٌ وَسُخْطًا بِرِضْوَانٍ وَنَارًا بِجَنَّةٍ
أَأَنْتَ صَدِيقُ أَمِّ عَدُوٍّ لِنَفْسِهِ فَإِنَّكَ تَرْمِيهَا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ
وَلَوْ فَعَلَ الْأَعْدَا بِنَفْسِكَ بَعْضَ مَا فَعَلْتَ لَمَسْتَهُمْ لَهَا بَعْضُ رَحْمَةٍ
لَقَدْ بَعَثَهَا هُونًا عَلَيْكَ رَخِصَةً وَكَانَتْ بِهَذَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ
كَلَفَتْ بِهَا دُنْيَا كَمِيرٍ غُرُورُهَا تُقَابِلُنَا فِي نُصْحِهَا بِالْخُدِيعَةِ
عَلَيْكَ بِمَا يُجِدِي عَلَيْكَ مِنَ التَّقَى فَإِنَّكَ فِي سَهْوٍ عَظِيمٍ وَغَفْلَةٍ
تُصَلِّي بِلَا قَلْبٍ صَلَاةً يُمَثِّلُهَا يَصِيرُ الْتَقَى مُسْتَوْجِبًا لِلْعُقُوبَةِ
تُخَاطِبُهُ إِلَّاكَ تَعْبُدُ مُقْبِلًا عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ
وَلَوْ رَدَّ مِنْ تَأْجَالِكَ لِغَيْرِ طَرَفِهِ تَمَيَّزَتْ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةٍ
فَوَيْلَكَ تَذَرِي مِنْ تَأْجِيهِ مُعْرِضًا وَبَيْنَ يَدَيَّ مِنْ تَخْنِي غَيْرِ مُخْبِتٍ
تَقُولُ مَعَ الْعِصْيَانِ رَبِّي غَافِرٌ صَدَقْتَ وَلَكِنْ غَافِرٌ بِالْمُشِيَةِ

يَا مَنْ تَعَوَّفَ بِالْمَعْرُوفِ فَأَعْتَرَفَتْ
وَعَالِمًا بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا
عَبْدَ فَقِيرٍ بَابِ الْجُودِ مِنْكَ كَسْرُ
مَهْمَا أَتَى لِيَعْدُ الْكَفَّ أَخْجَلَهُ
يَا وَاسِعَ صَاقِ خَطْوِ الْخَلْقِ عَزِّ نَعَمٍ
وَنَاشِئِرًا بَيْدِ الْإِجْمَالِ رَحْمَتِهِ
إِرْحَمْ عِبَادًا بَصْنِكَ الْغَيْشَ مَا لَهُمْ
لَكِنَّهُمْ مِنْ ذُرَى عَلَيْكَ فِي تَمْطِ
وَمَنْ يَكُنْ بِالَّذِي يَهْوَاهُ مُجْتَمِعًا
نَحْنُ الصِّيدُ وَأَنْتَ الْمَلِكُ لَيْسَ سِوَى
قَالَ آخِرُ:

أَقْصَرْتُ عَنْ طَلَبِ الْبَطَالَةِ وَالصَّبَا
لِلَّهِ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَأَهْلُهُ
فَدَعَ الصَّبَا يَأْقَابُ وَالْهَوَى
وَأَنْظَرَ إِلَى الدُّنْيَا بَيْنَ مُودَعٍ
وَالْحَادِثَاتِ مُوَكَّلَاتٍ بِالْفَتَى
قَالَ بِشَرُّ بْنُ الْمُعْتَمِرِ:

تَعَافُ الْهَذَى فِي الْمَاءِ لَا تَسْتَطِيعُهُ
وَتُؤَثِّرُ مِنَ الْكُلِّ الطَّعَامِ اللَّهُ
وَتَكْرَعُ فِي حَوْضِ الذُّنُوبِ فَتَشْرَبُ
وَلَا تَذْكُرُ الْمُسْكِينَ مِنْ أَيْنَ يَكْسِبُ

٤٢ قَالَ حُرَيْثُ بْنُ جَبَلَةَ الْعُذْرِيُّ وَقِيلَ عَثِيرُ بْنُ لَيْدٍ الْعُذْرِيُّ:
 يَا قَلْبُ إِنَّا فِي الْأَحْيَاءِ مَمْرُورٌ فَأَذْكُرْ وَهَلْ يَنْفَعُكَ الْيَوْمَ تَذْكِيرُ
 تُرِيدُ أَمْرًا فَمَا تَدْرِي أَعَاجِلُهُ خَيْرٌ لِنَفْسِكَ أَمْ مَا فِيهِ تَأْخِيرُ
 فَاسْتَقْدِرِ اللَّهَ خَيْرًا وَأَرْضَيْنَ بِهِ فَيَنَامَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
 وَبَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُغْشَطٌ إِذْ صَبَّارٌ فِي الرَّمْسِ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ
 حَتَّى كَانَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوْهُهُ وَالْدَّهْرُ فِي كُلِّ حَالِهِ دَهَادِيرُ
 يَبْكِي الْغَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورُ
 قَالَ آخِرُ:

وَيْلِي إِذَا كَانَ الْمُحْجِمُ جَزَائِي مَاذَا يَحِلُّ بِمُحْجِي وَبَهَائِي
 يُبْلِي الْعَذَابُ مَحَاسِنِي وَيَشِينَهَا وَيَطُولُ مِنِّي فِي الْحُجْمِ بُكَائِي
 وَيَقُولُ لِي الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ يَا عَبْدَ سَوْءٍ أَنْتَ مِنْ أَعْدَائِي
 بَارَزْتَنِي وَعَصَيْتَ أَمْرِي جَاهِلًا وَلَسَيْتَ وَعْدِي مَا تَخَافُ لِقَائِي
 وَتَرَى وَجْهَهُ الطَّائِعِينَ كَأَنَّهُمَا بَدْرٌ بَدَأَ فِيهِ لَيْلَةُ ظُلُمَاءِ
 كَشَفُوا الْحِجَابَ فَشَاهَدُوهُ وَأَهْشُوا وَكُسُوا نَعِيمًا دَائِمًا بِضِيَاءِ
 ٤٣ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ خَاتِمَةَ مُسْتَعِثًا بِهِ تَعَالَى:

يَا مَنْ يَغِيثُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا إِرْحَمْ عِبَادًا أَكْفَأَ أَهْمَرٍ قَدِ بَسَطُوا
 عَوْدَتَهُمْ بَسَطَ أَرْزَاقٍ بِلا سَبَبٍ مِوَى جَمِيلٍ رَجَاءَ تَحْوَةٍ أَبْسَطُوا
 وَعَدَتْ بِالْفَضْلِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرٍ بِالْجُودِ إِنْ أَقْسَطُوا وَالْظُّلَمَ إِنْ قَسَطُوا
 عَوَارِفُ أَرْتَبَطَتْ سَهْمُ الْأَوْفِ بِهَا وَكُلُّ صَغْبٍ يَقِيدُ الْجُودَ بِرَتَبِطِ

إِنَّ الْحَبِيبَ مِنَ الْأَحْبَابِ يُخْتَلَسُ لَا يَمْنَعُ الْمَوْتَ بَوَابٌ وَلَا حَرَسٌ
فَكَتِفٌ تَفْرَحُ بِالدُّنْيَا وَلَذَّتْهَا يَأْمَنُ يُعَدُّ عَلَيْهِ الْأَلْفُ وَالنَّفْسُ
لَا يَرْحَمُ الْمَوْتَ ذَا جَاهٍ لِمِزَّتِهِ وَلَا الَّذِي كَانَ مِنْهُ الْعِلْمُ يُقْتَبَسُ
قَدْ كَانَ قَصْرُكَ مَعْمُورًا لَهُ شَرَفٌ فَقَبْرُكَ الْيَوْمَ فِي الْأَجْدَاثِ مُنْدَرِسٌ

قَالَ ابْنُ الزُّرَّاقِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ وَأَوْصَى أَنْ تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ :

أَيُّهَا إِخْوَانُنَا وَالْمَوْتُ قَدْ حَالَ دُونَنَا وَلِلْمَوْتِ حُكْمٌ نَافِذٌ فِي الْخَلَائِقِ
سَبَقْتُكُمْ لِلْمَوْتِ وَالْعُمُرُ طَيِّهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكُلَّ لَا بُدَّ لِأَحَقِّ
بِعَايَشِكُمْ أَوْ بِأَضْطِجَاعِي فِي الثَّرَى أَلَمْ نَكْ فِي صَفْوٍ مِنَ الْعَيْشِ رَاقٍ
فَمَنْ مَرَّ بِي فَلْيَمْنُصْ بِي مُرَحِّمًا وَلَا يَكْ مَنَسِيًّا وَقَاهُ الْأَصَادِقُ
٤٦ أَمْرٌ أَبُو الصَّلَاتِ الْإِسْبِيلِيُّ أَنْ تُكْتَبَ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ عَلَى قَبْرِهِ :

سَكَنْتُكَ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مُصَدِّقًا يَا بَنِي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ
وَأَعْظَمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَتَى صَارُ إِلَى عَادِلٍ فِي الْحُكْمِ لَيْسَ يَجُورُ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْدَهَا وَزَادِي قَلِيلُ وَالذُّنُوبُ كَثِيرُ
فَإِنْ أَلْكُ مَجْزِيًا بِذَنْبِي فَإِنِّي بِشَرِّ عِقَابِ الْمُذْنِبِينَ جَدِيرُ
وَإِنْ يَكْ غَفَوْتُمْ عَنِّي وَرَحِمَهُ فَمَنْ نَعِيمٌ زَائِدٌ وَسُرُورُ

حُفِرَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَهِيَ مِنْ تَصْنِيفِهِ :

تَرَحَّمْ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَحْيِهِ فَمَنْ حَقَّ مِيتَ الْحَيِّ تَسْلِيمُ حَيِّهِ
وَقُلْ أَمِنْ الرَّحْمَانَ رَوْعَةً خَائِفٍ لِنَفْطِهِ فِي الْوَاكِجَاتِ وَغَيْهِ
وَإِنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوْثَقُ وَاثِقٍ وَحَسْبِي وَإِنْ أَذْنَبْتُ حَسْبُ صَفِيٍّ

وَتَرَفُّدُ يَامِسْكِينُ فَوْقَ نَمَارِقٍ وَفِي حَشْوِهَا نَارُ عَلَيْكَ تَلَبُّ
فَحَتَّى مَتَى لَا تَسْتَقِيقُ جِهَالَةً وَأَنْتَ ابْنُ سَعِينٍ بِذَلِكَ تَلَبُّ
٤٤ قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

فَيَا مَنْ بَاتَ يَنُمُو بِالْخَطَايَا وَعَيْنُ اللَّهِ سَاهِرَةٌ تَرَاهُ
أَمَا تَحْشَى مِنَ الدِّيَانِ طَرْدًا بِجُرْمٍ دَائِمًا أَبَدًا تَرَاهُ
أَتَعْصِي اللَّهَ وَهُوَ يَرَاكَ جَهْرًا وَتَنْسَى فِي عَدِي حَقًّا تَرَاهُ
وَتَحُلُو بِالْمَعَاصِي وَهُوَ دَانٍ إِلَيْكَ وَلَيْسَ تَحْشَى مِنْ لِقَاهُ
وَتَتَكَبَّرُ فِعْلَهَا وَلَهَا شُهُودٌ بِمَكْتُوبٍ عَلَيْكَ وَقَدْ حَوَاهُ
فَيَا جُزْنَ الْمَسِيءِ لِشُومِ ذَنْبٍ وَبَعْدَ الْحُزْنِ يَكْفِيهِ حِمَاهُ
فَيَنْدُبُ حَسْرَةً مِنْ بَعْدِ مَوْتٍ وَيَبْكِي حَيْثُ لَا يُجْدِي بُكَاهُ
يَعْبُضُ يَدَيْهِ مِنْ نَدَمٍ وَحُزْنٍ وَيَنْدُبُ حَسْرَةً مَا قَدْ عَرَاهُ
فَبَادِرْ بِالصَّلَاحِ وَأَنْتَ حَيٌّ لَعَلَّكَ أَنْ تَنَالَ بِهِ رِضَاهُ

ما كتب على القبور

٤٥ تُوْفِّي رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ فَكُتِبَ عَلَى قَبْرِهِ هَذِهِ الْأَنْبِيَاتُ :

يَا وَاقِعِينَ أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُوا أَنَّ الْحَمَامَ بِكُمْ عَلَيْنَا قَادِمٌ
لَوْ تَنَزَّلُونَ بِشَعْنِنَا لَعَرَفْتُمْ أَنَّ الْمُفْرَطَ فِي التَّرَوُّدِ نَادِمٌ
لَا تَسْتَغْرُوا بِالْحَيَاةِ فَإِنَّكُمْ تَبْنُونَ وَالْمَوْتُ الْمُفَرِّقُ هَادِمٌ
سَاوَى الرَّدَى مَا يَبْتَغَا فِي حُفْرَةٍ حَيْثُ الْمُحْدَمُ وَاحِدٌ وَالْحَادِمُ
وَمِمَّا وُجِدَ عَلَى قَبْرِ :

الْبَابُ الثَّالِثُ فِي الْمُرَاثَةِ

رثاء اعرابية لابنها

٤٩. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: حَجَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا فَأَصِيبَتْ بِهِ . فَلَمَّا
دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ مُوجَعَةٌ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَدَوْتُكَ
رَضِيْعًا . وَفَقَدْتُكَ سَرِيْعًا . وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَالَيْنِ مُدَّةٌ أَلْتَدُّ
بِعَيْشِكَ فِيهَا . فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّضَارَةِ وَالْغَضَارَةِ وَرَوْنَقِ الْحَيَاةِ
وَالْتَّسَمِ فِي طِيبِ رَوَائِحِهَا تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا وَرَفَاتًا
سَحِيْقًا وَصَعِيدًا جُرْزًا . أَيُّ بُنَيَّ قَدْ سَحَبَتْ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ
وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْبَلَى . وَرَمَتْنِي بَعْدَكَ نَكْبَةً الرَّدَى . أَيُّ بُنَيَّ لَقَدْ
أَسْفَرَنِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ دَاخِ ظِلَامِهَا . (ثُمَّ قَالَتْ) : أَيُّ رَبِّ وَمَنْكَ
الْعَدْلُ وَمَنْ خَلَقَكَ الْجُورُ . وَهَبْتَهُ لِي قُرَّةَ عَيْنٍ فَلَمْ تُتَمَعْنِي بِهِ كَثِيرًا
بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشَيْكَأ . ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ فَصَدَّقْتُ
وَعْدَكَ وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ . فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَرَحَّمَ عَلَيَّ مَنْ أَسْتَوْدَعْتُهُ
الرِّذْمَ وَوَسَدْتُهُ الثَّرَى . اَللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتَهُ وَأَنْسَ وَخَشَتَهُ وَأَسْتُرْ
سَوَاءَهُ يَوْمَ تَنْكَشِفُ السَّوَاءَاتُ . (فَلَمَّا أَرَادَتْ الرُّجُوعَ إِلَى
أَهْلِهَا وَقَفَتْ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَتْ) : أَيُّ بُنَيَّ إِنِّي قَدْ تَزَوَّدْتُ لِسَفَرِي
فَلَيْتَ شِعْرِي مَا زَادَكَ لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمَ مَعَادِكَ . اَللَّهُمَّ إِنِّي .

٤٧ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُقَرِّيُّ أَخْبَأْ عَلَى لِسَانِ مَيِّتٍ :

أَيُّهَا الزَّائِرُونَ بَعْدَ وَفَاتِي بَدَنًا صَمْنِي وَطَدًا مَمْنِيًا
سَعَرُونَ الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنْ أَلْوَتِ عِيَانًا وَتَسْلُكُونَ هَرِيْقًا
نَظَمَ أَسْعَدُ مَصْطَفَى الْأَشْمِي قَبْلَ مَوْتِهِ نَارِيخًا لَهْبَرِهِ :

قَبْرُهُ مِنْ أَوْثَمَتِهِ ذُنُوبُهُ وَغَدَاهُ أَسْوَدُ فَخَالِهِ مُتَخَوِّقًا
قَدْ ضَاعَ مِنْهُ عُمْرُهُ بِطَالَةٍ وَالْعَيْشُ مِنْهُ بِالْتَكْدَرِ مَا ضَعَا
مَاذَا صَوَى قَبْرُ الْأَشْمِي أَرْمَدُوا مُسْتَمْنَحٌ لَمَعَنُوا أَسْعَدُهُ مَصْطَفَى

٤٨ لَمَّا قُتِلَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ الْجَمْعِي دُفِنَ فِي صَنْعَاءَ بِمَشْهَرَةٍ
وَوُضِعَ فِي سَرِيرِهِ عِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ قَدْ كُتِبَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ :

أَنَا ابْنُ ذِي يَزْنَ مِنْ قُرْعِ ذِي يَمَنٍ
جَلَبْتُ مِنْ فَارِسٍ جَيْشًا عَلَى عَجَلٍ
حَتَّى غَزَوْتُ بِهِمْ قَوْمًا مُهَاجِرَةً
بِالْخُسْفِ وَالذَّلِّ حَتَّى قَالَ قَاتِلُهُمْ
فَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَالْدَّهْرُ ذُو دَوْلٍ
حَتَّى إِذَا ظَفَرَتْ نَفْسِي بِمَا طَلَبْتُ
وَنِلْتُ أَكْثَرَ مِمَّا صُكِّنَتْ أَمَلُهُ
جَاءَ الْفَضَاءُ بِمَا لَا يُسْتَطَاعُ إِلَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا جُبْتُ أَبْجُودَ الْأَهْرَمَةِ
قَدْ صِرْتُ مُرْتَهَنًا فِي قَاعِ مُظْلِمَةٍ

مَلَكَتُ مِنْ حَدِّ صَنْعَاءَ إِلَى عَدَنٍ
فِي الْبَحْرِ أَحْمَلُهُمْ فِيهِ عَلَى السُّفُنِ
فِي الْبَرِّ جَاسُوا خِلَالَ الْحَيِّ مِنْ يَمَنٍ
ذُوقُوا ثَمَارَ ذَوَاتِ الْحِمْدِ وَالْإِحْنِ
حَتَّى كَانَ مَعَارِ الْقَوْمِ لَمْ يَكُنْ
وَرَمَالَ مَا كَانَ فِي قَلْبِي مِنَ الْحَزَنِ
مِنْ قَتْلِي الْجُلُوسِ حَتَّى طَابَ لِي وَطَنِي
دَفَعْتُ وَلَا أَيْشَعْرَى يَأْخُذُومُ بِالْأَمْنِ
قَطْرَ الْبِلَادِ فَلَمْ أَعْجِزْ وَلَمْ أَهْنِ
لِلَّهِ دَرِيٌّ مِنْ ثَاوٍ وَمُرْتَهَنٍ

إِنْ كَانَ دَهْرُ فَيْكِ جَدَّ لَنَا حَدَّثًا بِهِ وَهَنْتَ قَوَى الصَّبْرِ
فَلَكَمْ يَدِ اسْدِيَّتْهَا وَيَدِ كَانَتْ تَرْدُ جَرَايِرَ الدَّهْرِ
ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ . فَقَالَ النَّاسُ : مَا سَمِعْنَا كَلَامَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَبْلَغَ وَلَا
أَصْدَقَ مِنْهُ . فَسَلَّ عَنْهَا فَإِذَا هِيَ امْرَأَتُهُ (زهر الآداب للقيرواني)

٥١ قَالَ أَبُو جَبَالٍ الْبَرَاءُ بْنُ رَبِيعٍ الْفَقْعَسِيُّ يَرْثِي إِخْوَتَهُ :
أَبْعَدَ بَنِي أُمِّي الَّذِينَ تَتَابَعُوا أَرْجَى حَيَاةٍ أَمْ مِنْ أَمُوتٍ أَجَزُ
ثَمَانِيَّةٌ كَانُوا ذَوَابَّةَ قَوْمِهِمْ كُنْتُ أُعْطِي مَا أَشَاءُ وَأَمْنَعُ
أُولَئِكَ إِخْوَانُ الصَّمَاءِ رُزِئْتَهُمْ وَمَا الْكَفُّ إِلَّا إِضْغَعُ ثُمَّ إِضْغَعُ
لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْحَلِيلِ الَّذِي لَهُ عَلَى دَلَالٍ وَاجِبُ لَمُفْجَعُ
وَإِنِّي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَارِي فَقَدَانُهُ لَمُتَمَعُ
٥٢ وَقَالَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرِو السَّلْمِيِّ فِي ابْنِ سَعِيدٍ :

مَضَى ابْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقُ وَلَا مَغْرِبُ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَادِحُ
وَمَا كُنْتُ أَذْرِي مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَمَبَتْهُ الصَّفَانِحُ
فَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مَيِّتًا وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّخَاصِخُ
سَابِكِيكَ مَا قَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَقَضَّ فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تَجُنُّ الْجَوَانِحُ
فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَارِعُ وَلَا يَسْرُورُ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ
كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَتَّى سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ التَّوَانِحُ
لَنْ حَسُنَتْ فَيْكِ الْمَرَاثِي وَذَكَرُهَا لَقَدْ حَسُنَتْ مِنْ قَبْلِ فَيْكِ الْمَدَانِحُ

٥٣ وَقَالَ مُوَيْلِكُ الْمَرْمُومُ يَرْثِي امْرَأَتَهُ أُمَّ الْعَلَاءِ :

أَسْأَلُكَ لَهُ الرِّضَا بِرِضَايَ عَنْهُ. ثُمَّ قَالَتْ: أَسْتَوْدَعُكَ مِنْ أَسْتَوْدَعْنِيكَ
فِي أَحْسَانِي جَنِينًا. وَأَتُكَلِّمُ الْوَالِدَاتِ مَا أَمْضَى حَرَارَةِ قُلُوبِهِنَّ وَأَقْلَقَ
مَضَاجِعِهِنَّ وَأَطْوَلَ لَيْلِهِنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارِهِنَّ وَأَقْلَلَ أُنْسَهُنَّ وَأَشَدَّ
وَحْشَتَهُنَّ. وَأَبْعَدُهُنَّ مِنَ السُّرُورِ وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ الْأَحْزَانِ. فَلَمْ تَزَلْ
تَقُولُ هَذَا وَنَحْوَهُ حَتَّى أَبْكَتْ كُلَّ مَنْ سَمِعَهَا. وَحَدَّثَ اللَّهُ وَصَلَتْ
رَكَعَاتٍ عِنْدَ قَبْرِهِ وَأَنْطَلَقَتْ

الاحنف بن قيس والرائية

هـ. لَمَّا دُفِنَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ بِالْكُوفَةِ قَامَتِ امْرَأَةٌ عَلَى قَبْرِهِ
فَقَالَتْ: لِلَّهِ دَرُكٌ مِنْ تُجَنٍّ فِي جَنٍّ. وَمُدْرَجٌ فِي كَفَنٍ. نَسَأُ الَّذِي
فَجَعَلْنَا بِمَوْتِكَ. وَأَبْتَلَانَا بِفَقْدِكَ. أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ الْخَيْرِ سَبِيلَكَ. وَدَلِيلَ
الرُّشْدِ دَلِيلَكَ. وَأَنْ يُوسِّعَ لَكَ فِي قَبْرِكَ. وَيَغْفِرَ لَكَ فِي حَشْرِكَ.
فَلَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَافِلِ شَرِيفًا. وَعَلَى الْأَرَامِلِ عَطُوفًا. وَلَقَدْ كُنْتُ فِي
الْحَيِّ مُسَوِّدًا. وَإِلَى الْخَلِيفَةِ مُوقِّدًا. وَلَقَدْ كَانُوا الْقَوْلَكَ مُسْتَمِعِينَ.
وَلَرَأَيْكَ مُتَّعِينَ. وَأَنْتِ أَهْلُ لِحْسَنِ الثَّنَاءِ وَطِيبِ الْبَقَاءِ. أَمَا وَالَّذِي
كُنْتُ مِنْ أَجَلِهِ فِي عِدَّةٍ. وَمِنْ الْحَيَاءِ إِلَى مُدَّةٍ. وَمِنْ الْإِقْدَارِ إِلَى
غَايَةٍ. وَمِنْ الْأَثَارِ إِلَى نِهَايَةٍ. الَّذِي رَفَعَ عَمَلَكَ لَمَّا قَضَى أَجَلَكَ. لَقَدْ
عِشْتَ حَمِيدًا مَوْذُودًا. وَمِتَّ سَعِيدًا مَفْقُودًا. ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ وَهِيَ تَقُولُ:
لِلَّهِ دَرُكٌ يَا أَبَا بَجْرٍ مَاذَا تَتَيْبُ مِنْكَ فِي الْقَبْرِ
لِلَّهِ دَرُكٌ أَيَّ حَشْوٍ تَرَى أَصْبَحْتَ مِنْ عُرْفٍ وَمِنْ نُكْرٍ

بَابِي وَأَتَمِّي هَالِكًا. أَفَرَدْتُهُ
سُودُ الْمَقَابِرِ أَضْجَعَتْ بِيضًا بِهِ
لَمْ يُزْرَهُ لَمَّا رُزِينَا وَحَدَهُ
لَكِنْ رُزِينَا الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ
وَأَبْنِ الْمُبَارَكِ فِي الرِّقَاقِ مُغَمَّرًا
وَالْأَخْفَشِينَ فَصَاحَةً وَبَلَّاحَةً
كَانَ الْوَصِيِّ إِذَا أَرَدَتْ وَصِيَّةً
وَلَى حَظِظًا فِي الْأَزِمَةِ حَافِظًا
مَا كَانَ مِثْلِي فِي الْمَرْزِيَّةِ وَالِدًا
حَتَّى إِذَا بَدَأَ السَّوَابِقُ فِي الْعُلَى
يَا مَنْ يَهْدِي مِنَ الْبُكَاءِ مُوَلَّهُمَا
تَأْتِي الْقُلُوبُ الْمُسْتَكْنَةَ لِلْأَسَى
إِنَّ الَّذِي بَادَ السُّرُورُ بِمَوْتِهِ
أَلَانَ لَمَّا أَنْ حَوَيْتَ مَا تَوَرَّأَ
وَرَأَيْتُ فَيْتَ مِنَ الصَّلَاحِ شَمَانِلًا
أَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا الْحَمَامَةُ أَطْرَبَتْ
لَوْلَا الْحَيَا آتِي أَنْتَ بِبِدْعَةٍ
لَجَعَلْتُ يَوْمِي فِي الْمَلَاحَةِ مَأْمَنًا
قَالَ السُّرْدُكُلُ يَزْنِي لَخْلُهُ حَكَمًا:

أَمْرُ بَعْلِ الْجَلَسِ الَّذِي حَلَّتْ بِهِ
 أَنَّى حَلَّتْ وَصَكْنَتْ جِدَّ غُرُوقَةٍ
 صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مِنْ مَفْقُودَةٍ
 فَلَقَدْ تَوَكَّضَتْ صَغِيرَةٌ مَرْحُومَةٍ
 فَكَدَّتْ شَمَائِلَ مِنْ لِزَامِكَ حُلُوقَةٍ
 وَإِذَا سَمِعَتْ أُنَيْنَهَا فِي لَيْلِهَا
 ٥٥ وَقَالَ أَغْرَابِي يَرْثِي بَنِيهِ :

أَسْكَنْ بَطْنَ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفَدَا
 فَيَا لَيْتَ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ
 وَقَامَتِي دَهْرِي بَنِي مُشَاطِرَا
 فَصَارُوا دِيُونًا لِلْمَنِيَا وَمَنْ يَكُنْ
 كَانَهُمْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرَهُمْ
 وَقَدْ كُنْتُ حَيَّيَ الْخَوْفِ قَبْلَ وَفَاتِهِمْ
 فَلِلَّهِ مَا أَعْطَى وَلِلَّهِ مَا حَوَى
 رَأَى ذُو الْوِزَارَتَيْنِ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَجُلًا مَاتَ مُجْذُومًا .

مَاتَ مَنْ كُنَّا نَرَاهُ أَبَدًا
 كَانَ مِثْلَ السِّيفِ إِلَّا أَنَّهُ

٥٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ بَنِيهِ يَرْثِي وَلَدًا لَهُ :

قَصَدَ الْمُنُونُ لَهُ قِمَاتٌ قَعِيدَا وَمَضَى عَلَى صَرْفِ الْخُطُوبِ حَمِيدَا

وَمَا أَلْبَسَ إِلَّا مَضْمَرَاتُ مِنْهُ التَّقَى
 أَلَيْسَ وَرَأَيْتُ إِنْ تَرَأَخْتُ مِنْيَّ
 أَخْبَرُ أَخْبَارَ الْفُرُونِ الَّتِي مَضَتْ
 فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السِّيفِ أَخْلَقَ جَفْنَهُ
 فَلَا تَبْعَدَنَّ إِنَّ الْمُنِيَّةَ مُوعِدُ
 أَعَاذِلْ بِمَا يُدْرِيكَ إِلَّا تَطْنِيَا
 أَتَجَزَعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ بِالْقَتَى
 لَعَمْرُكَ مَا تَذَرِي الصَّوَارِبُ بِالْحَصَى
 ٥٨ لَمَّا تَوَقَّى مُحَمَّدٌ بْنُ صَالِحٍ قَالَ
 سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ يَذِيهِ :

بِأَيِّ يَدٍ أَسْطَوُ عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَمَا
 وَهَاضَ جَنَاحِي حَدِيثُ جَلِّ خَطْبُهُ
 وَمِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ أَنَّ صُرُوفَهَا
 لَعَمْرِي لَقَدْ غَالَ التَّجَلُّدُ أَتْنَا
 فَمَا أَعْرِفُ الْأَيَّامَ إِلَّا ذَمِيمَةً
 وَلَا لِي مِنْ الْإِخْوَانِ إِلَّا مُكَاشِرُ
 فَمَقْدَتْهُ قَتَى قَدْ كَانَ لِلْأَرْضِ زِينَةً
 لَعَمْرِي لَنْ كَانَ الرَّدَى بِكَ فَاتَنِي
 لَقَدْ أَخَذَتْ مِنِّي النَّوَابِ حُكْمَهَا
 وَلَا تَرَكَنِي أَرْهَبُ الدَّهْرَ بَعْدَهُ
 أَبَانَ يَدِي عَضْبُ الدُّبَابِينَ قَاضِبُ
 وَسَدَّتْ عَنِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ الْمَذَاهِبُ
 إِذَا سَرَّ مِنْهَا جَانِبُ سَاءَ جَانِبُ
 فَهَدَنَّاكَ فَقَدْ الْغَيْثُ وَالْعَامُ جَادِبُ
 وَلَا الدَّهْرَ إِلَّا وَهُوَ بِالْكَارِ طَالِبُ
 فَوَجْهُ لَهُ رَاضٍ وَوَجْهُ مُغَاضِبُ
 كَمَا زَيْتُ وَجْهَ السَّمَاءِ الْكَوَاكِبُ
 وَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا إِلَى اللَّهِ ذَاهِبُ
 فَمَا تَرَكَتُ حَقًّا عَلَى النَّوَابِ
 لَقَدْ كُلَّ عَيْنِي نَابُهُ وَالْحَنَابُ

يَقُولُونَ أَحْتَسِبُ حُكْمًا وَرَأْحًا
وَقَبْلَ فِرَاقِهِ أَتَيْتُ أَتِي
أَخِي لَوْ دَعَوْتُ أَجَابَ صَوْتِي
فَقَدْ أَفْنَى الْبُكَاءَ عَلَيْهِ دَمْعِي
مَضَى لِسِدِّيهِ لَمْ يُعْطَ ضَيْمًا
قَتَلْنَا عَنْهُ قَاتِلَهُ وَكُنَّا
قَتِيلًا لَيْسَ مِثْلُ أَخِي إِذَا مَا
وَكُنْتَ سِنَانٌ رُمِحِي مِنْ قَتَاتِي
وَكُنْتَ بَنَانٌ كَفِّي مِنْ يَمِينِي
وَكَانَ يَهَابُكَ الْأَعْدَاءُ فِينَا
فَقَدْ أَبَدُوا ضَعْفَانَهُمْ وَشَدُّوا
فِدَاكَ أَخُ نَبَا عَنْهُ غِنَاهُ

٥٧ وَمِنْ رَقِيقِ مَرَاتِي لَيْدِي :

وَتَبَقَ الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ
فَقَارَقَنِي جَارٌ يَارُبْدُ نَافِعُ
فَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا بِهِ الدَّهْرُ فَاجِعُ
بِهَا يَوْمٌ حَلَّوْهَا وَعَدُّوا بِلَاقِعُ
كَمَا ضَمَّ أُخْرَى التَّالِيَاتِ الْمُسَانِعُ
يَجُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

٦٠ وَقَالَ أَيْضًا بَرِّيهِ :

يَا حُفْرَةَ ضَمْتِ مَحَاسِنَ مَا لَكَ
لَهْفِي عَلَى الْبَطْلِ الْمَرُوضِ خَدَهُ
خَرَقَ الْكُتَيْبَةَ مُعَلِّمًا مُتَكَبِّرًا
ذَهَبَتْ بَشَاشَةُ كُلِّ شَيْءٍ بَعْدَهُ
هَدَمَ الشَّرَاءُ عِدَادَ مَضْرَعِ مَا لَكَ
قَتَلُوا فَتَى الْعَرَبِ الَّذِي كَانَتْ بِهِ
حَرَمُوا مَعْدًا مَا لَكَ بِهِ وَأَوْقَعُوا
تَرْكُوهُ فِي رَهْجِ الْعِجَاجِ كَأَنَّهُ
هَوَتْ الْجُدُودُ عَنِ السُّجُودِ لِقَدَمِهِ
لَا يُعِيدُنْ أَخُو خِزَاعَةٍ إِذْ تَوَى
عَزَّ الْغَوَاةُ بِهِ وَذَلَّتْ أُمَّةٌ
وَبَكَاهُ مُضْجَعُهُ وَصَدْرُ حُسَامِهِ
وَعَدَّتْ تُقَرُّ خَيْلُهُ وَتَقَسَّمَتْ
أَفْتَحَمْدُ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبَتْ يَمِينُ
كَانَ أُخْيِرَ لَنَا مِنَ الْخِدْثَانِ

٦١ قَالَ يَا أَبَا الدُّنْيَا بَرِّي وَالِدَهُ :

قِفْ بِالطُّلُولِ وَسَلِّهَا أَيْنَ سَلَّمَاهَا
وَرَدِّدِ الطَّرْفَ فِي أَطْرَافِ سَاحَتِهَا
وَرَوْ مِنْ جُرْعِ الْأَجْفَانِ رِيَّاهَا
وَرَوْحِ الْبُرُوحِ مِنْ أَرْوَاحِ أَرْجَاهَا
وَأَنْ يَفْتِكَ مِنَ الْأَطْلَالِ مَخْبَرُهَا
فَلَا يَفُوتُكَ مَرَأَاهَا وَرِيَّاهَا

سَقَى جَدْنَا أَمْسَى الْكَرِيمُ ابْنَ صَالِحٍ
 إِذَا بَشَرَ الرُّوَادَ بِالْفَيْثِ بَرَقَهُ
 فَعَادَرَ بَاقِيَ الدَّهْرِ تَأْثِيرُ صَوْبِهِ
 ٥٩ قَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ يَرَى
 الشُّرَاةَ لِقَاءَ تِلْكَ قَاصِبِ لِسَانِهِمْ

عَلَى الْأَمِيرِ الْيَمِينِيِّ الْغَمَامِ
 وَقَارِسِ الدِّينِ وَسَيْفِ الْإِمَامِ
 أَيُّهُمْ إِذْ أَوْدَى جَمِيعَ الْأَنَامِ
 عِظَامُهُ سَقِيًّا لَهَا مِنْ عِظَامِ
 وَأَمْتَعَتْ بَعْدَكَ يَا ابْنَ الْكِرَامِ
 وَالْفَرَّ تَشْكُومِنَا طُولَ الْحِمَامِ
 كَيْفَا نَحْيِي قَبْرَهُ بِالسَّلَامِ
 غَنَى عَنِ الْبَحْرِ وَصَوْبِ الْغَمَامِ
 وَكَانَ فِي اللَّيْلِ كَبْدَرِ الظَّلَامِ
 وَسَائِلُ يَجِبُ مِنْ مَوْتِهِ
 قُلْتُ لَهُ عَهْدِي بِهِ مُعَلَّمًا
 وَالْحَرْبُ مَنْ طَارَ لَهَا لَمْ يَكْذُ
 لَمْ يَنْظُرِ الدَّهْرُ لَنَا إِذْ عَدَا
 لَنْ يَسْتَقِيلُوا أَبَدًا فَهَدَاهُ
 مَاهِيَةً الشَّجْوِ دُعَاءُ الْحِمَامِ

عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا صَدَحْتَ عَلَى غُصُونِ أَرَاكِ الدَّفْعَ وَرَقْلَهَا
٦٢ قَالَ أَبُو فِرَاسٍ الْحَمْدَانِي يُدْرِي جَابِرُ بْنُ نَاصِرٍ الدِّينُ :

أَفَكْبُرُ فِيكَ مُقَصِّرُ الْأَمَالِ وَالْحِرْصُ بَعْدَكَ غَايَةُ الْجَهَالِ
لَوْ كَانَ يُخْلَدُ بِالْفَضَائِلِ فَاضِلٌ وَصِلْتَ لَكَ الْأَجَالُ بِالْأَجَالِ
لَوْ كُنْتَ تُفْدَى لَأَفْتَدَيْتَكَ سَرَائِنَا . بِنَفَاسِ الْأَزْوَاحِ وَالْأَمْوَالِ
أَوْ كَانَ يَدْفَعُ عَنْكَ بَأْسُ أَقْبَلْتَ صَرَعًا تَكْدَسُ بِالْقَتَا الْعَسَالِ
أَعَزَّ عَلَى سَادَاتِ قَوْمِكَ أَنْ تُرَى فَوْقَ الْفِرَاشِ مُقَلَّبَ الْأَوْصَالِ
وَالسَّمَرُ عِنْدَكَ لَمْ تَرَقْ صُدُورُهَا وَالْحَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى الْأَطْلَالِ
وَالسَّائِبَاتُ مَصُونَةٌ لَمْ تُبْتَذَلْ وَأَلْيَضُ سَالِمَةٌ مَعَ الْأَبْطَالِ
وَإِذَا الْمُنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَمْ يَنْبَهِهَا حِرْصُ الْحَرِيصِ وَحِيلَةُ الْمُخْتَالِ
مَا لِلْمُخْطُوبِ وَمَا لِأَحْدَاثِ النَّوَى أَنْجَلْنَ جَابِرَ غَايَةَ الْإِعْجَالِ
لَمَّا تَسَرَّبَلْ بِالْفَضَائِلِ وَارْتَدَى بُرْدُ الْعُلَى وَاعْتَمَّ بِالْإِقْبَالِ
وَتَشَاهَدَتْ صَيْدُ الْمُلُوكِ لِفَضْلِهِ وَآرَى الْمَكَارِمَ مِنْ مَكَانٍ عَالِ
أَبَا الْمُرَجِّي غَيْرُ خُرْنِي دَارِسُ أَبَدًا عَلَيْكَ وَغَيْرُ قَلْبِي سَالِ
وَلَنْ هَلَكَتْ فَمَا أَلَوْفَاهُ بِهَالِكِ وَأَيْنَ يُبَيِّتَ نَمَّا الْوَدَادُ بِكَالِ
لَا زِلْتُ مَغْدُوقُ الثَّرَى مَطْرُوقُهُ بِسَحَابَةِ مَجْرُورَةِ الْأَذْيَالِ
وَحُجِبَ عَنْكَ السَّيِّآتُ وَلَمْ يَزَلْ لَكَ صَاحِبٌ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ
٦٣ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ مَعْبِدٍ تَرْنِي خَالِدُ بْنُ نَضْلَةَ :

أَأَمِيمَ هَيْهَاتِ الصَّبَا ذَهَبَ الصَّبَا وَأَطَارَ عَنِّي الْجَلَمَ جَهْلُ غُرَايِي

رُبُوعُ فَضْلٍ يُضَاهِي التَّبَرَّ تَرْبُتُهَا
 عَدَا عَلَى حَبِيرَةٍ حَلَّوْا بِسَاحَتِهَا
 بُدُورُ تَمَرٍ غَمَامُ الْمَوْتِ جَلَّلَهَا
 فَأَلْجَدُ يَبْكِي عَلَيْهَا جَارِعًا أَسْفَا
 يَا حَبْدًا أَرْمَنُ فِي ظِلِّهِمْ سَلَقْتُ
 أَوْقَاتُ أَنْسٍ قَضَيْنَاهَا فَمَا ذَكَرْتُ
 يَا سَادَةَ هَجَرُوا وَاسْتَوْطَنُوا هَجَرًا
 رَعِيًا لِلْيَلَاتِ وَضَلَّ بِالْحَمَى سَلَقْتُ
 لِقَعْدِكُمْ شُقَّ جِيبُ الْعَجْدِ وَأَنْصَدَعَتْ
 وَخَرَّ مِنْ شَانِخَاتِ الْعِلْمِ أَرْفَعُهَا
 يَا نَاوِيَا بِالْمُصَلَّى مِنْ قَرَى هَجَرٍ
 أَقَمْتَ يَا بَحْرُ الْبَحْرَيْنِ فَأَجْتَمَعَتْ
 ثَلَاثَةٌ أَنْتَ أَسَدَاهَا وَأَغْرَرُهَا
 حَوَيْتَ مِنْ دُرَرِ الْحُلِيَاءِ مَا حَوِيَا
 يَا أَخْصَصَا وَطِئْتَ هَامَ السُّهَى شَرَفَا
 وَيَا ضَرْيَحَا عَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ عَلَا
 فِيكَ أَنْطَوَى مِنْ شُمُوسِ الْفَضْلِ آخِرُهَا
 وَمِنْ شَوَائِخِ أَطْوَادِ الْقُسُوفِ أَرْ
 فَأَسْحَبَ عَلَى أَلْفَاكِ الْعُلُويِّ رَيْلُ عَلَا
 وَدَارُ أَنْسٍ يُحَاكِي الدَّرَّ حَضَبَاهَا
 صَرَفُ الزَّمَانِ فَأَبْلَاهُمْ وَأَبْلَاهَا
 شُمُوسُ فَضْلٍ سَحَابُ التَّرْبِ غَشَاهَا
 وَالْدِّينُ يَنْدُبُهَا وَالْفَضْلُ يَنْعَاهَا
 مَا كَانَ أَقْصَرَهَا عُمْرًا رَاحِلَاهَا
 إِلَّا وَقَطَعَ قَلْبُ الصَّبِّ ذِكْرَاهَا
 وَهَاهَا لِقَلْبِ الْمَتَى بَعْدَكُمْ وَهَاهَا
 سَقِيًا لِأَرْثَانَا بِالْحَنِيفِ سَقِيَاهَا
 أَرْكَانُهُ وَبِكُمْ مَا كَانَ أَقْوَاهَا
 وَأَهْدَى مِنْ بَاذِخَاتِ الْحِلْمِ أَرْسَاهَا
 كُسَيْتَ مِنْ حُلْلِ الرُّضْوَانِ أَرْضَاهَا
 ثَلَاثَةٌ كُنَّ أَمْثَالًا وَأَشْبَاهَا
 جُودًا وَأَعْذِبَهَا طَعْمًا وَأَحْلَاهَا
 لَكِنَّ دَرْكَ أَعْلَاهَا وَأَغْلَاهَا
 سَقَاكِ مِنْ دِيمِ الْوَسْطِيِّ أَسْمَاهَا
 عَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ اللَّهِ أَرْكَاهَا
 وَمِنْ مَعَالِمِ دِينِ اللَّهِ أَسْنَاهَا
 سَاهَا وَأَرْفَعُهَا قَدْرًا وَأَنْهَاهَا
 فَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ الْعُلِيَاءِ أَعْلَاهَا

أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْحَلَاوِ أَبْلُوهَا
أَمَّا تَعْلَمِينَ أَحَبُّهُ أَنْ لَسْتُ لَاقِيًا
فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ
فَتَى كَانَ يُعْطِي السَّيْفَ فِي الْحَرْبِ حَقَّهُ
وَسَخَى بِنَفْسِي أَنِّي سَوْفَ أَتَمْلِكُ
وَقَالَ أَيْضًا فِيهِ : ٦٧

تَطَاوَلَ لِيَلِي لَمْ أَمْنُهُ تَقَلُّبًا
فَإِنْ تَكُنْ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا
أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لَاقِيًا
فَتَى إِنْ هُوَ اسْتَغْنَى يُخْرِقُ فِي الْغَنَى
فَلَيْتَكَ كُنْتُ أَحْيَى فِي النَّاسِ بَاقِيًا
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ
كَأَنَّ لَمْ يُصَاحِبْنَا بَرِيدٌ بَغِيطَةٌ
وَلَمَّا تَمَعَى النَّسَاعِي بَرِيدًا تَقَوَّلَتْ
عَسَاكَ تَعَشَى النَّفْسَ حَتَّى كَانَتْ نِي
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فِي بَرِيدٍ مُصِيبَتِي
قَالَتْ الْخُلَسَاءُ تَرْنِي أَخَاهَا صَغِيرًا : ٦٨

هَذَى بِمَيْسِكَ أَمْ بِالْعَيْنِ عَوَارُ
كَأَنَّ عَيْنِي لِدِكْرَاهُ إِذَا خَطَرْتُ
أَمْ أَقْفَرْتُ إِذْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّلَالُ
فِيضٌ يَسِيلُ عَلَى الْخُدُنِ مِدْرَادُ

أَيْنَ الْأَلَى بِالْأَمْسِ كَانُوا حِيرَةً أَمْسُوا دَفِينِ جَنَادِلٍ وَتَرَابٍ
مَاتُوا وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ بِحِيلَةٍ لَأَحْدَثْتُ صَرْفَ لُتُوتٍ عَنْ أَحِبَائِي
مَا حِيلَتِي إِلَّا الْبُكَاءُ عَلَيْهِمْ إِنَّ الْبُكَاءَ سِلَاحٌ كُلُّهُ مُصَابٍ
٦٤ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ زَيْدٍ يَرِثِي أَخَاهُ عَمْرًا :

أَلَا تَوَهَّ الدَّاعِي بَلِيلٍ فَاسْتَمَاعٍ يَجْرُقُ كَرِيمٍ كَانَ فِي النَّاسِ أَرْوَعًا
مَضَى صَاحِبِي وَأَسْتَقْبَلَ الدَّفْرُ صَرْفِي وَلَا بُدَّ أَنْ أَلْقَى جَمَابِي فَأَهْمُرَعَا
كَمَا لَمْ نَكُنْ يَا عَمْرُو فِي دَارِ غِبْطَةٍ وَلَمْ تَشْرَعْ إِلَى مَوْعِدٍ مِمَّا
دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ تَرِيدُكَ لَمْ تَسْجِعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعًا
قَلَمَ بَيْلٍ ذِكْرُ مَنْكَ كُنْتَ تُجِدُهُ جَمِيلٌ وَلَكِنَّ الْبَيْلَى فِيكَ لَسْرَعًا
وَمَا دَنْسَ الثُّوبُ الَّذِي زُوْدُوْكَهُ وَإِنْ خَانَهُ رَيْبُ الْبَيْلَى فَتَقَطَّعَا
وَطَابَ ثَرَى أَصْبَحْتَ فِيهِ وَإِنَّمَا يَطِيبُ إِذَا كَانَ الثَّرَى لَكَ مَعْجَمًا
٦٥ أَنشدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلْقَمَةَ يَرِثِي أَخَاهُ شَرِيكًَا :

لَقَدْ وَارَى الْمَتَابِرُ مِنْ شَرِيكِ كَثِيرٍ تَكْرُمٍ وَقَلِيلِ عَابٍ
بِهِ سَكْنَا نَصُولُ عَلَى الْأَعَادِي وَنَدَفَعُ مَرَّةَ الْقَوْمِ الْغَضَابِ
صُمُوتٌ فِي الْمَجَالِسِ غَيْرُ عِيٍّ حَذِيرٍ حِينَ يَنْطِقُ بِالْصَوَابِ
كَرِيمُ الْخُلُقِ لَا طَبْعُ غَمِيْنٍ وَلَا فَحَاشَةٌ تَزِقُ السَّبَابِ
كَرِيمُ مَوَاطِنِ الْأَحْسَابِ عَفْ إِذَا الضَّلِيلُ مَالَ بِهِ التَّصَالِي
دَلُوفٌ بِالْقَرَى وَاللَّيْلِ قَرٌ إِلَى الْمُسْتَقِيمِ ذُرَى الرِّكَابِ
٦٦ وَقَالَ الْأَبَيْزِدُ الْيَرْبُوعِيُّ يَرِثِي أَخَاهُ بَرِيدًا وَتَرَوَى إِسْلَمَةَ الْجَنْفِيَّ :

وَعَشْنَا بَخِيرٍ فِي الْحَيَاةِ وَقَبَلْنَا
فَتًى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ
تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمَرِيِّ مَا لَكَ بَعْدَ مَا
قُلْتُمْ لَهَا طَوْلُ الْأِسَاءَةِ سَاءَ بِي
٧١ قَالَ زُهَيْرٌ يَزِي بَعْضَ مَنْ يَغِزُّ عَلَيْهِ :

أَرَاكَ هَجَرْتَنِي هَجْرًا طَوِيلًا
عَهْدُكَ لَا تَطِيقُ الصَّبْرَ عَنِّي
فَكَيْفَ تَغَيَّرْتَ تِلْكَ السَّجَايَا
فَلَا وَاللَّهِ مَا حَاوَلْتُ عَذْرًا
وَمَا فَارَقْتَنِي طَوْعًا وَلَكِنَّ
قِيَامَ مَنْ غَابَ عَنِّي وَهُوَ رُوحِي
وَلَيْتَكَ لَوْ بَقِيتَ لِضَعْفِ حَالِي
يَغِزُّ عَلَيَّ حِينَ أُدِيرُ عَيْنِي
خَتَمْتُ عَلَى وَدَادِكَ فِي ضَمِيرِي
لَقَدْ عَجَلْتُ عَلَيْكَ يَدُ الْمُنَايَا
فَوَا أَسْقِي لِحْسَمَكَ كَيْفَ يَبْلِي
وَمَا لِي أَدْعِي أَنِّي وَفِي
تَمُوتُ وَمَا أَمُوتُ عَلَيْكَ حُزْنًا
وَيَا حَجَلِي إِذَا قَالُوا مُحِبُّ
وَمَا عَوْدَتِي مِنْ قَبْلُ ذَاكَ
وَتَمَصِّي فِي وَدَادِي مَنْ نَهَاكَ
وَمَنْ هَذَا الَّذِي عَنِّي ثَنَّاكَ
فَكُلُّ النَّاسِ يَغْدُرُ مَا خَلَاكَ
دَهَاكَ مِنَ الْمُنْبَةِ مَا دَهَاكَ
وَكَيْفَ أُطِيقُ مِنْ رُوحِي أَنْفِكََا
وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِدَاكََا
أَفْتَسُ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكََا
وَلَيْسَ يَزَالُ غَتُّومًا هُنَاكََا
وَمَا اسْتَوَيْتَ حَظَّكَ مِنْ صَبَاكََا
وَيَذْهَبُ بَعْدَ بَهْجَتِهِ سَنَاكََا
وَلَسْتُ مُشَارِكًا لَكَ فِي بِلَاكََا
وَحَقَّ هَوَاكَ خُنْتُكَ فِي هَوَاكََا
وَلَمْ أَنْفَعَكَ فِي خَطْبِ أَنَاكََا

تُبْكِي خُنَّاسُ عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا إِذْ رَأَتْهَا الدَّهْرُ إِنَّ الدَّهْرَ ضَرَّارُ
لَا بُدَّ مِنْ مِيتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرُ الدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارُ
يَا صَخْرُ وَارِدَ مَاءٌ قَدْ تَوَارَدَهُ أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ عَارُ
وَإِنَّ صَخْرًا سَلَامِينَا وَسَيِّدُنَا وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لَنَحَارُ
وَإِنْ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ
لَمْ تَرَهُ جَادَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا لِرَيْبَةٍ حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ الْجَارُ
مِثْلُ الرُّدْنِيِّ لَمْ تَفْقَدْ شَيْئَتَهُ كَأَنَّهُ تَحْتَ طَيِّ الْأَبْرَدِ أَسْوَارُ
طَلَقُ الْيَدَيْنِ بِفِعْلِ الْخَيْرِ مُعْتَمِدُ صَخْمُ الدَّسِيعَةِ بِالْخَيْرَاتِ أَمَّارُ
٦٩ وَقَالَتْ أَيْضًا :

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَمَا يَبْكَونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أُعْزِي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسِي
٧٠ قَالَ الْمُتَمِّمُ يَرَى أَخَاهُ مَا لَكَ :

أَعْيَنِي جُودِي بِالْذُّمِّوعِ لِمَالِكٍ إِذَا ذَرَّتِ الرِّيحُ الْكَنِيفَ الْمُرَبَّاعَا
فَتَى كَانَ مِقْدَامًا إِلَى الرُّوْعِ رَكْضُهُ سَرِيعًا إِلَى الدَّاعِي إِذَا هُوَ أَفْرَعَا
أَبِي الصَّبْرِ آيَاتُ أَرَاهَا وَإِنِّي أَرَى كُلَّ حَبْلٍ دُونَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا
وَلِي مَتَى مَا أَدْعُ بِأَسْمِكَ لَا تُجِبْ وَكُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تُجِيبَ وَتُسَمَّيَا
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكٍ ذَهَابَ النُّوَادي الْمُدْجَنَاتِ فَأَمْرَعَا
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ قَرَفَنَ بَيْنَنَا فَقَدْ بَانَ مُحَمَّدًا أَخِي يَوْمَ وَدَّعَا

٧٤ كَانَ لِابْنِ عَمَّارِ ابْنُ يُقَالُ لَهُ مَعْنُ فَمَاتَ فَقَالَ يَزِيدُ :

يَا مَوْتُ مَا لَكَ مُوَلِّمًا بِضِرَارِي إِيَّيَ عَلِيَّكَ وَإِنْ صَبَرْتُ لِمَزَارِي
تَعْدُو عَلَيَّ كَأَنِّي لَكَ وَارِثٌ وَأَوَّلُ مِنْكَ كَمَا يَوَلُّ فِرَارِي
نَفْسُ الْبَعِيدِ إِذَا أَرَدَتْ قَرِيبَةً لَيْسَتْ بِبَاجِيَةٍ مَعَ الْأَقْدَارِ
وَالْمُرْسُوفِ وَإِنْ تَطَاوَلَتْ بِعَمْرِهِ بِوَمَا يَصِيرُ لِحِفْرَةِ الْخَفَارِ
لَمَّا عَلَا عَظْمِي بِهِ فَكَانَهُ مِنْ حُسْنِ بَيْتِهِ قَضِيبُ نُضَارِ
فَجَعَلَنِي بِأَعَزِّ أَهْلِي كَلِمَةً تَعْدُو عَلَيْهِ عِدْوَةَ الْجَبَّارِ
هَسَلًا بِنَفْسِي أَوْ بِبَعْضِ قَرَابَتِي أَوْقَعْتَ أَوْ مَا كُنْتَ بِالْخِتَارِ
وَبَرَكْتَ رَبِّيَ الْيَتِي مِنْ أَجْلِهَا غَفَتُ الْجِهَادَ وَصِرْتُ فِي الْأَمْصَارِ

٧٥ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ تَرَى أَبَاهَا وَأَخَوَهَا :

مَنْ حَسَّ لِي الْأَخَوَيْنِ كَالْمُضَنِّينِ أَوْ مَنْ رَأَاهُمَا
قَرَمَانٍ لَا يَتَطَالَمَانِ وَلَا يُدَامُ جَاهُمَا
وَيَلِي عَلَى أَبِيي وَالْقَبْرِ الَّذِي وَارَاهُمَا
لَا مِثْلَ كَهْلِي فِي الْكُفُو لِي وَلَا فَتَى كَفَلَاهُمَا

٧٦ قَالَ أَعْرَابِي يُرَى ابْنُهُ وَكَانَ وَقَعَ صَرِيحًا فِي الْحَرْبِ :

حُسَيْنٌ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا إِذْ أَنْتَ خَلَيْتَهَا فِي مَنْ يُخْلِبُهَا
فَمَنْ الْغَنَاءُ حُسَيْنًا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ مَا لَيْتَ بِنَا الْأَرْضُ أَوْ زِلْتَ رَوَاسِيهَا
الْحَزْمُ وَالزَّمُّ كَمَا نَا مِنْ صَنِيعَتِهِ مَا كُلُّ الْإِلَهِ يَأْقُومُ أَحْضِيهَا
تَوَيُّ الرِّمَاحِ بِأَيْدِيهَا فَتَوَرَّدَهَا يَيْضًا وَنُصْدِرُهَا حَرًّا أَعْمَالِيهَا

أَرَى الْبَاسِكِينَ فِيكَ مَعِيَ كَثِيرًا وَلَيْسَ كَمَنْ بَكَى مِنْ قَدِّ تَبَاكِي
وَيَا مَنْ قَدْ نَوَى سَفَرًا بَعِيدًا مَتَى قُلْ لِي رُجُوعُكَ مِنِّي تَوَاكَا
حِزَاكَ اللَّهُ عَنِّي كُلُّ خَيْرٍ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ عَنِّي حِزَابُكَ
فَيَا قَبْرَ الْحَبِيبِ وَدِدْتُ أَنِّي حَمَلْتُ وَلَوْ عَلَى عَيْنِي ثَرَابُكَ
سَقَاكَ الْغَيْثُ تَهْنَأًا وَإِلَّا فَحَسْبُكَ مِنْ دُمُوعِي مَا سَقَاكَ
وَلَا زَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي يُرْفُ عَلَى النَّسِيمِ إِلَى ذَرَابُكَ
٧٢ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ رِثْلِهِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ :

بَكَيْتُ وَمَاذَا يَرُدُّ الْبُصْكَ وَقَلَّ الْبُصْكَ لِقَتْلِي كُذَّا
أُصِيبُوا مَعًا فَتَوَلَّوْا مَعًا كَذَلِكَ كَانُوا مَعًا فِي رَجَا
بَكَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَنَاحَتْ عَلَيْهِمْ نُجُومُ السَّمَاءِ
وَكَانُوا ضِيَاءِي فَلَمَّا أَنَّهُ خَفَى زَمَانِي بِقَوْمِي تَوَلَّى الضِّيَاءُ
٧٣ وَقَالَ فِيهِمْ أَيْضًا وَتَرَوْنِي هَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ لِلْعَبَايِ :

أَفَاضَ الْمَدَامِعَ قَتْلِي كُذَّا وَقَتْلِي بِكُشُوفَةٍ لَمْ تَرْمَسِ
وَقَتْلِي بِوَجْهِهِ وَبِالْأَلْبَتَيْنِ يَثْرِبُ هُمْ خَيْرٌ مَا أَنَسِ
وَبِالزَّائِبَيْنِ نَفْسُ تَوْتٍ وَأُخْرَى بِنَهْرِ أَبِي فُطْرُسِ
أَوْ لَيْسَ قَوْمٌ أَنَاخَتْ بِهِمْ نَوَائِبُ مِنْ زَمَنِ مُتَعَسِّرِ
إِذَا رَكِبُوا زَيْنُوا الرَّاكِبِينَ وَإِنْ جَاسُوا زِينَةَ الْجَاسِ
هُمْ أَضْرَعُونِي لِزَيْبِ الزَّمَانِ وَهُمْ أَلْصَقُوا الرِّغْمَ بِالْمُطَسِّ
فَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ قَتْلَاهُمْ وَلَا عَاشَ بَعْدَهُمْ مَنْ نَسِي

مَا رَأَى النَّاسُ ثَانِيَّ الْمُتَنَبِّيِّ أَيُّ ثَانٍ يُرَى لِصَكْرِ الزَّمَانِ
كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جِنْسٍ وَفِي كِبَرِيَاءٍ ذِي سُلْطَانٍ
كَانَ فِي لَفْظِهِ نَبِيًّا وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجَزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي
٨٥ لِأَيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَطْوِيِّ مِنَ الرُّقْصِ فِي رِثَاءِ ابْنِ أَبِي دُوَادَ:
وَلَيْسَ صَرِيحُ النَّعْشِ مَا تَتَّبِعُونَهُ وَلَكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقْصَفُ
وَلَيْسَ فَتِيحُ الْمِسْكِ مَا تَحْجِدُونَهُ وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الثَّنَاءُ الْخُلْفُ
وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

الْيَوْمَ مَاتَ نِظَامُ الْمَلِكِ وَاللَّسَنِ وَمَاتَ مَنْ كَانَ يُسْتَعْدَى عَلَى الزَّمَنِ
وَأَظْلَمَتْ سُبُلُ الْأَدَابِ وَأَخْتَبَتْ شَمْسُ الْمَكَارِمِ فِي غَيْمٍ مِنَ الْكُفَنِ
٨١ قَالَ جَرِيرٌ يَزِيدِي الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ هَاجَهُ الذِّكْرُ فَمَا لِدَمْعِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ مُدْخَرُ
إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ وَارَى شِمَالَهُ غَبْرَاءُ مَلْحُودَةٍ فِي جُوهِهَا زَوْرُ
أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ مِثْلَ الْجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
كَانُوا شُهُودًا فَلَمْ يَدْفَعْ مِنْبَتُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَا رَوْحٌ وَلَا عُمَرُ
وَحَالِدٌ لَوْ أَرَادَ الدَّهْرُ فِدَيْتَهُ أَغْلَوْا مُخَاطَرَةً لَوْ يَنْفَعُ الْخَطَرُ
قَدْ شَفَنِي رَوْعَةُ الْعَبَّاسِ مِنْ فَرْعٍ لَمَّا آتَاهُ بِدِيرِ الْقَسْمَطِلِ الْخَبَرُ
٨٢ قَالَ الشَّبْرَاوِيُّ يَزِيدِي الْعَلَامَةِ الْعَبَّادِيِّ :

يَا طَالِبًا رَاحَةً مِنْ دَهْرِهِ عَبَا أَقْصَرَ فَمَا لِلدَّهْرِ إِلَّا بِالْهُمُومِ مُلِي
كَمْ مَنْظَرٍ رَأَيْتُ أَفْتَتَ جَمَالَتَهُ يَدُ الْمُنُونِ وَأَعْيَتْهُ عَنِ الْحِيلِ

لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ وَأَنْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَأُتْجَابَتْ بِمَنْ فِيهَا
لَا أَصْلَحَ اللَّهُ مِتًّا مِنْ يُصَالِحُكُمْ مَا لَاحَتْ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى تِجَارِيهَا

رثاء مشاهير العرب

٧٧ قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُطَيْرٍ الْأَسَدِيُّ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ :

أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولَا لِقَبْرِهِ سَقَيْتُكَ الْفُؤَادِي مَرْبَعًا ثُمَّ مَرْبَعًا
فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتِ لِلْسَّامَةِ مَضْجَعًا
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَجْرُ مُتْرَعًا
بَلَى قَدْ وَسِعَتْ الْجُودُ وَالْجُودُ مَيَّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضُمَّتْ حَتَّى تَصْلَعَا
فَتَى عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّلِّ مَجْرَاهُ مَرْتَعًا
وَلَمَّا مَضَى مَعْنٍ مَضَى الْجُودُ فَأَنْقَضَى وَأَصْبَحَ عِرْنَيْنُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعَا

٧٨ قَالَ ثَابِتُ بْنُ هَارُونَ الرَّقِّيُّ النَّصْرَانِيُّ يَزِيدُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ :
الْدَّهْرُ أَخْبَثُ وَاللَّيَالِي أَنْكَدُ مِنْ أَنْ تَعِيشَ لِأَهْلِيهَا يَا أَحْمَدُ
فَصَدَّتْكَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتَكَ نَفْسَهَا يُخْلَا بِمِثْلِكَ وَالنَّفَائِسُ تُقْصَدُ
ذُقْتَ الْكَرِيهَةَ بَعْتَهُ وَقَصَدْتَهَا وَكَرِهَ فُقْدَكَ فِي الْوَرَى لَا يُفْقَدُ
قُلْ لِي إِنْ أَسْطَغْتَ الْخُطَابَ فَإِنِّي صَبَّ الْفُؤَادِ إِلَى خُطَابِكَ مُكْمَدُ
أَتَرَكْتَ بَعْدَكَ شَاعِرًا وَاللَّهُ لَا لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ فِي الْوَرَى مَنْ يُشَدُّ
أَمَّا الْمُلُومُ فَإِنَّهَا يَا رَبِّهَا تَبْكِي عَلَيْكَ بِأَدْمَعٍ لَا تَجْمَدُ
٧٩ وَرثاهُ أَيْضًا أَبُو الْقَاسِمِ الْمُظَفَّرُ بْنُ عَلِيٍّ الْكَاتِبُ :

لَا رَعَى اللَّهُ سِرْبَ هَذَا الزَّمَانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ اللِّسَانِ

٨٨ قَالَ إِسْحَاقُ الْمُوصِلِي بِرِّي أَبَاهُ إِبْرَاهِيمَ الْمَغْنِي :

أَقُولُ لَهُ لَمَّا وَقَفْتُ بِقَبْرِهِ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ
وَيَا قَبْرَ إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ حُفْرَةٌ وَلَا زِلْتُ تُسْقَى الْغَيْثُ مِنْ سُبُلِ الْقَطْرِ
لَقَدْ عَزَّنِي وَجَدِي عَلَيْكَ فَلَمْ يَدْعُ لِقَلْبِي نَصِيبًا مِنْ غَزَاءٍ وَلَا صَبْرٍ
وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكَ لَيْلَةً فَكَيْفَ وَقَدْ صَادَ الْفِرَاقُ إِلَى الْحَشْرِ
٨٩ لَمَّا مَاتَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي رِثَاهُ الشَّرِيفُ الْمُوسَوِيُّ بِقَوْلِهِ :

أَعْلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَأَ ضِيَاءَ النَّادِي
جَبَلٌ هَوَى لَوْ خَرَّ فِي الْبَحْرِ اغْتَدَى مِنْ وَقَعِهِ مُتَتَابِعِ الْأَزْبَادِ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حَطِّكَ فِي الثَّرَى أَنَّ الثَّرَى يَبْلُغُ عَلَى الْأَطْوَادِ
٩٠ قَالَ الشَّهَابُ الْمَنْصُورِيُّ بِرِّي الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدِي الدِّينِ الْكَافِي :

بَكَتْ عَلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدِي الدِّينِ كَافِيي عِيُونَنَا بِدُمُوعٍ مِنْ دَمِ الْمُهْجِ
كَانَتْ أَسَارِي هَذَا الدَّهْرِ مِنْ دُرِّ تَرَهَّى فَبَدَّلَ ذَلِكَ الدُّرَّ بِالسَّجِ
فَكَمْ نَفَى بِسَمَاحٍ مِنْ مَكَارِمِهِ فَقَرَأَ وَقَوْمٌ بِالْإِعْطَاءِ مِنْ عَوَجِ
يَانُورَ عِلْمٍ أَرَاهُ الْيَوْمَ مُنْطَفِئًا وَكَانَتْ النَّاسُ تُشْهِى مِنْهُ فِي سِرْجِ
فَلَوْ رَأَيْتَ الْفَتَاوَى وَهِيَ بَاكِئَةٌ رَأَيْتَهَا مِنْ مُجِيعِ الدَّمْعِ فِي لَحْجِ
وَلَوْ سَرَتْ بِنَاءَ عَنْهُ رِيحُ صَبَا لَأَسْتَشْفُوا مِنْ شِدَاهَا أَطِيبَ الْأَرْجِ
يَا وَحْشَةَ الْعِلْمِ مِنْ فِيهِ إِذَا اعْتَرَكْتَ أَبْطَالُهُ قَوَارَتْ فِي دُجَى الرَّهْمِ
لَمْ يَلْحَقُوا شَأْوَ عِلْمٍ مِنْ خَصَائِصِهِ أَنَّى وَرَتَّبَتْهُ فِي أَرْفَعِ الدَّرَجِ
قَدْ طَالَ مَا كَانَ يَفْرِينَا وَيُقِرُّونَا فِي حَالَتِهِ بِوَجْهِهِ مِنْهُ مُبْتَهَجِ

لِلَّهِ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَارْتَهُ تِلْكَ الرِّمَالُ
بِكَيِّ الرِّشَادُ عَلَيْهِ دَمًا وَسِرَّ الضَّلَالُ
قَدْ لَاحَ فِي الْخَيْرِ نَقْصٌ لَمَّا مَضَى وَاخْتِلَالُ
وَكَيْفَ لَمْ تَرَ نَقْصًا وَقَدْ تَوَلَّى الْكَمَالُ
عُلُومُهُ رَاسِحَاتُ تَزُولُ مِنْهَا الْجِبَالُ
يَقْبِرُهُ الْعِلْمُ نَاوٍ وَالْفَضْلُ وَالْإِفْضَالُ

٨٧ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ مَعْبُدٍ يَزِيدِي يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ:

لَقَدْ عَظُمَتْ فِي الْمُسْلِمِينَ رِزْيَةٌ غَدَاةَ نَعْيِ النَّاعُونَ يَحْيَى فَأَسْمَعُوا
فَقَالُوا وَإِنَّا قَدْ دَفَنَاهُ فِي الثَّرَى فَكَأَدَ فَوَادِي حَسْرَةٍ يَتَصَدَّعُ
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ لِعَيْنِي عِبْرَةً وَلَا جَزَعًا إِنَّا إِلَى اللَّهِ نَرْجِعُ
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَظُمَ رِزْيَتِي يَحْيَى إِلَى مَنْ لَسْتُ رِيحُ وَنَفْسُ عِ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُؤْتِي فَيَسْأَلُ بَعْدَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِي الْعِلْمِ مُنْعِعُ
لَقَدْ كَانَ يَحْيَى فِي الْحَدِيثِ بَقِيَّةً مِنَ السَّلَفِ الْمَاضِينَ حِينَ تَقَشَّعُوا
فَلَمَّا مَضَى مَاتَ الْحَدِيثُ بِمَوْتِهِ وَأُذِرْجَ فِي أَكْثَانِهِ الْعِلْمُ أَجْمَعُ
وَصِرْنَا حَيَارَى بَعْدَ يَحْيَى كَأَنَّا رَعِيَّةَ رَاعٍ بِهِمْ فَتَصَدَّعُوا
وَلَيْسَ بِمَنْ عَنكَ دَمْعُ سَفْحَتِهِ وَلَكِنْ إِلَيْهِ يَسْتَرْجِعُ الْمُفْجَعُ
لَعَنُوكَ مَا لِلنَّاسِ فِي الْمَوْتِ حِيلَةٌ وَلَا لِقِضَاءِ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ مَدْفَعُ
وَلَكِنَّمَا أَتْبَكِي عَلَى الْعِلْمِ إِذْ مَضَى فَمَا بَعْدَ يَحْيَى فِيهِ لِلنَّاسِ مُنْعِعُ
فَقَدْ تَرَكَ الدُّنْيَا وَقَرَّ بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ مُمْتَعُ

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْحُكْمِ

٩٣ قَالَ الْعَسْجَدِيُّ لِبَعْضِ أَصْحَابِ ابْنِ الْعَمِيدِ ذِي الْكُفَايَتَيْنِ .
كَيْفَ رَأَيْتَ الْوَزِيرَ . فَقَالَ : رَأَيْتُهُ يَأْبِسُ الْعُيُودَ ذَمِيمَ الْهُدُوسِيِّ
الظَّنَّ بِالْمَعْبُودِ . فَقَالَ الْعَسْجَدِيُّ : أَمَا رَأَيْتَ تِلْكَ الْأَبْهَةَ وَالصِّتَ
وَالْمَوَاكِبَ وَالتَّجَمُّلَ الظَّاهِرَ وَالْدَّارَ الْحَلِيلَةَ وَالْقَرْشَ السِّنِّيَّ وَالْحَاشِيَةَ
الْجَمِيلَةَ . فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : الدَّوْلَةُ غَيْرُ السُّودِدِ . وَالسَّلْطَنَةُ غَيْرُ
الْكَرَمِ . وَالْحِظُّ غَيْرُ الْمَجْدِ . أَيْنَ الزُّوَارُ وَالْمُنْتَجِعُونَ . وَأَيْنَ الْأَمِلُونَ
وَالشَّاكِرُونَ . وَأَيْنَ الْوَاصِفُونَ الصَّادِقُونَ . وَأَيْنَ الْمُنْصَرِفُونَ
الْمُرَاضُونَ . وَأَيْنَ الْهَبَاتُ وَأَيْنَ التَّفَضُّلَاتُ وَأَيْنَ الْحِلْعُ وَالشَّرِيفَاتُ .
وَأَيْنَ الْهَدَايَا وَأَيْنَ الضِّيَافَاتُ . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَا تَجِيءُ الرِّئَاسَةُ
بِالْثَّرَاهَاتِ . وَلَا يَحْصُلُ الشَّرَفُ بِالْخُرْعَالَتِ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

أَبَا جَعْفَرٍ لَيْسَ فَضْلُ أَهْلِي إِذَا رَاحَ فِي قَرْطٍ إِنْجَابِهِ
وَلَا فِي قَرْهَةٍ يَرْذُونِهِ وَلَا فِي مَلَاةٍ أَتَوَاهِ
وَلَكِنَّهُ فِي أَعْمَالِ الْجَمِيلِ وَالْكَرَمِ الْأَشْرَفِ النَّابِهِ

٩٤ إِجْتَمَعَ حَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِيُّ وَحَمَّةُ بْنُ رَافِعِ الدُّوْنِيِّ عِنْدَ
مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ خَمِيرَ . فَقَالَ : لَا تَسْأَلَا حَتَّى أَسْمَعَ مَا تَقُولَانِ . فَقَالَ
حَامِرُ لِحَمَّةَ : أَيْنَ نَحْبُ أَنْ تَكُونَ أَيْادِيكَ . قَالَ : عِنْدَ ذِي الرُّتْبَةِ .

سَعْيَالَهُ وَكَسَاهُ اللَّهُ نُورَ سَنَا مِنْ سُنْدُسٍ بِيَدِ الْفَرَّانِ مُنْتَجِعٍ
٩١ وَقَالَ أَيْضًا بَرْنِي الْحَجَّازِي أَبَا الطَّيِّبِ الْحَزْرَجِيِّ:

لَهْفَ قَلْبِي عَلَى أَفْوَالِ الشَّهَابِ مُخْفَةً الْقَوْمَ رُزْهَةً الْأَصْحَابِ
كَانَ فِي مَطْلَعِ الْبَلَاغَةِ يَسْرِي قَوَارِي مِنَ الثَّرَى بِحِجَابِ
عَقَدَتْ بَرَّةً أَمَايِي الْمَلَانِي وَيَتَانِي جَوَاهِرِ الْأَدَابِ
هَطَلَتْ أَدْمُعُ السَّحَابِ عَلَيْهِ وَقَلِيلٌ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ
وَذَوُّو الْجَمْعِ أَصْبَحُوا حِينَ وَلَّى كُلُّهُمْ جَامِعًا بِلَا مَخْرَابِ
يَا شَيْهَابًا طُلُوعُهُ فِي سَمَا الْفَضْلِ وَلَكِنْ أَفْوَلُهُ فِي الْأَرَابِ
لَكَ فِيهَا أَلْفَتْ تَذَكُّرَةٌ مِنْ مَا اتَّقَى دُرَّهُ أُولُو الْأَلْبَابِ
رَوْضَةٌ أَيْمَتْ بِفَاكِهَةٍ مِنْ حُسْنِ لَفْظٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابِ
فَسَقَى زَيْهًا الرِّبَابِ لِيَهْتَرَّ وَتَرَبُّو عَلَى سَمَاعِ الرِّبَابِ
وَرَأَى كَسْرَهُ قَتَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَبْرِ يَوْمَ الْحِسَابِ
٩٢ قَالَ عِمَادُ الْكَاتِبِ بَرْنِي صَلَاحُ الدِّينِ:

تَحْمِلُ الْهَدْيَ وَالْمَلِكَ عَمَّ شَتَاؤُهُ وَاللَّهْرُ سَاءَ وَأَقْلَعَتْ حَسَنَاتُهُ
بِاللَّهِ أَيْنَ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي لِلَّهِ خَالِصَةٌ صَفَتْ نِيَّاتُهُ
أَيْنَ الَّذِي مَا زَالَ سُلْطَانًا لَنَا يُرْجَى نَدَاهُ وَيَتَقَى سَطَوَاتُهُ
أَيْنَ الَّذِي شَرَفَ الْمَرْكَزَ بِفَضْلِهِ وَتَمَّتْ عَلَى الْفَضْلَاءِ تَشْرِيفَاتُهُ
أَيْنَ الَّذِي عَنَتِ الْقُرُوجُ لِإِسِيهِ ذُلًا وَمِنْهَا أَدْرَكَتْ ثَارَاتُهُ
أَغْلَالُ أَعْنَاقِ الْعِدَى أَسْيَافُهُ لَطَوَاقُ أَحْيَادِ الْوَرَى حَسَنَاتُهُ

أَلْيَاسَ . وَأَظْهَرَ التَّجْمَلَ لِلنَّاسِ وَأَسْتَكْثَرَ قَلِيلَ النِّعَمِ . وَلَمْ يَسْخَطْ عَلَى الْقِسَمِ . قَالَ فَمَنْ أَحْكَمُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ صَمَتَ فَادَّكَرَ . وَنَظَرَ فَلَعَبَرَ . وَوَعِظَ فَأَزْدَجَرَ . قَالَ : مَنْ أَجْهَلُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ رَأَى الْحُرْقَ مَغْنَمًا . وَالتَّجَاوَزَ مَغْرَمًا . (لابن عبد ربه)

٩٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَعْجَبُ مَا فِي الْإِنْسَانِ قَلْبُهُ وَلَهُ مَوَادُّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا . فَإِنْ سَخَّ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ . وَإِنْ هَاجَهُ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ . وَإِنْ مَلَكَهُ أَلْيَاسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ . وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ . وَإِنْ أَسْعَدَ بِالرِّضَا نَفْسِي اتَّخَفَظَ . وَإِنْ أَتَادُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ . وَإِنْ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْنُ اسْتَلَبَتْهُ الْغَرَّةُ . وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَّتْهُ الْجُرْعُ . وَإِنْ اسْتَهَادَ مَا لَا أَطْفَاهُ الْغَنَى . وَإِنْ عَصَتْهُ فَاقَةٌ بَلَغَ بِهِ الْبَلَاءُ . وَإِنْ جَاهَدَ بِهِ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ . وَإِنْ أَفْرَطَ فِي الشَّبَعِ كَطَّنَهُ الْبُطْنَةُ . فَكُلُّ تَضَعِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ قَاتِلٌ

٩٦ نَجْةٌ مِنْ وَصِيَةِ ابْنِ سَعِيدٍ الْمَغْرِبِيِّ لِابْنِهِ وَقَدْ ارَادَ السَّفَرَ

أَوْدِعَكَ الرَّحْمَانُ فِي غُرَّتِكَ مُرْتَقِبًا رُحْمَاهُ فِي أَوْتِكَ
فَلَا تُطِلْ حَبْلَ النَّوَى إِنِّي وَاللَّهِ أَشْتَقُّ إِلَى طَائِفِكَ
وَإِخْتَصِرِ التَّوْدِيْعَ أَخْذًا فَمَا لِي نَاطِرُ يَتَوَى عَلَى فُرْقَتِكَ
وَأَجْعَلْ وَصَاتِي نَضْبَ عَيْنٍ وَلَا تَبْرَحْ مَدَى الْإِيَّامِ مِنْ فِكْرَتِكَ
خُلَاصَةً الْعُمْرِ الَّتِي حَنَيْتُ فِي سَاعَةٍ زُفْتُ إِلَى فِطْنَتِكَ

الْعَدِيمِ وَعِنْدَ ذِي الْحَلَّةِ الْكَرِيمِ . وَالْمُعْسِرِ الْغَرِيمِ . وَالْمُسْتَضْمَفِ الْحَلِيمِ .
 قَالَ : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَقْتِ . قَالَ : الْفَقِيرُ الْخُسْفَالُ . وَالضَّعِيفُ
 الصَّوَالُ . وَالنَّبِيُّ الْقَوَالُ . قَالَ : فَمَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَنْعِ . قَالَ : الْجَرِيصُ
 الْكَانِدُ . وَالْمُسْتَمِيدُ الْحَاسِدُ . وَالْخَلْفُ الْوَاجِدُ . قَالَ : مَنْ أَجْدَرُ النَّاسِ
 بِالصَّيْعَةِ . قَالَ : مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ . وَإِذَا مُنِعَ عَذَرَ . وَإِذَا طُلِيَ
 صَبَرَ . وَإِذَا قَدِمَ الْعَهْدُ ذَكَرَ . قَالَ : مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ عِشْرَةً . قَالَ : مَنْ
 إِذَا قُرِبَ مَنَعَ . وَإِذَا ظَلَمَ صَفَحَ . وَإِنْ ضُوقَ سَمِعَ . قَالَ : مَنْ أَلَامُ
 النَّاسِ . قَالَ : مَنْ إِذَا سَأَلَ خَضَعَ . وَإِذَا سُئِلَ مَنَعَ . وَإِذَا مَلَكَ كَنَعَ .
 ظَاهِرُهُ جَشَعٌ . وَبَاطِنُهُ طَبَعٌ . قَالَ : فَمَنْ أَجَلُّ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ عَفَا إِذَا
 قَدَرَ . وَأَجَلُّ إِذَا انْتَصَرَ . وَلَمْ تُطْفِئْ عِزَّةَ الظَّفَرِ . قَالَ : فَمَنْ أَخْرَمَ النَّاسِ .
 قَالَ : مَنْ أَخَذَ رِقَابَ الْأَسْوَدِ بِيَدَيْهِ . وَجَعَلَ الْعَوَاقِبَ نُصَبَ عَيْنَيْهِ .
 وَنَبَذَ التَّهْيَبَ دُبُرَ أَذْنَيْهِ . قَالَ : فَمَنْ أَخْرَقَ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ رَكِبَ
 الْحِطَارَ . وَاعْتَسَفَ الْعِثَارَ . وَأَسْرَعَ فِي الْبِدَارِ قَبْلَ الْإِقْتِدَارِ . قَالَ : مَنْ
 أَجْوَدُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ بَذَلَ لِلْجُهْدِ . وَلَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَفْقُودِ . قَالَ : مَنْ
 أَبْلَغُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَلَّى الْمَعْنَى الْمَرْيَدَ بِالْأَفْظِ الْوَجِيزِ . وَطَبَّقَ الْمُنْصِلَ
 قَبْلَ التَّخْزِيرِ . قَالَ : مَنْ أَنْعَمَ النَّاسُ عَيْشًا . قَالَ : مَنْ تَحَلَّى بِالْعَفَافِ
 وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ . وَتَجَاوَزَ مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ . قَالَ : فَمَنْ أَشَقَى
 النَّاسِ . قَالَ : مَنْ جَسَدَ عَلَى النِّعَمِ . وَتَخَيَّرَ عَلَى الْقِسَمِ . وَأَسْتَشَمَرَ
 الدَّمَ عَلَى مَا نَحْتَمَ . قَالَ : مَنْ أَغْنَى النَّاسِ . قَالَ : مَنْ أَسْتَشَمَرَ

يَا بُنَيَّ الَّذِي لَا نَاصِحَ لَهُ مِثْلِي وَلَا مَنْصُوحَ لِي مِثْلُهُ . قَدْ قَدَّمْتُ
لَكَ فِي هَذَا الْقَظْمِ مَا إِنْ أَخْطَرَتْهُ نِجَاطُكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ رَجَوْتُ لَكَ
حُسْنَ الْعَاقِبَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَإِنْ أَخَفَّ مِنْهُ لِلْحِفْظِ وَأَعْلَقَ
بِالْفِكْرِ وَآخَقَ بِالتَّشْدِيدِ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

بَيْنَ الْغَرِيبِ إِذَا مَا اعْتَرَبَ : ثَلَاثُ فَمِنْهُمْ حُسْنُ الْأَدَبِ
وَالثَّانِيَةُ حُسْنُ أَخْلَاقِهِ وَالثَّلَاثَةُ اجْتِنَابُ الرِّيبِ
وَأَضَعُ يَا بُنَيَّ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ يَتِمُّ بِهِ النَّهْرُ وَسَامُ الْكَرَمِ وَالصَّبْرِ :
وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْأَدَابَا
إِذْ حُسْنُ الْخُلُقِ أَكْرَمُ نُزِيلٍ . وَالْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنْزِلٍ . وَلَكِنْ
كَأَنَّ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي أَدِيبٍ مُتَغَرَّبٍ : وَكَانَ كُلَّمَا طَرَأَ عَلَى مَلِكٍ
فَكَانَتْهُ مَعَهُ وَلَدٌ وَإِلَيْهِ قَصْدٌ . غَيْرُ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ . وَلَا مُنْكَرٍ شَيْئًا
مِنْ أَمْرِهِ . وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ أَخَذَ بِتَجَامِعِ هَوَاهُ فَاجْعَلِ
التَّكَلُّفَ لَهُ سُلَّةً وَهَبَّ فِي رَوْضِ أَخْلَاقِهِ هُبُوبَ النَّسِيمِ . وَحُلَّ بِطَرْفِهِ
حُلُولُ الْوَسْنِ وَأَنْزَلَ بِقَلْبِهِ نُزُولَ الْمَسْرَةِ حَتَّى يَتِمَّكَ الْكَ وَدَادُهُ .
وَيُخْلَصَ فِيكَ اعْتِقَادُهُ . وَطَهَرَ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانُكَ . وَأَعْلَقَ سَمْعَكَ
وَلَا تَرْخُصْ فِي جَانِبِهِ لِحُسُودٍ لَكَ مِنْهُ يُرِيدُ إِبْعَادَكَ عَنْهُ لِيَتَمَّتْهُ . أَوْ
حُسُودٍ لَهُ يَفَارُ لِيَجْمِلَهُ بِصُحْبَتِكَ . وَمَعَ هَذَا فَلَا تَتَرَبَّصْ بِطُولِ صُحْبَتِهِ وَلَا
تَتَمَدَّدْ بِدَوَامِ رِقْدَتِهِ . فَقَدْ يَنْبَغِيهِ الزَّمَانُ . وَيَتَغَيَّرُ مِنْهُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ .
وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَقْلَهُ مِيعَارًا وَكَانَ كَالْمِرْآةِ يَلْقَى كُلَّ وَجْهِ بِعِيَالِهِ .

فَلْتَجَارِبِ أُمُورَ إِذَا طَالَتْهَا تَشَحُّدُ مِنْ غَفْلَتِكَ
فَلَا تَنْمَ عَنْ وَعْيِهَا سَاعَةً فَإِنَّهَا عَوْنٌ إِلَى يَقْظَتِكَ
وَكُلُّ مَا كَاذَبَتْهُ فِي النَّوَى إِيَّاكَ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ هِمَّتِكَ
فَلَيْسَ يُدْرَى أَصْلُ ذِي غُرْبَةٍ وَإِنَّمَا تُعْرِفُ مِنْ شَيْئِكَ
وَأَمْسِ الْهُونَا مُظْهِرًا عِفَّةً وَأَبْنِ رِضَا الْأَعْيُنِ عَنْ هَيْبَتِكَ
وَأَنْطِقْ بِحَيْثُ أَلْمِي مُسْتَقْبَحٌ وَأَصْبَحْتَ بِحَيْثُ الْخَيْرِ فِي سَكِينَتِكَ
وَلِجْ عَلَى رِزْوَانٍ مِنْ بَابِهِ وَأَقْصِدْ لَهُ مَا عِشْتَ فِي بُكَرَتِكَ
وَوَفِّ كَلًّا حَقَّهُ وَلَتَكُنْ تَكْسِرُ عِنْدَ الْفَخْرِ مِنْ حَدَّتِكَ
وَحَيْثُمَا خِيمْتَ فَأَقْصِدْ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ تَرْجُوهُ فِي نُصْرَتِكَ
وَلِلرَّيَا وَثْبَةٌ مَا لَهَا إِلَّا الَّذِي تَذْخُرُ مِنْ عُدَّتِكَ
وَلَا تَقُلْ أَسْلَمَ لِي وَحْدَتِي فَقَدْ تَقَاسَى الدَّلَّ فِي وَحْدَتِكَ
وَأَلْتَرِمِ الْأَحْوَالَ وَزَنَا وَلَا تَرْجِعْ إِلَى مَا قَامَ فِي شَهْوَتِكَ
وَلَتَجْعَلَ الْعَقْلَ مَحْكَمًا وَخُذْ كَلًّا بَمَا يَظْهَرُ فِي نَفْسَتِكَ
وَأَعْتَبِرِ النَّاسَ بِالْقَاضِيَةِ وَأَصْحَبِ الْخَا بَدْعُ فِي صُحْبَتِكَ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نَفْسَهُ وَفَكَرُهُ وَقَفَّ عَلَى عَثْرَتِكَ
إِيَّاكَ أَنْ تَقْرُبَهُ إِنَّهُ عَوْنٌ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى كُرْبَتِكَ
وَأَنْتُمْ نُمُوًّا أَلْبَتَّ قَدْ زَارَهُ غِيبُ الدَّيِّ وَأَسْمُ إِلَى قُدْرَتِكَ
وَلَا تُضَيِّعْ زَمَانًا مِمَّا كُنَّا تَذْكَارُهُ يُذَكِّي لَطَى حَسْرَتِكَ
وَالشَّرُّ مَهْمَا أَسْطَفَتْ لَا تَأْتِيهِ فَإِنَّهُ حَوْرٌ عَلَى مُهْجَتِكَ

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِمِغْزِيَةٍ وَتَرَكْتَ عَارًا
وَأَحْرَصَ عَلَى مَا جَمَعَ قَوْلُ الْقَائِلِ : ثَلَاثَةٌ تُبْقِي لَكَ الْوُدَّ فِي
صَدْرِ أَخِيكَ . أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ وَتُوسِعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ
الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ . وَاحْذَرُ كُلَّ مَا بَيْنَهُ لَكَ الْقَائِلُ : كُلُّ مَا تَغْرِسُهُ تُجْنِيهِ
إِلَّا ابْنَ آدَمَ . فَإِذَا غَرَسْتَهُ يُقْلَمُكَ . وَقَوْلُ الْآخَرِ : ابْنُ آدَمَ ذِئْبٌ مَعَ
الضُّعْفِ أَسَدٌ مَعَ الْفُؤَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُثَبَّتَ عَلَى صُحْبَةِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ
تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ . (وَيُحْكِي) أَنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ خَطَبَ مِنَ الْحَلِيلِ صُحْبَتَهُ .
فَجَاوَبَهُ أَنَّ الصُّحْبَةَ رِقٌّ وَلَا أَضْعُرِّي فِي يَدَيْكَ حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ
مَلَكَتُكَ . وَاسْتَمَلَّ مِنْ عَيْنِ مَنْ تَعَاشَرَهُ وَتَقَدَّرَ فِي فَلَتَاتِ الْأَلْسُنِ
وَصَفَحَاتِ الْأَوْجِهَةِ . وَلَا يَحْمِلُكَ الْحَيَاءُ عَلَى السُّكُوتِ عَمَّا يَضُرُّكَ أَنْ لَا
تُبَيِّنَهُ . فَإِنَّ الْكَلَامَ سِلَاحُ السَّلَامِ . وَبِالْأَيْنِ يُعْرِفُ أَلَمُ الْجُرْحِ وَاجْعَلْ
لِكُلِّ أَمْرٍ أَخَذْتَ فِيهِ غَايَةً تَجْعَلُهَا نِهَايَةً لَكَ . وَأَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا
أَتَاكَ . مَنْ قَرَعَ عَيْنًا بِعَيْنِهِ نَفَعَهُ إِذَا الْأَفْكَارُ تَجَلَّبُ الْأَهْمُومَ . وَتَضَاعَفَ
الْغُمُومَ . وَمُلَازِمَةُ الْقُطُوبِ . غُنَوَانُ الْمَصَائِبِ وَالْخُطُوبِ . يَسْتَرِيبُ بِهِ
الصَّاحِبُ . وَيَشْتُمُ الْعَدُوُّ وَالْعُجَابُ . وَلَا تَضُرُّ بِالْوَسَاوِسِ إِلَّا نَفْسُكَ
لِأَنَّكَ تَضُرُّ بِهَا الدَّهْرَ عَلَيْكَ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

إِذَا مَا كُنْتَ لِلْآخِرَانِ عَوْنًا عَلَيْكَ مَعَ الزَّمَانِ قَمْنٌ تَلُومٌ
مَعَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْغَائِبَ الْحَزْنَ . وَلَا يَزْعُوِي بِطُولِ عَشِيِّكَ
الزَّمَنُ . وَلَقَدْ شَاهَدْتُ بِغَرْنَاطَةِ شَخْصًا قَدْ أَلْفَتَهُ الْأَهْمُومُ . وَعَشِيَّتُهُ

وَفِي أَمْثَالِ الْأَمَةِ : مَنْ سَبَقَكَ يَوْمَ فَقَدْ سَبَقَكَ بِعَقْلِ . فَأَخَذَ
بَأَمْثَلِهِ مِنْ جَرَب . وَاسْتَمَعَ إِلَى مَا خَلَدَ الْمَاضُونَ بَعْدَ جَهْدِهِمْ وَتَعَبِهِمْ مِنْ
الْأَقْوَالِ . فَإِنَّهَا خُلَاصَةٌ عُمْرِهِمْ وَزُبْدَةُ تِجَارَتِهِمْ . وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى
عَقْلِكَ فَإِنَّ النَّظَرَ فِي مَا تَعَبَ فِيهِ النَّاسُ طُولُ أَعْمَارِهِمْ وَابْتِغَاؤُهُ غَايَا
تِجَارَتِهِمْ يَرْجُحُكَ وَيَقَعُ عَلَيْكَ رَخِيصًا . وَإِنْ رَأَيْتَ مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَمُرُوءَةٌ
وَتَجَرِبَةٌ فَاسْتَفِدْ مِنْهُ وَلَا تُضَيِّعْ قَوْلَهُ وَلَا فِعْلَهُ . فَإِنَّ فِي مَا تَلْقَاهُ تَقِييماً
لِعَقْلِكَ وَحِثّاً لَكَ وَاهْتِدَاءً . وَلَيْسَ كُلُّ مَا تَسْمَعُ مِنْ أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ يَخْسُنُ
بِكَ أَنْ تَتَّبِعَهُ حَتَّى تَتَذَرَّهُ . فَإِنْ كَانَ مُوَافِقاً لِعَقْلِكَ مُضِلّاً لِحَالِكَ
فَرَاعِ ذَلِكَ عِنْدَكَ وَإِلَّا فَأَنْبِذْهُ نَبْذَ النَّوَاةِ . فَلَيْسَ لِكُلِّ أَحَدٍ يَتَّبِعُهُ
وَلَا كُلُّ شَخْصٍ يُكَلِّمُهُ . وَلَا الْجُودُ مِمَّا يُعْمَى بِهِ . وَلَا حُسْنُ الظَّنِّ رَطِيبُ
النَّفْسِ مِمَّا يُعَامَلُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

وَمَا لِي لَا أُؤْفَى الْبَرِيَّةَ قِسْطَهَا عَلَى قَدْرِ مَا يُعْطَى وَعَقْلِي مِيزَانُ
وَإِيَّاكَ أَنْ تُعْطِيَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِقَدَرٍ . فَلَا تُعَامِلِ الدُّونَ بِمُعَامَلَةِ
الْكُفُوِّ وَلَا الْكُفُوِّ بِمُعَامَلَةِ الْأَعْلَى . وَلَا تُضَيِّعْ عُمْرَكَ فِي مَنْ يُعَامِلُكَ
بِالْمَطَامِعِ وَيُشِيبُكَ عَلَى مُضْطَحَّةٍ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ بِنَايَةِ آخِلَةٍ . وَلَا تَتَجَفَّ
النَّاسَ بِالْجُمْلَةِ وَلَكِنْ يَكُونُ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يُلْحِقُ مِنْهُ مَلَلٌ وَلَا صَبْرٌ وَلَا
جَفَاءٌ . فَتَمَّتْ فَارَقْتُ أَحَدًا فَعَلَى حُسْنِي فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي
هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ فَلِذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ : وَلَمَّا مَضَى سَلَامٌ بِكَيْتُ
عَلَى سَلَامٍ . وَإِيَّاكَ وَالنِّيتَ الْمَاسِرَةَ :

لِنْ إِذَا مَا بَلَّغْتَ عِزًّا فَاتَّخُذُوا الْعِزَّ يَلِينُ
 إِذَا تَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ
 وَالْأَمْثَالُ تُضْرَبُ لِذِي اللَّبِّ الْحَكِيمِ . وَذُو الْبَصَرِ يَمْشِي عَلَى
 الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَالْفُطْنُ يَفْنَعُ بِالْقَلِيلِ وَيَسْتَدِلُّ بِالْيَسِيرِ . وَاللَّهُ
 سُبْحَانَهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ لَا رَبَّ سِوَاهُ . (ملخص عن المقرئ)

طرفة من وصية ابن طاهر لابنه

٩٧ أَمَا بَعْدُ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَدَهُ وَخَشْيَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ
 وَمُزَايَلَةِ سُخْطِهِ وَحِفْظِ رِعْيَتِكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَالزَّمْ مَا أَلْبَسَكَ
 مِنَ الْعَافِيَةِ بِالذِّكْرِ لِمَعَادِكَ وَمَا أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ وَمَوْقُوفٌ عَلَيْهِ
 وَمَسْئُولٌ عَنْهُ وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا يَنْصَحُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيُنْجِيكَ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِقَابِهِ وَالْإِيمَ عَذَابِهِ . فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدَ أَحْسَنَ
 إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ الرَّأْفَةَ بِمَنْ أَسْتَرْعَاكَ أَمْرَهُمْ مِنْ عِبَادِهِ .
 وَأَلْزَمَكَ الْعَدْلَ عَلَيْهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ فِيهِمْ . وَالذَّبَّ عَنْهُمْ
 وَالدَّفْعَ عَنْ حَرَمِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ . وَالْحَقْنَ لِدِمَائِهِمْ وَالْأَمْنَ أَسْبَابِهِمْ .
 وَإِخْطَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ . وَمُواخِذَكَ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكَ وَمَوْقِفَكَ عَلَيْهِ
 وَمُسَائِلَكَ عَنْهُ وَمُشِيبَكَ عَلَيْهِ بِمَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ . فَفَرِّغْ لَذَلِكَ
 فَهَمَّكَ وَعَثْلَكَ وَنَظْرَكَ وَلَا يَشْغَلْكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَأَنَّهُ رَأْسُ أَمْرِكَ
 وَمَلَاكَ شَأْنِكَ وَأَوَّلُ مَا يُوفَّقُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ لِرُشْدِكَ . وَلَكِنْ
 أَوَّلُ مَا تُزِمُ نَفْسَكَ وَتَتَسَبَّبُ إِلَيْهِ أَفْعَالُكَ الْمُوَاطَّئَةُ عَلَى مَا أَفْتَرَضَ .

الْغُومُ . وَمِنْ صِفَرِهِ إِلَى كِبَرِهِ لَا تَرَاهُ أَبَدًا خَلِيًّا مِنْ فِكْرَةٍ حَتَّى لَقَبَ
 بِصَدْرِ أَلْهَمِ . وَمِنْ أَعْجَبِ مَا رَأَيْتُهُ مِنْهُ أَنَّهُ يَتَنَكَّدُ فِي الشَّدَةِ وَلَا
 يَتَمَلَّلُ بَأَن يَكُونَ بَعْدَهَا فَرَجٌ وَيَتَنَكَّدُ فِي الرَّخَاءِ خَوْفًا مِنْ أَن لَا يَدُومَ
 (وَيُنْشِدُ) : تَوَقَّعْ زَوَالَ إِذَا قِيلَ تَمَّ . (وَيُنْشِدُ) : وَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ
 الْمَتَطَاوِلُ . وَلَهُ مِنَ الْحِكَايَاتِ فِي هَذَا الشَّانِ عَجَابٌ . وَمِثْلُ هَذَا عَمْرُهُ
 مَحْسُورٌ يَرُضِياعًا . وَمَتَى دَفَعَكَ الزَّمَانُ إِلَى قَوْمٍ يَذُمُّونَ مِنَ الدِّلَامِ مَا
 تُحْسِنُهُ حَسَدًا لَكَ وَقَصْدًا لِتَضْعِيفِ قُدْرِكَ عِنْدَكَ وَتَرْهِيدًا لَكَ فِيهِ
 فَلَا يَحْمِلُكَ ذَلِكَ عَلَى أَن تَرْهَدَ فِي عِلْمِكَ وَتَرْكُنَ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي
 مَدَّ حَوْهَ . فَتَكُونُ مِثْلَ الْغَرَابِ الَّذِي أَعْجَبَهُ مَشْيُ الْحَجَلَةِ فَرَامَ أَن يَتَعَلَّمَهُ
 فَصَعَبَ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَشْيِهِ فَاسْتَبَدَّ بِقِي مَخْبَلِ الْمَشْيِ كَمَا قِيلَ :
 إِنَّ الْغَرَابَ وَكَانَ يَمْشِي مَشْيَةً فِي مَاضِي مِنْ سَالِفِ الْأَجْيَالِ
 حَسَدَ الْقَطَا وَأَرَادَ يَمْشِي مَشْيَهَا فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْعُقَالِ
 فَأَضَلَّ مَشْيَتَهُ وَأَخْطَأَ مَشْيَهَا . فَلِذَاكَ كَنُوهُ أَبَا بَرْقَالٍ
 وَلَا يُفْسِدُ خَاطِرُكَ مِنْ جَعَلَ يَذُمُّ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ وَيَقُولُ : مَا بَقِيَ
 فِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ وَلَا فَاضِلٌ وَلَا مَسْكَنٌ يُرْتَاخُ فِيهِ . فَإِنَّ الَّذِينَ تَرَاهُمْ
 عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ أَكْثَرُ مَا يَكُونُونَ يَمْنَنُ صَحْبَهُ الْجُرْمَانُ . وَأَسْتَحَقَّتْ طَلَبَتُهُ
 لِلْهَوَانِ . وَأَبْرَمُوا عَلَى النَّاسِ بِالسُّؤَالِ فَمَثُوهُمْ وَعَجَزُوا عَنْ طَلَبِ الْأُمُورِ
 مِنْ وَجْهِهَا فَاسْتَرْاحُوا إِلَى الْوُقُوعِ فِي النَّاسِ . وَأَقَامُوا الْأَعْدَارَ
 لِأَنْفُسِهِمْ يَقْطَعُ أَسْبَابَهُمْ . وَلَا تُرَلِّ هَذَيْنِ الْيَسْتَيْنِ مِنْ فِكْرِكَ :

إِنَّمَا يَكْتَنِي بِالْقَلِيلِ مِنْ وَهْنِكَ وَيُدْخِلُ عَلَيْكَ مِنَ النِّعَمِ فِي سُوءِ
 الظَّنِّ مَا يُنِصِّصُكَ لَذَاذَةً عَيْنِكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تُجِدُ بِحُسْنِ الظَّنِّ قُوَّةً
 وَرَاجَةً وَتَكْتَنِي بِهِ مَا أُحِبُّتَ كِفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ وَتَدْعُو بِهِ النَّاسَ إِلَى
 حُبِّكَ وَالْإِسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ... وَتَقَرَّدُ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ تَقَرَّدُ
 مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُسْوُولٌ عَمَّا صَنَعَ وَحُجْزِيٌّ بِمَا أَحْسَنَ وَمَا خُوذُ بِمَا أَسَاءَ . فَإِنَّ
 اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا وَرَفَعَ مَنْ أَتْبَعَهُ وَعَزَّزَهُ . فَاسْلُكْ
 بَيْنَ تَسْوِسِهِ وَتَزَعَاةِ نَفْحِ الدِّينِ وَطَرِيقَةِ الْهُدَى . وَأَقِمْ حُدُودَ اللَّهِ
 فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا اسْتَحَقُّوه . وَلَا تُعْطِلْ ذَلِكَ
 وَلَا تَتَهَاوَنَ بِهِ . وَلَا تُؤَخِّرْ عُقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي تَقْرِيطِكَ فِي
 ذَلِكَ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ . وَأَعْتَزِّمْ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ
 بِالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَجَانِبِ الْبِدْعِ وَالشُّبُهَاتِ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ وَتَقُمْ
 لَكَ مَرْوَةُكَ . وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا فَفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ خَيْرًا
 فَأَتِمِّمْهُ وَأَقْبِلِ الْحَسَنَةَ وَأَدْفَعْ بِهَا وَأَغْمِضْ عَنْ عَيْبِ كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ
 رَعِيَّتِكَ وَأَسَدِّدْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ الْكُذْبِ وَالزُّورِ وَأَبْغِضْ أَهْلَهُ
 وَأَقْصِ النِّمِيَّةَ . فَإِنَّ أَوَّلَ فَسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَأَجَلِهَا تَقْرِيبُ
 الْكُذُوبِ لِأَنَّ الْكُذْبَ رَأْسُ الْمَاسِيهِ . وَالزُّورَ وَالنِّمِيَّةَ خَاتِمَتُهَا لِأَنَّ
 النِّمِيَّةَ لَا يَسْلَمُ صَاحِبُهَا . وَلَا يَسْتَمِمْ لِمُطِيعِهَا أَمْرٌ . وَأَحِبِّ أَهْلَ
 الصَّلَاحِ وَالصِّدْقِ وَأَعِنِ الْأَشْرَافَ بِالْحَقِّ . وَوَاسِ الضُّعَفَاءَ وَصِلِ
 الرِّجَمَ وَابْتَغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِعْزَازَ أَمْرِهِ . وَاتَّمِسْ فِيهِ

اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الصَّلَوَاتِ . وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِاسْتِخَارَةِ
 اللَّهِ وَتَقْوَاهُ . وَآثِرِ الْفَقْهَ وَأَهْلَهُ وَالِدِينَ وَحَمَاتِهِ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا تَزَيَّنَ بِهِ
 الْمَرْءُ الْفَقْهَ فِي الدِّينِ وَالطَّلَبُ لَهُ وَالْحَثُّ عَلَيْهِ . وَالْمَعْرِفَةُ بِمَا يُتَقَرَّبُ بِهِ
 إِلَى اللَّهِ . فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْقَائِدُ إِلَيْهِ وَالْأَمْرُ بِهِ وَالنَّاهِي
 عَنِ الْمَعَاصِي الْمَوْبِقَاتِ كُلِّهَا . وَمَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ يَزْدَادُ الْعَبْدُ مَعْرِفَةً لَهُ
 وَدَرَكًا لِلدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْمَعَادِ . مَعَ مَا فِي ظُهُورِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْفِيقِ
 لِأَمْرِكَ وَاهْتِبَةِ لِسُلْطَانِكَ وَالْأَنْسَةِ بِكَ وَالثِّقَةِ بِعَدْلِكَ . وَعَلَيْكَ
 بِالْإِقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا . فَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْيَنَ نَفْعًا وَلَا أَخْضَرَ أَمْنًا
 وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنْهُ . وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرُّشْدِ وَالرُّشْدُ دَلِيلٌ عَلَى
 التَّوْفِيقِ وَالتَّوْفِيقُ قَائِدٌ إِلَى السَّعَادَةِ وَقَوَامِ الدِّينِ وَالسُّنَنِ الْهَادِيَةِ
 بِالْإِقْتِصَادِ . فَآثَرُهُ فِي ذُنُوبِكَ كُلِّهَا وَلَا تُقَصِّرْ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَالْآجِرِ
 وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَمَعَالِمِ الرُّشْدِ . وَلَا غَايَةَ لِلِاسْتِكْفَانِ
 فِي الْبَرِّ وَالسَّعْيِ لَهُ . إِذَا كَانَ يُطَلَبُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضَاتُهُ وَمُرَاقَبَةُ
 أَوْلِيَائِهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا يُورِثُ الْعِزَّ
 وَيُحْصِنُ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَنَّهُ لَنْ تَحُوطَ نَفْسُكَ وَمَنْ يَلِيكَ وَلَا تَسْتَظِلَّ
 أُمُورُكَ بِأَفْضَلِ مِنْهُ . فَاتِهِ وَاهْتَدِ بِهِ تَتِمَّ أُمُورُكَ وَتَرِدَ مَقْدَرُكَ .
 وَتَصْلُحْ خَاصَّتُكَ وَعَامَّتُكَ . وَلَا تَتَّهِنَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا تُؤْلِيهِ مِنْ
 عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرُهُ فَإِنَّ إِيقَاعَ التُّهْمِ بِالْبِرِّاءِ وَالظُّنُونِ
 أَلْسِنَةُ بِهِمْ مَاثِمٌ . وَلَا يَجِدَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الشَّيْطَانُ فِي أَمْرِكَ مَغْمَزًا فَإِنَّهُ

وَأَيَّاكَ أَنْ تُنْسِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُوبَهَا أَهْلَ الْآخِرَةِ فَتَهَاوَنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ .
فَإِنَّ التَّهَاوُنَ يُورِثُ التَّقْرِيبَ وَالتَّقْرِيبَ يُورِثُ الْبَوَارَ . وَلَا تَحْزَنَنَّ ذُنُوبًا
وَلَا تَمْلِكَنَّ حَاسِدًا وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا . وَلَا تُدَاهِنَنَّ عَدُوًّا وَلَا تُصَدِّقَنَّ
نَافِيًا وَلَا تُؤْمِنَنَّ غَدَارًا . وَلَا تُؤْتِ تَيْنَ مَذْحًا وَلَا تَمُشِ مَرَحًا . وَلَا تُغْمِضَنَّ
عَنْ ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ أَوْ مُحَابَاةً وَلَا تَطْلُبَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا
وَأَعْلَمْ أَنَّكَ جُعِلْتَ بِوَلَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا . وَإِنَّمَا يُتَى
أَهْلُ عَمَلِكَ رِعِيَّتِكَ لِأَنَّكَ رَاعِيهِمْ وَقِيَمُهُمْ . تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أَنْطَوَكَ مِنْ
عَفْوِهِمْ وَمَقْدَرَتِهِمْ وَتُفْذُهُ فِي قَوَامِ أَمْرِهِمْ وَصَالِحِهِمْ وَتَتَوَقَّعُ أَوْدِيَهُمْ .
فَاسْتَعْمِلْ عَلَيْهِمْ ذَا الرِّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّجَرُّبَةِ وَالْخَبْرَةَ بِالْعَدْلِ وَالْعِلْمَ
بِالسِّيَاسَةِ وَالْعُفَافِ . وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْخُشُوقِ
الْأَلَزِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقَلَّدْتَ وَأَسْنَدَ إِلَيْكَ . وَلَا يَشْغَلُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَلَا
يَضْرِبُكَ عَنْهُ صَارِفٌ . فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقِفْتَ فِيهِ بِالْوَاجِبِ
اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ . وَحُسْنَ الْأَخْدُوتَةِ فِي عَمَلِكَ .
وَأَحْرَزْتَ بِهِ الْمَحَبَّةَ مِنْ رِعِيَّتِكَ وَأَعَنْتَ عَلَى الصَّلَاحِ . وَفَقَسْتَ الْعِمَارَةَ
بِنَاجِيَّتِكَ وَظَهَرَ الْخِصْبُ فِي كُورِكَ . وَكَثُرَ خَرَابُكَ وَتَوَقَّرَتْ أَمْوَالُكَ .
وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى ارْتِبَاطِ جُنْدِكَ وَإِرْضَاءِ الْعَامَّةِ بِإِقَاضَةِ الْمَطَاءِ
فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ . وَكُنْتَ مَحْمُودَ السِّيَاسَةِ مُرْضِيَّ الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ
عِنْدَ عَدُوِّكَ . وَكُنْتَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَآلَةً وَبِقُوَّةٍ وَعُدَّةٍ .
فَنَافِسٌ فِي ذَلِكَ وَلَا تَقْدِمُ عَلَيْهِ شَيْئًا تَحْمَدُ فِيهِ مَعْبَةَ أَمْرِكَ . وَاجْعَلْ

ثَوَابُهُ وَالْذَّارَ الْآخِرَةَ وَاجْتَنِبْ سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْجُورَ وَأَصْرِفْ عَنْهُمْ
 رَأْيَكَ . وَأَمْلِكْ نَفْسَكَ عَنِ الْغَضَبِ وَآثِرِ الْوَقَارَ وَالْجَلَمَ . وَإِيَّاكَ
 وَالْحِدَّةَ وَالطُّيْشَ وَالْعُرُورَ فِي مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ أَنَا
 مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ مَرِيعٌ إِلَى تَنْصَرُّ الرَّاْيِ وَقَوْلَةَ الْيَقِينِ
 بِاللَّهِ وَأَخْلَصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ النَّيَّةَ فِيهِ وَالْيَقِينَ بِهِ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْمَلِكَ لِلَّهِ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ . وَلَنْ تَجِدَ تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ
 وَحُلُولَ النِّعْمَةِ عَلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهُ عَلَى جَهْلَةِ النِّعْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ
 وَالْمُبْسُوطِ لَهُمْ فِي الدَّوْلَةِ إِذَا كَفَرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ . وَأَسْتَطَالُوا بِمَا
 آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ . وَدَعَّ عَنْكَ شَرَّ نَفْسِكَ . وَلَتَكُنْ ذَخَائِرُكَ وَكُنُوزُكَ
 آتِي تَذَخِيرُ وَتَكْثِيرُ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَالْمَعْدِلَةَ وَأَسْتِصْلَاحِ الرِّعْيَةِ وَعِمَارَةِ
 بِلَادِهِمْ وَالتَّفَقُّدِ لِمُورِهِمْ وَالْإِغَاثَةِ لِلْمُهِوْفِمْ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأَمْوَالَ إِذَا
 كَانَتْ فِي صَلَاحِ الرِّعْيَةِ وَإِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ وَكَفِّ الْمُوْنَةِ عَنْهُمْ تَمَّتْ
 وَزَكَتْ وَنَمَتْ وَصَلَحَتْ بِهَا الْعَامَّةُ وَتَرَيَتْ بِهَا الْوَلَاةُ وَطَلَبَ بِهَا الزَّمَانُ
 وَاعْتَقَدَ فِيهَا الْعَزَّ وَالْمَنْعَةُ . فَأَوْفِ رِعْيَتِكَ مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ وَتَمَهَّدْ مَا
 يُضِلُّجُ أُمُورَهُمْ . فَتَقَرَّ النِّعْمَةُ عَلَيْكَ وَاسْتَوْجِبَ الْمَزِيدَ مِنَ اللَّهِ وَكَذَتْ
 بِذَلِكَ عَلَى حِبَابَةِ خَرَاجِكَ وَجَمْعِ أَمْوَالِ رِعْيَتِكَ وَعَمَّاكَ أَقْدَرُ . وَكَانَ
 الْجَمِيعُ لِمَا شَاءَ لَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْكَنَ إِطَاعَتِكَ وَأَطِيبَ أَنْفُسًا
 يَكُلُّ مَا أَرَدَتْ . وَأَنْجِدْ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَّثَ لَكَ فِي هَذَا الْكَلْبِ
 وَتَعَظَّمْ خَشْيَتَكَ فِيهِ وَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْمَلِكِ مَا أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَةٍ إِلَيْكَ وَالْخُتْمَ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ بِطَلَبِ حَقِّهِ . فَسَلْ عَنْهُ أَحَقَّ مَسْأَلَةٍ وَوَكِّلْ بِأَمثَالِهِ أَهْلَ الصَّلَاحِ مِنْ رَعِيَّتِكَ . وَزُمْهُمْ بِرَفْعِ حَوَائِجِهِمْ وَحَالَاتِهِمْ إِلَيْكَ لِتَنْظُرَ فِيهَا بِمَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَهُمْ . وَتَعَاهِدَ ذَوِي الْبِأْسَاءِ وَيَتَامَهُمْ وَأَرَامِلَهُمْ وَأَجْعَلَ لَهُمْ أَرْزَاقًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَفْتَدَاءً بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ فِي الْعُظَمَاءِ عَلَيْهِمْ وَالصِّلَّةِ لَهُمْ . لِيُصْلِحَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَيْشَهُمْ وَيَرْزُقَكَ بِهِ بَرَكَهَ وَزِيَادَةَ وَأَجْرٍ لِلْأَضْرَاءِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . وَاعْرِفْ مَا تَجْمَعُ عُمَّاكَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَيَنْفَقُونَ مِنْهَا وَلَا تَجْمَعُ حَرَامًا وَلَا تُنْفِقَ إِسْرَافًا . وَكَثِّرْ مُجَاسَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمُشَاوَرَتَهُمْ وَمُخَالَطَتَهُمْ . وَلِيَكُنْ هَوَاكَ اتِّبَاعَ السُّنَنِ وَإِقَامَتَهَا وَإِيثَارَ مَكَارِمِ الْأُمُورِ وَمَعَالِيهَا . وَلِيَكُنْ أَكْرَمُ دُخْلَانِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ مَنْ إِذَا رَأَى عِيْبًا فِيكَ لَمْ تَمْنَعْهُ هَيْبَتِكَ عَنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرِّكَ وَإِعْلَانِكَ مَا فِيهِ مِنَ النِّقْصِ . فَإِنْ أَوْلَيْكَ أَنْ تَصْبِحَ أَوْلِيَاكَ وَمُظَاهِرُونَ لَكَ . وَانْظُرْ عُمَّاكَ الَّذِينَ بِحَضْرَتِكَ وَكُنْتَ بَكَ فَوْقَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتًا يَدْخُلُ فِيهِ عَلَيْكَ بِكُتُبِهِ وَمُؤَامَرَاتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ حَوَائِجِ عُمَّاكَ وَأُمُورِ كُورِكَ وَرَعِيَّتِكَ . ثُمَّ قَرِّعْ لِمَا يُورَدُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ وَفَهْمَكَ وَعَقْلَكَ . وَكَرِّرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالتَّدْبِيرَ لَهُ . فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحَزْمِ فَأَمُضِهِ . وَمَا كَانَ مُخَالَفًا لَكَ فَاصْرِفْهُ إِلَى التَّثَبُّتِ فِيهِ وَالْمَسْأَلَةِ عَنْهُ . وَلَا تَمْتَنَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفِ تَوْثِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ وَالِاسْتِقَامَةَ وَالْعَوْنَ فِي

فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَلِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ
 بِسِيرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ مُعَايِنٌ لِأُمُورِهِ
 كُلِّهَا . فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ فَأَنْظِرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ
 ذَلِكَ . فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ وَرَجَوْتَ فِيهِ حُسْنَ الدِّفَاعِ
 وَالصَّنْعِ فَأَمُضْ بِهِ . وَإِلَّا قَتَوَقَفْ عَنْهُ وَارْجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ .
 ثُمَّ خُذْ فِيهِ عِدَّتَهُ . فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ وَقَدْ
 أَتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَعْوَاهُ ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ . فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ
 أَهْلَكَهُ وَنَقِضَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ . فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ وَبَاشِرْهُ
 بِعَدْوَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ وَكَثِّرْ فِي اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ
 أُمُورِكَ . وَأَفْرِغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ لِنَدَاكَ وَكَثِّرْ مَبَاشِرَتَهُ
 بِنَفْسِكَ . فَإِنَّ لِلنَّدَى أُمُورًا وَحَوَادِثَ تُأْهِيكُ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي
 أَخَّرْتَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا أَخَّرْتَ عَمَلَهُ
 اجْتَمَعَ عَلَيْكَ أُمُورٌ يَوْمَيْنِ فَيُثْقِلُكَ ذَلِكَ حَتَّى تُعْرِضَ عَنْهُ . وَإِذَا
 أَمُضْتَ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ أَرَحْتَ نَفْسَكَ وَبَدَنَكَ وَأَحْكَمْتَ أُمُورَ
 سُلْطَانِكَ . وَأَنْظِرْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ مِنْهُمْ مَنْ تَسْتَعِينُ
 صَفَاهُ طَوِيلَتِهِمْ وَشَهِدَتْ مَوَدَّتُهُمْ لَكَ وَمُظَاهَرَتُهُمْ بِالنُّصْحِ وَالْمُخَالَطَةِ
 عَلَى أَمْرِكَ . فَاسْتَخْلِصْهُمْ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ . وَتَعَاهَدِ أَهْلَ الْبُيُوتَاتِ مِمَّنْ
 قَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَاجَةُ فَاحْتَمِلْ مَوْتَهُمْ وَأَصْلِحْ حَالَهُمْ حَتَّى لَا
 يَجِدُوا لِلْحَلَّتِيهِمْ مَسَاءً . وَأَفْرِدْ نَفْسَكَ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ

حَسَنٌ قَوْلٌ نَعَمٌ مِنْ بَعْدِ لَا وَبِئْسَ قَوْلٌ لَا بَعْدَ نَعَمٍ
 إِنَّ لَا بَعْدَ نَعَمٍ فَاحْشَهِ فَيَلَا فَا بَدَأَ إِذَا خِفْتَ الدَّمَ
 وَإِذَا قُلْتَ نَعَمٌ فَاصْبِرْ لَهَا يُنْجِزُ الْوَعْدَ إِنَّ الْخَلْفَ دَمٌ
 أَكْرَمُ الْجَارِ وَرَاعِي حَقِّهِ إِنَّ عِرْقَانِ أَلْقَى الْحَقُّ كَرَمٌ
 إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَمْدُحُنِي حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غِبْتُ شَتَمَ
 ١٠٠ . قَالَ زَيْدُ بْنُ الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ يَعْظُمُ أَتَاهُ بَدْرًا :

يَا بَدْرُ وَالْأَمْثَالُ يَضْرِبُهَا الَّذِي أَلْبَسَ الْحَكِيمُ
 دُمٌ لِلْخَلِيلِ بُوْدُهُ مَا خَيْرُ وَدٍّ لَا يَدُومُ
 وَاعْرِفْ لِمَارِكَ حَقَّهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ
 وَاعْلَمْ أَنَّ الضَّيْفَ يَوْمٌ مَا سَوْفَ يُحْمَدُ أَوْ يُلُومُ
 وَالنَّاسُ مُبْتَلِيَانِ نَحْمُودُ النِّيَاةَ أَوْ ذَمِّمُ
 وَاعْلَمْ بَنِي فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ
 أَنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهْجِي لَهُ الْعَظِيمُ
 وَالتَّبَلُّ مِثْلُ الدِّينِ تُقْضَاهُ وَقَدْ يُلَوِّى الْغَرِيمُ
 وَالتَّبِي يَضْرَعُ أَهْلُهُ وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
 وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ الْبَعِيدُ أَخَا وَيَقْطَعُكَ الْحَيَمُ
 وَالْمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْفَنَى وَيَهَانُ لِلْعَدَمِ الْعَدِيمُ
 قَدْ يُقْتَرُ الْحَوْلُ الَّذِي وَيُكْثَرُ الْجَمْعُ الْأَثِيمُ
 يَمَلَا لِذَاكَ وَيُنْتَلَى هَذَا فَأَيُّهُمَا الْمُضِيمُ

أُمُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَا تَضَعَنَّ الْمُرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ . وَتَتَقَهَّمْ كِتَابِي
إِلَيْكَ وَاتَّكِرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالْعَمَلَ بِهِ . وَلَكِنْ أَعْظَمُ سِيرَتِكَ وَأَفْضَلُ
رَغْبَتِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ رِضَى وَلِدِينِهِ نِظَامًا وَلِأَهْلِهِ عِزًّا وَتَمَكِينًا وَلِلذِمَّةِ
وَالْعَمَلَةِ عَدْلًا وَصَلَاحًا . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحْسِنَ عَوْنَكَ وَتَوْفِيقَكَ
وَرُشْدَكَ وَكَوَلَاءَتَكَ . وَالسَّلَامُ . (لابن الاثير)

وصية محمد الدكدي لابنه

٩٨

زُرْ وَالِدَيْكَ وَقِفْ عَلَى قَبْرَيْهِمَا فَكَأَنِّي بِكَ قَدْ نِقَلْتُ إِلَيْهِمَا
لَوْ كُنْتُ حَيْثُ هُمَا وَكَأَنَا بِالْبَقَا زَارَاكَ حَبْوًا لَا عَلَى قَدَمَيْهِمَا
مَا كَانَ ذَنْبُهُمَا إِلَيْكَ فَطَالَمَا مَنَحَاكَ نَفْسُ الْوَدِّ مِنْ نَفْسَيْهِمَا
كَأَنَا إِذَا مَا أَبْصَرَا بِكَ عِلَّةً جَزَعَا لِمَا تَشْكُو وَشَقَّ عَلَيْهِمَا
كَأَنَا إِذَا سَمِعَا أَيْنَكَ أَسْبَلَا دَمَعِيهِمَا أَسْفَا عَلَى حَدِيثَيْهِمَا
وَتَمَنَّا لَوْ صَادَفَا بِكَ رَاحَةً بِجَمِيعِ مَا يَخْوِيهِ مُلْكُ يَدَيْهِمَا
فَلَسَيْتَ حَتْمًا عَشِيَّةً أَسْكَنَا دَارَ الْبَقَا وَسَكَنْتَ فِي دَارَيْهِمَا
فَلَتَحَقَّقْهُمَا غَدًا أَوْ بَعْدَهُ حَتْمًا كَمَا لَحِقَا هُمَا أَبُوَيْهِمَا
وَلَتَتَدَمَّنَّ عَلَى فِعَالِكَ مِثْلَ مَا نَدِمَا هُمَا قَدَمًا عَلَى فِعْلَيْهِمَا
بُشْرَاكَ لَوْ قَدَمْتَ فِعْلًا صَالِحًا وَقَضَيْتَ بَعْضَ الْحَقِّ مِنْ حَقَّيْهِمَا
فَأَحْفَظْ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي وَأَعْمَلْ بِهَا فَمَسَى تَنَالُ الْقَوْرَ مِنْ رَبَّيْهِمَا

٩٩ من شعر المُنْتَبِ الْعَبْدِيِّ :

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تَرُدْ أَنْ تُتِمَّ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ

مَنْ تَنَاسَى ذُنُوبَهُ قَتَلَهُ وَأَبَانَتْ عَنْهُ الْوَلِيَّ الْحَمِيمَا
ذِكْرُكَ الذَّنْبَ نَفَرَةٌ عَنْهُ تُبْقِي لَكَ إِنكَارَ فِعْلِهِ مُسْتَدِيمَا

لَيْسَ التَّفَضُّلُ يَا أَخِي أَنْ تُحْسِنَا لِأَخٍ يُجَازِي بِالْجَمِيلِ مِنَ الشَّانَا
إِنَّ التَّفَضُّلَ أَنْ تُجَازِيَ مِنْ أَسَا. لَكَ بِالْجَمِيلِ وَأَنْتَ عَنْهُ فِي غَنَى
مِنْ عَيْنِي الْمَرْءُ يَبْدُو مَا يُكْتَمُهُ حَتَّى يَكُونَ الَّذِي يَرَعَاهُ يَفْهَمُهُ
مَا يُضْمِرُ الْمَرْءُ يَبْدُو مِنْ شَمَائِلِهِ لِنَاطِرٍ فِيهِ يَهْدِيهِ تَوْسَمُهُ

تَعْظِيمُكَ النَّاسَ تَعْظِيمُ لِنَفْسِكَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ طُرًّا وَالْأَوْدَاءِ
مَنْ عَظَّمَ النَّاسَ يَعْظُمُ فِي النُّفُوسِ بِلَا مَوُونَةٍ وَيَنْلِ عِزًّا الْأَعِزَّاءِ

وَمُسْتَشْفَعٌ مِنْ أَخٍ حَاطَةً وَفِيهِ مَعَايِبُ تُسْتَرْدَلُ
كَأَعْمَى يَخَافُ عَلَى أَعْوَرٍ عِثَارًا وَعَنْ نَفْسِهِ يَفْعَلُ

خُذِ الْأُمُورَ رَفْقًا وَاتَّبِعْ أَبَدًا إِيَّاكَ مِنْ عَجَلٍ يَدْعُو إِلَى وَصَبِ
الرِّفْقُ أَحْسَنُ مَا تُؤْتِي الْأُمُورُ بِهِ يُصِيبُ ذُو الرِّفْقِ أَوْ يَجُودُ مِنَ الْعَطَبِ

إِنَّ الْمُسِيءَ إِذَا جَارَتْ بِهِ أَبَدًا يَفْعَلُهُ زِدَّتْهُ فِي غَيْهِ شَطَطًا
الْعَفْوُ أَحْسَنُ مَا يُجْزَى الْمُسِيءَ بِهِ يَهِينُهُ أَوْ يُرِيهِ أَنَّهُ سَقَطًا

سَرِيرَةُ الْمَرْءِ تُبْدِيهَا شَمَائِلُهُ حَتَّى يَرَى النَّاسُ مَا يُخْفِيهِ إِعْلَانًا
فَاجْعَلْ سَرِيرَتَكَ التَّقْوَى تَرَى أَمَلًا فِي كُلِّ مَا أَنْتَ تَنْغِيهِ وَبُرْهَانًا

وَالْمَرْءُ يَجْنُلُ فِي الْحَقُّو قِ وَلِلْكَالَةِ مَا يُسِمُ
مَا يُجْنَلُ مَنْ هُوَ لِلْمَوْنِ وَرَدَّيْهَا غَرَضُ رَجِيمِ
وَبَرَى الْقُرُونِ أَمَامَهُ هَمْدُوا كَمَا هَمَدَ الْمَشِيمِ
وَتَحَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا بُؤْسُ يَدُومُ وَلَا نَعِيمِ

نخبة من حكم أبي عثمان بن ليون التيجي

١٠١

زَاحِمٌ أُولَى الْعِلْمِ حَتَّى تَعَدَّ مِنْهُمْ حَقِيقَةً
وَلَا يَرُدُّكَ عَجْزُ عَنْ أَخْذِ أَعْلَى طَرِيقَةٍ
فَإِنَّ مَنْ جَدَّ يُعْطَى فِيمَا يُحِبُّ لِحُوقِهِ

الْدَّرْسُ رَأْسُ الْعِلْمِ فَأَحْرِصْ عَلَيْهِ فَكُلُّ ذِي عِلْمٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ
مَنْ ضَيَّعَ الدَّرْسَ بَرَى هَازِيًا عِنْدَ أَعْتَبَارِ النَّاسِ مَا فِي يَدَيْهِ
فَعِزَّةُ الْعَالَمِ مِنْ حِفْظِهِ كَعِزَّةُ الْمُتَّقِ فِي مَا عَلَيْهِ

ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ لَا حَالَةَ هَوَى نَفْسٍ يَقُودُ إِلَى الْبَطَالَةِ
وَشُحٌّ لَا يَزَالُ يُطَاعُ دَابَا وَغُبٌ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ حَالَةٍ

أَخْوَكُ الَّذِي يَحْمِيكَ فِي الْغَيْبِ جَاهِدَا وَيَسْتُرُ مَا تَأْتِي مِنَ السُّوءِ وَأَنْفُجِ
وَيَنْشُرُ مَا يَرْضِيكَ فِي النَّاسِ مُعَلِّنَا وَيُنْصِي وَلَا يَأْلُو مِنَ الْبِرِّ وَالنُّصْحِ

حَبِيبُكَ مَنْ يَبَارُ إِذَا رَلْنَا وَيُعَظُّ فِي الْكَلَامِ مَتَى أَسَاتَا
يُسْرُ إِنْ أَتَصَفْتَ بِكُلِّ فَضْلٍ وَيَحْزَنُ إِنْ نَمَضْتَ أَوْ أَتَقَضَّصَا
وَمَنْ لَا يَكْتَرِثُ بِكَ لَا يُبَالِي أَحَدٌ عَنِ الصَّوَابِ أَمْ أَعْتَدَلْنَا

تَكَثَّرَتْ بِالْأَمْوَالِ جَهْلًا وَإِنَّمَا
فَأَنْتَ عَلَيْهَا خَائِفٌ غَضَبٍ غَاصِبٍ
إِذَا نَامَتْ الْأَجْفَانُ بِتِ مُكَابِدًا
فَهَلَّا أَقْنَيْتِ الْبَاقِيَاتِ الَّتِي لَهَا
فَضَائِلُ نَفْسَانِيَّةٍ لَيْسَ يَهْتَدِي
هِيَ إِلَيْهِمْ وَالتَّقْوَى هِيَ الْبَأْسُ وَالْحُجَى

وَلِلْبَرِّ أَضْدَادٌ يَرْمُونَ قَسْرَهُ
فَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ جَفَاءُ شِرَارُهُمْ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْهُمْ عَلَى حَالَةٍ بُدْ
وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَالْخِيَارُ لَهُ ضِدُّ

مَنْ صَادَمَ الدَّهْرَ مُغْتَرًّا بِقُوَّتِهِ
وَمَنْ يُبِجِ قِرْنَاءَ السُّوءِ عَشْرَتُهُ
كَمْ مِنْ وُجُودٍ إِذَا اسْتُوْضِخَتْ صُورَتُهُ
وَكُلُّ ذِي شَرَفٍ لَوْلَا خِصَائِصُهُ
فَأَحْكُمْ عَلَيْهِ بَانَ الدَّهْرُ قَدْ صَدَمَهُ
يَكُنْ قِصَارَاهُ مِنْ إِيْنَابِهِمْ نَدَمَهُ
رَأَيْتَ أَشْرَفَ مِنْ مُحْصُولِهِ عَدَدَهُ
مِنْ الْقَضَائِلِ سَاوَى رَأْسُهُ قَدَمَهُ

نخبة من الراجيز الشيخ السابري

١٠٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْقَاهِرِ
مُدِيرِ الْخَلْقِ وَمُنْشِي الرِّزْقِ
هَذَا كِتَابُ جَامِعِ الْأَدَابِ
حَبْرَتُهُ يَنْتَظِقُ نَحِيرًا
أَوْدَعَتْهُ حَمَائِنُ الْمَذَاهِبِ
الْوَحِيدِ الْقَرْدِ الْمَلِكِ الْقَادِرِ
ذِي الْمَنْ وَالطَّوْلِ إِلَهُ الْخَلْقِ
مُفَصَّلُ مُنْتَظَمِ الْأَبْوَابِ
لَمْ أَلْ فِيهِ أَنْتَضَعَ وَالتَّيْسِيرَ
فِي الرِّأْيِ وَالْعَقْلِ وَفِي التَّجَارِبِ

تَبَّتْ بِالْأُمُورِ وَلَا تُبَادِرْ لَشَيْءٍ دُونَ مَا نَظَرِ وَفَكِّرْ
قَبِيحٌ أَنْ تُبَادِرَ ثُمَّ تُنْخَطِ وَتَرْجِعَ لِاتَّبَتِ دُونَ عَذْرِ

نُجْبَةٌ مِنْ حُكْمِ ارْدَدِهَا الْبَسْتِي فِي دِيَوَانِهِ

١٠٢

يَا مَنْ يُسَامِي الْعُلَى عَفَّوًا بِلا تَعَبٍ هَيْهَاتَ نَيْلِ الْعُلَى عَفَّوًا بِلا تَعَبٍ
عَلَيْكَ بِالْجِدِّ إِنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا حَوَى نَصِيبَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ مَا نَصَبَ

الْحُرِّ فِي التَّحْقِيقِ مُعْتَقُ ذَاتِهِ مِنْ رِقِّ شَهْوَتِهِ وَمِنْ عَقْلَاتِهِ
وَمَنْ أَقْتَنَى مَا لَيْسَ يُمْكِنُ غَضَبُهُ مِنْهُ وَوَقَّرَ جَاهِدًا حَسَنَاتِهِ
فَأَصْحَى لَوْعْظِي وَأَنْتَمَعُ بِنَصَائِحِي وَابْجُلْ بِبَاقِي الْعُمُرِ قَبْلَ فَوَاتِهِ
وَأَمْتُ بِجُهْدِكَ قُوَّةَ الْغَضَبِ الَّذِي تَحْيَا الْبَصِيرَةُ وَالَّتِي بِحَيَاتِهِ
وَعَالِيكَ بِالْعَدْلِ الَّذِي هُوَ لَقْتِي إِنْ عُدَّتِ الْأَوْصَافُ خَيْرُ صِفَاتِهِ
وَأَعْلَمُ بِأَنْ مَرَارَةَ الْعَيْشِ الَّذِي يَأْتِي الْآخِرُ فِي الْخَوْفِ مِنْ بَغَاتِهِ
وَالْمَرَّةُ لَيْسَ يَخَافُ مِنْ رَكَضَاتِهِ إِلَّا لَوْهَنْ دَبَّ فِي عَزَمَاتِهِ
أَنِّي يَخَافُ الْمَوْتَ حَيُّ عَالَمٍ يَعْتَدُّهُ فَضْلًا مُقَوِّمَ ذَاتِهِ
لَأَسِيًّا وَوَرَاءَ ذَلِكَ لِقَتِي عَيْشُ رَخَاءِ الْعَيْشِ فِي لَذَاتِهِ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ فَنَاءَهُ مِنْ مَوْتِهِ فَأَعْلَمُ بِأَنْ فَنَاءَهُ بِحَيَاتِهِ

قُلْ لِلْفَقِيهِ مَقَالًا لَيْسَ يَدْعُمُ مِنْ حُلُولِ الْعِتَابِ وَمُرُ الْغَيْبِ تَمْزِيجًا
إِذَا فَطِنْتَ أَمْرًا عَنْ عَادَةٍ قَدِمْتَ فَأَجْمِلْ لَهُ يَا عَقِيدَ الْفَضْلِ تَذَرِيحًا
وَلَا تُعِنِفْ إِذَا قَوَّمتَ ذَا عِوَجٍ فَرُبَّمَا أَغْصَبَ التَّوْمِيمُ تَعْوِيحًا

مَنْ جَالَسَ الْأَعْدَاءَ وَالْحُسَادَا لَمْ يَعْدَمْ الْخَبَالَ وَالنَّسَادَا
 وَوَحْدَةُ الْمَرْءِ بِلَا أَنْيْسٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ سَيِّئِ الْجَلِيْسِ
 نَاصِحٌ أَخَاكَ فِي الْمَلَمَاتِ الْخَيْرُ وَكُنْ إِذَا نَاصَحْتَهُ عَلَى حَذَرٍ
 إِذَا لَقِيتَ النَّاسَ بِالنَّصِيحَةِ فَوَطِنِ النَّفْسَ عَلَى الْقَضِيحَةِ
 مَنْ صَدَقَ الصَّاحِبَ وَالرَّفِيقَا لَمْ يَدْعُ الصِّدْقَ لَهُ صَدِيقَا
 مَنْ سَلَكَ الْقَصْدَ إِذَا مَا سَارَا فِي كُلِّ وَجْهِ أَمِنَ الْعِشَارَا

الصمت وحفظ اللسان

١٠٥

الْصَّمْتُ لِلْمَرْءِ حَلِيفُ السَّلَامِ وَشَاهِدٌ لَهُ بِفَضْلِ الْحُكْمِ
 وَحَارِسٌ مِنْ زَلَلِ اللِّسَانِ فِي الْقَوْلِ إِنْ عَيَّ عَنِ الْبَيَانِ
 فَعُذْ بِهِ مُعْتَصِمًا مِنَ الْخَطَا أَوْسَقَطُ يُفْرِطُ فِي مَا فَرَطَا
 إِنَّ السُّكُوتَ يُعْقِبُ السَّلَامَةَ قَرَبٌ قَوْلٍ يُورِثُ النَّدَامَةَ
 إِسْتَبْدَلْ الْخِيفَةَ مِنْ أَمَانِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَحْذَرُ مِنْ لِسَانِهِ
 يَظَلُّ مَكْرُوبًا طَوِيلًا سَقَمُهُ مَنْ لَا يَذُمُّ قَوْلُهُ وَيَخْطِئُهُ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ لِسَانُهُ مِنْ هَمِّهِ يَفْرَحُ بِهِ وَيَسْتَرْخِ مِنْ غَمِّهِ
 مِنْ أَحْمَدِ الْأَشْيَاءِ فِي الْإِنْسَانِ زِيَادَةُ الْعَقْلِ عَلَى اللِّسَانِ
 إِسْرَافُ ذِي الْإِطْطَابِ فِي الْمَقَالِ أَضَرُّ مِنْ إِسْرَافِهِ فِي الْمَالِ
 لَا شَيْءَ مِنْ جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ أَحَقُّ بِالسَّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ
 إِنَّ اللِّسَانَ سَبْعُ عَشْرَ إِنْ لَمْ يَسْبِهِ الرَّأْيُ وَالتَّذْوِيرُ
 لَا تُطْلَقَنَّ الْقَوْلُ فِي غَيْرِ بَصَرٍ إِنَّ اللِّسَانَ غَيْرُ مَأْمُونٍ الْفُرْزُ

وَكُلَّ قَوْلٍ حَسَنٍ مُنْتَقَبٍ يُؤْتَرُ عَنْ أَهْلِ الْحُجَى وَالْأَدَبِ
وَمَا أَتَى مِنْ مَثَلٍ مَضْرُوبٍ مُسْتَمْلَحٍ مُسْتَطَرَفٍ غَرِيبٍ
يَزْدَادُ ذُو الْعِلْمِ إِذَا رَوَاهُ عِلْمًا إِلَى عَمُودٍ مَا أَنْشَاهُ
وَيُنْجِيهِمُ الْمَغْلُ الْمَغْمُورَا حَتَّى تَرَاهُ أَرَبًا فَنَحْرِدَا
وَالْمَرْءُ لَنْ يَسْتَكْمَلَ الْأَدَابَا وَلَوْ يَعِيشُ سَالِمًا أَحْقَابَا
لَسِنَّهُ يَزْدَادُ فِي الْأَيَّامِ عِلْمًا بِنُصْرِ الْأَمْرِ وَالْإِبْرَامِ
وَإِنَّهُ يَزْدَادُ يَوْمًا يَوْمًا فِي دَهْرِهِ تَجَرِبَةً وَعِلْمًا

التجارب

١٠٤

وَأَفْطَنَ لَصَرَفِ الدَّهْرِ وَالتَّجَارِبِ فَإِنَّهُ لَا عِلْمَ كَالْتَّجَارِبِ
كَفَاكَ مَنْ عَاشَرَ مِنْ إِخْوَانٍ مَعْرِفَةً بِصُورَةِ الزَّمَانِ
لَا تَحْمَدُنْ قَبْلَ اخْتِبَارِ أَحَدَا يُجْلِبُ مِنْ بَرَقِهِ إِذَا بَدَا
قُرْبًا أَخْلَقَكَ الطَّرِيدُ بِلَامِعٍ أَنْتَ بِهِ غَرِيدُ
إِنْ خِفْتَ مِنْ عَاقِبَةِ النَّدَامَةِ فَارْضَ مِنَ النَّوَالِ بِالسَّلَامَةِ
نَدَامَةُ الْمَرْءِ عَلَى التَّقْصِيرِ أَيْسَرُ مِنْ نَدَامَةِ التَّعْزِيرِ
وَطَابُ الْفَضْلِ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَذِي غَلِيلٍ شَرِيقِ بَاءِ
وَأَتَهَرِزِ الْفُرْصَةَ إِمَّا مَرَّتْ قُرْبًا طَلَبَهَا فَفَرَّتْ
وَالْأَمْرُ إِنْ أَعْيَا عَلَيْكَ مِنْ عَلٍ فَاطْلُبْهُ قَبْلَ قُوْتِهِ مِنْ أَسْفَلِ
مَنْ لَمْ يَعْطِ الدَّهْرُ بِالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَظِ يَوْمًا يَقُولُ صَاحِبِ
رُبَّ رَحَا دَارَتْ بَيْنَ يَدَيْهَا تَطْحَنُ فِي الْحُرُوبِ مُرَكَّبَهَا

كَمْ عَاجِزٍ فِي النَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ
فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالْزِمْهَا تَفُزْ
وَأَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَمَلْ مِنْهُ الرِّضَا
وَأَزِعْ الْأَمَانَةَ وَالْحَيَاةَ فَاجْتَنِبْ
وَأَحْذَرْ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَاحِبًا
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَقَارِبِ كُلِّهِمْ
وَإِذَا بُلِيتَ بِنَكْصَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا
وَإِذَا أَصَابَكَ فِي زَمَانِكَ شِدَّةٌ
فَادْعُ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَذْنَى لِمَنْ
وَأَحْذَرْ مُوَاخَاةَ الدَّيِّ لِأَنَّهُ
وَاحْتَرِ صَدِيقَكَ وَأَصْطَفِيهِ تَفَاحُراً
وَدَعْ الْكَذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا
وَذَرِ الْحُمُودَ وَلَوْ صَفَا لَكَ مَرَّةً
إِنَّ الْحُمُودَ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
وَأَحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ
وَزِنْ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ
وَالسِّرَّ فَانْكُتْمُهُ وَلَا تَنْطِقْ بِهِ
وَأَحْرِصْ عَلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ مِنَ الْأَذَى
إِنَّ الْمُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَ وَدَّهَا
رَعْدًا وَيُحْرَمُ كَيْسٌ وَيُحِبُّ
إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ الْبُعِي الْأَهِيْبُ
إِنَّ الْمَطِيحَ لِرَبِّهِ لِمُقَرَّبُ
وَأَعْدِلْ وَلَا تَظْلِمَ يَطِبُ لَكَ مَكْسَبُ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ دُعَاءَهُ لَا يُجِبُ
بِتَذَلٍّ وَاسْمَعْ لَهُمْ إِنْ أَذْنَبُوا
مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسْلِمًا لَا يُنْكِبُ
أَوْ نَالَكَ الْخُطْبُ الْكُرْهِ الْأَصْعَبُ
يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
يُعْذِي كَمَا يُعْذِي الصَّحِيحُ الْأَجْرَبُ
إِنَّ الْقَرِينَ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ
إِنَّ الْكَذُوبَ يَشِينُ حُرًّا يَضْحَبُ
وَأَبْعَدُهُ عَنْ رُؤْيَاكَ لَا يُسْتَجَلْبُ
فَالْحَقْدُ بَاقٍ فِي الصُّدُورِ مُغِيبُ
فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطِبُ
ثُرَاةً فِي كُلِّ نَادٍ تُخْطَبُ
فَهُوَ الْأَسِيرُ لَدَيْكَ إِذَا لَا يَنْشَبُ
فَرُجُوعُهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ يَضْعَبُ
شِبْهُ الزَّجَاجَةِ كَسَرُهَا لَا يُشْعَبُ

وَكَذَلِكَ وَضَلُ الْغَايَاتِ فَإِنَّهُ
قَدَحَ الصَّبَا فَلَقَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُ
ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ
دَعَا عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ فِي زَمَنِ الصَّبَا
وَأَخْشَ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ
وَاللَّيْلِ فَاعْلَمْ وَالنَّهَارِ كِلَاهُمَا
لَمْ يَنْسَهُ الْمَلَكُ أَنْ هِيَ نَسِيَتُهُ
وَالرُّوحُ فِيكَ وَدَيْعُهُ أُوْدِعَتْهَا
وَعُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا
وَجَمِيعُ مَا حَصَلَتْهُ وَجَمَعَتْهُ
تَبَا لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
فَأَسْمَعَ هُدَيْتَ نَصَائِحًا أَوَّلَاكُمَا
أَهْدَى النَّصِيحَةِ فَاتَّعَظَ بِمَقَالِهِ
لَا تَأْمَنُ الدَّهْرَ الْحَوُونَ لِأَنَّهُ
وَعَوَاقِبُ الْأَيَّامِ فِي غُصَاتِهَا
وَيَفُورُ بِالْمَالِ الْحَقِيرِ مَكَانُهُ
وَيُبْشِرُ بِالترجيبِ عِنْدَ قُدُومِهِ
فَاقْنَعْ فِي بَعْضِ الْقَنَاعَةِ رَاحَةً
لَا تَحْرِصَنَّ فَالْحِرْصُ لَيْسَ بِزَائِدٍ
وَبَلَقَعَهُ وَرَقُ الْبَلَقَعَةِ وَرَقُ حُلْبٍ
وَأَزْهَدُ قَعْرُكَ مَرٍّ مِنْهُ الْأَطْيَبُ
وَأَتَى الْمَشِيبُ فَأَيْنَ مِنْهُ الْهَرَبُ
وَأَذْكُرُ ذُنُوبَكَ وَأَبْكِيهَا يَا مُذْنِبُ
لَا بُدَّ يُخْصَى مَا جَنَيْتَ وَيُكْتَبُ
أَنْفَاسُنَا بِهَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ
بَلْ أَتَيْتَاهُ وَأَنْتَ لَا إِلَهَ تَلْعَبُ
سَرَدُّهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسَلَّبُ
دَارُ حَقِيقَتِهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يَنْهَبُ
وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرَبُ
بُرْ نَصُوحُ لِلْأَنَامِ تَجَرَّبُ
فَهُوَ التَّقِيُّ اللُّوْذِيُّ الْأَذْرَبُ
مَا زَالَ قِدَمًا لِلرِّجَالِ يُؤَدَّبُ
مَضَضٌ يَذِلُّ لَهُ الْأَعْزُ الْأَنْجَبُ
فَتَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْغَبُ
وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيُقَرَّبُ
وَلَقَدْ كَسَى ثَوْبَ الْمَذَلَةِ أَشْمَبُ
فِي الرِّزْقِ بَلْ يُشْقِي الْحَرِيسَ وَيَنْتَعِبُ

كُتِبَ الْوَيْدُ عَلَى الْخَلْقِ فَكَم
أَيُّ نَمْرُودٍ وَكُفْرَانٍ وَمَنْ
أَيُّ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنُوا
أَيُّ أَرْبَابٍ الْحُجَّى أَهْلُ النَّهْيِ
سَيُعِيدُ اللَّهُ كُلًّا مِنْهُمْ
أَيُّ بَنِي آسَمِ وَصَايَا جَمْعَتْ
أَطْلَبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا
وَاحْتَفِلْ بِالْقَهْمِ فِي الدِّينِ وَلَا
وَأَهْجِرِ النَّوْمَ وَحَصِّلْهُ فَمَنْ
لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَ أَيَّامُهُ
فِي أَرْذَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعَدَى
جَمَلِ الْمُنَظِقِ بِالْخَوْفِ فَمَنْ
إِنْظِمِ الشَّعْرَ وَلَا زِمِ مَذْهَبِي
فَهُوَ غُنَوَانٌ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا
مُلْكُ كِسْرَى عَنْهُ تُغْنِي كِسْرَةُ
إِطْرَاحِ الدُّنْيَا فَمَنْ عَادَاتِهَا
عَيْشَةُ الرَّائِبِ فِي تَخْصِيلِهَا
كَمْ جَهُولَ بَاتَ فِيهَا مُكْثَرًا
كَمْ شُجَاعٍ لَمْ يَنْلِ فِيهَا الْمُنَى
فَلَّ مِنْ جَيْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دَوْلٍ
مَلَكُ الْأَرْضِ وَوَلَّى وَغَزَلَ
هَلَكَ الْكُلُّ وَلَمْ تُشْنِ الْفُلُ
أَيُّ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْقَوْمِ الْأَوَّلِ
وَسَيُخْرِجِي قَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلَ
حِكْمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْعِلَالِ
أَبَدَ الْخَيْرِ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ
تَشْتَلِ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوْلٍ
يَعْرِفُ الْمَطْلُوبَ بِخَيْرٍ مَا بَدَلَ
كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرَبِ وَصَلَ
وَجَمَالَ الْعِلْمُ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ
يُحْرِمُ الْإِعْرَابَ بِالنُّطْقِ اخْتِبَلِ
فِي أَطْرَاحِ الرَّفْدِ لَا تَبْغِ التَّحَلَّ
أَحْسَنُ الشَّعْرِ إِذَا لَمْ يُتَذَلَّ
وَعَنِ الْبَحْرِ اجْتَرَأْ بِالْوَشَلِ
تَخَفِضُ الْعَالِي وَتُثَلِّي مَنْ سَفَلَ
عَيْشَةُ الْجَاهِلِ فِيهَا أَوْ أَقْلَ
وَعَالِمٍ مَاتَ مِنْهَا بِعَمَلٍ
وَجَبَانٍ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ

وَاحْذَرْ عَدُوَّكَ إِذْ تَرَاهُ بِاسْمَا
وَإِذَا الصَّدِيقَ رَأَيْتَهُ مُتَمَلِّقًا
لَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَمَلِّقٍ
يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً
يَلْقَاكَ يَخْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَائِقٍ
وَإِذَا رَأَيْتَ الرِّزْقَ عَزَّ بِلَدَةٍ
فَارْحَلْ فَارْضُ اللَّهُ وَاسِعَةَ الْفَضَا
فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قِلْتَ نَصِيحَتِي
خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً مَنْظُومَةً
حِكْمٌ وَآدَابٌ وَجُلُّ مَوَاعِظٍ
فَاصْنَعْ لَوْعَظٍ قَصِيدَةٍ أَوْ لَا كَمَا
فَلَلَيْتُ يَبْدُو نَابَهُ إِذَا يَغْضَبُ
فَهُوَ الْعَدُوُّ وَحَقُّهُ يُجَنَّبُ
حُلُوُّ اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَقَلَّبُ
وَيَرْوَعُ مِنْكَ كَمَا يَرْوَعُ الثُّغْلَبُ
وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ الْعُقْرَبُ
وَخَشِيتَ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ الْمَكْسَبُ
طُولًا وَعَرَضًا شَرْفَهَا وَالْمَغْرِبُ
فَالنُّصْحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ
جَاءَتْ كَنْظَمُ الدَّرَبِ لَهَا هِيَ أَعْجَبُ
أَمْثَالُهَا لَذَوِي الْبَصَائِرِ تَكْتَبُ
طَوْدُ الْمُلُومِ الشَّائِحَاتِ الْأَهْيَبُ

لامية ابن الوردی

١١٠

إِعْتَرَلَ ذِكْرَ الْأَغَانِي وَالْفَرَازِ
وَدَعَ الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصَّبَا
وَأَثْرُكَ الْغَادَةِ لَا تَحْفِلُ بِهَا
وَأَفْتَكِرُ فِي مُتَمَهِّي حُسْنِ الَّذِي
وَأَهْجِرُ الْحَمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتَى
وَأَتَّقِ اللَّهَ فَتَهْوَى إِلَهِي مَا
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرُقًا بَطَلًا
وَقُلِ الْفَضْلَ وَجَانِبَ مَنْ هَزَلَ
فَلَا يَأْمُ الصَّبَا نَجْمٌ أَقْلُ
تَمَسُّ فِي عِزِّ رَفِيعٍ وَتَجَمَّلُ
أَنْتَ تَهْوَاهُ تُجِدُ أَمْرًا جَلَلُ
كَيْفَ يَسْمَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلَ
جَلَوَرَتْ قَابُ أَمْرِي إِلَّا وَصَلَ
إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ الْبَطْلُ

وَكُلُّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَا ثَبَاتَ لَهُ فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ هَذَا
يَا عَامِرًا لِحِرَابِ الدَّهْرِ مُجْتَهِدًا بِاللَّهِ هَلْ لِحِرَابِ الْعُمْرِ عُمَرَانُ
وَيَا حَرِيصًا عَلَى الْأَمْوَالِ تَجْمَعُهَا أَنْسَيْتَ أَنَّ سُرُورَ أَمْوَالٍ أَحْزَانُ
زَعِ الْقَوَادِ عَنِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا فَصَفَوْهَا كَدْرٌ وَالْوَصْلُ هَجْرَانُ
وَأَرَعَ سَمْعَكَ أَمْثَالًا أَفْصَلَهَا كَمَا يُفْصَلُ يَأْقُوتُ وَمَرْجَانُ
أَحْسِنِ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعِيدُ قُلُوبَهُمْ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ
يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِحَدْمَتِهِ أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ فِي مَا فِيهِ خُسْرَانُ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فِضَائِلَهَا فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ
وَكَنْ عَلَى الدَّهْرِ مَعُونًا لِدِي أَمَلٍ يَرْجُو نَدَاكَ فَإِنَّ الْحَرْمَ مِعْوَانُ
وَأَشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُحْمَدُ فِي عَوَاقِبِهِ وَيَكْفِيهِ شَرٌّ مِنْ عَزَا وَمِنْ هَانُوا
مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبِ فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجْزٌ وَخِلَانُ
مَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ مَنَاعًا فَلَيْسَ لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانُ وَأَخْدَانُ
مَنْ جَادَ بِأَمْوَالِهِ مَالِ النَّاسِ قَاطِبَةً إِلَيْهِ وَأَمْوَالُ الْإِنْسَانِ فِتْنَانُ
مَنْ سَأَلَ النَّاسَ يَسْلَمَ مِنْ غَوَائِلِهِمْ وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانُ
مَنْ كَانَ لِلْعَقْلِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ غَدَا وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْغَرَضِ سُلْطَانُ
مَنْ مَدَّ طَرَفًا بِفَرْطِ الْجَهْلِ تَمُوهَوًى أَنْغَضَى عَلَى الْحَقِّ يَوْمًا وَهُوَ خَزْيَانُ
مَنْ اسْتَشَارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ عَلَى حَقِيقَةٍ طَبْعُ الدَّهْرِ بُرْهَانُ
مَنْ بَزَرَ الشَّرَّ يَخْصُدُ فِي عَوَاقِبِهِ نَدَامَةً وَلِحَصْدِ الزَّرْعِ إِبَانُ

فَاتْرَكِ الْحِيلَةَ فِيهَا وَاتَّكِلِ إِنَّمَا الْحِيلَةُ فِي تَرْكِ الْحِيلِ
لَا تُثْقِلْ أَصْلِي وَفَصِّلِي أَبَدًا إِنَّمَا أَصْلُ أَلْفَتِي مَا قَدْ حَصَلَ
قَدْ يَسُودُ الْمَرْءُ مِنْ دُونَ أَبِي وَيُحْسِنُ السَّبْكَ قَدْ يُنْفَى الزَّغَلُ
إِنَّمَا الْوَرْدُ مِنَ الشَّوْكِ وَمَا يَنْبُتُ التَّرْجِسُ إِلَّا مِنْ بَصَلٍ
قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ أَكْثَرَ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَمْ أَقَلُ
بَيْنَ تَبْذِيرٍ وَبُخْلِ رَتْبَةٍ وَكِلَا هَذَيْنِ إِنْ زَادَ قَتْلُ
لَيْسَ يَخْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدِّ وَلَوْ حَاوَلَ الْعِزَّةَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ
دَارِ جَارِ السُّوءِ بِالصَّبْرِ وَإِنْ لَمْ تَحْذِ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى النُّقْلُ
جَانِبِ السُّلْطَانِ وَاحْذَرْ بَطْشَهُ لَا تُعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلُ
لَا تَلِ الْأَحْكَامَ إِنْ هُمْ سَأَلُوا رَغْبَةً فِيكَ وَخَالِفَ مَنْ عَدَلَ
إِنَّ نِصْفَ النَّاسِ أَعْدَاءُ لِمَنْ وَلِيَ الْأَحْكَامَ هَذَا إِنْ عَدَلَ
فَقَصِرَ الْأَمَالُ فِي الدُّنْيَا تَفَرَّ غِبْ وَرَزْ غِيًّا تَرَدُّ حُبًّا فَمَنْ
فَقَصِرَ الْأَمَالُ فِي الدُّنْيَا تَفَرَّ غِبْ وَرَزْ غِيًّا تَرَدُّ حُبًّا فَمَنْ
لَا يَبْصُرُ الْفَضْلَ إِفْلَالُ كَمَا أَكْثَرَ التَّرْدَادَ أَضْنَاهُ الْمَلَلُ
لَا يَبْصُرُ الشَّمْسَ إِطْبَاقُ الطُّفْلِ لَا يَبْصُرُ الشَّمْسَ إِطْبَاقُ الطُّفْلِ
حُذِ بِنَصْلِ السَّيْفِ وَاتَّزِكَ غِنْدَهُ وَأَعْتَبِرْ فَضْلَ أَلْفَتِي دُونَ الْحَلَلِ
حُبُّكَ الْأَوْطَانَ عَجْزُ ظَاهِرُ فَأَعْتَرِبْ تَلَقَّ عَنِ الْأَهْلِ بَدَلُ
فَمِنْكَ الْمَاءُ يَبْقَى آسِنَا وَسَرَى الْبَذَرُ بِهِ الْبَذَرُ أَكْتَمَلُ

نونية ابي الفتح البستي

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُفْصَانُ وَرَيْحُهُ غَيْرَ مُخَضِّ الْحَزِيرِ خُسْرَانُ

كُنِيَ مِنَ الْعَيْشِ مَا قَدْ سَدَّ مِنْ عَوَزٍ قَعِيهِ لِلْحَرِّ قُتَيَانُ وَغُنْيَانُ
وَذُو الْقَنَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ وَصَاحِبُ الْمَرْصِ إِنْ أَثَرَى فَنَضْبَانُ
إِذَا جَفَاكَ خَلِيلُ كُنْتَ تَأَلَّفُهُ فَاطْلُبْ سِوَاهُ فَكُلُّ النَّاسِ إِخْوَانُ
حَسْبُ الْفَتَى عَقْلُهُ خِلَا يُعَاشِرُهُ إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانُ وَخِلَانُ
هُمَا رَضِيْعَا لِبَانِ حِكْمَةٍ وَتَقَى وَسَاكِنَا وَطَنٍ مَالُ وَطَنِيَانُ
إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنُ فَلَهُ وَرَأَاهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانُ
يَا ظَالِمًا فَرَحًا بِالْعِزِّ سَاعَدَهُ إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ الْدَّهْرِ يَقْظَانُ
مَا اسْتَمَرَّ الظُّلْمُ لَوْ أَنْصَفْتَ آكِلُهُ وَهَلْ يَلِدُ مَذَاقُ الْمَرْءِ خُطْبَانُ
يَا أَيُّهَا الْعَالَمُ الْمُرْضِيُّ سِيرَتُهُ أَبَشِرْ وَأَنْتَ بَغِيرِ الْمَاءِ رِيَانُ
وَيَا أَخَا الْجَهْلِ قَدْ أَصْبَحْتَ فِي الْحُجِّ وَأَنْتَ مَا بَيْنَهَا لَا شَكَّ ظَرْفَانُ
لَا تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ
يَا رَافِلًا فِي الشَّبَابِ الْوُحْفِ مُنْتَشِيًا مِنْ كُلِّهِ هَلْ أَصَابَ الرَّشْدَ لَشَوَانُ
لَا تَغْتَرَّرْ بِشَبَابِ رَافِقٍ خَضِلٍ فَكَمْ تَقْدَمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَّانُ
وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لَوْ نَاصَحْتَ نَفْسَكَ لَمْ يَكُنْ لِمِثْلِكَ فِي الْإِسْرَافِ إِمْعَانُ
هَبِ الشَّيْبَةَ ثُبُلِي عُدْرَ صَاحِبِهَا مَا عُدْرُ أَشْيَبَ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ
كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا إِنْ شِيعَ الْمَرْءُ إِخْلَاصَ وَإِيمَانُ
وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ الدِّينَ يَجْبِرُهُ وَمَا لِكَسْرِ قِتَاقَةِ الدِّينِ جَبْرَانُ
خُذْهَا سَوَاطِرَ أَمْثَالٍ مُهَذَّبَةٍ فِيهَا لِمَنْ يَبْتَغِي التَّيَّانَ تَبَيَّانُ
مَا ضَرَّ حَسَانَهَا وَالطَّبْعَ صَاحِبُهَا أَنْ لَمْ يَصْفَحْهَا قَرِيعُ الدَّهْرِ حَسَانُ

مَنِ اسْتَدَامَ إِلَى الْأَشْرَارِ نَامَ وَفِي
 كُنْ رَيْقُ الْبَشَرِ إِنَّ الْحُرَّ هَمَّتْ
 وَرَافِقُ الرَّفَقِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ
 وَلَا يَنْرُكْ حَظُّ جَرِّهِ خَرَقُ
 أَحْسَنَ إِذَا كَانَ إِمَكَانٌ وَمَقْدَرَةٌ
 فَأَلْزَوْضُ يَزْدَانُ بِالْأَنْوَارِ فَاغْمَةٌ
 صُنْ حُرَّ وَجْهَكَ لَا تَهْبِكْ غِلَالَتُهُ
 دَعِ التَّكَاسُلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطْلُبُهَا
 لَا ظِلَّ لِلْمَرْءِ يَمُرُّ مِنْ نَهْيٍ وَتَقَى
 وَالنَّاسُ أَعْوَانُ مَنْ وَآلَتُهُ دَوْلَتُهُ
 تَحْبَانُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ بِأَقْلٍ حَصِيرُ
 لَا تُودِعِ السِّرَّ وَشَاءَ بِهِ مَذَلًا
 لَا تَحْسَبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِدًا فَلَهُمْ
 مَا كُلُّ مَاءٍ كَصَدَاءٍ لِيَوَارِدِهِ
 لَا تَخْدِشَنَّ بِمَطْلٍ وَجْهَ عَارِفَةٍ
 لَا تَسْتَشِرْ غَيْرَ نَذْبٍ حَازِمٍ يَقْطِ
 فَلَتَنَدَابِيرِ فَرْسَانٍ إِذَا رَكَّضُوا
 وَلِلْأُمُورِ مَوَاقِيتُ مُقَدَّرَةٌ
 فَلَا تَكُنْ عَجَلًا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ
 قَمِيصُهُ مِنْهُمْ حِلٌّ وَتُعْبَانُ
 صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا الْبَشَرُ عُتُونُ
 يَنْدَمُ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذُمَّهُ إِنْسَانُ
 فَالْخُرْقُ هَذَمُ وَرَفَقُ الْمَرْءِ بَنِيَانُ
 فَلَنْ يَذُومَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمَكَانُ
 وَالْحُرُّ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ يَزْدَانُ
 فَكُلُّ حُرٍّ لِحُرِّ الْوَجْهِ صَوَانُ
 فَلَيْسَ يَسْعُدُ بِالْخَيْرَاتِ كَسَلَانُ
 وَإِنْ أَظْلَمَتْ أَوْرَاقُ وَأَفْسَانُ
 وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ أَعْوَانُ
 وَبَاقِلٌ فِي ثَرَاءِ أَلْمَالِ سَخْبَانُ
 فَمَارَعَى غَنَمًا فِي الدَّوْرِ سِرْحَانُ
 غَرَاثُ لَسْتَ تُخَصِّصِينَ أَلْوَانُ
 نَعَمْ وَلَا كُلُّ نَبْتٍ فَهُوَ سَعْدَانُ
 فَالْبِرُّ يَخْدِشُهُ مَطْلٌ وَلَيَّانُ
 قَدْ اسْتَوَى مِنْهُ إِسْرَارُ وَإِعْلَانُ
 فِيهَا أَبْرُوا كَمَا لِلْحَرْبِ فَرْسَانُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ
 فَلَيْسَ يُجْمَدُ قَبْلَ التَّضْمِجِ بُحْرَانُ

أَمَهُ ١ * (الدُّعَاءُ بِالشَّرِّ) * خَوَى نَجْمَهُ وَرَكَدَتْ رِيحُهُ * بَاخَ مَيْسَهُ
وَكَبَا جَوَادُهُ * مُحَمَّدَ ضَرَامَهُ وَنَضَبَ مَأْوَهُ * إِنْتَلَمَ رُكْنَهُ وَأَنْهَارَ جُرْفَهُ *
نَقَبَ جَفَهُ وَدَمِنَ ظِلْفَهُ * رَغِمَ أَنْفُهُ وَخَرَّ سَقْفُهُ * غَارَ مَأْوَهُ وَسَقَطَ
بَهَاؤُهُ * قَرَعَ فَنَآؤُهُ وَصَفَرَ إِنَاؤُهُ * (رَمَى الرَّجُلُ غَيْرَهُ بِالْمُعْضَلَاتِ) *
رَمَاهُ بِأَشْوَابِ رَأْسِهِ * وَرَمَاهُ بِثَلَاثَةِ الْأَبَاقِي ٢ * الْعَصِيَّةُ وَالْأَفِيكَةُ ٣ *
كَأَنَّمَا أَفْرَعُ عَلَيْهِ ذُنُوبَاءُ ٤ * (الْمَكْرُ وَالْحُلَاةُ) * قَتَلَ فِي ذِرْوَتِهِ ٥ *
ضَرَبَ أَتْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ ٦ * وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : الذُّبُّ يَأْدُو لِلْفَزَالِ ٧ *
(فِي الرَّجُلِ الْمُبَرِّزِ فِي الْفَضْلِ) * مَا يُشَقُّ غُبَارُهُ ٨ * إِذَا جَرَى الْمَذْكِيُّ
حَسَرَتْ عَنْهُ الْحُمُرُ ٩ * جَرَى الْمَذْكِيَاتِ غِلَاةٌ أَوْ غِلَابٌ * لَبَسَتْ لَهُ هِمَّةٌ
دُونَ الْعَالِيَةِ الْفُضْوَى * (الرَّجُلُ النَّبِيهُ الذَّكِرُ) * مَا يُنَجَّرُ فَلَانٌ فِي
الْعِلْمِ ١٠ * مَا يَوْمُ حَيِّمَةٍ بِسِرٍّ ١١ * أَشْهَرُ مِنَ الْأَبَاقِي * وَهَلْ

١ يدعون عليه وهم يريدون الحمد له . ونحوه إذا أحسن . قاتله الله وأخزاه الله . ومنه
قول امرئ القيس : ما له لأعد من نفره ٢ يريد قطعة من الحمل فيجعل إلى جنبها
الثمان وتكون هي الثالثة ٣ إذا رماه باليهتان ٤ إذا كلمه كلمة يسكت بها
٥ أي خادعه حتى أزاله عن رأيه . ويرى عن الربيع حين سأل عائشة عن الخروج إلى
البصرة فأبت عليه : فما زال يقتل في الذروة والغارب حتى أجابت
٦ يزيدون المناكرة . وقال آخر :

إذا أراد امرؤ مكرًا جنى غِلَاةً وظلَّ يضرب أتماسًا لأسداسٍ
٧ أي يبتله ليوقعه ٨ أصله السابق من الخيل ٩ أي كما يسق الفرس
القارح المسوس ١٠ ألعكم الجوالق يريد أنه لا يخفى مكانه
١١ يضرب لكل أمر مشهور وكانت فيه وقعة مشهورة قُتِلَ فيها المنذر بن ماء السماء
فضربت مثلاً

الْبَابُ الْخَامِسُ فِي الْأَمْثَالِ

مثال في معان مختلفة جمعها ابن عبد ربّه في العقد الفريد (*)

١١٢ (فِي الصَّمْتِ) * الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ * عِي صَامِتٌ
خَيْرٌ مِنْ عِي نَاطِقٍ * الصَّمْتُ يَكْسِبُ أَهْلَهُ الْحَبَّةَ * اسْتَكْثَرَ مِنْ
الْهَيْبَةِ الصَّمُوتُ * النَّدَمُ عَلَى السَّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ النَّدَمِ عَلَى الْكَلَامِ *
(مَنْ أَصَابَ مَرَّةً وَأَخْطَأَ مَرَّةً) * شُخْبٌ فِي الْإِنَاءِ وَشُخْبٌ فِي
الْأَرْضِ ١ * يَشْجُ مَرَّةً وَيَأْسُو أُخْرَى * سَهْمٌ لَكَ وَسَهْمٌ عَلَيْكَ *
أُطْرُقِي وَمِيشِي ٢ * (إِنْكَشَافُ الْأَمْرِ بَعْدَ اكْتِمَائِهِ) * حَضَخَ الْحَقُّ *
أَبْدَى الصَّرِيحُ عَنِ الرُّغْوَةِ * صَرَحَ الْخَضُّ عَنِ الرُّبْدَةِ * أَفْرَخَ الْقَوْمُ
بَيْضَتَهُمْ ٣ * بَرَحَ الْحَقَاءُ وَكُشِفَ الْغَطَاءُ * (الدُّعَاءُ بِالْخَيْرِ) لِلْقَادِمِ
مِنْ سَفَرِهِ : خَيْرٌ جَاءَ وَرَدُّ فِي أَهْلِ وَمَالٍ ٤ * بَلَغَ اللَّهُ بِكَ أَكْثَلَ
الْعُمُرِ ٥ * نَعِمَ عَوْفَكَ ٦ * فِي الزَّوْجِ : عَلَى يَدِ الْخَيْرِ وَالْيَمَنِ *
بِالرِّفَاءِ وَالْيَمَنِ ٧ * هُنْتُتَ وَلَا تُنْكَدُ ٨ * هَوَتْ أُمُّهُ وَهَبَتْ

(*) اعلم ن ما في الحاشية من الشروح كان متصلاً بالأمثال ففصلناه عنها لاتهام السياق

- ١ شَبَّ بِالْجَالِبِ الْجَاهِلِ الَّذِي يَحْلُبُ شُخْبًا فِي الْإِنَاءِ وَشُخْبًا فِي الْأَرْضِ
 - ٢ أَصْلُهُ أَنْ يَخْلُطَ الْوَبْرَ بِالصُّوفِ . وَالْمِطْرَاقُ الْعُودُ الَّذِي يُنْمَرُ بِهِ بَيْنَ مَا يُخْلَطُ
 - ٣ أَيِ أَخْرَجُوا فَرْخَهَا . يُرِيدُونَ أَظْهَرُوا سَرْمَ
 - ٤ أَيِ جَعَلَكَ اللَّهُ كَذَلِكَ
 - ٥ أَيِ أَنْصَأُ
 - ٦ أَيِ نَعِمَ بِكَ
 - ٧ يُرِيدُ بِالرِّفَاءِ الْكَثْرَةَ (كَذَا
 - ٨ أَيِ أَصَابَكَ خَيْرٌ وَلَا أَصَابَكَ ضَرٌّ
- فِي الْأَصْلِ) . يُقَالُ رَفَأْتُهُ إِذَا دَعَوْتَ لَهُ بِالْكَثَرَةِ

بَانْقَعُ ١ * إِنَّهُ لَحَرَّاجٌ وَلَا جُ * حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ وَشَرِبَ أَقْوَيْقَهُ ٢ *
 رَجُلٌ مُنْجَذُ ٣ * أَوَّلُ لَغْزٍ وَأَخْرَقَ * لَا تَنْزُ إِلَّا بَغْلَامٍ قَدْ غَزَا *
 زَا حِمٍ يُعَوِّدُ أَوْ دَعِ * أَلْعَوَانُ لَا تُعَلِّمُ الْحِمْرَةَ . وَقَالَتِ الْعَامَّةُ : الشَّارِبُ
 لَا يُضْفَرُ لَهُ * (أَلَا نَقَالُ مِنْ ذُلِّ إِلَى عِزٍّ) * كُنْتَ كُرَاعًا فَصَحِرْتَ
 ذِرَاعًا * كُنْتَ عِزًّا فَاسْتَيْسَتْ * مِتَّ بَغَانًا فَاسْتَسَرْتَ * * عِجَابُ
 الرَّجُلِ بِأَهْلِهِ * كُلُّ قِتَاةٍ بِأَبْنِهَا مُعْجَبَةٌ * الْقَرْنَبِيُّ فِي عَيْنِ أُمِّهَا حَسَنَةٌ *
 زَيْنٌ فِي عَيْنِ وَالِدِهِ وَلَدُهُ * حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُّ * (تَشْبِيهِ الرَّجُلِ
 بِأَبِيهِ) * مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ * أَلْعَصِيَّةُ مِنَ الدِّصَا * مَا أَشْبَهَ حَجَلَ
 الْجِبَالِ بِالْوَانِ صَخْرَهَا * مَا أَشْبَهَ الْحَوْلَ بِالْقَبْلِ . وَمَا أَشْبَهَ الْآيِلَةَ
 بِالْبَارِحَةِ * شَنِشْنَةُ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْزَمٍ ٤ * قَالَ زُهَيْرُ :

وَهَلْ يُنَبِّئُ الْخَطِيَّ إِلَّا وَشِيخُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النُّخْلُ
 وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَامَةِ : لَا تَلِدُ الذِّبَّةُ إِلَّا ذِئبًا * حَذُّو النُّعْلَ بِالنُّعْلِ
 وَحَذُّو الْقَذَّةَ بِالْقَذَّةِ ٥ * (الْحَلِمُ) * إِذَا تَرَا الشَّرُّ فَاقْعُدُ ٦ * وَمِنْهُ .
 الْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجُهُولِ * لَا يَنْتَصِفُ حَلِيمٌ مِنْ جَاهِلٍ * آخِرُ الشَّرِّ فَإِنْ
 شِئْتَ تَعَجَّلْهُ . وَقَوْلُهُمْ فِي الْحَلِيمِ : إِنَّهُ كَوَاقِعِ الطَّيْرِ وَكَسَاكِنِ

١ أي معاود للخبر والشر ٢ أي اختبر من الدهر خبره وشره . فالشطر هو شطر الحلبة
 والفيقة اسم اللبن حين يجمع في الضرع ما بين الحلبتين ٣ وهو الجرب . وأصله من
 التواجد يقال : قد عض على ناجذه إذا استحكمت ٤ يقال هذا في الولد إذا كانت
 فيه طبيعة من أبيه ٥ والفاء الريشة من ريش السهم تحدى على صاحبها
 ٦ أي فاحلم ولا تسارع إليه .

يَخْفَى عَلَى النَّاسِ النَّهَارُ. وَمِثْلُهُ: وَهَلْ يَخْفَى عَلَى النَّاظِرِ الصُّبْحُ *
 وَهَلْ يَجْهَلُ فَلَانًا إِلَّا مَنْ يَجْهَلُ الْقَمَرَ * (الرَّجُلُ الْغَرِيزُ يَعْرِضُ بِهِ
 الذَّلِيلُ) * إِنَّ الْبَغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ ١ * لَأُحَرِّبُ بَوَادِي عَوْفٍ ٢ *
 تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَقُ ٣ * مَنْ عَزَّ بَزٌّ * مَنْ قَلَّ ذَلٌّ * مَنْ أَمِرَ قَلَّ أَمْرُ
 (أَيُّ كَثُرَ) * (الرَّجُلُ الصَّعْبُ) * فَلَانُ أَلْوَى بَعِيدُ أَسْتَمَرَّ * مَا
 بَالَتْ مِنْهُ بِأَفُوقٍ نَاصِلٍ ٤ * مَا يَنْتَعِلُ بِالنَّسَانِ * مَا يُصْطَلَى بِنَارِدٍ *
 مَا تُقَرَّنُ بِهِ الصَّعْبَةُ * (الرَّجُلُ الْعَالِمُ أَخْجَرُ) * إِنَّهُ لِنِقَابٌ وَإِنَّهُ
 لَعَضٌ ٥ * أَنَا جَذَلِيهَا أُمَحِّكُكَ وَعُذِيهَا أَرْجَبُ ٦ * وَمِثْلُهُ: إِنَّهُ
 لَجَذَلٌ حِكَاكٍ * عَنِتَّةُ تَشْفِي الْجَرْبَ ٧ * لَظِي أَلْجَمُ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُشْرَعُ
 الْعَصَا ٨ * إِنَّهُ لَا أَمِيٌّ ٩ * مَا حَكَّكَتُ قَرْحَةً إِلَّا أَدَمَيْتُهَا * الْأُمُورُ
 تَشَابَهُ مُقْبِلَةً وَتَظْهَرُ مُدْبِرَةً . وَلَا يَعْرِفُهَا مُقْبِلَةً إِلَّا الْعَالِمُ الْخَوِيرُ .
 فَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا الْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ * (الرَّجُلُ الْهَجْرَبُ) * إِنَّهُ لَشَرَّابٌ

١ الْبَغَاثُ صَفَارٌ لَا يَرْتَسِرُ تَصِيرُ نَسُورًا ٢ يُرِيدُونَ عَوْفَ بَنِ نَعْلَمَ الشَّيْبَانِي وَكَانَ
 مَنِعًا ٣ مَارِدٌ حَصْنٌ بِدُومَةٍ وَالْأَبْلَقُ حَصْنُ السَّمُوعِلِ ٤ وَأَصْلُ السِّهْمِ الْمَكْسُورِ الْفُوقُ
 السَّاقِطُ الصَّلِ . يَقُولُ : فَهَذَا لَيْسَ كَذَلِكَ ٥ النِّقَابُ الذِّكِيُّ وَالْعَصَا الْعَالِمُ الْخَوِيرُ
 ٦ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْجَذَلُ تَصْغِيرُ الْجَذَلِ . وَهُوَ عَوْدٌ يُصَبُّ لِلْأَبْلِ الْهَرَبَاءُ لَتَحْتَكُ بِهِ مِنْ
 الْحَرْبِ فَأَرَادَ أَنْ رَأْيُهُ يَشْفِي بِهِ . وَالْعُذِيُّ تَصْغِيرُ عُذْقٍ . وَالْعَذْقُ بِالْفَتْحِ الْخَلَّةُ نَفْسُهَا . فَإِذَا مَالَتْ
 الْخَلَّةُ الْكُرْمِيَّةُ نَوَا مِنْ جَانِبِهَا الْمَائِلُ بِنَاءً مُرْتَفَعًا يَدْعَاهَا لَكِي لَا تَسْقُطُ فَذَلِكَ التَّرْجِيْبُ . وَصَغَرُهَا لِلدَّحِ
 ٧ وَالْعَنِتَّةُ تَبِيءُ تَعَالَجُ بِهِ الْإِبِلُ إِذَا جَرِبَتْ ٨ وَأَوَّلُ مَنْ فُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا
 سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ الْكَلْبَانِي . ثُمَّ فُرِعَتْ لِعَامِرِ بْنِ الطَّرِبِ الْعَدَوَانِي . وَكَانَ حَكَمٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَبُرَ
 حَتَّى أَتَكَرَّعَ . فَقَالَ لَبِيءٌ : إِذَا أَنَا زَغْتُ فَقَوْمِي . وَكَانَ إِذَا زَاغَ فُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا فَيَتَرَعُ
 عَنْ ذَلِكَ ٩ وَهُوَ الَّذِي يُصِيبُ بِالظَّنِّ

بِهِمْ عُقَابُ مَلَأَعِ ١ * وَالْمَنَايَا عَلَى الْحَوَايَا ٢ * أَتَنَّهُمُ الدَّهْمُ بَرَمِي
 بِالرَّضْفِ ٣ * وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُنَادَى وَلَيْدُهُ ٤ * اِتَّقَتْ حَلَقَتَا الْبَطَانِ *
 وَبَلَغَ الْبَسِيلُ الرُّبَى وَجَاوَزَ الْحِزَامُ الطَّبِينِ * وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : بَلَغَ السَّكِينُ
 الْعَظْمَ * (أَلْيَاسُ وَالْحَيْبَةُ) * مَنْ لِي بِالسَّائِحِ بَعْدَ الْبَارِحِ ٥ * جَاءَ
 بِخُفْيِ حَنِينٍ * أَطَالَ الْغَيْبَةَ وَجَاءَ بِالْحَيْبَةِ وَنَظِيرُهُ : سَكَتَ أَلْفَا وَنَطَقَ
 خَلْقًا ٦ * (أَلْظَلَمُ تَرَجُّعُ عَاقِبَتِهِ عَلَى صَاحِبِهِ) * مَنْ حَفَرَ مَفْوَاةً وَقَعَ
 فِيهَا ٨ * يَعْدُو عَلَى كُلِّ أَمْرٍ مَا يَأْمُرُ * عَادَ الرَّفِي عَلَى الزَّرْعَةِ ٩ *
 وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : كَأَلْبَاحِثٍ عَنْ مُدَيَّةٍ * رُمِيَ بِحَجَرِهِ وَقُتِلَ بِسِلَاحِهِ *
 (نَفَى الْمَالِ عَنِ الرَّجُلِ) * مَا لَهُ سَعْنَةٌ وَلَا مَعْنَةٌ ١٠ * مَا لَهُ هَلْعٌ وَلَا
 هَلْمَةٌ ١١ * مَا لَهُ هَارِبٌ وَلَا قَارِبٌ ١٢ * مَا لَهُ عَافِطَةٌ وَلَا نَافِطَةٌ ١٣ *

١ يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ . وَأَحْسَبُهَا مَعْدُولَةً عَنْ مَلِيعٍ ٢ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : الْحَوَايَا فِي
 هَذَا الْمَوْضِعِ مَرْكَبٌ مِنْ مَرَكَبِ النِّسَاءِ وَاحِدُهَا حَوَايَةٌ . وَأَحْسَبُ أَصْلَهَا أَنْ قَوْمًا قُتِلُوا فَحُلُوا
 عَلَى الْحَوَايَا فَصَارَتْ مِثْلًا ٣ مَعْنَاهُ الدَّاهِيَةُ الْعَظِيمَةُ ٤ مَعْنَاهُ أَنْ الْأَمْرَ اشْتَدَّ حَتَّى
 ذَهَلَتِ الْمَرْأَةُ أَنْ تَدْعُو وَلَيْدَهَا • أَيُّ مَنْ لِي بِالْيَسَنِ عَدِ الشُّومِ
 ٦ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا زِلْتُ أَقْطَعُ عَرْضَ الْبِلَادِ مِنْ الْمَشْرِقَيْنِ إِلَى الْمَغْرِبَيْنِ
 وَأَدْرَعُ الْخَوْفَ تَحْتَ الدَّجَى وَأَسْتَعِجِبُ السَّرَّ وَالْفَرْقَدَيْنِ
 وَأَطْوِي وَأَنْشُرُ ثَوْبَ الْحَمُومِ إِلَى أَنْ رَجَعْتُ بِخُفْيِ حَنِينِ

٧ أَيُّ اطَّالَ السَّكُوتُ وَتَكَلَّمَ بِالْقَبِيحِ . وَهَذَا الْمَثَلُ يَقَعُ فِي بَابِ الْي وَلَهُ هَهُنَا وَجْهٌ أَيْضًا

٨ وَالْمَغَاةُ الْبَيْرُ يُخْفَرُ لِلذَّنَابِ وَيَجْعَلُ فِيهَا جَدِي لِيَسْقُطَ الذَّنْبُ فِيهَا ابْيَئِدُهُ فَيُصْطَادُ

• وَمِ الرَّمَا يَرْجِعُ طَلِيمٌ رَمِيمٌ

١١ وَهِيَ الْجَدْيُ وَالْمَنَاقُ ١٢ مَعْنَاهُ لَيْسَ لَهُ أَحَدٌ يَجْرِبُ مِنْهُ وَلَا أَحَدٌ يَقْرُبُ إِلَيْهِ فَلَيْسَ لَهُ

١٣ وَهِيَ الضَّائِنَةُ وَالْمَلَاغِزَةُ

ثِي

الرَّيْحِ * كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ * رَبَّمَا أَسْمِعْ فَأَذْرُ * حَلِييَ أَصَمُّ وَأَذْنِي
 غَيْرُ صَمَاءَ * (مُدَارَاةُ النَّاسِ) * إِذَا لَمْ تَغْلِبْ فَأَخْلِبْ ١ * وَقَوْلُهُمْ :
 إِلَّا حَظِيَّةً فَلَا أَلِيَّةَ ٢ * سَوْءُ الْأَسْتِمْسَاكِ خَيْرٌ مِنْ حُسْنِ الصَّرْعَةِ *
 وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الدَّرْدَاءِ : إِنَّا لَبَشُّ فِي وُجُوهِ قَوْمٍ وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَنْفَرُ عَنْهُمْ *
 وَمِنْهُ قَوْلُهُ : شَرَّ أَرَأَى النَّاسِ مَنْ دَارَاهُ النَّاسُ لِسَرِّهِ * وَمِنْهُ قَوْلُ شَيْبِ بْنِ
 شَيْبَةَ فِي خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : لَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ فِي السَّرِّ وَلَا عَدُوٌّ فِي
 الْعَلَانِيَةِ . يَرِيدُ أَنَّ النَّاسَ يُدَارُونَهُ لِسَرِّهِ وَقُلُوبُ النَّاسِ تُنْفِضُهُ *
 (الْأَسْتِعْدَادُ لِلْأَمْرِ قَبْلَ زُيُولِهِ) * قَبْلَ الرَّيِّ يُرَاشُ السَّهْمُ * قَبْلَ
 الرَّمَايَةِ تَمْلَأُ الْكَذَائِنُ * خُذِ الْأَمْرَ بِقَوَالِهِ ٣ * شَرُّ الرَّأْيِ الدَّيْرِيُّ *
 الْحَاجِزَةُ قَبْلَ الْمُنَاجَزَةِ * أَلْتَمَدُّ قَبْلَ التَّزْوِيلِ * يَا عَاقِدُ أَذْكَرُ حَلًّا *
 خَيْرُ الْأُمُورِ أَحْمَدُهَا مَغَبَّةٌ * لَيْسَ الدَّهْرُ بِصَاحِبٍ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي
 الْعَوَاقِبِ * (حُسْنُ التَّذْيِيرِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْخُرْقِ) * الرِّفْقُ يَمُنُّ
 وَالْخُرْقُ شُوْمٌ * رَبُّ أَكَلَةٍ تَحْرِمُ أَكَلَاتِ * قَلْبُ الْأَمْرِ ظَهْرًا
 لِبَطْنٍ * وَجْهُ الْحَجَرِ وَجْهَةٌ مَا * وَلِ حَارَّهَا مِنْ تَوَلَّى قَارَّهَا * (الْأَمْرُ
 الشَّدِيدُ الْمُعْضِلُ) * أَظْلَمَ عَلَيْهِ يَوْمُهُ * وَأَيْنَ يَضُمُّ الْمُخْنُوقُ يَدَهُ * لَوْ
 كَانَ ذَا حِيلَةٍ تَحْوَلُ * رَأَى الْكُوكَبَ ظَهْرًا . قَالَ طَرَفَةُ : وَتُرِيهِ
 النِّجْمَ يَجْرِي بِالظُّهْرِ * (هَلَاكُ الْقَوْمِ) * طَارَتْ بِهِ الْعُنُقَاءُ . وَطَارَتْ

٢ معناه إن لم يكن حظوة فلا
 ٣ أي باستقباله قبل أن يُدير

١ يقول : إذا لم تغلب فدار والطف
 تفصير . وألا يألو ويأتلي وهو التفصير

إِنَّ الزَّرَارِيَّ لَمَّا قَامَ قَانِيهَا
 إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ عِزًّا فَاذْءُرْ عِزًّا
 أَيَا حَجَرَ الشَّخْذِ حَتَّى مَتَى
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلُ اتَّصِيحِ قَبُولُ
 إِذَا مَا الْجَرْحُ رَمَّ عَلَى فُسَادِ
 إِذَا اللَّهُ لَمْ يَجْرُسْكَ مِمَّا تَخَافُهُ
 إِذَا نَدَبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَأَحْسِنُوا
 إِنْ السَّمَاءُ إِذَا لَمْ تَبْكِ مُقْلَتَهَا
 بِذَا قَضَتْ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا
 تَرِيدِينَ إِدْرَاكَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً
 صَدِيقُ عَدُوِّي دَاخِلٌ فِي عَدَاوَتِي
 فَلَا حَديقَتَهُمْ يُجْنِي لَهَا ثَمْرُ
 قَدْ تَكَرَّرَ الْعَيْنُ ضَوْءُ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدِ
 كَرِيشَةٍ بِمَهَبِ الرِّيحِ سَاقِطَةٍ
 كَبُرَ بِهَا نَسْبُ يَتِيهِ بِهَا حَسْبُ
 لَمْ أَرِدْ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرِ
 لَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَطُولِهَا
 لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَتُرْسِلَهَا
 لَهُ خَلَاتِقُ يَيْضُ لَا يُغَيِّرُهَا

تَوَهَّمَتْ أَنَّهَا صَارَتْ شَوَاهِينَا
 أَوْ فَارِضَ بِالذَّلِّ وَاخْتَرَا حَاحَةَ الْبَدَنِ
 تَسْنُ الْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ
 فَكُلُّ مَعَارِيضِ الْكَلَامِ فُضُولُ
 تَبَيَّنَ فِيهِ تَقْرِيطُ الطَّيِّبِ
 فَلَا السَّيْفُ قَطَاعُ وَلَا الدَّرْعُ مَانِعُ
 وَلَكِنْ حُسْنُ الْقَوْلِ خَالَفَهُ الْفِعْلُ
 لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَزْهَرِ
 مَصَابِ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ
 وَلَا بُدُّونَ الشَّهِيدِ مِنْ إِبْرِ الْخُلِ
 وَإِنِّي لِمَنْ وَدَّ الصَّدِيقَ وَدَّودُ
 وَلَا سَمَاءُ هُمْ تَهْلُ بِالْدِّيمِ
 وَيُكْرِ الْقَهْمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ
 لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلَقِ
 فَخَرُّ بِالْأَدَبِ هَذَا مِنْ الْعَجَبِ
 قَدْ بَلَوْتُ الْمَرَّ مِنْ ثَمَرِهِ
 إِنْ لَمْ يَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ
 إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاتَّبِعْ رَأْسَهَا الدَّنْبَا
 صَرَفَ الزَّمَانَ كَمَا لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

مَا بِهِ نَبْضٌ وَلَا حَبْضٌ ١ * مَا لَهُ سَبْدٌ وَلَا لَبْدٌ ٢ * (إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي
 الدَّارِ أَحَدٌ) * مَا بِالْدارِ دُعْوِيٌّ وَلَا يَهَا دُعِيٌّ ٣ * وَمَا يَهَا مِنْ غَرِيبٍ .
 وَلَا يَهَا دُورِيٌّ وَلَا طُورِيٌّ . وَمَا يَهَا وَاتِرٌ وَمَا يَهَا صَافِرٌ . وَمَا يَهَا دِيَارٌ وَمَا
 يَهَا نَافِخٌ ضَرَمَةٌ . وَمَا يَهَا إِرْمٌ ٤ * (إِسْتَجْوَالُ الرَّجُلِ رَنْفِي الْعِلْمِ) *
 مَا يَعْرِفُ الْحَوَمَنَ الْأَوَّ . وَمَا يَعْرِفُ الْحَيَّ مِنَ الْأَيِّ . وَلَا هَرِيدًا مِنْ غَرِيدٍ .
 وَلَا قَيْلًا مِنْ دَبِيرَةٍ * وَمَا يَعْرِفُ أَيُّ طَرْفِيهِ أَطْوَلَ وَأَكْبَرُ * وَمَا يَعْرِفُ
 مَنْ يَهْرَهُ مِنْ بَيْرِهِ * وَأَيُّ طَرْفِيهِ أَطْوَلَ أَنْسَبُ إِلَيْهِ أَمْ نَسَبُ إِلَيْهِ

١١٣ هذه آيات ذهب الامثال واكثرها للاستبصار والحجري

إِنْعَمَ وَلَذَّ فَلِالْأُمُورِ آخِرُ أَبَدًا كَمَا كَانَتْ لَهْنًا أَوَائِلُ
 إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ الشُّبُومِ
 إِذَا اعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَآيَا فَاهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ
 إِنَّ السَّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْخَبَابِ السَّعْ
 الْعَبْدُ لَيْسَ لِحَرْصَالِحٍ بَأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحَرِّ مَوْلُودُ
 إِذَا اشْتَبَهَكَ دُمُوعٌ فِي حُدُودٍ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِنْ تَبَاكِي
 إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْتِيهِمْ فِي الْأَنْزِلِ الْحَشِينُ

١ قال الأصمعي: النبض والحبض في الوتر. والنبض تحريك الوتر والحبض صوته وقال:
 والنبل جوي نبضاً وحبضاً ٢ الشعر والصوف ٣ معناه ما جئنا من يدعو ومن
 يدب ٤ معنى هذا كله ما جاء أحد. ولا يقال منها شيء في الإثبات
 والإيجاب وإنما يقولوا في النبي والحمد ٥ والقبيل ما أقبلت به من
 قبل الجبل والديبر ما أدبرت به منه

وَفِي تَعَبٍ مِّن تَحْجُدِ الشَّمْسَ ضَوْءَهَا
وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلُّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ
وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَعْرِفُ سَعْيَهُ
وَقَدْ نَبَّحَ الْكَلْبُ السَّحَابَ وَدُونَهَا
وَمَنْ يَأْمَنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ
وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَى
وَمَا أُنْتَفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ
وَهَلْ يَدْعِي اللَّيْلُ الدُّجُوجِيَّ أَنَّهُ
وَلَا تَشِمُ كُلُّ خَالٍ لَاحَ بَارِقُهُ
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ
وَالْهَمُّ يُحْتَرَمُ الْجَسِيمَ نَحَاقَةً
وَمَنْ يَنْشُدِ الرُّكْبَانَ عَنْ كُلِّ غَالِبٍ
وَأَوَّلُ مَا يَكُونُ اللَّيْثُ شِبْلًا
وَالنَّجْمُ تَسْتَضِيرُ الْأَبْصَارُ صُورَتَهُ
وَكَمْ مُضِيرٍ بُغْضًا بِرِيكَ مَحَبَّةٍ
وَمَا كُلُّ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ أَرْجِيحَةٌ
وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ الْحُسَامَ بِضَارِبٍ
وَمَا كُلُّ وَخْشٍ تَرَى ضَيْغَمًا

وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرْبٍ
حَا الذَّنْبُ كُلُّ الْخَوْ مِنْ جَاءِ تَابًا
إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطَرِّقٍ
إِذَا حَصَّاتِ عِنْدَ الْأِلَهِ الْخَصَائِلُ
مَهَامُهُ تَغْشَى نَظْرَةَ الْمُتَأَمِّلِ
عَلَى الْمَاءِ خَاتَنُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ
مُضِرُّ كَوْضَعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى
إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
تَضِيءُ ضِيَاءَ الشَّمْسِ شُهْبُ ظَلَامِهِ
وَلَوْ تَرَأَى هَتُونَ السَّكْبِ تَجَاجَا
لَا تَلْتَظِي إِنْ لَمْ تُثْرَهَا الْأَزْزُدُ
وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الْعَصِيِّ وَيَهْرِمُ
فَلَا بُدَّ أَنْ يُفِي بِشِيرًا وَنَاعِيًا
وَمَبْدَأُ طَالِعَةِ الْقَمَرِ الْهَلَالُ
وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغَرِ
وَفِي الزُّنْدَانِ وَهُوَ فِي الدُّنْسِ يَارِدُ
وَلَا كُلُّ أَطْيَارِ الْفَلَاحِ تَعَرَّثُمُ
وَلَا كُلُّ مَنْ أَجْرَى الْبَرَاكِ بَكَاةً
وَلَا كُلُّ عُودٍ يُسَمَّى عَقَارًا

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِي نَافِذًا مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَآيَا
مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَآيَا مَا أَنْتَ أَوَّلَ سَارِ غَرِّهِ قَرُّ
مَا أَنْتَ أَوَّلَ سَارِ غَرِّهِ قَرُّ مَا إِنْ يَضُرُّ الْعَضْبَ كَوْنُ قِرَابِهِ
مَا إِنْ يَضُرُّ الْعَضْبَ كَوْنُ قِرَابِهِ وَكَيْفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعًا جَبَانُ
وَكَيفَ يَبِيتُ مُضْطَجِعًا جَبَانُ وَمَا الْحَسَنُ فِي وَجْهِهِ الْفَتَى شَرَفُ لَهُ
وَمَا الْحَسَنُ فِي وَجْهِهِ الْفَتَى شَرَفُ لَهُ وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبُ
وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبُ وَمَا الْحِدَاثَةُ عَنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ
وَمَا الْحِدَاثَةُ عَنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ وَمَا مَنَزَلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنَزِلِ
وَمَا مَنَزَلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنَزِلِ وَمَا كُلُّ نَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلِ
وَمَا كُلُّ نَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلِ وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ
وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مُحِبُّ
وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مُحِبُّ وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي
وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ
وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا عَلَى الْخُرْآنِ بَرَى
وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا عَلَى الْخُرْآنِ بَرَى وَمِنْ أَلْبَابِهِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَرْغَوِي
وَمِنْ أَلْبَابِهِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَرْغَوِي وَمِنْ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ
وَمِنْ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ وَكُلُّ بَرَى طَرُقَ السَّجَاعَةِ وَالنَّدَى
وَكُلُّ بَرَى طَرُقَ السَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَرُبَّ كَنِيبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ
وَرُبَّ كَنِيبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ وَرُبَّ كَثِيرٍ الدَّمْعِ غَيْرُ كَنِيبِ

كَمْ حَسَنَ ظَاهِرُهُ قَبِيحٌ وَسَمِعَ عَنْوَانَهُ مَلِيحٌ
 فَأَلْعَاظُهُ الْكَامِلُ فِي الرِّجَالِ لَا يَتَنَبَّي لِرُخْفِ الْمَقَالِ
 مَا طَابَ قَرْعُ أَصْلِهِ حَيْثُ وَلَا زَكَا مِنْ مَجْدِهِ حَدِيثُ
 وَالْبَنِي فَأَحْذَرُهُ وَخِيمُ الْمَرْتَعِ وَالْعَجَبُ فَأَنْزَكُهُ شَدِيدُ الْمَضْرَعِ
 وَالْعَدْرُ بِالْعَهْدِ قَبِيحٌ جِدًّا بَشْرُ الْوَرَى مَنْ لَيْسَ يَرْغَى الْعَهْدَا

من قصيدة الي القتاهية المثلثة

١١٥

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجَدَةَ
 يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرْكُهُ
 مَا عَيْشُ مَنْ آفَتُهُ بِقَاوُهُ
 يَأْرُبُ مَنْ أَسْخَطَنَا بِجَهْدِهِ
 مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيْبُ
 لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرُ
 وَكُلُّ شَيْءٍ لَاحِقٌ بِجَوْهَرِهِ
 مَنْ لَكَ بِالْخُضِّ وَكُلُّ مُمْتَرِجٍ
 الْخَيْرُ وَالشَّرُّ هُمَا أَزْوَاجُ
 مَنْ لَكَ بِالْخُضِّ وَلَيْسَ مُخْضَرُ
 وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُدَا
 عَجِبْتُ حَتَّى غَمِنِي السُّكُوتُ
 كَذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ
 مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيْ مَفْسَدَةٌ
 يَرْتَهِنُ الرَّأْيَ الْأَصِيلَ شَكَّهُ
 تَقْصَعُ عَيْشًا كُلَّهُ فَنَاوُهُ
 قَدْ سَرَّنَا اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ
 إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنُهُ عَجِيبُ
 وَأَوْسَطُ وَأَصْغَرُ وَأَكْبَرُ
 أَصْغَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهِ
 وَسَاوِسُ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَخْتَلِجُ
 لَذَا نِتَاجٌ وَلَذَا نِتَاجُ
 يَخْبُثُ بَعْضٌ وَيَطِيبُ بَعْضُ
 بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جِدًّا
 صَرْتُ كَأَنِّي حَارٍ مَبْهُوتُ
 أَلْصَقْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

يُخْفِي الْعِدَاةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسْرَّ يَبُوحُ
يَا جُلَّ مَا بَعُدَتْ عَلَيْكَ بِلَادُنَا وَطِلَانَنَا فَأَرْعُدْ بِأَرْصَانِكَ وَلِزْقِ
يَمْرُوعَيْدِ الظَّالِمِينَ بِسَمْعِهِ كَمَا طَنَّ فِي لَوْحِ الْجَبِينِ ذُبَابُ
يَلْمَأَكَ وَالْعَسَلُ الْمُصْفَى يُجْتَنَى مِنْ قَوْلِهِ وَمِنْ أَلْفَعَالِ الْعَلَمِ

نخبة من تغريد الصاذح لابن حجة العمري

١١٤

مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَزَالَ التَّهْمَةَ وَقَالَ كُلُّ فِيهِ لِلْحَكْمَةِ
وَمَنْ أَغَاثَ الْبَاسَ الْمُهَوِّفَا أَغَاثَهُ اللَّهُ إِذَا أَخِيفَا
فَإِنْ مِنْ خَلَائِقِ الْكِرَامِ رَحْمَةً ذِي الْبَلَاءِ وَالْأَسْهَامِ
وَبِنْ مِنْ شَرَائِطِ الْعُلُوِّ أَلْطَفَ فِي الْبُؤْسِ عَلَى الْعَدُوِّ
لَا تَقْتَرِرُ بِالْحِفْظِ وَالسَّلَامَةِ فَإِنَّمَا الْحَيَاةُ كَالْمَدَامَةِ
وَالْعُزْرُ مِثْلُ الْكَاسِ الدَّهْرُ الْقَدَرُ وَالصَّفْوُ لَا يَدُلُّهُ مِنَ الْكَدَرِ
فَإِنَّمَا الرِّجَالُ بِالْإِخْوَانِ وَالْيَدُ بِالسَّاعِدِ وَالْبَنَانِ
وَمَوْجِبُ الصَّدَاقَةِ الْمُسَاعَدَةُ وَمُقْتَضَى الْمَوَدَّةِ الْمُعَاوَدَةُ
وَإِنْ رَأَيْتَ النَّصْرَ قَدْ لَاحَ لَكَ فَلَا تُقَصِّرْ وَاحْتَرِزْ أَنْ تَهْلِكَ
وَأَنْصَعِفُ الْمُؤَلُّوْا طَرًّا عَقْدَا مَنْ غَرَّهُ السَّلَامُ فَأَغْفَى الْجُدَا
لَا تَيَاسَسْ مِنْ فَرْجٍ وَلُطْفٍ وَقُوَّةٍ تَظْهَرُ بَعْدَ مُنْعَبِ
تَسَالُ بِالرَّفَقِ وَبِالتَّانِي مَا لَمْ تَتَلَّ بِالْمُرُصِ وَالتَّعْنِي
لَا خَيْرَ فِي جَسَامَةِ الْأَجْسَامِ بَلْ هُوَ فِي الْقَوْلِ وَالْأَفْهَامِ
لَا تَحْتَقِرْ شَيْئًا صَغِيرًا مُخْتَقِرًا قَرُبًا أَسَاتِ الدَّمِ الْإِبْرَ

وَرُبَّمَا مَرُّوْا مِنْهُ مِنْ تَحْتِ الزَّوْرِ . فَلَمْ يَذْأُلُوا عَاجِزِينَ حَيَارَى سُكَارَى
وَمَا هُمْ بِسُكَارَى يَتَنَاشِدُونَ :

وَفَلَيْكَ رَكْبَانَاهُ وَالْبَجْرُ ذُو هَوَاءٍ فَسَارَ وَحَارَ وَمَارَا
فَطَوْرًا عَلَوْنَا السَّمَاءَ وَطَوْرًا رُمِينَا إِلَى الْأَرْضِ مِنْهَا نُحْدَارَا
وَأَخِرَ الْأَمْرِ نَسَفَتِ الْبُسْفِينَةُ الرِّيحُ وَأَوْعَرَ اللَّهُ سَهْلَهَا . وَخَرَفَهَا
فَأَغْرَقَهَا وَأَهْلَهَا . وَذَهَبَ الْبَجْرُ بِأَمْوَالِهَا وَأَرْوَاحِهَا . وَتَلَقَّى الْغُلَامُ
بِلُوحٍ مِنَ الْأَوَاجِ . وَاسْتَمَرَ تَقْدِفُهُ الْأَمْوَاجُ . وَتَضَطَّيْدُمُ بِهِ أَثْبَاجُ
الْبَجْرِ الْمَبَاجِ . إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى سَاحِلٍ . فَخَرَجَ وَهُوَ كَيْبٌ نَاحِلٌ .
وَصَعِدَ إِلَى جَزِيرَةٍ . فَوَاقَاهَا غَزِيرَةٌ . وَوَضَعَهَا عَجِيبٌ . لَيْسَ بِهَا دَاعٍ
وَلَا مُجِيبٌ . فَجَعَلَ يَمْشِي فِي جَنَاتِهَا إِلَى أَنْ آدَاهُ التَّوْفِيقُ . إِلَى قَمِ
طَرِيقٍ . فَسَارَ فِي تِلْكَ الْجَادَةِ . وَهَدَايَةُ اللَّهِ لَهُ مَادَّةٌ . فَأَتَتْهُمُ بِهِ
الْمُسِيرُ . إِلَى أَنْ تَرَأَى لَهُ سَوَادٌ كَبِيرٌ . وَبَلَغَ مَمْلَكَةً عَظِيمَةً . وَوَلَايَةً
جَسِيمَةً . وَرَأَى عَلَى بُعْدِ مَدِينَةٍ . مُسَوَّرَةً حَصِينَةً . فَعَمِدَ إِلَى ذَلِكَ
الْبَلَدِ . وَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ وَقَصِدَ . فَاسْتَقْبَلَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الرِّعَالِ . نِسَاءُ
وَرِجَالٍ . يَنْبَغُهُمْ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ . وَطَوَائِفُ مُحْشَدَةٌ . مِنْ طُبُولٍ تُضْرَبُ .
وَفَوَارِسَ تَلْعَبُ . وَزُمُورٍ تَرَعَقُ . وَالسَّنَةُ بِالسَّنَاءِ تَنْطِقُ . حَتَّى إِذَا
رَصَلُوا إِلَيْهِ . تَرَامَوْا عَلَيْهِ . وَاكْبَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ . يَقْبَلُونَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ .
مُسْتَبْشِرِينَ بِرُؤْيَيْهِ . مُتَبَرِّكِينَ بِطَاعَتِهِ . ثُمَّ الْبَسُوهُ الْخِلْعَ السَّنِيَّةَ .
وَتَدَمَّوْا لَهُ قَرَسًا عَلِيَّةً . يَكْنُبُوشَ ذَهَبٍ . وَسَرَجَ مُفْرَقٍ . وَوَضَعُوا

الْبَابُ السَّادِسُ . فِي الْأَمْثَالِ وَالْإِشَارَاتِ

الملك المتروى

١١٦ ذَكَرَ الْحُكَمَاءُ . وَذَوُوا الْفَضْلِ مِنَ الْعُلَمَاءِ . أَنَّهُ كَانَ فِي
بَعْضِ الْأَمْصَارِ تَاجِرٌ مِنْ أَعْيَانِ التُّجَّارِ . وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ تُحَايِلُ السَّعَادَةَ
مِنْ جَبِينِهِ لِأَمْنَةٍ . وَرَوَائِحُ النِّجَابَةِ مِنْ أَذْيَالِ شِمَالِهِ فَاثِمَةً . فَأَوْسَقَ
لَهُ أَبُوهُ مَرْكَبًا مِنَ الْمَتَاجِرِ وَالْمَنَافِعِ . وَأَخَذَ فِي تَعْيِيَةِ الْبَضَائِعِ . وَسَلَّمَهُ
إِلَى الْهَوَاءِ وَالْمَاءِ . بَعْدَ أَنْ تَوَكَّلَ عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ . فَسَارَ بَعْضَ أَيَّامٍ .
وَهُوَ فِي أَهْنٍ أَمْرَامٍ . وَأَغْلَبَ عَيْشَ وَمَقَامٍ . أَلْمَاءُ رَائِي . وَالْهَوَاءُ
مُؤَافِي . وَاللَّيْلُ مُبَارِقٌ . وَالسُّرُورُ مُرَافِقٌ . وَبَيْنَمَا السَّفِينَةُ مِنْ
نَسَبِ الْعَوَاصِفِ أَمِينَةٌ . تُجَارِي السَّهْمَ وَالطَّيْرَ . وَتُبَارِي الدَّهْمَ فِي
السَّيْرِ . وَإِذَا بِالرِّيَّاحِ هَاجَتِ . وَالْأَمْوَاجِ مَاجَتِ . وَأَثْبَاجُ الْبَحْرِ
تَصَادَمَتِ . وَأَطْوَادُ الْأَمْوَاجِ عَلَى الْعُرْقَاءِ تَلَاطَمَتِ . فَعَجَزَ ذَلِكَ الْمَلَّاحُ
وَتَرَكَ شِيَمَةَ الْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ . وَرَقِمَ نَمَشَ الْحُرُوفِ فِي الْأَوَاحِ
السَّفِينَةِ . فَشَاهَدُوا مِنْ الْهَوَاءِ الْأَهْوَالَ . وَغَدَا قَاعُ الْبَحْرِ كَالْجِبَالِ .
وَصَارَ طَائِرُ ذَلِكَ الْغُرَابِ يَمُنُّ فِيهِ مِنَ الْأَصْحَابِ . كَأَحْوَالِ
الدُّنْيَا بَيْنَ صُعُودٍ وَهَبُوطٍ . وَقِيَامٍ وَسُقُوطٍ . طَوْرًا يُسَامُونَ الْأَفْلَاقَ
وَيَتَاجُونَ الْأَمْلَاقَ . وَطَوْرًا يَبْطُونَ الْغُورَ . وَيَنْظُرُونَ قَرْنَ الثَّوْرِ .

وَالسَّوِيَّةَ . مُتَعَهِّدُ أُمُورَ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ . بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ وَأَصْنَافِ الْمُبَارَّ . مُؤَسِّسُ قَوَاعِدِ الْمَمْلَكَةِ وَالسَّاطِنَةِ عَلَى أَرْكَانِ الْعُقْلِ وَالْعَدْلِ مَهْمَا أَمَكْنَهُ . مُتَقَيِّصٌ عَنْ مَصَالِحِ الْمَمْلَكَةِ . سَالِكٌ مَعَ كُلِّ مَنْ أَرَادَ بِالْوِظَانِ مَا يَمْتَنِي مَسْلَكَهُ . ثُمَّ وَقَعَ اخْتِيَارُهُ مِنْ بَيْنِ أَوْلِيكَ الْجَمَاعَةِ عَلَى شَابِّ جَلِيلِ الْبَرَاعَةِ . لَهُ فِي سُوقِ الْقَضْلِ وَالْوَفَاءِ أَوْفَرُ بَضَاعَةٍ . مُتَصِفٌ بِأَنْوَاعِ الْكَمَالِ مُتَحَلٌّ بِزِينَةِ الْأَدَبِ وَالْجَمَالِ . فَاتَّخَذَهُ وَزِيرًا . وَفِي أُمُورِهِ نَاصِحًا وَمُشِيرًا . فَجَعَلَ يَلِيطُهُ وَيُرْضِيهِ . وَيُكْرِهُهُ وَيَدْنِيهِ . وَيُفِيضُ عَلَيْهِ مِنْ مَلَائِسِ الْإِنْعَامِ . وَخَلَعَ الْإِفْضَالَ وَالْإِكْرَامَ . مَا مَلَكَ بِهِ حَبَّةٌ فَلَيْهِ . وَاسْتَصَفَى خَالِصَ وَدِّهِ وَلَيْهِ . وَسَكَنَ فِي سُودَانِهِ . وَتَمَكَّنَ بِهِ مِنْ ضَمِيرِ أَهْلِيهِ . إِلَى أَنْ اخْتَلَى بِهِ وَتَلَطَّفَ فِي خَطَابِهِ . وَاسْتَشْصَحَهُ فِي جَوَابِهِ . وَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِ أَمْرَتِهِ وَمُوجِبِ رِفْعَتِهِ وَسَلْطَنَتِهِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةِ الرِّفَاقِ . وَلَا أَهْلِيَّةٍ وَلَا اسْتَحْقَاقٍ . وَلَا هُوَ مِنْ بَيْتِ الْمُلْكَ . وَلَا فِي نَجْرِ السَّاطِنَةِ لَهُ فُلُكٌ . وَلَا مَعَهُ مَالٌ وَلَا خَيْلٌ يُهْلِسُهَا . وَلَا رَجَالٌ وَلَا مَعْرِفَةٌ يُدْلِي بِهَا . وَلَا شَجَاعَةٌ وَفَضِيلَةٌ يَهْتَدِي بِتَهْذِيبِهَا . فَقَالَ ذَلِكَ الشَّابُّ فِي الْجَوَابِ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ أَنَّ هَذِهِ الْبَلَدَةَ وَعَسَاكِرَ أَقْلِيمِهَا وَجُنْدَهُ قَدْ اخْتَرَعُوا أَمْرًا . وَأَصْطَلَحُوا عَلَى عَادَةٍ يُجْرَى . سَأَلُوا الرَّحْمَانَ أَنْ يُقَيِّصَ لَهُمْ فِي أَوَانٍ . شَخْصًا مِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ . يَكُونُ عَلَيْهِمْ ذَا سُلْطَانٍ . فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ . فَنَبَلَكُوا فِي أَمْرِهِ هَذِهِ الْمَسَالِكُ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَدِمَتْ عَلَيْهِمْ . يُرْسِلُ اللَّهُ تَعَالَى

لَهُ النَّجَاحَ عَلَى الْمَفْرِقِ . وَمَشَوْا فِي الْخِدْمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَالْجَنَائِبُ فِي
 الْمَوَاقِبِ تَحْرُجُ لَدَيْهِ . يُنَادُونَ : حَاشَاكَ وَإِلَيْكَ . سُلْطَانُ النَّاسِ قَادِمٌ
 عَلَيْكَ . حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ . وَدَخَلُوا قَاعَهَا الْحَصِينَةَ . فَفَرَشُوا
 شُقُقَ الْحَرِيرِ . وَنَثَرُوا النَّثَارَ الْكَثِيرَ . وَأَجْلَسُوهُ عَلَى السَّرِيرِ . وَاطْلَقُوا
 نَجَاصَ النَّدَى وَالْعَبِيرِ . وَوَقَفَ فِي خِدْمَتِهِ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ . وَالْمَأْمُورُ
 وَالْأَمِيرُ وَالْدُّسْتُورُ وَالْوَزِيرُ . وَأَنشَدُوهُ :

قَدِمْتَ قُدُومَ الْبَدْرِ بَيْتَ سُعُودِهِ وَأَمْرُكَ فِينَا صَاعِدُ كُضُودِهِ
 (قَالُوا) : إَعْلَمُ يَا مَوْلَانَا أَنَّكَ صِرْتَ لَنَا سُلْطَانًا وَنَحْنُ كُلُّنَا
 عِبْدُكَ . وَتَابِعْ مُرَادَكَ وَمُرِيدَكَ . فَأَفْعَلْ مَا تَحْتَارُ . وَتَحْكَمْ فِي الْكِبَارِ
 مِنَّا وَالصَّغَارِ . وَأَمْرٌ فَأَمْتَالُ أَمْرَكَ عَلَيْنَا مَحْتَمُومٌ . وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ فِي خِدْمَتِكَ
 مَتَامٌ مَنُكُومٌ . فَجَعَلَ يَتَفَكَّرُ فِي أَمْرِهِ وَمَبْدَأِهِ . وَتَيَأَمَّلُ مَا صَارَ إِلَيْهِ
 وَيَتَدَبَّرُ فِي مُنْتَهَاهُ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا بَدْلَ لَهُ مِنْ سَبَبٍ . وَلَا بُدَّ
 لَهُ مِنْ آخِرٍ وَمُنْقَلَبٍ . فَإِنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ فِي عَالَمِ الْكُؤُونِ سُدىً . وَإِنَّ
 لِهَذَا الْيَوْمِ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ غَدًا . وَإِنَّ الصَّانِعَ الْقَدِيمَ الْقَادِرَ الْحَكِيمَ .
 السَّمِيعَ الْعَلِيمَ الْبَصِيرَ الْحَيَّ الْمُدَبِّرَ الْكَرِيمَ . لَمْ يَقْدِرْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ . عَلَى
 سَبِيلِ الْإِهْمَالِ . وَلَمْ يُخْدِثْ حَدَثًا . لَعِبًا وَلَا عَبَثًا . وَجَعَلَ يَلْزِمُ هَذِهِ
 الْأَفْكَارَ . آثَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَائِمٌ بِشُكْرِ
 النِّعْمَةِ . مُلَازِمٌ بَابَ مَرَلَاهُ بِالطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ . وَاضِعٌ الْأَشْيَاءَ فِي مَحَلِّهَا .
 وَالْمَنَاصِبَ فِي يَدِ أَهْلِهَا . مُتَنَبِّئٌ إِلَى أَحْوَالِ الرَّعِيَةِ عَامِلٌ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ

الْوَزِيرُ الْمُصْلِحُ : فَهَلْ أَطْلَعَ أَحَدٌ مِّنْ تَقَدَّمَ عَلَى عَاقِبَةِ هَذَا الْمُنَافِقِ .
 قَالَ بِكُلِّ عَرَفَ ذَلِكَ . وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ هَاكَذَا . وَلَكِنْ غُرُورُ
 السُّلْطَانَةِ يُلْهِمُهُ . وَسُرُورُ التَّحَكُّمِ وَالْتِسْلُطِ يُطْغِيهِ . وَحُضُورُ اللَّذَّةِ الْخَاصَّةِ
 لِسُوءِ الْعَاقِبَةِ يُنْسِيهِ . وَلَا يُفِيقُ مِنْ غَفْلَتِهِ . وَيَسْتَقِظُ مِنْ رَقَدَتِهِ . إِلَّا
 وَعَامَهُ قَدْ مَضَى . وَالْأَجَلَ الْمَضْرُوبُ قَدْ انْقَضَى . وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ
 نَوَازِلُ الْأَبْلَاءِ . وَهَجَمَ عَلَيْهِ بَوَازِلُ الْقَضَاءِ . فَيَسْتَعِثُّ . وَلَا مُعِثَّ .
 وَيُنَادِي الْخَلَاصَ . وَلَا تَحِينَ مَنَاصِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْغَلَامَ . هَذَا الْكَلَامَ .
 أَطْرَقَ مَفْكَرًا . وَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا . وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكَ أَمْرَهُ وَيَتَلَفَّ
 خَيْرَهُ وَشَرَّهُ وَتَدَبَّرَ حَالَهُ وَمَصِيرَهُ وَمَالَهُ . هَلَكَ هَلَاكَ الْأَبَدِ . وَلَمْ يَشْعُرْ
 بِهِ أَحَدٌ . فَأَخَذَ يُفَكِّرُ فِي وَجْهِ الْخَلَاصِ . وَالتَّفَصِّيِّ مِنْ شَرِّ الْإِفْتِنَاصِ .
 ثُمَّ قَالَ لِلْوَزِيرِ النَّاصِحِ الْخَيْرِ : أَيُّهَا الرَّفِيقُ الشَّفِيقُ . وَالنُّصُوحُ الصَّدِيقُ .
 جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا . وَكَفَاكَ ضَمِيمًا وَضِيرًا . إِنِّي قَدْ فَكَّرْتُ فِي شَيْءٍ يَنْفَعُ
 نَفْسِي وَيُنْجِيهَا . وَيَدْفَعُ شَرَّ هَذِهِ الْبَلَاءَةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا . وَلَمْ يَبْقَ جَهَةٌ
 مُخْلَصٌ . مِنْ هَذَا الْمُقْنَصِ . إِلَّا طَرِيقٌ وَاحِدٌ . وَسَبِيلٌ غَيْرُ مُتَعَاهِدٍ . وَهُوَ
 أَنْ تَأْخُذَ طَائِفَةٌ مِنَ الْبَنَاتَيْنِ . وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْهَنْدَسِيِّينَ وَالنَّجَّارِينَ .
 فَتَأْمُرُهُمْ أَنْ يَبْنُوا لَنَا هُنَاكَ مَدِينَةً . وَبُشَيْدُوا لَنَا فِيهَا أَمَاكِنَ مَكِينَةً .
 وَخَازِنَ وَحَوَاصِلَ . وَمَمْلَأَهَا مِنَ الزَّادِ الْمُتَوَاصِلِ . مِنَ الْمَأْكَلِ الطَّيِّبِ .
 وَالْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ اللَّذِيذَةِ الْمُسْتَعْدَّةِ . وَلَا تَقْفَلْ عَنِ الْإِرْسَالِ . وَلَا
 تُجَبِّزَنَّ لِإِهْمَالِ وَالْإِهْمَالِ . فِي الظَّهِيرَةِ وَالْأَنْحَارِ وَالْعُدُودِ وَالْأَصَالِ . إِذْ

رَجُلًا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَيْهِمْ . فَيَسْتَقْبِلُونَهُ كَمَا اسْتَقْبَلُوكَ . وَيَسْلُكُونَ مَعَهُ
طَرِيقَةَ الْمُلُوكِ . مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ وَلَا زِيَادَةٍ . وَقَدْ صَارَتْ هِدًى لَهُمْ عَادَةً .
فَيَسْتَمِرُّ عَلَيْهِمْ سَنَةٌ . فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ الْحَسَنَةِ . فَإِذَا انْقَضَى الْأَجَلُ
الْمَعْدُودُ . وَجَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ . عَمَدُوا إِلَى ذَلِكَ السُّلْطَانِ وَقَدْ
صَارَ فِيهِمْ ذَا إِمْكَانٍ وَمَكَانٍ وَعُلُقَةٌ وَنَسَبٌ . وَإِخَاءٌ وَنَسَبٌ . وَثَبَّتَ
لَهُ أَوْتَادٌ . وَصَارَ لَهُ أَهْلٌ وَأَوْلَادٌ . جَرُّهُ بِرَجُلِهِ مِنْ التَّخْتِ . وَسَلْبُوهُ
ثَوْبَ الْعِزَّةِ وَالرَّخْتِ . وَأَلْبَسُوهُ ثَوْبَ الذَّلِيلِ وَالنِّكَالِ . وَأَوْثَقُوهُ
بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ . وَحَمَلَهُ الْأَهْلُ وَالْأَقَارِبُ . وَأَتَوْا بِهِ إِلَى بَحْرِ
قَرِيبٍ فَوَضَعُوهُ فِي قَارِبٍ . وَسَلَّمُوهُ إِلَى مُوَكَّلِينَ لِيُوصِلُوهُ إِلَى ذَلِكَ
الْجَانِبِ . فَيُوصِلُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ . وَهُوَ قَفْرٌ أَغْبَرٌ . لَيْسَ بِهِ أَنْيْسٌ وَلَا
رَفِيقٌ . وَلَا جَلِيسٌ وَلَا صَدِيقٌ . وَلَا زَادٌ وَلَا مَاءٌ . وَلَا نُشْوٌ وَلَا نَمَاءٌ .
وَلَا مُغِيثٌ وَلَا مُعِينٌ . وَلَا قَرِيبٌ وَلَا قَرِينٌ . وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا إِمْكَانٌ .
عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْعُمَرَانِ . وَلَا ظِلٌّ وَلَا ظَلِيلٌ . وَلَا إِلَى الْخِلَاصِ
سَبِيلٌ . وَلَا إِلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ دَلِيلٌ . فَيَسْتَمِرُّ هُنَاكَ فَرِيدًا طَرِيدًا إِلَى
أَنْ يَهْلِكَ عَطَشًا وَجُوعًا . لَا يَمْلِكُ إِقَامَةً وَلَا يَسْتَطِيعُ رُجُوعًا . ثُمَّ
يَسْتَأْنِفُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ . مَا لَهُمْ مِنْ فِعْلٍ مُعْتَادٍ . فَيَخْرَجُونَ بِالْأَهْبَةِ
الْكَامِلَةِ . إِلَى تِلْكَ الطَّرِيقِ السَّائِلَةَ . فَيَقِصُّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ رَجُلًا .
فَيَفْعَلُونَ مَعَهُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا مَعَ غَيْرِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا . وَهَذَا دَأْبُهُمْ وَدِينُهُمْ .
وَقَدْ ظَهَرَ لَكَ ظَاهِرُهُمْ وَبَاطِنُهُمْ . فَقَالَ ذَلِكَ الْعَلَامُ الْفَلُحُ . لِذَلِكَ

وَسَلَبُوهُ تَمَلُّكَتَهُ الْعَظِيمَةَ . وَزَالَتِ الْجَشَمَةُ . وَالْكَلِمَةُ وَالْحُرْمَةُ . وَشَدُّوا
وَنَاقَةً وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْحَرَّاقَةِ وَوَضَعُوهُ . وَقَدْ رَبَطُوهُ فِي الْمَرْكَبِ
الَّذِي هَيَّأُوهُ . وَأَرْصَلُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ مِنَ الْبَحْرِ . فَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ إِلَّا
وَقَدْ أَقْبَلَتْ خَدْمُهُ عَلَيْهِ . وَتَمَثَّلَتْ طَوَائِفُ الْحَشَمِ وَالنَّاسِ لَدَيْهِ . وَذُقَّتِ
الْبَشَائِرُ لِقَدَمِهِ . وَحَلَّ فِي سُورِهِ الْمُقِيمِ وَنَعَمِهِ . وَأَسْتَمَرَ فِي أَتَمِّ سُرُورِهِ .
وَأَسْتَقَرَّ فِي أَوْفَرِ حُبُورِهِ (مُلَخَّصٌ عَنْ فَاكِهِةِ الْخُلَفَاءِ لِابْنِ عَرَبِشَاه)

نخبة

من كشف الامرار عن حكم الطيور والازهار لابن تائم المقدسي

المقدمة

١١٧ لَقَدْ أَخْرَجَنِي الْفَكْرُ يَوْمًا لِأَنْظُرَ مَا أَحْدَثَتْهُ أَيْدِي الْقَدَمِ فِي
الْحَدَثِ . وَأَوْجَدْتُهُ أَلِكِمَّةً الْبَالِغَةَ لَا لِلْعَبَثِ . فَأَتَيْتُ إِلَى رَوْضَةٍ قَدْ
رَقَّ أَدِيمُهَا . وَرَاقَ لَسِيمُهَا . وَنَمَّ طَيْبُهَا . وَغَنَّى عَنْدَلِيهَا . وَتَحَرَّكَتْ عِيدَانُهَا .
وَقَامَلَتْ أَغْصَانُهَا . وَتَبَلَبَلَتْ بِلَايُهَا . وَتَسَلَّسَلَتْ جَدَاوِلُهَا . وَتَسَرَّحَتْ
أَنْهَارُهَا . وَتَضَوَّعَتْ أَقْطَارُهَا . وَتَنَمَّقَتْ أَزْهَارُهَا . وَصَوَّتْ هَزَارُهَا .
فَقُلْتُ : يَا لِمَا مِنْ رَوْضَةٍ مَا أَهْنَاهَا . وَخَلْوَةٍ مَا أَصْفَاهَا . فَيَا لَيْتَنِي
أَسْتَصْحَبْتُ صَدِيقًا حَمِيمًا . يَكُونُ لِطَيْبِ حَضْرَتِي نَدِيمًا . فَنَادَانِي لِسَانُ
الْحَالِ . فِي الْحَالِ . أَتُرِيدُ نَدِيمًا أَحْسَنَ مِنِّي . أَوْ حَبِيبًا أَفْضَحَ مِنِّي .
وَلَيْسَ فِي حَضْرَتِكَ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ نَاطِقٌ بِلِسَانِ مَجَالِهِ . مُنَادٍ عَلَى نَفْسِهِ
بِدُنُو أَرْحَامِهِ . فَاسْتَمِعْ لَهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ رِجَالِهِ .

أَوْقَاتُنَا مَحْدُودَةٌ. وَأَنْفُسُنَا مَعْدُودَةٌ. وَسَاعَةٌ تُتَمِّضِي مِنْهَا غَيْرُ مَرْدُودَةٍ.
بَحِثْ إِذَا نُقِلْنَا مِنْ هَذِهِ الدِّيَارِ. وَطَرَحْنَا فِي تِلْكَ الْمَهَامِهِ وَالْقَقَارِ. وَجَفَانَا
أَلْأَصْحَابُ. وَتَخَلَّى الْأَحْلَاءُ عَنَّا وَالْأَحْبَابُ. وَأَنْكَرْنَا الْمَعَارِفُ وَالْأَوْدَاءُ.
وَأَحْتَوَشْنَا فِي تِلْكَ الْبَيْدَاءِ. فَفُتِنُوا الدَّاءُ. نَحْمَدُ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ
الْأَوْدِ. مُدَّةَ إِقَامَتِنَا فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ. فَاجَابَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. وَاخْتَارَ
مِنَ الْبَنَانِينَ جَمَاعَةً. وَأَخْضَرَ الْمَرَآكِبَ. وَقَطَعَ الْبَحْرَ إِلَى ذَلِكَ الْجَانِبِ.
وَجَعَلَ الْمَلِكُ يُدْهِمُهُم بِالْآلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ. عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ وَمَدَى
السَّاعَاتِ. إِلَى أَنْ أَنْهَى الْبَنَانُونَ الْعِمَارَةَ. وَاكْتَمَلُوا حَوَاصِلَ الْمُلْكِ
وَدَارَهُ. وَأَجْرُوا فِيهَا الْأَنْهَارَ. وَغَرَسُوا فِيهَا الْأَشْجَارَ. فَصَارَتْ تَأْوِي
إِلَيْهَا الْأَعْيَارُ. وَيَتَرَنَّمُ فِيهَا الْبُلْبُلُ وَالْمُزَارُ. وَغَدَتْ مِنْ أَحْسَنِ
الْأَمْصَارِ. وَبَنَوْا حَوَالِيهَا الضِّيَاعَ وَالْقُرَى. وَزَرَعُوا مِنْهَا أُلُوهَادَ
وَالزَّرَى. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْخَزَائِنِ. وَنَفَاسِ الْجَوَاهِرِ
وَالْمَعَادِنِ. وَجَهَّزَ الْخُدَمَ وَالْحَثَمَ. وَصَنُوفَ الْأَسْتِعْدَادَاتِ مِنَ النِّعَمِ.
فَمَا انْقَضَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ. وَدَنَتْ أَوْقَاتُ هُلُوكِهِ. إِلَّا وَنَفْسُهُ إِلَى مَدِينَتِهِ
تَأْتَتْ. وَرُوحُهُ إِلَى مُشَاهَدَتِهَا أَشْتَاَفَتْ. وَهُوَ مُسْتَوْفِزٌ لِلرَّحِيلِ. وَرَايَضُ
لِلشُّهُوسِ وَالْتَّحْوِيلِ. وَلَمَّا تَكَامَلَ لَهُ فِي الْمُلْكِ الْعَامُ. لَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ
أَحَاطَ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُ. يَمُنُّ كَأَن يَفْدِيهِ بِرُوحِهِ. مِنْ خَادِمِهِ وَنَصُوحِهِ.
وَمَنْ كَانَ سَامِعًا لِكَلِمَتِهِ. مِنْ أَعْيَانِ خَدَمِهِ وَحَشِيَّتِهِ. وَقَدْ تَجَرَّدُوا لِحُذْيِهِ
مِنَ السَّرِيرَةِ. وَزَرَعَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْبَاسِ الْحَرِيرِ. وَمَشَوْا عَلَى عَادَتِهِمِ الْقَدِيمَةِ.

وَتَسْلَسَلُ بِي الْأَنْهَارُ . وَتُلْقِحُ الْأَشْجَارُ

اشارة الورد

١١٩ ثُمَّ سَمِعْتُ إِشَارَةَ الشَّجَارِ بِإِفْنَانِهَا . وَالْأَزَاهِيرِ فِي تَلَوْنِ أَلْوَانِهَا .
 إِذْ قَامَ الْوَرْدُ يُخْبِرُ عَنْ طِيبِ وَرْدِهِ . وَيَعْرِفُ بِعَرَفِهِ عَنْ شُهُودِهِ .
 وَيَقُولُ أَنَا الضَّيْفُ الْوَارِدُ بَيْنَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . أَزُورُ زِيَارَةَ الطَّيْفِ .
 فَأَغْتَمِعُوا وَقْتِي فَأَلُوقْتُ سَيْفٌ . . . فَأَنَا الزَّائِرُ وَأَنْتَ الْمَزُورُ . وَالطَّمَعُ
 فِي بَقَاءِ زُورٍ . ثُمَّ مِنْ عِلَامَةِ الدَّهْرِ الْمَكْدُورِ . وَالْعَيْشِ الْمَمْرُورِ .
 أَنَّنِي حَيْثُ مَا نَبْتُ دَائِرَ الْأَشْوَالِ تَرَاهِنِي . وَتُجَاوِرُنِي . فَأَنَا بَيْنَ
 الْأَدْغَالِ مَطْرُوحٌ . وَبَيْنَ بَالِ شَوْكِي مَجْرُوحٌ . وَهَذَا دَمِي عَلَى مَا عِنْدِي
 يَلُوحٌ . فَهَذَا حَالِي وَأَنَا أَشْرَفُ الْوَرَادِ . وَالطَّفُ الْأَوْرَادِ . فَمَنْ ذَا الَّذِي
 سَلِمَ مِنَ الْأَنْكَادِ . وَمَنْ صَبَرَ عَلَى مَرَارَةِ الدُّنْيَا فَقَدْ بَلَغَ الْمُرَادِ . فَيَيْنَمَا
 أَنَا أَرْفُلُ فِي حُلْلِ النَّصَارَةِ . إِذْ أَقْطَعْتَنِي أَيْدِي النَّظَارَةِ . فَأَسْلَمْتَنِي
 مِنْ بَيْنِ الْأَزَاهِيرِ . إِلَى ضَيْقِ الْقَوَارِيرِ . فَيَذَابُ جَسَدِي . وَتُحْرَقُ
 كِبْدِي . وَيَمِزُّ جِلْدِي . وَيَقْطُرُ دَمْعِي النَّدِي . فَلَا يُقَامُ بِأَوْدِي :
 فَإِنْ غَبْتُ جَسْمًا كُنْتُ بِالرُّوحِ حَاضِرًا . فَقَرَّبِي سَوَاءٌ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالْبَعْدُ
 وَبِاللَّهِ مَنْ أَضْحَى مِنَ النَّاسِ قَائِلًا . كَأَنَّكَ مَا الْوَرْدُ إِذْ ذَهَبَ الْوَرْدُ

اشارة المرسين

١٢٠ فَلَمَّا سَمِعَ الْمَرْسِينَ كَلَامَ الْوَرْدِ . قَالَ قَدْ بَاحَ النَّسِيمُ بِسِرِّهِ .
 وَكَشَرَ السَّحَابُ عَشْوَدَ دُرِّهِ . وَتَضَوَّعَ الْبَهَارُ بِذَخْرِهِ . وَتَبَهَّرَجَ الرَّبِيعُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ نَسِيمَ الصَّبَا لَهُ نَفْسٌ تَشْرُهُ صَاعِدُ
 فَطَوْرًا يَنُوحُ وَطَوْرًا يَفُوحُ كَمَا يَفْعَلُ الْفَاعِدُ الْوَاحِدُ
 وَسَكَبُ النِّعَامِ وَنَدْبُ الْحَمَامِ إِذَا مَا شَكَا غَضَنَهُ الْمَائِدُ
 وَنُورُ الصَّبَاحِ وَنُورُ الْأَفَاحِ وَقَدْ هَزَّهُ الْبَارِقُ الرَّاعِدُ
 وَوَافَى الرَّبِيعُ بِمَعْنَى بَدِيعٍ يَتَرَجَّمُهُ وَرَدُّهُ الْوَارِدُ
 وَكُلُّ لَأَجْلِكَ مُسْتَنْبِطٌ لِمَا فِيهِ تَفْعُكَ يَا جَاهِدُ
 وَكُلُّ لَإِلَآئِهِ ذَاكِرٌ مُقَرَّرٌ لَهُ شَاكِرٌ حَامِدُ
 وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

إشارة النسيم

١١٨ قَاوَلْ مَا سَمِعْتُ هَمَمَةَ النَّسِيمِ . يَتَرَجَّمُ بِصَوْتِهِ الرَّخِيمِ . يَقُولُ
 بِلِسَانِ حَالِهِ . مُفَصِّحًا عَنْ سَقَمِهِ وَاتِّحَالِهِ : أَنَا لَيْزُ الْأَعْطَافِ . هَيْنُ
 الْإِنْعَاطِفِ . سَرِيعُ الْإِتِّلَافِ . يَتَرَفُّ بِلُطْفِي ذَوُو الْأَلْطَافِ . وَلَوْ لَا
 وَجُودِي فِي الْجَوِّ لَجَافَ . وَلَا تَظُنَّ أَنَّ اخْتِلَافَ أَهْوَايَ . سَبَبُ
 إِنْغَوَايَ . بَلْ اخْتَلَفَ فِي الْفُضُولِ الْأَرْبَعُ . لِمَا هُوَ أَضَحُّ لَكَ وَأَنْفَعُ .
 فَاهْبُ فِي الرَّبِيعِ شِمَا لَا فَاتَحُ الْأَشْجَارَ . وَأَعْدِلْ فَضْلَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .
 وَاهْبُ فِي الصَّيْفِ صَبَا قَائِمِي الثَّمَارِ . وَأَصْقِي الْأَشْجَارَ . وَاهْبُ فِي
 الْحَرِيفِ جُنُوبًا فَتَأْخُذْ كُلَّ ثَمَرَةٍ حَدَّ طَبِيعِهَا . وَتَسْتَوِي حَقَّ تَرْكِيبِهَا .
 وَاهْبُ فِي الشِّتَاءِ دُبُورًا لِيَخْفَ عَنْ كُلِّ شَجَرَةٍ حَمْلُهَا . وَيَهْفَ وَرَقُهَا
 وَيَنْقُ أَصْلُهَا . قَاوَا الَّذِي تَنْمُو فِي الثَّمَارِ . وَتَرْهُوِي الْأَرْهَارُ .

وَأَوْتَقُ بِأَعَزِّمَةِ شُرْطِي . وَلَا أَزَالُ وَاقِفًا عَلَى قَدَمٍ . وَكَذَلِكَ وَظِيفُهُ
 مِنْ خَدَمٍ . لَا أَجْلِسُ بَيْنَ جُلَاسِي . وَلَا أَرْفَعُ إِلَى الْأَنْدِيمِ رَأْسِي . وَلَا
 أَمْنَعُ الْطَّالِبَ طَيْبَ أَنْفَاسِي . وَلَسْتُ لِهَيْدٍ مِنْ وَصَائِي بِنَاسِي . وَلَا
 عَلَى مَنْ قَطَعَنِي قَائِي . وَكَأْسِي بِصَفْوِهِ لِي كَأْسِي . بُنِيَ عَلَى قَضْبِ
 الزُّرْدِ أَسَاسِي . وَجُعِلَ مِنَ اللَّحْنِ وَالْمَسْجِدِ لِبَاسِي . أَتَأْمَعُ تَقْصِيرِي
 فَأُطْرُقُ إِطْرَاقَ الْحَجَلِ . وَأُفَكِّرُ فِي مَصِيرِي فَأُحْرِقُ لَهْجُومَ الْأَجَلِ .
 فَأُطَارِقُ اعْتِرَافَ بَثْمِصِيرِي . وَإِطْلَاقِي نَظْرًا إِلَى مَا فِيهِ مَصِيرِي :

قَتُّ مِنْ ذَلٍّ عَلَى قَدَمِي مُطَرِّقًا بِالرَّاسِ مِنْ زَلَالِي
 لَمْ يَكُنْ فِي الْقَادِمِينَ غَدًا نَافِعِي عَالِي وَلَا عَمَلِي
 مُقَاتِي إِنْسَانَهَا أَبَدًا قَطُّ لَا يَرْتَدُّ مِنْ وَجَلِي
 عَجَلًا فِي خِيفَةٍ وَكَذَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ

إشارة البان

١٢٢ فَلَمَّا نَظَرَ الْأَشْجَارُ إِلَى طَرَبِ الْبَانِ بَيْنَهُمْ . وَتَمَائِلِهِ دُونَهُمْ . لَا مَوَهُ
 عَلَى كَثَرَةِ تَمَائِلِهِ . وَعَنْفُوهُ عَلَى إِعْجَابِهِ بِشَمَائِلِهِ . فَمَائِلٌ هُنَا لِكَ الْبَانِ .
 وَقَالَ : قَدْ ظَهَرَ عَذْرِي وَبَانَ . فَمَنْ ذَا يُلُومُنِي عَلَى تَمَائِلِ أَغْصَانِي .
 وَاهْتَرَأَزَ أَزْكَانِي . وَأَنَا الَّذِي بَسَطْتُ لِي الْأَرْضَ مَطَارِفَهَا . وَأَضْهَرْتُ
 لِي الرِّيَاضَ زُخَارِفَهَا . وَأَهْدَيْتُ لِي كَسَمَاتِ الْأَشْجَارِ لَطَائِفَهَا وَظَرَائِفَهَا .
 فَإِذَا رَأَيْتُ سَاعَةَ سُورِ أَمْوَاتِ النَّبَاتِ قَدْ اقْتَرَبَتْ . وَرَأَيْتُ الْأَرْضَ
 قَدْ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ . وَجَانَ وَرُودُ وَرَدِّي . فَأَنْظُرُ إِلَى الْوُرْدِ وَقَدْ وَرَدَ :

بِقَالِدٍ قَحْرِهِ . وَخَلَعَ الْوَرْدُ عِذَارَهُ . وَسَحَبَ عَنِ الرَّوْضِ الْأَنِيقِ
 أَزْهَارَهُ . فَهَمَّ بِنَا تَفَرُّجٍ . وَنَتِيهِ بِحُسْنِنَا وَنَتَبَّهِجٍ . فَأَيَّامُ السُّرُورِ مُخْتَلِسُ
 وَأَوْقَاتُهُ بِأَسْرِهَا مُخْتَبِسُ . فَلَمَّا سَمِعَ الْوَرْدُ كَلَامَ الْمُرْسِيْنِ . قَالَ لَهُ :
 يَا أَمِيرَ الرِّيَاحِيْنَ . بِئْسَ مَا قُلْتَ . وَلَوْ جُمِعَ بِكَ الْغَضَبُ مَا صُلَتْ . فَقَدْ
 نَزَلْتَ عَنْ شَيْمِ الْأَمْرَاءِ . بَعْدَ مَا مَلَكَ الْعُصَابُ مِنَ الْآرَاءِ . فَمَنْ
 الْمَصِيبُ إِذَا زَلَّتْ . وَمَنْ الْهَادِي إِذَا ضَلَّتْ . تَأْمُرُ بِاللَّهُوِ عِنْدَكَ .
 وَتُحَرِّضُ عَلَى الزَّهْ جُنْدَكَ . وَأَمِيرُ الرَّعِيَّةِ . صَاحِبُ الْفِكْرَةِ الرَّدِيَّةِ .
 فَلَا يَعْجَبُكَ حُسْنُكَ . إِذَا تَمَّائِلَ غَضُنُكَ . وَأَخْضَرَ أَوْرَاقَكَ . وَأَكْرَمَ
 أَعْرَاقَكَ . فَأَيَّامُ الشَّبَابِ سَرِيَّةُ الزَّوَالِ . دَارِسَةُ الطَّلَالِ . كَالطَّيْفِ
 الطَّارِقِ . وَالْحَيَالِ الْمَارِقِ . وَكَذَلِكَ الشَّبَابُ . أَخْضَرَ الْجَلْبَابِ وَالذِّيَابِ .
 مُخْتَلَفُ الْأَجْنَاسِ . كَاخْتِلَافِ الْحَيَوَانِ بَيْنَ النَّاسِ . فَمِنْهَا مَا يُشَمُّ
 وَيَذُبُّ . وَيُجَوَّلُ خِطَابُهُ وَيُثْقَلُ . وَتَطْرُقُهُ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ . وَيَعُودُ
 مَطْرُوحًا عَلَى الْأَكْوَامِ . وَمِنْهَا مَا يُؤْكَلُ ثِمَارُهُ . وَتُجَدُّ فِي النَّاسِ
 آثَارُهُ . وَالسَّالِمُ مِنَ النَّارِ أَقْلُهُ . وَإِيَّاكَ وَالْإِعْتِرَادَ . فِي هَذِهِ الدَّارِ .
 فَإِنَّمَا أَنْتَ فَرِيْسَةٌ لِأَسَدِ الْحِمَامِ . وَبَعْدُ فَقَدْ تَصَحَّحْتَ وَالسَّلَامُ

إشارة النرجس

١٢١ فَأَجَابَهُ النَّرْجِسُ مِنْ خَاطِرِهِ . وَهُوَ نَاطِرٌ لِمُنَاطِرِهِ فَقَالَ : أَنَا
 رَقِيبُ الْقَوْمِ وَشَاهِدُهُمْ . وَتَسْمِيرُهُمْ وَمُنَادِيَهُمْ . وَسَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ .
 أَعْلَمُ مِنْ لَهُ هِمَّةٌ . كَيْفَ تَكُونُ شُرَاطُ الْحِدْمَةِ . أَشَدَّ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي .

الْأَيَّامُ فَمَا أَطَالَتْ لِي أَمَدًا . وَغَيَّرْتَنِي الْأَحْكَامُ فَمَا أَبَقْتُ لِي جِدًا
وَلَا جَدًا . فَمَا أَقْصَرَ مَا قُضِيَتْ عِشَاءُ رَغَدًا . وَمَا أَطْوَلَ مَا بَقِيَتْ يَابِسًا
مُجْرَدًا . وَجَمَلَةُ حُصُولِي . أَنَّنِي أُؤْخَذُ أَيَّامَ حُصُولِي . فَأَقْطَعُ مِنْ أُصُولِي .
وَأُمنَعُ مِنْ وَصُولِي . وَكَمْ مِمَّنْ يَتَّقَوْنَ عَلَى ضُعْفِي . وَيَعْسِفُ بِي مَعَ تَرْفِي
وَلُطْفِي وَظَرْفِي . فَيَسْتَعْمُ بِي مَنْ حَضَرَ نِي . وَيَسْتَحْلِي بِي مَنْ نَظَرَ نِي .
ثُمَّ لَا أَبْلُثُ إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ . حَتَّى أَسَامَ بِالْجَنَسِ سَوْمٌ . وَيُعَادُ
عَلَيَّ بَعْدَ النَّشَاءِ بِاللَّوْمِ . فَأَمْسِي مِمَّا لَقِيتُ مَمْعُوكًا . وَبِأَيْدِي الْحَوَادِثِ
مَعْرُوكًا . فَإِذَا أَصْبَحْتُ يَابِسًا . وَمِنْ النَّصَارَةِ أَسَا . أَخَذَنِي أَهْلُ الْمَعَانِي .
مَنْ هُوَ لِلْحَكَمِ يُعَانِي . فَنَفْسُشُ بِي الْأَوْرَامُ الْقَاشِيَةُ . وَتَلَيْنُ الْأَلَامُ
الْقَاشِيَةُ . وَتُطْفِئُ بِي الطَّبَائِعُ الْعَاقِيَةُ . وَتُدْفَعُ بِدَوَائِي الْأَدْوَاءُ
الْعَادِيَةُ . فَالِنَّاسُ مُتَعَوْنَ بِيَاسِي وَرَطْبِي . جَاهِلُونَ بِعِظَمِ خَطْبِي .
عَافِلُونَ عَمَّا أُودِعَ بِي مِنْ حَكَمِ رَبِّي . وَإِنِّي لَمَنْ يَتَذَكَّرُنِي عِبْرَةٌ لِمَنْ
أَعْتَبَرَ . وَتَذَكُّرَةٌ لِمَنْ أَذْكَرَ . وَفِي مُزْدَجَرٍ لِمَنْ أَرْدَجَرَ :

وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ الْبَسْفِ إِذَا غَدَا يَحْكِي بِأَوْرَاقٍ عَلَى أَنْغْصَانِهِ
جَنَاشًا طَوَارِفُهُ الزَّرْجَدُ رَصَعَتْ أَحْجَارُ يَاقُوتٍ عَلَى خُرْصَانِهِ
فَكُنَّا أَعْدَاؤُهُ بِجِلَادَةٍ شِلَتْ رُؤُوسَهُمْ عَلَى عِيدَانِهِ

إشارة للخرام

١٢٤ فَلَمَّا رَأَى الْخِرَامُ . مَا يُكَادُهُ الزَّهْرُ مِنَ الْقَيْدِ وَالْأَلْتِرَامِ .
فَمِنْهَا مَا يُضَامُ . وَيُنْثَرُ بَعْدَ النِّظَامِ . وَبِالْثَّنِّ التَّجْسِيسَامُ . قَالَ : مَا

وَالْإِلَى الْبَرْدِ وَقَدْ شَرَدَ . وَإِلَى الزَّهْرِ وَقَدْ اتَّقَدَ . وَإِلَى الْحَبِّ وَقَدْ انْعَقَدَ .
وَالْإِلَى النُّعْنَ نِ الْيَاسِ وَقَدْ كُسِيَ بَعْدَ مَا انْجَرَدَ . وَإِلَى اخْتِلَافِ
الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَقَدْ انْتَحَدَ . فَأَعْلَمُ أَنَّ صَانِعَهَا وَاحِدٌ أَحَدٌ .
وَصَاحِبُهَا صَمَدٌ . وَمُوجِدُهَا بِالْقُدْرَةِ قَدْ انْفَرَدَ . فَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى أَحَدٍ . وَلَا
يَسْتَفْنِي عَنْهُ أَحَدٌ . وَلَا يُشَارِكُهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ . فَهَذَا لَكَ تَمَآلَيْتَ قُدُودِي .
طَرَبًا بِطِيبِ شُهُودِي . وَتَبَلَّاتِ بِلَابِلِ سُعُودِي . عَلَى تَحْرِيكِ عُودِي .
ثُمَّ تَذَرِكُنِي عِنَايَةً مَعْبُودِي . فَأَفَكِّرُ فِي عَدَمِ وُجُودِي . وَفَوَاتِ
مَقْصُودِي . فَأَنْعَطُ عَلَى الْوَرْدِ فَأُخِيرُهُ بِوُرُودِي . وَأَخْلَعُ عَلَيْهِ مِنْ
بُرُودِي . وَأَسْتَخْبِرُهُ أَيْنَ مَقْصَدِي وَوُرُودِي . فَقَالَ لِي : وَجُودُكَ
كَوْجُودِي . وَرُكُوعُكَ كَسُجُودِي . أَنْتَ بِخُضْرَةِ قُدُودِكَ . وَأَنَا بِجُمُرَةِ
خُدُودِي . فَهَلُمَّ نَجْعَلْ فِي النَّارِ وَقُودَكَ وَوَقُودِي . قَبْلَ نَارِ خُلُودِكَ
وَحُلُودِي . فَقُلْتُ لَهُ : إِذَا صَحَّ الْأَذْلَافُ . وَرَضِيتَ لِنَفْسِكَ بِالْأَلْأَفِ .
فَلَيْسَ لِلْأَلْأَفِ خِلَافٌ . فَتَقْتَضِفُ عَلَى حُكْمِ الْوُفَاقِ . وَتُخْتَضِفُ مِنْ بَيْنِ
الرِّفَاقِ . فَتُصْعَدُ أَنْفَاسُنَا بِالْإِخْتِرَاقِ . وَتُقَطَّرُ دُمُوعُنَا بِالْإِشْفَاقِ . فَإِذَا
فِينَا عَلَى صُورِ أَشْبَاحِنَا . بَقِينَا بِمَعَانِي أَرْوَاحِنَا . فَشَتَّانَ بَيْنَ غَدُونَا وَوَرَاخِنَا

اشارة بالنفس

١٢٣ فَنَفْسُ الْبَنَفْسِجِ تَنْفَسُ الصُّعْدَاءِ . وَتَأَوَّهُ تَأَوَّهُ الْبُعْدَاءِ .
وَقَالَ : طُوبَى لِمَنْ عَاشَ عَيْشَ السُّعْدَاءِ . وَمَاتَ مَوْتَ الشُّهْدَاءِ . إِلَى
كَمْ أَذُوبُ بِالذُّبُولِ كَمَا . وَأَصْغَسِي بِالْثُّحُولِ أَوْ أَبَا جُدْدًا . أَفْتَنِي

إِلَيَّ شَاهِي . فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَسْقَطَ جَاهِي . أَرْفُلُ فِي بَوِي
 أَلْقَانِي . وَأَنَا مُدْخُوضٌ عِنْدَ مَنْ يَلْقَانِي . فَلَا أَنَا فِي الْحَضْرَةِ حَاضِرٌ .
 وَلَا يُشَارُ إِلَيَّ بِالنَّوَظِرِ . وَلَا أُنْفَخُ بِالْمُنَاخِرِ . وَمَا بَرَحْتُ فِي عَدَدِ
 الرِّيَاحِينَ آخِرَ . فَأَنَا طَرِيدٌ عَنْ صَحْبِي . بَعِيدٌ عَنْ قُرْبِي . وَمَا أَظُنُّ
 ذَلِكَ إِلَّا مِنْ سَوَادِ قَلْبِي . قَلَمًا رَأَيْتُ بَاطِنِي تَحْشُوا بِالذُّنُوبِ . وَقَلْبِي
 مُسْوَدًّا بِالْعُيُوبِ . عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى الصُّورِ وَلَكِنْ
 يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ . فَكَانَ إِعْجَابِي بِأَنْوَابِي سَبَبًا لِحِجَابِي عَنْ ثَوَابِي .
 فَكُنْتُ كَالرَّجُلِ الْمُتَأَفِّقِ الَّذِي حَسَنَتْ سِيرَتُهُ . وَقُبِحَتْ سِرِّيَّتُهُ .
 وَرَاقَ فِي الْمُنْزَلِ سَمِيَّتُهُ . وَقَلَّ فِي الْخُبَرِ قِيَمَتُهُ . وَلَوْ صَلَحَ قَلْبِي لَصَلَحَ
 أَمْرِي . وَلَوْ شَاءَ رَبِّي لَطَابَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ ذِكْرِي . وَفَاحَ بَيْنَ
 الْأَزْهَارِ نَشْرِي . لَكِنْ الطِّيبُ لَا يَنْوَحُ إِلَّا يَمْنُ يَطِيبُ . وَعَلَامَاتُ
 الْقَبُولِ لَا تَلُوحُ إِلَّا عَلَى مَنْ رَضِيَ عَنْهُ الْحَبِيبُ :

أَنَا قَلْبِي قَدْ سَوَّدَتْهُ ذُنُوبِي وَقَضَى لِي مُعَذِّبِي بِشَقَائِي
 مَنْ رَأَى يَنْظُرُ خَيْرًا وَلَكِنْ خَالِقِي عَالِمٌ بِأَنِّي مُرَائِي
 قَدْ تَحَسَّنَتْ مَنَظَرًا وَلِبَاسًا وَرَزَايَا تَحْشَوَةٌ بِحَشَائِي
 وَأَحْيَائِي إِذَا سُئِلْتُ وَمَا لِي مِنْ جَوَابٍ وَاجْتَابِي وَأَحْيَائِي
 لَوْ كَشَفْتَ الشُّرُورَ عَنْ سُوءِ حَالِي لَرَأَيْتَ الشُّرُورَ الْأَعْمَدَاءَ

إشارة السحاب

١٢٦ فَأَمَّا حَسَنَ الْعِتَابِ . وَطَابَ فَضْلُ الْخُطَابِ . دَمَعَ السَّحَابُ :

لِي وَالزَّحَامَ . لَا أَعَايِرُ اللَّهَامَ . وَلَا أَسْتَعُ قَوْلَ اللُّوَامِ . وَأَلْزَمْتُ مِنْ
بَيْنِ الْأَزْهَارِ . أَنْ لَا أَجَاوِرَ الْأَنْهَارَ . وَلَا أَقِفَ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ .
أُرَافِقُ الْوَحْشَ فِي النِّفَارِ . وَأَسْكُنُ الْبَرَارِيَّ وَالْفِقَارَ . أُحِبُّ الْخُلُوتَ .
وَأَسْتَوِطِنُ الْفَلَوَاتَ . فَلَا أَزَاحِمُ فِي الْحَافِلِ . وَلَا تَقْطِفُنِي أَيْدِي
الْأَسَاوِلِ . وَلَا أَهْمِلُ إِلَى اللَّاعِبِ . وَأَلْهَازِلِ . لَكِنِّي بَعِيدٌ عَنِ الْمَنَازِلِ .
تَجِدُنِي فِي أَرْضِ نَجْدٍ نَازِلٍ . رَضِيتُ بِالْبَرِّ الْقَسِيجِ . وَقَعَمْتُ بِمُجَاوَرَةِ
النَّارِ وَالشَّيْخِ . تَعَبُ بِشَرِي الرِّيحُ . فَتَحْمِلُنِي إِلَى ذَوِي الْقُدَيْسِ
وَالسَّبِيجِ . لَا يَشْفِينِي إِلَّا مَنْ لَهُ ذَوْقُ صَحِيحٍ . وَشَوْقُ ضَرِيحٍ . وَهُوَ
عَلَى زَهْدِ الْمَسِيحِ . وَغَبَرِ الذَّبِيحِ . فَأَنَا رَفِيقُ السَّيَّاحِ فِي الْغُدُوِّ
وَالرَّوَّاحِ . فَلَا أَحْضَرُ عَلَى مُنْكَرٍ . وَلَا أَجْلِسُ عِنْدَ مَنْ يَشْرَبُ وَيَسْكُرُ .
فَأَنَا الْحُرُّ الَّذِي لَا يُبَاعُ فِي الْأَسْوَاقِ . وَلَا يَنَادِي عَلَى بِلِّ التَّفَاقِ فِي
سُوقِ التَّفَاقِ . وَلَا يَنْظُرُنِي إِلَّا مَنْ شَرَّ عَنْ سَاقٍ . وَرَكِبَ جَوَادَ
الْعَزِيمَةِ وَسَاقٍ . فَلَوْ رَأَيْتَنِي فِي الْبَوَادِي . وَاللَّسِيمِ يَهِيمُ فِي كُلِّ
وَادِي . أَعْطَرُ الْبَادِي . بِعَطْرِ الْبَادِي . وَأَرْوِّحُ النَّادِي . بِشَرِي
النَّادِي . إِنْ عَرَّضَ بِذِكْرِي الْحَادِي . حَنَّ إِلَيَّ كُلُّ رَائِحٍ وَعَادِي

إشارة الشقيق

١٢٥ . فَتَنَفَسَ الشَّقِيقُ بَيْنَ نُدْمَانِهِ . وَهُوَ مُضَرَّجٌ بِدَمَائِهِ . وَأَسْتَوَى
عَلَى سَاقِهِ وَوَثَبَ . وَقَالَ : يَا لِلَّهِ الْعَجَبُ . مَا بَالُ لُونِي بِأَهْيٍ . وَحُسْنِي
بِزَاهِي . وَقَدْرِي بَيْنَ الرِّيَّاحِينَ وَأَهْيٍ . فَلَا أَحَدٌ يَنْبَاهِي . وَلَا نَاطِرٌ

إِلَّا تَبْلَبْتُ عَلَى بَلَالِهَا . وَلَا زُهَّةَ إِلَّا نُحْتُ عَلَى أَضْحَى لَالِهَا . وَلَا
خُضْرَةَ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى زَوَالِهَا . لَا نِي مَا رَأَيْتُ صَفْوَةَ إِلَّا تَكْدَرْتُ .
وَلَا عَيْشَةَ حُلْوَةَ إِلَّا تَمَرْتُ . فَقَرَأْتُ فِي مِثَالِ الْعِرْفَانِ . كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا
فَان . فَكَيْفَ لَا أَنْوَحُ . عَلَى حَالِ يَحُولُ . وَوَقْتُ يَدُولُ . وَعَيْشِ
يَزُولُ . وَوَصَلَ عَنِ قَرِيبٍ مَفْضُولُ . وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ شَرْحِ حَالِي
تُعْنِي عَنِ الْفُصُولِ :

حَدِيثُ ذَلِكَ الْجَمِيِّ رَوْحِي وَرَيْحَانِي فَلَا تَلْمَنِي إِذَا كَرَّرْتُ الْحَانِي
رَوْضَ بِهِ الرِّاحُ وَالرَّيْحَانُ قَدْ جُمَا وَخُضْرَةُ مَا لَهَا فِي حُسْنِهَا ثَانِي
مِنْ أَيْضٍ يَبْقَى أَوْ أَصْفَرُ فَبَقِيَ أَوْ أَخْضَرُ رَقَّتِي أَوْ أَحْمَرُ قَانِي
وَالْأَنْسُ دَانٍ وَشَمْلُ الْوَصْلِ مُجْتَمِعٌ هَذَا هُوَ الْعَيْشُ إِلَّا أَنَّهُ قَانِي

إشارة الباز

١٢٨ فَنَادَى الْبَازُ . وَهُوَ فِي مِيدَانِ الْبَرَارِ . وَنَحَكَ لَقَدْ صَغُرَ جُرْمُكَ .
وَكَبُرَ جُرْمُكَ . وَقَدْ أَقْلَعْتَ بِتَغْرِيدِكَ الطَّيْرَ . وَإِطْلَاقُ لِسَانِكَ
يَجْلِبُ إِلَيْكَ الضَّيْرَ . وَمَا يُفْضِي بِكَ إِلَى خَيْرٍ . أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ مَا
يُهْلِكُ الْإِنْسَانَ إِلَّا عَثَرَاتُ الْإِنْسَانِ . فَلَوْلَا لَقَلَقَهُ لِسَانُكَ . مَا أَخَذْتَ
مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِكَ . وَحُبِسْتَ فِي ضَيْقِ الْأَقْفَاصِ . وَسُدَّ عَلَيْكَ بَابُ
الْخَلَاصِ . وَهَلْ ذَلِكَ إِلَّا مَا جَنَاهُ عَلَيْكَ لِسَانُكَ . فَأَفْضَحَ بِهِ بَيَانُكَ .
فَلَوْ أَهْتَدَيْتَ بِعَيْتِي . وَاقْتَدَيْتَ بِصَنِيَّتِي . لَبَرِثْتَ مِنَ الْمَلَامَةِ . وَعَلِمْتَ
أَنَّ الصَّبْرَ رَفِيقُ السَّلَامَةِ . أَلَمْ تَرِنِي لَزِمْتُ الصُّمُوتَ . وَأَلْبْتُ

فَأَنْبَسَ وَسَاحَ فِي فَسِيجِ الرَّحَابِ . وَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ أَتُنْكِرُ فَضْلِي
عَلَيْكُمْ . وَأَنَا الْبَائِثُ طَلِي وَوَبْلِي إِلَيْكُمْ . وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا أَطْفَالُ
جُودِي . وَتَسْلُ وَجُودِي . كَمْ مَلَأْتُ الْبَرَّ بَرًّا بِبِرِّي . وَالْبَجْرَ دُرًّا
بِدَرِّي . فَلَمْ يَزَلْ تَذِي دَرِّي عَلَيْهِ دَرَارًا . وَبَزِيدَ بِرِّي إِلَيْهِ مِدْرَارًا .
فَإِذَا أَنْقَضَتْ أَيَّامُ الرِّضَاعِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْفِطَامُ . أَفَطَعْتُ نَذِي عَنْهُ
فِيضُجُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حُطَامُ . فَكَأَنَّ بَعْثَهُ فِي أَنْسَابِ عِبْرَاتِي .
وَأُشُورِهِ فِي بَثِّ قَطْرَاتِي . فَالْكُلُّ فِي الْحَقِيقَةِ أَطْفَالِي . وَلَوْ اعْتَرَفُوا
بِحَقِّي لَكَانُوا مِنْ الْجَوِّ أَطْفَالِي

اشارة الهزار

١٢٧ (قَالَ) : فَيَنِمَّا أَنَا مُضْغٌ لِمُنَادِمَةِ أَزْهَارِهَا . عَلَى حَافَاتِ أَنْهَارِهَا .
إِذْ صَاحَتْ فَصَاحَةٌ أَطْيَارُهَا مِنْ أَوْكَارِهَا . فَأَوَّلَ مَا صَوَّتَ أَهْزَارُ .
وَنَادَى عَلَى نَفْسِهِ بِحُلْمِ الْعَذَارِ . وَبَاحَ بِمَا يَكْتُمُهُ مِنَ الْأَسْرَارِ . وَقَالَ
بِلِسَانِ حَالِهِ : أَنَا الْهَائِمُ الْهَائِمَانُ . الصَّادِي الظَّمَانُ . إِذَا رَأَيْتُ فَضْلَ
الرَّيِّعِ قَدْ حَانَ . وَمَنْظَرَهُ الْبَدِيعِ قَدْ آنَ . تَجِدُنِي فِي الرِّيَاضِ فَرَحَانَ .
وَفِي النَّيَاسِ أُرْدَدُ الْأَلْحَانَ . أَغْنِي وَأَطْرِبُ فَأَنَا بِنَعْمَتِي طَرْبَانُ .
وَمِنْ كَشَوْتِي سَكَرَانُ . فَإِذَا زَمَزَمَ النَّسِيمُ وَصَفَّتْ أَوْرَاقُ الْأَغْصَانِ .
أَرْقُصُ عَلَى الْعِيدَانِ . فَكَأَنَّمَا الزَّهْرُ وَالنَّهْرُ لِي عِيدَانُ . وَأَنْتَ
تَحْسَبُنِي فِي ذَلِكَ غَائِبًا . لَا وَاللَّهِ وَلَسْتُ بِالْيَمِينِ حَائِبًا . وَإِنَّمَا
أُنُوحُ حَرْبًا لَا طَرْبًا . وَأُبُوحُ تَرْحًا لَا فَرْحًا . لِأَنِّي مَا وَجَدْتُ رَوْضَةً

وَأَحْكَامِهِ . إِذْ رَأَيْتُ أَمَامَهُ حَمَامَةً . قَدْ جَمَعَتْ طُوقَ الْعُودِيَّةِ فِي عُنُقِهَا
 عَلَامَةً . فَقُلْتُ لَهَا : حَدِّثِي عَن ذَوْقِكَ وَشَوْقِكَ . وَأَوْضِحِي لِي مَا
 الْحِكْمَةُ فِي تَطْوِيسِ طُوقِكَ . فَقَالَتْ : أَنَا الْمَطْوُوقَةُ بِطُوقِ الْأَمَانَةِ .
 الْمَقْلَدَةُ بِتَقْلِيدِ الصَّيَانَةِ . نُدِبْتُ لِحَمْلِ الرِّسَائِلِ . وَتَبْلِيغِ الْوَسَائِلِ
 لِلسَّائِلِ . وَلَكِنِّي أَخْبِرُكَ عَنِ الْقِصَّةِ الصَّحِيحَةِ . فَإِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ .
 مَا كُلُّ طَائِرٍ آمِنٌ . وَلَا كُلُّ حَافٍ يَصْدُقُ فِي الْيَمِينِ . وَلَا كُلُّ
 سَالِكٍ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . وَإِنَّمَا الْخُصُوصُ بِحَمْلِ الْأَمَانَةِ جُنْسِي .
 فَبَشَّرْتَنِي بِالْخُرُوجِ . وَبِغُرْفِ الطَّرِيقِ بِالتَّدْرِيجِ . فَاذْكُورِي : حَمْلُوكُنِي
 فَأَجَلَ كُتُبِ الْأَسْرَارِ . وَلَطَائِفِ الرِّسَائِلِ وَالْأَخْبَارِ . فَأُطِيرُ وَعَنِّي
 مُسْتَطِيرُ . خَائِفًا مِنْ جَارِحِ جَارِحٍ . حَازِرًا مِنْ سَائِحِ سَائِحٍ . جَارِعًا
 مِنْ صَائِدِ ذَائِحٍ . فَأُهَاجِرُ . وَأُكَابِدُ الظَّمَا فِي الْهُوَاجِرِ . وَأَطْوِي
 عَلَى الطَّوَى فِي الْحَاجِرِ . فَلَوْ رَأَيْتُ حَبَّةَ قَمْحٍ مَعَ شِدَّةِ جُوعِي رَجَعْتُ
 عَنْهَا . فَأَرْتَفِعُ خَشْيَةً مِنْ كَيْفِ مَذْفُونٍ . أَوْ شَرِّكَ يُعَيِّنِي عَنْ
 تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ . فَأَنْقَلِبُ بِصَفْقَةِ الْمُقْبُونِ . فَإِذَا وَصَلْتُ . وَفِي مَا بَيْنِي
 حَصَلْتُ . أَذِيتُ مَا حَمَلْتُ . وَعَمِلْتُ مَا عَلِمْتُ . فَهَذَا طُوقُكَ .
 وَبِالْبِشَارَةِ حُقْتُ . وَأَنْقَلِبُ إِلَى شُكْرِ اللَّهِ عَلَى مَا وَفَّقْتُ :

أَيَا رَبِّي وَصَلْتُمْ أَوْ هَجَرْتُمْ فَعَبْدُكُمْ عَلَى حِفْظِ الْأَمَانَةِ
 مُقِيمٌ لَا يُزْخِرُهُ عَذُولٌ وَلَا يَتْنِي مَعْنَاهُ عِنَانَةٌ
 حَمَلْتُ لِأَجْلِكُمْ مَا لَيْسَ تَقْوَى إِلَّا جِبَالُ الشَّمِّ تَحْمِلُهُ رَزَانَةٌ

السُّكُوتَ . فَكَانَ الَّتَمَّتْ جَمَالِي . وَلَزُومُ الْأَدَبِ كَمَالِي . أَفْتَضْتُ
 مِنَ الْبَرِّيَّةِ جَبْرًا . وَجَلَيْتُ إِلَى بِلَادِ الزَّرْبَةِ قَهْرًا . فَلَا بِالسَّرِيَّةِ بُحْتُ .
 وَلَا عَلَى الْأُطْلَالِ نُحْتُ . بَلْ أَدَبْتُ حِينَ غَرَبْتُ . وَقُرَبْتُ حِينَ
 جُرَبْتُ . وَامْتَحَنْتُ حِينَ امْتَحَنْتُ . وَعِنْدَ الْأَمْتَحَانِ . يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ
 يِهَانُ . فَلَمَّا رَأَى مُودِّي تَخْلِيَطَ الْوَقْتِ . خَافَ عَلَيَّ مِنَ الَّتَمَّتِ . فَكَمَّ
 بَصْرِي بِكُمَّةٍ : لَا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ . وَعَقْدَ لِسَانِي بِعُثْدَةٍ : لَا تَحْرِكْ بِهِ
 لِسَانَكَ . وَقَيِّدْنِي بِقَيْدٍ : لَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا . فَأَنَا فِي وَثَاقِي
 لَا أَنَا لَمْ . وَمِمَّا لَا قِيَّ لَا أَتَكَلَّمُ . فَلَمَّا كُفِّمْتُ وَأَدَبْتُ . وَجُرَبْتُ
 وَهَذَبْتُ . اسْتَصَلَحَنِي مُودِّي لِإِرْسَالِي إِلَى الصَّيْدِ . وَزَالَ عَنِّي ذَلِكَ
 الْقَيْدُ . فَأُطْلِقْتُ وَأُرْسِلْتُ . فَأَرْفَعْتَ الْكُمَّةَ عَنْ عَيْنِي . حَتَّى أَصْلَحْتُ
 مَا بَيْنَهُ وَبَيْنِي . فَوَجَدْتُ الْمُلُوكَ خُدَايَ . وَانْفَهَمْتُ نُحْتَ أَقْدَامِي :

أَمَسَكْتُ عَنْ فَضْلِ الْكَلَامِ لِسَانِي وَكَفَفْتُ عَنْ نَظَرِ الدُّنَا إِنْسَانِي
 مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ قَرُبَ مَنِيَّتِي لِنِخَارِفِ اللَّذَاتِ قَدْ أَنْسَانِي
 أَدَبْتُ آدَابَ الْمُلُوكِ وَعَلَّمْتُ رُوحِي هُنَاكَ صَنَائِعَ الْإِحْسَانِ
 أُرْسِلْتُ مِنْ كَفِّ الْمُلُوكِ مُجَرَّدًا وَجَعَلْتُ مَا أَبْغِيهِ نَصَبَ عِيَانِي
 حَتَّى ظَهَرْتُ وَنَلْتُ مَا أَمَلْتُهِ ثُمَّ اسْتَجِيتُ إِلَيْهِ حِينَ دَعَانِي
 هَذَا لَعَمْرِي رَسْمُ كُلِّ مُكَلَّفٍ بِوُظَائِفِ التَّسْلِيمِ الْإِيمَانِ

إشارة للحمام

١٢٩ (قَالَ) : فَيَيْنَا أَنَا مُسْتَعْرِقٌ فِي لَذَّةِ كَلَامِهِ . مُعْتَبِرٌ بِحِكْمِهِ .

أَوْقَاتِهِمْ . لَا فِي أَقْوَاتِهِمْ . مُكْتَسَبٌ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ . لَا مِنْ أَرْزَاقِهِمْ .
 مُتَنَبِّهٌ مِنْ حَالِهِمْ . لَا مِنْ مَالِهِمْ . مُقْتَنِسٌ مِنْ بَرِيهِمْ . لَا مِنْ بُرْيِهِمْ .
 رَاغِبٌ فِي حَبِيهِمْ . لَا فِي حَبِيهِمْ . مُقْتَدِيًا بِقَوْلِهِ : إِرْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ
 اللَّهُ . وَارْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ . قَالَ فَقُلْتُ : لِلَّهِ دَرْكٌ
 لَقَدْ عِشْتَ سَعِيدًا . وَسِرْتُ سَيرًا جَمِيدًا . وَوُفِّقْتَ أَمْرًا رَشِيدًا .
 وَقُلْتَ قَوْلًا سَدِيدًا . فَلَا أَطْلُبُ عَلَى مَوْعِظَتِكَ مَزِيدًا .

إشارة اليوم

١٣١ (قَالَ) : فَنَادَانِي الْيَوْمُ . وَهُوَ مُنْفَرِدٌ فِي الْحَرَابِ مَهْمُومٌ . أَيُّهَا
 الصَّدِيقُ الصَّادِقُ . وَالْحِلُّ الْمُرَافِقُ . لَا تَكُنْ بِمَقَالَةِ الْخُطَّافِ وَائْتَقِ . وَلَا
 لِفَعْلِهِ مُوَافِقًا . فَإِنَّهُ إِنْ سَلِمَ مِنْ شُبِّهِ رَادِيهِمْ . فَمَا سَلِمَ مِنْ تَزْوِجِهِمْ
 وَأَعْيَادِهِمْ . وَتَكْثِيرِ سَوَادِهِمْ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مَنْ كَثُرَ سَوَادُ قَوْمٍ فَهُوَ
 مِنْهُمْ . وَلَوْ صَحِبَهُمْ سَاعَةً كَانَ مَسْئُولًا عَنْهُمْ . وَقَدْ فَهِمْتَ أَنَّ مُبْتَدَأَ
 التَّفْرِيطِ مِنْ آفَاتِ التَّخْلِيطِ . وَالْخُلْطَةُ غُلْطَةٌ . وَأَوَّلُ السَّيْلِ نُقْطَةٌ .
 وَاعْلَمْ أَنَّ السَّلَامَةَ فِي الْعَزَلَةِ . فَمَنْ وَلِيَهَا فَلَا يَخَافُ عَزْلَةً . فَهَلَا أَسْتَسَنَّ
 بِسُنَّتِي . وَتَأَسَّى بِوَحْدَتِي . وَاعْتَزَلَ الْمَنَازِلَ وَالنَّازِلَ . وَرَهْدَ فِي الْمَاكِلِ
 وَالْأَكِلِ . أَلَا تَرَانِي لَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ . وَلَا أَجَالِسُهُمْ فِي
 مَجَالِسِهِمْ . وَلَا أَسَاكِنُهُمْ فِي مَسَاكِنِهِمْ . وَلَا أَزَاجُهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ . بَلِ
 اخْتَرْتُ الدَّائِرَ مِنَ الْجُدْرَانِ . وَرَضِيتُ بِالْحَرَابِ عَنِ الْعُمَرَانِ . فَسَلِمْتُ
 مِنَ الْأَنْكَادِ . وَآمَنْتُ بِشَرِّ الْحُسَادِ . وَلَمْ أَزَلْ عَنِ الْأَحْبَابِ وَحِيدًا .

وَحِظْتُ الْعَهْدَ مَا وَفَاهُ حُرٌّ وَطَوْقُهُ فَتَى إِلَّا وَرَآنَهُ

إشارة للخطاف

١٣٠ (قَالَ): فَيَدِينَا نَحْنُ نَتَذَكَّرُ أَوْصَافَ الْأَشْرَافِ. وَأَشْرَافُ
الْأَوْصَافِ. إِذْ نَظَرْتُ إِلَى خُطَافٍ. وَهُوَ بِاللَّيْلِ قَدْ طَافَ. فَقُلْتُ:
مَالِي أَرَاكَ لِلَّيْلِ لَازِمًا. وَعَلَى مُوَالَسَةِ الْإِنْسِ عَازِمًا. فَلَوْ كُنْتُ فِي
أَمْرِكَ حَازِمًا. لَمَا فَارَقْتُ أَبْنَاءَ جَنْسِكَ. وَرَضِيتُ فِي الْبُيُوتِ بِجَنْسِكَ.
ثُمَّ إِنَّكَ لَا تَنْزِلُ إِلَّا فِي الْمَنَازِلِ الْعَامِرَةِ. وَالْمَسَاكِينِ الَّتِي هِيَ بِأَهْلِهَا
عَامِرَةٌ. فَقَالَ: يَا كَيْفَ الطَّبْعُ يَا ثَقِيلَ السَّمْعِ. إِنْ سَمِعْتَ تَرْجَمَةَ حَالِي.
وَكَيْفَ عَنِ الطَّيْرِ أَرْحَاحِي. إِنَّمَا فَارَقْتُ أَمْثَالِي. وَعَاشَرْتُ غَيْرَ أَشْكَالِي.
وَأَسْتَوَطَنْتُ السُّقُوفَ. دُونَ السَّعَابِ وَالْكُهُوفِ. لِغُضِيلَةِ الْغُرَبَةِ.
وَلَزُومًا لِأَدَابِ الصُّحْبَةِ. صَحِبتُ مَنْ لَيْسَ مِنِّي لِأَكُونَ غَرِيبًا.
وَجَاوَرْتُ خَيْرَ أَمِينِي لِأَحْرَزَ بَيْنَهُمْ نَصِيبًا. فَأَعِيشْ عِيشَ الْغُرَبَاءِ. وَأَفُوزْ
بِصُحْبَةِ الْأَدْبَاءِ. وَالْغَرِيبُ مَرْحُومٌ فِي غُرَبَتِهِ. مَلْطُوفٌ بِهِ فِي صُحْبَتِهِ.
فَقَصَدْتُ الْمَنَازِلَ. غَيْرَ مُضِرٍّ بِالنَّازِلِ. أَبْتَنِي بَيْتِي مِنْ حَاقَاتِ الْأَنْهَارِ.
وَأَكْتَسِبُ قُوَّتِي مِنْ سَاحَاتِ الْقَقَارِ. فَلَسْتُ لِلْجَارِ كَمَنْ جَارَ. وَلَا لِأَهْلِ
الدَّارِ كَأَنْدَادِهِ. بَلْ أَحْسَنُ جَوَارِي مَعَ جَارِي. وَلَيْسَ مِنْهُمْ رَسْمُ
جَارِي. أَكْثَرُ سَوَادُهُمْ. وَلَا أَسْتَطِيعُ رَأْدَهُمْ. فَرُّهُدِي فِيمَا فِي أَيْدِيهِمْ.
هُوَ الَّذِي حَبَّنِي إِلَيْهِمْ. فَلَوْ شَارَكْتُهُمْ فِي قُوَّتِهِمْ. لَمَا بَقِيتُ مَعَهُمْ فِي
بُيُوتِهِمْ. فَأَنَا شَرِيكُهُمْ فِي أُنْدِيَتِهِمْ. لَا فِي أَعْدِيَتِهِمْ. مُزَاجُهُمْ فِي

فَلَذَلِكَ زَامَتُهُمْ فِي كَلَامِهِمْ . وَشَارَكْتُهُمْ فِي طَعَامِهِمْ . فَاتَّشَبَهَ بِهِمْ .
وَأِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ . وَأَخْلَقَ بِهِمْ وَأَخَاطَبُهُمْ وَلَا أَرْغَبُ عَنْهُمْ . فَعَلْتُ
فِيمَنِّي . إِذْ عَلَتْ هِمَّتِي . فَأَحْلَوْنِي مَحَلَّ الْتَدِيمِ . وَأَلَّفَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
السَّيِّعُ الْعَلِيمُ . فَأَذْكُرُ كَمَا يَذْكُرُونَ . وَأَشْكُرُ كَمَا يَشْكُرُونَ :

إِخْتَبَرُ حَالِي تَجِدُنِي . مِنْ أَصْعَ النَّاسِ مَخْبِرُ
أَنَا قَدْ أَحْيَيْتُ قَوْمًا شَرُفُوا مَعْنَى وَمَنْظَرُ
كَبُرُوا قَدْرًا وَذِكْرًا فَهُمْ أَزْكَى وَأَعْلَى

(قَالَ) فَلَمَّا سَامَ نَفْسَهُ بِهَذَا السَّوْمِ . وَجَسَرَ فِي صَدْرِ مَجَالِسِ الْقَوْمِ .
قُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ . أَلْبَهَائِمُ فِي الْيَقْظَةِ وَأَنَا فِي النَّوْمِ . فَمَا لِي لَا
أُرَاجِمُ عَلَى أَبْوَابِ ذِي الْمُرَاجِمِ . لَعَلَّهُ يُؤْهَبُ مَرْحُومٌ لِرَاجِمٍ . وَيُقَالُ :
مَرْحَبًا بِالْقَادِمِ . هَا قَدْ وَهَبْنَا الْجَنَانِيَةَ لِلنَّادِمِ .

إشارة الديك

١٣٣ (قَالَ) فَقُلْتُ : تَاللَّهِ لَتَذُ قَارَ أَهْلُ الْخَلَوَاتِ . وَأَمْتَارَ أَهْلُ
الْصَّلَوَاتِ . وَمَنْعَ مِنَ الْجَوَارِ أَهْلُ الْغَفَلَاتِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ نَادَى الدِّيكُ .
كَمْ أَنَادِيكَ . وَأَنْتَ فِي تَعَامِيكَ وَتَعَاشِيكَ . جَعَلْتَ الْأَذَانَ لِي
وَضِيْقَةً . وَأَوْقَظَ بِهِ مَنْ كَانَ نَائِمًا كَالْحَيْفَةِ . وَأَبَشَّرَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
تَضَرُّعًا وَخِيفَةً . وَفِي إِشَارَةٍ لَطِيفَةٍ . أَصْفَقَ بِمَجَاحِي بَشَرًا لِلْقِيَامِ .
وَأَعْلَنُ بِالصَّبَاحِ تَنْبِيْهَا لِلنِّيَامِ . فَتَضْفِيقُ الْجَنَاحِ . يُشِيرُ بِالنَّجَاحِ . وَتَرْدِيدُ
الصَّبَاحِ . دُعَاةٌ لِلْفَلَاحِ . لَا أَخْلُ بِوَضِيفَتِي لَيْلًا وَلَا نَهَارًا . وَلَا أَغْلُ عَنْ

وَمِنَ الْقُرْنَاءِ فَرِيدًا . وَعَنِ الْأَثْرَابِ بَعِيدًا شَرِيدًا . فَمَنْ كَانَ مَسْكِنُهُ
 الْأَثْرَابَ . كَفَّ يَسَاكِينَ الْأَثْرَابِ . مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْعُمْرَ وَإِنْ طَالَ قَصِيرٌ .
 وَأَنَّ كُلًّا إِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ . بَاتَ عَلَى خَشْنِ الْحَصِيرِ . وَأَقْطَرَ عَلَى قُرْصِ
 الشَّعِيرِ . وَرَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ . وَعَلِمَ أَنَّ فَرِيقًا فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقًا فِي
 السَّعِيرِ . أَنَا نَظَرْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَخَرَابِهَا . وَإِلَى الْآخِرَةِ وَأَقْتَرَابِهَا .
 وَإِلَى الْقِيَامَةِ وَحِسَابِهَا . وَإِلَى النَّفْسِ وَانْتِسَابِهَا . فَشَغَانِي التَّفَكُّرُ فِي
 حَالِي . عَنْ مَنْزِلِي الْحَالِي . وَأَذْهَلَنِي مَا عَلَيَّ وَمَالِي . وَأَذْهَبَنِي عَنْ أَهْلِي
 وَمَالِي . وَأَهْمَنِي صِحَّتِي وَاعْتِلَالِي . عَنِ الْقُصُورِ الْعَوَالِي . فَجَلَّ الْيَقِينُ
 عَنْ بَصَرِ بَصِيرَتِي كُلِّ شُبْهَةٍ . فَعَلِمْتُ أَنَّ لَا فُرْصَةَ تَدْوَمُ وَلَا زُهْدَةٍ .
 وَأَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ . فَعَرَفْتُ مَنْ هُوَ . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ .
 وَحَيْثُ كُنْتُ فَلَا أَرَى إِلَّا هُوَ . فَإِذَا نَطَقْتُ فَلَا أَقُولُ إِلَّا هُوَ . (قَالَ) :
 فَأَخَذَتْ مَوْعِظَتُهُ يَجْمَاعَ قَلْبِي . وَخَلَعَتْ عَنِّي مَلَابِيسَ عَجْبِي

إشارة الدرة

١٣٢ (قَالَ) وَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذِهِ الْحَالِ إِذْ صَاحَتِ الدُّرَّةُ مِنْ عَمَلِ عَمَلِي
 فَهُوَ مَسْعُودٌ . وَمِنْ حَذَا حَذْوِي فَهُوَ مَوْعُودٌ بِدَارِ الْخُلُودِ . أَلَا تَرَانِي لِمَا عَلَتْ
 هِمَّتِي وَسَمَتْ غَرِيبَتِي . كَيْفَ غَلَتْ قِيَمَتِي . فَلَمْ أَرْضَ لِنَفْسِي . مَا بَرَّ تَضْيِيقِهِ
 أَبْنَاءَ جَنَسِي . لَكِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْوُجُودِ . وَمَا فِيهِ مَوْجُودٌ فَرَأَيْتُ آدَمَ
 وَبَيْنَهُ مِنْ دَرَنِ الْكُلِّ هُوَ اللَّهُ مُصَوِّدٌ . خَلَقَ اللَّهُ الْكَائِنَاتِ مِنْ أَجْلِهِمْ
 وَخَلَقَهُمْ مِنْ أَجْلِهِ . فَوَصَلَ حَبْلَهُمْ بِحَبْلِهِ . وَفَعَلَ مَعَهُمْ مَا هُوَ مِنْ أَهْلِهِ .

مَنِّي قَهْرًا . أَحَاطِي عَنْهُ جَهْرًا . وَأَدَافِعُ عَنْهُ بِرُوحِي . وَأَقُولُ يَا رُوحُ رُوحِي .
ثُمَّ أَقُولُ لِمَنْ جَنَانِي . وَأَسْتَخْرِجُنِي مِنْ جَنَانِي . أَنْتَ يَا جَانِي . عَلَيَّ
جَانِي . فَإِنْ كُنْتَ لِلرُّمُوزِ تَعَالِي . فَقَدْ رُزِيتَ لَكَ فِي مَمَائِي . إِنَّكَ لَا
تَصِلُ إِلَى وَصَالِي . حَتَّى تَصْبِرَ عَلَى جَدِّ نَصَالِي :

إِصْبِرْ عَلَى مِرِّ هَجْرِي . إِنْ رُمْتَ مَنِّي وَصَالَا
وَأَتَزَلُّ لِأَجْلِ هَوَايَ . مَنْ صَدَّ جَهْلًا وَصَالَا
وَمُتَ إِذَا شِئْتَ تَحِيًّا . وَأَسْتَعِجِلُ الْآجَالَا
إِنْ كُنْتَ مَعْنَى تَمْنَى . فَقَدْ ضَرَبْتُ مِثَالَا
فَإِنْ فَهِمْتَ دُمُوزِي . إِقْدِمْ وَإِلَّا فَلَا لَا

إشارة الشمع

١٣٦ (قَالَ) : فَسَمِعَ النَّحْلُ اسْتِغَاثَةَ شَمْعِهِ . فَأَصْنَعِي إِلَيْهِ بِسْمِعِهِ . فَإِذَا هُوَ
يَحْتَرِقُ بِالنَّارِ . وَيَبْكِي بِأَذْمَعِ غَزَارٍ . وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّحْلُ أَمَا يَكْفِينِي . أَنْ
رُمِيتُ مِنْكَ بِبَيْنِي . وَفَرَّقَ الدَّهْرُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنِي . فَأَنْتَ فِي الْوُجُودِ
أَيَّ . وَفِي الْإِيْمَادِ سَبِي . فَأُفْرِدْتُ عَنْكَ تَجْرِيقِي . أَنَا وَالسَّلسِلُ
شَقِيقِي . وَهُوَ أَخِي وَرَفِيقِي . فَيَيْنَا نَحْنُ مُجْتَمِعَانِ . وَفِي قَرَارِنَا مُلْتَمِسَانِ .
إِذَا فَرَّقَتْ بَيْنَنَا يَدُ النَّارِ وَرَمَتْهَا بَعْدَ الدَّارِ . وَشَطَّ مَا بَيْنَنَا الْمَرَارِ .
فَأُفْرِدْتُ عَنْهُ وَأُفْرِدْتُ عَنِّي . وَبَنَتْ مِنْهُ وَبَانَ مِنِّي . ثُمَّ سَلَطَتْ عَلَيَّ النَّارُ .
وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْأَوْزَارِ . فَكَسَبِي تَحْتَرِقُ . وَجَسَدِي تَحْتَرِقُ .
وَأَهْلُ الْمَرْفَةِ يَسْتَضِيئونَ بِنُورِ إِشْرَاقِي . فَأَنَا فِي إِشْرَاقٍ وَإِحْرَاقٍ :

١٣٥ (قَالَ) : فَكَادَتْ النِّحْلَةَ : يَالَهَا مِنْ نِجْلَةٍ . مَا صَحَّ فِي رِوَايَتِهَا رَحْلَةٌ .
فَالْعَارِفُ مَنْ ظَهَرَ مَعْنَاهُ . وَقِيلَ دَعَاؤُهُ . وَعِلْمُ صَدَائِهِ سِرُّهُ مِنْ نَجْوَاهُ .
وَمَنْ مَحَا حَقِيقَةَ دَعَاؤِهِ . ثَبَّتَ حَقِيقَةَ مَعْنَاهُ . فَلَا تَقُلْ قَوْلًا يُبْطِلُهُ فِعْلُكَ .
وَلَا تُرَبِّ فِرْعَا يُنْقِضُهُ أَصْلُكَ . أَلَا تَرَانِي لِمَا حَلَّابَ مَطْعَمِي وَصَفَا مَشْرَبِي .
كَيْفَ رُفِعَتْ رُنْبَتِي . وَعَلَا مَنْصِبِي . وَكَمَلْ أَدْبِي . لَوْلَا أَنِّي أَصَكْتُ
الْحِلَالَ . وَلَزِمْتُ أَشْرَفَ الْحِلَالِ . حَتَّى صِرْتُ كَالْحِلَالِ . أَسْأَلُكَ سُبُلَ
رَبِّي ذُلًّا . وَأَشْكُرُ مِنْ نِعْمِهِ فُضُولًا وَجَمَلًا . أَتَبْنِي الْمُبَاحَ . الَّذِي لَيْسَ
عَلَى أَكْلِهِ مِنْ جُنَاحٍ . فَأَجْعَلُ فِي الْحَبَالِ يُبُونِي . وَمِنْ مُبَاحِ الْأَشْجَارِ
قُوتِي . أَتَبْنِي يُبُونًا يَغْزِي كُلَّ عَانِعٍ عَنْ تَأْسِيسِهَا . وَيَعْبِرُ أَفْلِيدُسُ فِي
حَلِّ شَكْلِ تَسْدِيسِهَا . ثُمَّ أَسْقِطُ عَلَى الزَّهْرِ وَالْثَمَرِ . فَلَا آكُلُ ثَمَرَةً .
وَلَا أَهْشَمُ زَهْرَةً . بَلْ أَتَنَاوَلُ مِنْهَا شَيْئًا عَلَى هَيْئَةِ الطَّلِّ . فَأَتَغَدَّى بِهِ
قَانِعَةً وَإِنْ قَلَّ . ثُمَّ أَعُودُ إِلَى عُشْبِي . وَقَدْ صَفَا كَدْرُ عَيْشِي . فَأَشْتَمِلُ
فِي وَكْرِي بِفِكْرِي وَذِكْرِي . وَأُخْلِصُ لِمَوْلَايَ شُكْرِي . وَلَا أَفْتَرُ عَنْ
الذِّكْرِ . وَلَا أَغْفُلُ عَنِ الشُّكْرِ . قَدْ أَتَّبَعَ عِلْمِي وَعَمَلِي . شَيْئِي وَعَسَلِي .
فَأَلْتَمَعُ ثَمَرَةَ الْعِلْمِ الْمُتْقُولِ . وَأَلْعَسُ ثَمَرَةَ الْعَمَلِ الْمُتْقُولِ . فَأَلْتَمَعُ لِلضِّيَاءِ .
وَأَلْعَسُ لِلشِّفَاءِ . وَإِذَا أَتَانِي قَاصِدٌ يَسْتَنْفِي بِضِيَائِي . وَإِنْ أَتَانِي
عَلِيلٌ يَسْتَنْفِي بِشِفَائِي . فَلَا أَذِيقُهُ حَلَاوَةَ نَفْعِي . حَتَّى أَجْرِعَهُ مَرَادَةً
لِسَمِي . وَلَا أَنِيلَهُ شَهْدِي . إِلَّا أَبْعِدُ مَكَابِدَةَ جُهْدِي . فَإِنْ اقْتَصَصَهُ

مُجْتَمَعًا أَنْذَرْتَ بِشَتَاتِهِ . وَإِنْ شَاهَدْتَ قَضْرًا عَالِيًا بَشَرْتَ بِدُرُوسِ
 عَرَصَاتِهِ . فَأَنْتَ لَدَى الْحَلِيطِ الْمُعَاشِرِ أَشْأَمُ مِنْ قَاشِرٍ . وَعِنْدَ الْأَيْبِ
 الْحَاذِرِ . الْأَلَمُ مِنْ جَاذِرٍ . فَنَادَانِي بِلِسَانِ رَجَرِهِ الْفَصِيحِ . وَأَشَارَ بِعُنْوَانِ
 حَالِهِ الصَّرِيحِ . وَنِيحَكَ أَنْتَ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ . وَقَدْ
 تَسَاوَى لَدَيْكَ الْعُدُوُّ وَالنَّصِيحُ . لَا بِالْكِنَايَةِ تَفْهَمُ وَلَا بِالتَّصْرِيحِ .
 كَانَ لِلْمَوَاعِظِ فِي أُذُنِكَ رِيحٌ . وَكَلَامَ الْمَوَاعِظِ فِي سَمْعِ هَوَاكَ كَالنَّجِيجِ .
 أَمَا تَذْكُرُ رَحِيلَكَ مِنْ هَذَا الْفَنَاجِ الْفَقِيسِ . إِلَى ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَضِيقِ
 الضَّرِيحِ . أَمَا بَلَغَكَ مَا جَرَى عَلَى أَبِيكَ آدَمَ وَهُوَ يُنَادِي عَلَى نَفْسِهِ
 وَيَصِيحُ . أَمَا تَعْتَبِرُ بَنُوْحَ نُوحٍ . وَهُوَ يَبْكِي وَيَنُوحُ . عَلَى دَارٍ لَيْسَ بِهَا
 أَحَدٌ مُسْتَرِيحٌ . أَمَا تَقْتَدِي بِصَبْرِ الذَّبِيحِ . أَمَا يَكْفِيكَ مَا تَمَّ عَلَى دَاوُدَ حَتَّى
 بَكَى بِقَلْبِهِ الْقَرِيحِ . أَمَا تَهْتَدِي بِزُهْدِ الْمَسِيحِ . أَيُّ جَمْعٍ لَمْ يَفَرِّقْ . أَيُّ
 شَمَلٍ لَمْ يَتَمَرَّقْ . أَيُّ صَفْوٍ لَمْ يَتَكَدَّرْ . أَيُّ حُلُوٍّ لَمْ يَتَمَرَّرْ . أَيُّ أَمَلٍ لَمْ
 يَفْطَمَهُ الْأَجَلُ . أَيُّ تَذْيِيرٍ لَمْ يُبْطِلْهُ التَّقْدِيرُ . أَيُّ بَشِيرٍ لَمْ يُعْغِبْهُ
 نَذِيرٌ . أَيُّ يَسِيرٍ . مَا عَادَ عَسِيرٌ . أَيُّ حَالٍ . مَا حَالَ . أَيُّ مُقِيمٍ . مَا
 زَالَ . أَيُّ مَالٍ . عَنْ صَاحِبِهِ مَا مَالَ . أَيْنَ ذَوُو الْعُمُرِ الطَّوِيلِ . أَيْنَ
 ذَوُو أَلْمَالِ الْجَزِيلِ . أَيْنَ ذَوُو أَلْوَجْهِ الْجَمِيلِ . أَمَا قَرَضَهُمُ الْمَوْتُ جِيلًا
 بَعْدَ جِيلٍ . أَمَا سَوَى فِي الثَّرَى بَيْنَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ . وَالْمَوْلَى الْجَلِيلِ .
 أَمَا هَتَفَ بِالْمُتَمَتِّعِ بِدُنْيَاهُ قُلُ : مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ . فَكَيْفَ تَلْوُمُنِي عَلَى
 نَوَاحِي . وَتَسْتَشْنِمُ بِصِيَاحِي . فِي مَسَاءِي وَصَبَاحِي . وَلَوْ عَلِمْتَ أَيُّهَا

وَدَنَعَ مُهْرَاقٍ . قَاتِمٌ فِي الْحِدْمَةِ عَلَى سَاقٍ . أَهْمَلُ ضَرَرِي وَضَرِي .
وَأَحْرَقُ نَفْسِي لِأَشْرَقَ عَلَى غَيْرِي . فَأَنَا مُعَذَّبٌ بِشَرِّي . وَغَيْرِي مُسْتَمْتَعٌ
بِخَيْرِي . فَكَيْفَ أَلَامُ عَلَى أَصْفَرَارِي . وَدُمُوعِي الْجَوَارِي . ثُمَّ تَقْصِدَنِي
الْأَوْبَاشُ . مِنَ الْقَرَّاشِ . يُرِيدُونَ إِطْفَاءِي . وَإِذْ هَابَ أَضْوَاءِي . فَاحْرَقَهُ
مُكَافَأَةً لِفِعْلِهِ . وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ . فَلَوْ مِلَّتِ الْأَرْضُ
فَرَّاشًا لَكُنْتُ مِنْهُمْ بِأَمَانٍ . وَلَوْ مِلْتُ أَوْبَاشًا لَمَّا أَطْفَؤُوا نُورَ الْإِيمَانِ .
يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى الرَّحْمَنُ . وَهَذَا رَمَزُ مَنْ
تَعَنَّا بَيَانُ :

قَدْ أَتَى يَا نُورَ عَيْنِي مِنْكَ نُورٌ أَيْ نُورِ
فَهْدَايَ وَضَلَّ إِلَيَّ بِكَ يَا كُلَّ سُرُورِي
لَمْ يُطِقْ كُلُّ عَذُولٍ فِيكَ يَزِمْنِي بِزُورِي
وَكَذَا كُلُّ هَوَاءٍ لَمْ يُطِقْ إِطْفَاءَ نُورِي

إشارة الغراب

١٣٧ (قَالَ) : فَيَمَّا أَنَا فِي تَشْوَةِ هَذَا الْعِتَابِ . وَلَذَّةِ هَذَا الشَّرَابِ .
إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ مُرَابٍ . يَتَعَقُ بِتَفْرِيقِ الْأَتْرَابِ . وَيَنُوحُ نَوْحَ الْمُصَابِ .
وَيَبُوحُ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْعِلْمِ الْعَذَابِ . وَقَدْ لَبِسَ مِنَ الْحِدَادِ جِلْبَابَ .
وَرَضِيَ مِنْ بَيْنِ الْعِبَادِ بِتَسْوِيدِ الْثِيَابِ . فَقُلْتُ : أَيُّهَا النَّادِبُ لَقَدْ
كَدَرْتَ مَا كَانَ صَافِيًا . وَمَرَرْتَ مَا كَانَ حُلُوشًا فَايَا . فَمَا لَكَ لَمْ تَزَلْ فِي
الْبُكُورِ سَاعِيًا . وَعَلَى الرُّبُوعِ نَاعِيًا . وَإِلَى الْبَيْنِ دَاعِيًا . إِنْ رَأَيْتَ سَمَلًا

لَقَدْ أَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتُ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ أَتَادِي

إشارة الهدهد

١٣٨ - (قَالَ) فَلَمَّا كَدَّرَ عَلَيَّ الْغُرَابُ وَقَتِي . وَحَذَّرَنِي مَقَتِي .
 أَنْصَرَفْتُ مِنْ حَضْرَتِي . إِلَى خَلْوَةٍ فِكْرَتِي . فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ مِنْ
 سَمَاءِ فِطْرَتِي . أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْطِقَ الْطَيْرِ . الْمُنْتَاسِفُ عَلَى قَوَاتِ الْخَيْرِ .
 تَأَلَّاهُ بِوَصْفِ الضَّمَاثِرِ . لِنَفَذِ الْبَصَائِرِ . وَاهْتِدَى السَّارِ . وَمَا ضَلَّ
 الْحَاثِرُ . وَلَوْ طَابَتْ الْخَوَاطِرُ . لَبَانَتْ الْأَمَارِ . وَلَوْ شَرِحَتْ السَّرَائِرُ
 لَظَهَرَتْ الْبَشَائِرُ . وَلَوْ أَنْشَرَحْتَ الصُّدُورُ . لَظَهَرَ لَكَ النُّسُورُ . وَلَوْ
 أَرْتَفَعْتَ السُّتُورُ . لَأُنْكَشَفَ الْأَسْتُورُ . وَلَوْ طَهَّرْتَ الْقُلُوبُ . لَظَهَرَتْ
 سَرَائِرُ الْغُيُوبِ . وَلَوْ خَلَعْتَ ثِيَابَ الْإِعْجَابِ . لَرُفِعَ لَكَ الْكُحْجَابُ . وَلَوْ
 غَبَتَ عَنْ عَالَمِ الْغَيْبِ . لَشَهِدْتَ عَالَمَ الْغَيْبِ . وَلَوْ قَطَعْتَ الْعَلَائِقُ .
 لَأُنْكَشَفَتْ لَكَ الْحَقَائِقُ . وَلَوْ خَالَفْتَ الْعَادَةَ . لَمَّا أَنْقَطَعَتْ عَنْكَ الْمَادَّةُ .
 وَلَوْ تَجَرَّدْتَ عَنْ الْإِرَادَةِ . لَوَصَلْتَ إِلَى رُتَبَةِ السِّيَادَةِ . وَلَوْ مَلْتَ عَنْ
 هَوَاكَ مَالَ بَيْتِكَ إِلَيْهِ . وَلَوْ فَارَقْتَ أَبَاكَ لَجَمَعَكَ عَلَيْهِ . وَلَوْ بَعُدَ عَنْكَ
 لَوَجَدْتَ الزُّلْفَى لَدَيْهِ . وَلَكِنَّكَ مُسْجُونٌ فِي سِجْنِ طَبْعِكَ . مُقَيَّدٌ بِقَيْدِ
 مَا أُلْفِكَ . مُتَشَاغِلٌ بِشَوَاغِلِ نَفْسِكَ . مُتَعَلِّقٌ بِخَيَالِ حِسِّكَ . قَدْ
 أَرَمْتِكَ بَرُودَةُ عِزِّكَ وَأَحْرَقَتْكَ حَرَارَةُ حِرْصِكَ . وَأَثَمَتْكَ نُحْمَةُ
 بَطْرِكَ . وَأَسْتَعْمَتَكَ عُفُونَةُ رُغُونِكَ . وَرَسَمَتْكَ وَسَاوِسُ شَهْوَتِكَ .
 فَأَنْتَ بَارِدُ الْهِمَّةِ . مُقَعَّدُ الْعِزِّمَةِ . جَامِدُ الْفِكْرَةِ . فَاسِدُ الْفِطْرَةِ . كَثِيرُ

اللّٰهِي . بِمَا فِيهِ صَلَاحُكَ وَصَلَاحِي لَا تَشْتَخِ بِوِشَاحِي . وَوَأَقْتَنِي فِي
 سَوَادِ جَنَاحِي . وَأَجْبِتْنِي بِالنُّوَاحِ مِنْ سَائِرِ النُّوَاحِي . لَكِنْ أَلْهَاكَ لَهْوُكَ .
 وَحَجَبَكَ عَجَبُكَ وَزَهْوُكَ . وَهَذَا أَنَا أَعْرِفُ النَّازِلَ . بِخَرَابِ الْمُنَازِلِ .
 وَأَحْذَرُ الْأَكَلَ . غُصَّةَ الْمَاكِلِ . وَأَبْشُرُ الرَّاحِلَ . بِقُرْبِ الرَّاحِلِ .
 وَصَدِيقُكَ مِنْ صَدَقِكَ . لَا سَنَ صَدَقُكَ . وَمَنْ عَذَّكَ . لَا مَنْ
 عَذَرَكَ . وَمَنْ بَصَرَكَ . لَا مَنْ نَصَرَكَ . وَمَنْ وَعَظَكَ . فَقَدْ أَيْتَظَكَ .
 وَمَنْ أَنْذَرَكَ . فَقَدْ حَذَرَكَ . وَلَقَدْ أَنْذَرْتُكَ بِسَوَادِي . وَحَذَرْتُكَ
 بِتَرْدَادِي . وَأَسْمَعْتُكَ نِدَائِي فِي النَّادِي . وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي :
 أَنْوَحُ عَلَى ذَهَابِ الْعُمَرِ مِنِّي وَحَيَّ أَنْ أَنْوَحَ وَأَنْ أَنْادِي
 وَأَنْدُبُ كُلَّمَا عَايَنْتُ رَكْبًا حَادِيًا يَمْ لَوْ شِئْتُ الْبَيْنَ حَادِي
 يُعَيِّنِي الْجُهْلُ إِذَا رَأَيْتُ وَقَدْ أَلَيْتُ أَثَوَابَ الْحِدَادِ
 فَقُلْتُ لَهُ أَتَيْطُ بِلِسَانِ حَالِي فَإِنِّي قَدْ نَصَحْتُكَ بِاجْتِهَادِي
 وَهَذَا أَنَا كَالْخَطِيبِ وَلَيْسَ بِدَعَا عَلَى الْخُطْبَاءِ أَثَوَابُ السَّوَادِ
 أَلَمْ تَرَنِي إِذَا عَايَنْتُ رَبْعًا أَنْادِي بِالْأَسْرِ فِي كُلِّ وَادِي
 أَنْوَحُ عَلَى الطُّلُولِ فَلَمْ يُجِبْنِي بِسَاحَتِهَا سِوَى خُرْسِ الْجَمَادِ
 وَأَكْثَرُ فِي نَوَاحِيهَا نَوَاحِي مِنَ الْبَيْنِ أَلْمَتْتُ لِقَوَادِ
 تَبْقُظُ يَأْتَقِيلُ السَّمْعُ وَأَفْهَمُ إِشَارَةً مَا تَشِيرُ بِهِ الْقَوَادِي
 فَمَا مِنْ شَهِيدٍ فِي الْكُونِ إِلَّا عَلَيْهِ مِنْ شُهُودِ الْغَيْبِ بَادِي
 فَكَمْ مِنْ رَاحِلٍ فِيهَا وَعَادِ يُنَادِي مِنْ دُنُوٍّ أَوْ يَمَادِ

أَتَبَيَّرُ عَنْ عَادَتِي . وَلَا أَقْطَعُ عَنْهُمْ مَادَّتِي . أَظْرُدُ قَاعُودُ . وَأَضْرِبُ
وَلَسْتُ بِالْحَمُودِ . وَأَنَا حَافِظُ لَوْدٍ بَاقٍ عَلَى الْعُمُودِ . أَقُومُ إِذَا كَانَ
الْأَنَامُ رُقُودُ . وَأَصُومُ وَالْحَيَوَانُ مَمْدُودُ . وَلَيْسَ لِي مَالٌ مَعْدُودُ . وَلَا
سِمَاطٌ مَمْدُودُ . وَلَا رِبَاطٌ مَعْبُودُ . وَلَا مَقَامٌ مَحْمُودُ . إِنْ أُعْطِيتُ شُكْرْتُ .
وَإِنْ مُنِعْتُ صَبِرْتُ . لَا أَرَى فِي الْآفَاقِ شَاكِيًا . وَلَا عَلَى مَافَاتٍ
بَاكِيًا . إِنْ مَرَضْتُ فَلَا أَعَادُ . وَإِنْ مِتُّ فَلَا أُحْمَلُ عَلَى أَعْوَادٍ . وَإِنْ غِبْتُ
فَلَا يُقَالُ لِيْتهُ عَادَ . وَإِنْ فُقِدْتُ فَلَا تَبْكِيْنِي الْأَوْلَادُ . وَإِنْ سَافَرْتُ
فَلَا أَسْتَصِيبُ الزَّادَ . لَا مَالٌ لِي يُوْرَثُ . وَلَا عَقَارٌ فَيُحْرَثُ . إِنْ فُقِدْتُ
فَلَا يُبْكِي عَلَيَّ . وَإِنْ وُجِدْتُ فَلَا يُنْظَرُ إِلَيَّ . وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ أَحُومُ حَوْلَ
جَمَاعِهِمْ . وَأَذُومُ عَلَى وَفَائِهِمْ . عَاكِفٌ عَلَى مَزَابِلِهِمْ . قَانِعٌ بِطَلَبِهِمْ دُونَ وَابِلِهِمْ .
فَإِنْ أُعْجِبَكَ خَالِي فَمَتَّسِكٌ بِأَذْيَالِي . وَتَعَلَّقُ بِجِبَالِي . وَإِنْ أَرَدْتَ
وَفَاقِي . فَتَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِي :

وَتَعَلَّمُ حِفْظَ الْمَوَدَّةِ مِنِّي وَتَمَسَّكَ إِلَى الْعُلَى بِجِبَالِي
أَنَا كُلُّ حَقِيرٍ قَدِيرٌ وَلَكِنْ لِي قَلْبٌ خَالٍ مِنَ الْإِدْغَالِ
أَحْفَظُ الْجَارَ فِي الْجَوَارِدِ أَبِي أَنْ أَحَامِيَ عَلَيْهِمْ فِي اللَّيَالِي
وَتَرَانِي فِي كُلِّ عُسْرٍ وَيُسْرٍ صَابِرًا شَاكِرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ
لَا يُبَالَى عَلَيَّ إِنْ مِتُّ جُوعًا أَوْ سَقَمْتُ إِلَّا يَأْمُ مَرُّ النِّكَالِ
لَا يَرَانِي إِلَّا لَهُ أَشْكُو لِحَلْقِي إِذْ عَلَى اللَّهِ فِي الْأُمُورِ اتِّكَالِي
أَجْعَلُ الضَّمِيمَ فِيهِ صَوْنًا لِعِرْضِي وَفِرَارًا مِنْ مُرْدَلِ السُّؤَالِ

الْخَيْرَةِ . قَدْ اُنْعَسَ ذَوْقُ فَهْمِكَ . فَرَأَيْتَ الْحَسَنَ قَبِيحًا . وَالتَّقِيحَ حَسَنًا .
 أَلَا تَرَى إِلَى الْهَذَا هَدًى حِينَ حَسُنَتْ سِيرَتُهُ . وَصَفَتْ سِرِّيَّتُهُ . كَيْفَ
 نَفَذَتْ بَصِيرَتُهُ . فَتَرَاهُ يُشَاهِدُ بِالْأَنْظَرِ . مَا تَحْجِبُهُ الْأَرْضُ عَنْ سَائِرِ
 الْبَشَرِ . فَيَرَى فِي بَطْنِهَا الْمَاءَ التَّجَاجُ . كَمَا تَرَاهُ أَنْتَ فِي الزُّجَاجِ . وَيَقُولُ
 بِصِحَّةِ ذَوْقِهِ . وَصِدْقِهِ : هَذَا عَذْبُ فُرَاتٍ وَهَذَا مِلْحُ أُجَاجٍ . وَيَقُولُ : أَنَا
 الَّذِي أُوتِيتُ مَعَ صِغَرِ الْجَنَانِ . مَا لَمْ يُؤْتَهُ سُلَيْمَانُ . فَإِنْ كُنْتُ يَمُنُّ
 يَقْبَلُ نَضْحِي . فَحَسَنَ سِيرَتِكَ . وَأَصْفَ سِرِّيَّتِكَ . وَطَيِّبَ أَخْلَاقِكَ .
 وَرَاقِبَ خَلَاقِكَ . وَتَأَدَّبَ بِأَحْسَنِ الْأَدَابِ . وَلَوْ أَنَّهَا مِنْ الدَّوَابِّ .
 فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ إِشَارَتَهُ مِنْ صَرِيرِ الْبَابِ وَطَنِينَ الدَّيَابِ . وَنَبِيحِ
 الْكِلَابِ . وَحَشَرَاتِ التُّرَابِ . وَيَفْهَمُ مَا يُشِيرُ بِهِ مَسِيرُ السَّحَابِ .
 وَبَعُ السَّرَابِ . وَضِيَاءُ الضُّبَابِ . فَلَيْسَ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ

إشارة الكلاب

١٣٩ (قَالَ) فَيَنِمَّا أَنَا مُسْتَعْرِقٌ فِي لَذَّةِ الْخِطَابِ . مُنْصَتٌ لِلْجَوَابِ .
 إِذْ نَادَانِي كَلْبٌ عَلَى الْبَابِ . يَلْقُطُ مِنَ الْمَزَالِ مَا يَسْقُطُ مِنَ الْبَابِ .
 فَقَالَ : يَا مَنْ هُوَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ . يَا مُحْجُوبًا عَنْ الْمُسَبِّحِ بِالْأَسْبَابِ .
 يَا مُسْبِلًا ثِيَابَ الْإِعْجَابِ . تَأَدَّبَ بِأَدَائِي . فَإِنْ فَعَلَ الْجَمِيلُ دَائِي .
 وَسُسْ نَفْسَكَ بِسِيَاسَتِي . وَاسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ مِنْ فِرَاسَتِي . وَمَا عَلَيْكَ
 مِنْ خَسَاسَتِي . فَإِنِّي إِنْ كُنْتُ فِي الصُّورَةِ حَقِيرًا . تَجِدُنِي فِي الْمَعْنَى
 قَبِيرًا . لَا أَزَالُ وَاقِعًا عَلَى أَبْوَابِ سَادَتِي . غَيْرَ رَاجِبٍ فِي سِيَادَتِي . فَلَا

١٤١ فَقَالَ الْفَرَسُ أَيُّهَا الْفَقِيرُ الصَّابِرُ. الطَّالِبُ سُبُلَ الْمَآثِرِ. تَعْلَمُ
 مِنِّي جُسْنَ الْأَدَبِ. وَصَدَقَ الطَّالِبُ. لِبُلُوغِ الْأَرَبِ. هَا أَنَا أَجْمَلُ
 مُبَاهِلِي. عَلَى كَاهِلِي. فَاجْتَهِدْ فِي السَّيْرِ. رَأَيْتُكَ بِهِ كَالطَّيْرِ. أَهْجُمُ
 هُجُومَ اللَّيْلِ. وَأَقْتَحِمُ اقْتِحَامَ السَّيْلِ. فَإِنْ كَانَ طَالِبًا أَذْرِكُ بِي طَلَبَهُ.
 وَبَلَغَ بِي أَرْبَهُ. وَإِنْ كَانَ مَطْلُوبًا قَطَعْتُ عَنْ طَالِبِهِ سَبَبَهُ. وَجَعَلْتُ
 أَسْبَابَ الرَّدَى عَنْهُ مُجْبَةً. وَلَا يُدْرِكُ مِنِّي إِلَّا الْغَمَارُ. وَلَا يَسْمَعُ عَنِّي
 إِلَّا الْأَخْبَارُ. فَإِنْ كَانَ الْجَمَلُ هُوَ الصَّابِرُ النَّجْرَبُ. فَأَنَا الشَّاكِرُ
 الْمُتَقَرَّبُ. وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمُقْتَصِدُ اللَّاحِقَ. فَأَنَا الْمُتَجَنِّدُ السَّابِقُ.
 فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْإِلْقَا. وَأَوَانَ الْمُتَلَقَى. أَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْوَالِهِ. وَسَبَّهْتُ
 ضَرْبَ نَبَالِهِ. وَذَلِكَ مُتَخَلِّفٌ لِقُلِّ أَحْمَالِهِ. مُعَاقٌ لِمُتَفِيشِ مَا فِي رِحَالِهِ.
 وَرَأَيْتُ ثُمَّ حُفُوفًا لَا يَسْتَوْفِيهَا إِلَّا أَكْلُ مُوَفٍّ. وَطَرِيقًا لَا يَقْطَعُهَا إِلَّا
 كُلُّ مُخَفٍّ. فَلِذَلِكَ شَمَرْتُ عَنْ سَاقٍ. وَتَضَمَّرْتُ لِيَوْمِ السَّبَاقِ.
 وَقُلْتُ لِمَنْ أَسْكِرُهُ الطَّيْشُ فَمَا أَقَاقَ. وَغَرَّهُ الْعَيْشُ الَّذِي قَدْ رَاقَ: مَا
 عِنْدَكُمْ يَتَقَدَّمُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ. فَيَا مَنْ هُوَ عَنِ الْمُرَادِ مَرْدُودٌ. وَفِي الْإِطْرَادِ
 مَطْرُودٌ. هَلَّا نَظَرْتَ إِلَى الْوُجُودِ. وَفَهِمْتَ الْمَقْصُودَ. وَأَقَمْتَ عَلَى
 نَفْسِكَ الْحُدُودَ. وَأَوْثَقْتَ جَوَارِحَكَ بِالْقُبُودِ. وَذَكَرْتَ الْأَجَلَ
 الْحُدُودَ. وَالنَّفْسَ الْمَعْدُودَ. وَخَشِيتَ الْيَوْمَ الْمَوْعُودَ. هَا أَنَا لَمَّا أَوْثَقَ
 سَانِسِي قَيْدِي. أَمِنْ قَائِدِي كَيْدِي. فَكَمْ أَكَلُ سَائِقِي مِنْ صَيْدِي.

فَجَلَلِي عَلَى خَسَاسَةِ قَدْرِي فِي الْمَعَالِي يَفْنَى كُلُّ خِلَالِي

اشارة للجمل

١٤٠ فَقَالَ الْجَمَلُ: أَيُّهَا الرَّاعِبُ فِي السُّلُوكِ. إِلَى مَنَازِلِ الْمُلُوكِ. إِنْ
 كُنْتَ تَعْلَمُ مِنَ السُّكْبِ زَهْدًا وَفَقْرًا. فَتَعْلَمُ مِنِّي جَلْدًا وَمَسَبْرًا.
 فَإِنْ مِنْ تَوَسَّدَ الْفَقْرَ. وَجَبَ عَلَيْهِ مُعَانَقَةُ الصَّبْرِ. فَإِنَّ الْفَقِيرَ الصَّابِرَ.
 مَعْدُودٌ مِنَ الْأَكْبَارِ. هَا أَنَا أَهْمِلُ الْأَحْمَالَ الثَّقَالَ. وَأَقْطَعُ الْمُرَاحِلَ
 الطُّوَالَ. وَأَكْبِدُ الْأَهْوَالَ. وَأَصْبِرُ عَلَى مُرِّ النِّكَالِ. وَلَا يَعْتَرِينِي
 فِي ذَلِكَ مَلَالٌ. وَلَا أَصُولُ صَوْلَةَ الْأَزْدَالِ. بَلْ أَنْقَادُ لَظْفِ الصَّغِيرِ.
 وَلَوْ شِئْتُ لَأَسْتَضَعْتُ عَلَى الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ. فَأَنَا الدَّلُولُ. الَّذِي
 لِلْأَثْقَالِ حُمُولٌ. وَفِي الْأَحْمَالِ ذُمُولٌ. وَلَسْتُ بِالْحَافِظِ وَلَا بِالْمُلُولِ. وَلَا
 بِالصَّائِلِ عَنِ الْمُصُولِ. وَلَا بِالْمَائِلِ عَنِ الْقُفُولِ. أَقْطَعُ فِي الْوُحُولِ.
 مَا تَعْجِزُ عَنْهُ الصَّنَادِيدُ الْفُحُولِ. وَأَصَابِرُ فِي ظِلِّ الْأَهْوَاكِ وَفِي الْحَاجِرِ لَا
 أَحُولُ. فَإِذَا فَضِيتُ حَقَّ صَاحِبِي. وَبَاقَتْ مَأْرِي. أَلْقَيْتُ حَبْلِي عَلَى
 غَارِي. وَذَهَبْتُ فِي الْبَوَادِي. أَكْتَسَبْتُ مِنَ الْمَبَاحِ زَادِي. وَإِنْ
 سَمِعْتُ صَوْتَ الْحَادِي. سَلَّمْتُ إِلَيْهِ فَيَادِي. وَأَوْصَلْتُ فِيهِ سَهَادِي.
 وَمَدَدْتُ عُتْقِي لِبُلُوغِ مُرَادِي. فَإِنْ ضَلَلْتُ فَالْدَّلِيلُ هَادِي. وَإِنْ
 زَلَلْتُ أَخَذْتُ بِيَدِي مَنْ إِلَيْهِ أَنْقِيَادِي. فَأَنَا الْمُسْتَعْرِضُ لَكُمْ بِإِشَارَةِ
 وَتَحْمِيلِ أَثْقَالِكُمْ. فَلَا أَزَالُ بَيْنَ رِحْلَةٍ وَمَقَامٍ. حَتَّى أَصِلَ إِلَى
 ذَلِكَ الْمَقَامِ

نَسِي . وَحَصَلَ مِنْ ذَلِكَ الْفَضْلُ وَضَلِي . فَأَنْظَرُ فِي يَوْمِ مِيلَادِي .
 فَلَا أَرَى لِي أَبَا وَلَا أُمًّا . وَلَا خَالًا وَلَا عَمًّا . فَتَكْتَفِي أَيْدِي الرِّجَالِ
 وَالنِّسَاءِ . بِالزَّيْتِ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ . وَأُحْمَى عَنْ تَخْلِيطِ الْأَغْذِيَةِ
 حَائِدًا . وَلَا أَطْعَمُ إِلَّا غَدَاءً وَاحِدًا . فَإِذَا تَمَّ حَوِي . وَبَدَتْ قُوَّتِي
 وَحَوِي . بَادَرْتُ إِلَى شُكْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيَّ . وَمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ .
 فَأُشْرِعُ فِي عَمَلٍ مَا يَضِلُّهُ الْإِنْسَانُ . قِيَامًا بِأُمُورٍ : هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ
 إِلَّا الْإِحْسَانُ . فَأَبْتَدِرُ مِنْ غَيْرِ دَعْوَى . وَلَا إِظْهَارِ شُكْوَى . فَأَنْسُجُ
 بِالْهَامِ التَّقْدِيرِ . مَا يَجْزِي عَنْهُ أَهْلُ التَّدْبِيرِ . فَأُسِيلُ مِنْ لُعَابِي . مَا
 أَشْكُرُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَهَابِي . وَأَسْتَخْرِجُ مِنْ صَنْعَةِ صَانِعِي مَا لَيْسَ . تَرَيْنِ
 اللَّائِسَ . فَأَلْدُلُوكَ تَفْتَحُ بِجَزْيٍ . وَالسَّالِطِينَ تَتَنَافَسُ فِي أَرْدِيَةِ
 قَرْيٍ . فَأَنَا أَجْمَلُ الْمَطَارِفِ . وَأَرْهَجُ الرِّخَارِفِ . فَإِذَا كَافَيْتُ مَنْ
 أَحْسَنَ إِلَيَّ . وَأَدَيْتُ شُكْرَ مَا وَجَبَ لَهُ عَلَيَّ . جَعَلَتْ بَيْتِي الْمَنُوسُجَ
 قَبْرِي . وَفِي طَيْهِ لَشْرِي . فَأَضِيقُ عَلَيَّ حَبْسِي . وَأَهْلِكُ نَفْسِي بِنَفْسِي .
 وَأَمْضِي إِلَى رَمْسِي . كُضِّي أَمْسِي . فَأَنَا الَّذِي أَجُودُ بِخَيْرِي . وَأَبَالُغُ
 فِي نَفْعِ غَيْرِي . وَأَنَا الْمُعَذِّبُ بِضَيْرِي . ثُمَّ مِنْ نَكْدِ هَذِهِ الدَّارِ .
 الْحَبْوَةِ عَلَى الْأَكْدَارِ . أَنِّي أَتْلَيْتُ بِحَرِّقِ النَّارِ . وَحَسَدِ الْجَارِ .
 وَقَدْ أَعْتَدَى عَلَى ظُلْمًا وَجَارَ . وَهُوَ هَذِهِ الْعَنْكَبُوتُ . الْخُصُوصَةَ بِأَوْهِنِ
 الْبُيُوتِ . تُجَاوِرُنِي وَتُجَاوِزُنِي . وَتَقُولُ : لِي نَسِجٌ وَلَكَ نَسِجٌ . وَأَمْرِي
 وَأَمْرُكَ مَرِيجٌ . فَهَلْتُ لَهَا . وَنَحَكَ أَنْتِ نَسْجَكَ شَبَكَةُ الذُّبَابِ . وَنَجْمُ

وَكَمْ لِي عَلَى مُسَابِقِي مِنْ أَيْدِي . أَوْثَقْتُ بِشِكَا لِي . كَيْلًا أَصُولَ عَلَى
 أَشْكَالِي . وَأَخَذْتُ بِعَنَانِي . كَيْلًا أَذْهَبَ إِلَى غَيْرِ مَا عَنَانِي . وَأَلْجَمْتُ
 بِلِجَامِي . لَيْلًا يَفْسُدُ عَلَيَّ نِظَامِي . وَأَلْزَمْتُ بِحِزَامِي . خَشِيَّةً مِنْ
 غَفْلَتِي عَنْ قِيَامِي . وَنَعَلْتُ بِالْحَدِيدِ أَقْدَامِي . كَيْلًا أَكِلَ عِنْدَ إِقْدَامِي .
 فَأَنَا الْمَوْعُودُ بِالنَّجَاةِ . الْمَعْدُودُ لِلْجَاهِ . الْمَشْدُودُ لِلْسَّلَامَةِ . الْمَقْصُودُ
 بِالْكَرَامَةِ . وَالْخَيْرُ مَعْفُودٌ بِنَوَاصِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . خُلِقْتُ مِنْ
 الرِّيحِ . وَأَلْهَمْتُ التَّقْدِيسَ وَالتَّسْبِيحَ . وَمَا بَرَحَ ظَهْرِي عِزًّا . وَبَطْنِي
 كَنْزًا . وَصُحْبَتِي حِرْزًا . فَكَمْ رَكَنْتُ فِي مِيدَانٍ وَمَا أَبَدَيْتُ عِجْزًا .
 فَكَمْ كُسَيْتُ فِي السَّبَاقِ خِزًّا . وَكَمْ حَزَنْتُ أَهْلَ النِّفَاقِ خِزًّا . فَكَمْ
 أَخْلَيْتُ مِنْهُمْ أَلَا فَاقَ فَهَلْ تُحَسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا .
 (فَجَاوَبْتُهُ) تَأَلَّهَ لَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ الْخِلَالِ أَجْمَلَهَا . وَمِنَ أَلْفَعَالِ أَكْمَلَهَا

إشارة دود القز

١٤٢ فَقَالَتْ دُودَةُ الْقَزِّ : تَأَلَّهَ لَيْسَتْ أَلْفُحُولِيَّةُ بِالصُّوَرِ وَأَلْهِيَ كُلِّ .
 وَلَا الرُّجُولِيَّةُ بِتَرْكِ الْمَشَارِبِ وَالْمَآكِلِ . وَلَا الْإِيثَارُ . بِذَلِ
 النِّثَارِ . إِنَّمَا الْجُودُ لِمَنْ جَادَ بِمَوْجُودِهِ . وَآثَرَ بِحَيَاتِهِ وَوُجُودِهِ . فَإِنْ
 كَانَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ مَعْدُودَةً . فَأَجْلَاهَا مَعَ دُودَةٍ . أَنَا فِي الدُّودِ
 كَدُودَةٌ . وَلَا أَهْلُ الْوَدِّ وَدُودَةٌ . أَنَا الْمُتَوَالِدَةُ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ وَلَا
 مَوْلُودَةٌ . أَوْخَذُ فِي أُنْدِيَاةٍ بَزْرًا . كَمَا يَأْخُذُ الزَّارِعُ بَذْرًا . فَإِذَا نَمَتْ
 بِلَامٍ حَمَلِي . وَآذَنْتِ الْقُدْرَةَ بِجَمْعِ شَمْلِي . إِنْفَصَلَ عَنِ ذَلِكَ الْحَمَلِ

ثُمَّ أَقْلُ يَا نَفْسِ هَذَا بَيْتُ مَثَوَاكِ فَمُوتِي

إشارة النملة

١٤٤. فَقَالَتِ النَّمْلَةُ: إِذَا مَا رَمَاكَ الدَّهْرُ بِمَرَمِي فَمَنْ لَهُ . وَتَعْلَمُ مِنِّي
قُوَّةَ الْإِسْتِعْدَادِ . وَتَحْصِيلَ الزَّادِ . لِيَوْمِ الْمَعَادِ . وَانْظُرِي إِلَى غُرَّةِ عَزَمِي .
وَصِحَّةِ حَزَمِي . وَتَأَمَّلِي كَيْفَ شَدَّتْ يَدَ الْقُدْرَةِ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي . فَأَوَّلُ
مَا فَتَحْتُ عَيْنِي مِنَ الْعَدَمِ . رَأَيْتُنِي وَاقِفَةً عَلَى الْقَدَمِ . لِأَكُونَ مِنْ
جُمْلَةِ الْخَدَمِ . ثُمَّ كَلِمْتُ بِجَمْعِ الْمُوْنَةِ . بِتَيْسِيرِ الْمُوْنَةِ . ثُمَّ أُعْطِيتُ
قُوَّةَ الشَّمِّ مِنْ بَعْدِ الْفَرَاخِ . مَا لَا يَدْرِيكُهُ الْعَالَمُ الرَّاسِخُ . فَأَذْبَرُ مَا
أَذْخَرَهُ مِنَ الْحَبِّ لِهُوتِي . فِي بُيُوتِي . فَلِيَهْمُنِي فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى .
أَنْ أَفْسِمَ الْحَبَّةَ نِصْفَيْنِ بِالسَّوَى . فَإِنْ كَانَتْ الْحَبَّةُ كَرْبُرَةً . فَلَهَا حِكْمَةٌ
مُدْبِرَةٌ . وَهُوَ أَنْ أَفْلَقَهَا أَرْبَعَ فَلَقَ فَإِنَّمَا إِذَا انْفَلَقَتْ نِصْفَيْنِ نَبَتَتْ . وَإِنْ
قُطِعَتْ أَرْبَعًا انْقَطَعَتْ . وَإِنْ خِفْتُ عَلَيْهَا فِي الشِّتَاءِ غَفَوْنَةُ الْأَرْضِ
أَنْ تَضُرَّهَا . أَخْرَجْتُهَا فِي يَوْمِ شَايَسٍ فَجُفِّفَهُ الشَّمْسُ بِحَرِّهَا . فَلَا يَزَالُ
ذَلِكَ دَائِي . وَأَنْتَ تَظُنُّ أَنَّهُ أَرْدَى بِي . وَتَعْتَقِدُهُ فِي نَدَا .
وَأَنْتِ مَا كَأَعْلَى الدُّنْيَا وَحَرَصَا . كَلَّا كَلَّا لَوْ عَلِمْتَ حَقِيقَةَ أَمْرِي .
لَأَقَمْتَ فِي ذَلِكَ عُذْرِي . وَلَا زَتَعُ عِنْدَكَ قَدْرِي . فَكُلُّ غِلْمَةٍ تَجْتَهِدُ فِي
سَيْرِهَا . وَتَحْصِيلِ خَيْرِهَا . لِنَفْعِ غَيْرِهَا . مُتَعَرِّضَةٌ لِلْهَلَاكِ . وَمَصَائِدِ
الْأَشْرَاكِ . فَمَا أَنْ تَهْلِكَ عَطْشًا أَوْ جُوعًا . أَوْ تَقْعُ فِي مَفَارَةٍ فَلَا تَجِدُ
رُجُوعًا . تَحْتَطِّفُهَا ذُبَابَةٌ . أَوْ تَطَّاهُ دَابَّةٌ . فَخَالِقِي مَا فِي أَيْدِيهَا بَيْنَ

لِلتُّرَابِ . وَأَنَا تَسْجِي زِينَةَ الْكُوعِيبِ الْأَثَرَابِ . أَمَا قَدْ طُهِرَ بَصُفْعُكَ
الْمَثَلُ . وَأَيْنَ الْكُجَلِ مِنَ الْكُجَلِ . وَأَيْنَ الْبَذَرِ مِنَ النَّجْمِ إِذَا أَقْلَ

إشارة العنكبوت

١٤٣ فَقَالَ الْعَنْكَبُوتُ . إِنْ كَانَ بَيْتِي أَوْهَنَ الْبُيُوتِ . وَحَبْلِي
مَبْنُوتٌ . فَإِنَّ فَضْلِي عَلَيْكَ فِي سَجَلِ الذِّكْرِ مَبْنُوتٌ . أَمَا أَنَا فَمَا لِأَحَدٍ عَلَيَّ
مِنَّةٌ . وَلَا لِأَمٍّ عَلَى حَنَّةٌ . مِنْ حِينَ أَوْلَدْتُ أَنْسَجَ لِنَفْسِي أَلْبَاتِ . فِي
جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ . فَأَوْلُ مَا أَقْصِدُ زَاوِيَةَ أَلَيْتِ . وَإِنْ كَانَ خَرَابًا فَهُوَ
أَحْسَنُ مَا أَوَيْتُ . فَأَقْصِدُ الزَّوَايَا . لِمَا فِيهَا مِنَ الْحَبَايَا . وَلِمَا فِي سِرِّهَا مِنْ
النُّكْتِ الْحَفَايَا . فَأَلْقِ لِعَايِي عَلَى حَافَتِهَا . حَذَرًا مِنَ الْخَلْطَةِ وَاقَاتِهَا . ثُمَّ
أَفْرُدْ مِنْ طَافَاتِ عَزْلِي خَيْطًا دَفِيقًا . مُنْكَسًّا فِي الْهَوَاءِ رَفِيقًا . فَاتَّعَلَّقْ
بِهِ مُسْبَلَةً يَدَيَّ . مُمَسَّكَةً بِرَجْلِي . فَيَظُنُّ الْغَرُّ بِلَاكَ الْحَالَةِ . أَنَّنِي
مَيِّتٌ لَا حِمْلَةَ . فَيَتَمَرُّ الذُّبَابَةُ فَاخْتَفَفَهَا بِحَبْلِ كَيْدِي . وَأَوْدَعَهَا فِي
شَبَكَةِ صَيْدِي . وَأَنْتِ أَيُّهَا الْعِدَارَةُ . الَّتِي بَرُخْرِفَهَا غَرَارَةٌ . إِنَّمَا جَعَلْتَ
زِينَةَ لِنَاقِصَاتِ الْعُقُولِ . وَلِهَوَا لِلصَّبِيَانِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَعْقُولٌ . وَقَدْ
حُرِّمَتْ عَلَى الرِّجَالِ الْفُحُولِ . لِأَنَّ حُسْنَكَ عَنْ قَرِيبٍ يَحُولُ . وَمَا لَكَ
فِي الْحَقِيقَةِ مَحْضُولٌ . وَلَا إِلَى الطَّرِيقَةِ وَضُولٌ . فَيَا وَجْ مَحْرُومٍ حَرِمَ الدُّوَلُ :

أَيُّهَا الْعَنْجَبُ فَخْرًا بِمَقَاصِيرِ الْبُيُوتِ
فَارْضَ فِي الدُّنْيَا بِثَوْبٍ وَمِنْ الْعَيْشِ بِمُتَوَاتِرِ
وَاتَّخِذْ بَيْتًا ضَعِيفًا مِثْلَ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ

وَتَضَاعَفَ نُحْمَالُهُ . وَتَرَايَدَ ذُبُولُهُ . فَوَصَلُوا إِلَيْهِ خِمَاصًا . بَعْدَ مَا كُنَّ بِطَانًا .
وَجِئَتْهُ فُرَادَى بَعْدَ أَنْ فَارَقْنَ أَوْطَانًا . فَلَمَّا أَنْ وَصَلُوا إِلَى جَزِيرَةِ الْمَلِكِ
وَجَدُوا فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ . ثُمَّ قَالُوا : نَحْنُ لَا نَزِيدُ إِلَّا
الْمَلِكَ الَّذِي خَرَجْنَا مِنْ أَجْلِهِ عَلَى الْحَاجِرِ . وَقَطَعْنَا إِلَيْهِ كُلَّ حَاجِرٍ .
وَصَبَرْنَا عَلَى ظُلْمِ الْمَوَاجِرِ . ثُمَّ لَا نَسْتَعِلُّ بِالْمَلَأِيسِ وَالْمُفَاخِرِ . فَوَالَّذِي لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ . لَا نَزِيدُ إِلَّا هُوَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ : وَنَحْكُمُ لَأَيِّ شَيْءٍ
جِئْتُمْ . وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَتَيْتُمْ . قَالُوا : أَتَيْنَاكَ بِذِلَّةِ الْعَبِيدِ . وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ
مَا نَزِيدُ . فَقَالَ لَهُمُ : ارْجِعُوا مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ . فَإِنَّا الْمَلِكُ شِدْتُمْ أَوْ أَيْدْتُمْ .
وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْكُمْ . قَالُوا : سَيِّدِي أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ .
وَأَنْتَ الْعَزِيزُ وَنَحْنُ الْأَذِلَّةُ . وَأَنْتَ الْقَوِيُّ وَنَحْنُ الضُّعَفَاءُ . فَبِأَيِّ قُوَّةٍ
تَرْجِعُ وَقَدْ ذَهَبَ قُوَانَا . وَنَحِلَ عَرَانَا . وَأَصْحَلَّ وَجُودُنَا بِمَا أَعْرَانَا .
فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي إِذَا صَحَّ افْتِقَادُكُمْ . وَبَتَّ انْكِسَادُكُمْ .
فَعَلَى انْجِبَارِكُمْ . انْظَلَفُوا قَدَاوُوا الْعَلِيلَ . فِي ظِلِّي الظَّلِيلِ . وَقِيلُوا فِي خَيْرِ
مَقِيلٍ . فَمَحْضُوا حَيْثُ وَصَلُوا . فَلَمَّا حَضَرُوا نَظَرُوا . فَإِذَا الْحُجُبُ قَدْ رُفِعَتْ .
وَالْأَحْبَابُ قَدْ جُمِعَتْ . وَشَاهَدُوا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ :

يَا قَلْبُ بُشْرَاكَ أَيَّامَ الرِّضَا رَجَعْتَ وَهَذِهِ الدَّارُ لِلْأَحْبَابِ قَدْ جُمِعَتْ
أَمَّا تَرَى نَفَحَاتِ الْحَيِّ قَدْ عَبَّتْ أَنْفَاسُهَا وَبُرُوقِ الْقُرْبِ قَدْ لَمَعَتْ
فَعِشْ هَنِيئًا بِوَصْلِ غَيْرِ مُنْفَصِلٍ مَعَ مَنْ تُحِبُّ وَحُجْبِ الْهَجْرِ قَدْ رُفِعَتْ
وَأَنْظُرْ جَمَالَ الَّذِي مِنْ أَجْلِ رُؤْيَيْهِ فَلَا بُدَّ عِبَادِهِ فِي حَيْهِ أَنْصَدَعَتْ

أَيَدِيَهُنَّ . فَتَقْسِمُهُ بِالسُّوْيَةِ عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ خُصُوصٍ . وَلَا مَحْظٍ مَنفُوصٍ

إشارة العناء

١٤٥ (قَالَ الشَّيْخُ) : لَكُمْ الْإِشَارَةُ . يَا أَهْلَ الْإِشَارَةِ . إِنْ فَهِمْتُمْ رَمَزَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ . فَأَنْصِتُوا بِضَرْبِ هَذِهِ الْأَمْثَالِ الْمُسْتَعَارَةِ . (قِيلَ) اجْتَمَعَ الطُّيُورُ وَقَالُوا : لَا بَدَلَنَا مِنْ مَلِكٍ نَعْتَرِفُ لَهُ وَنُعَرَفُ بِهِ . فَهَلُمُّوا نَنْطَلِقْ فِي طَلِّهِ . وَنَسْتَمْسِكْ بِسَبَبِهِ . وَنَعِشْ فِي ظِلِّهِ . وَنَعْتَصِمَ بِحَبْلِهِ . وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنْ يَجْزِ أَرْبَ الْبَحْرِ مَلِكًا يُقَالُ لَهُ عَفَاءٌ مُغْرِبٍ . قَدْ نَفَذَ حُكْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . فَهَلُمُّوا بِنَا إِلَيْهِ . مُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ . فَقِيلَ لَهُمْ إِنْ أَلْبَجَرَ عَمِيقُ وَالطَّرِيقُ مَضِيقُ . وَالسَّبِيلُ سَحِيقُ . وَبَيْنَ أَيْدِيكُمْ جِبَالٌ شَاهِقَةٌ . وَبِحَارٌ مُغْرَقَةٌ . وَبِيرَانٌ مُخْرِقَةٌ . وَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى الْإِتِّصَالِ . وَلَوْ تَقَطَّعَتِ الْأَوْصَالُ . فَدُونَ وَصَالِهِ حَدُّ النَّصَالِ . فَأَقِمْنَ فِي أَوْكَارِكُنَّ . فَإِنَّ الْعَجْزَ مِنْ شَانِكُنَّ . وَالْمَلِكُ غَنِيٌّ عَنْكُنَّ . وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ . قَالُوا : صَدَقْتَ وَلَكِنْ مُنَادِي الطَّلَبِ يُنَادِي : فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ . فَطَارُوا بِأَجَنَّةٍ . وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . صَابِرِينَ عَلَى ظُلْمٍ أَلْهَوَاجِرِ . بِإِشَارَةٍ : وَمَنْ يُخْرِجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا . فَسَلَكْنَ سَبِيلًا عَدَلًا . إِنْ أَخَذْنَ ذَاتَ الْيَمِينِ أَرَمَتَهُنَّ بُرُودَةُ الرَّجَاءِ . وَإِنْ عَدَلْنَ ذَاتَ الشِّمَالِ أَحْرَقَتَهُنَّ حَرَارَةُ الْخَوْفِ . فَهُمْ بَيْنَ سَبَاقٍ . وَلَحَاقٍ وَحُحَاقٍ . وَتَلَاشٍ وَأَحْتِرَاقٍ . وَتَغَاشٍ وَاسْتِغْرَاقٍ . وَبُعْدٍ وَأَفْتِرَاقٍ . حَتَّى وَصَلَ كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى جَزِيرَةِ الْمَلِكِ وَقَدْ سَقَطَ رِيشُهُ . وَتَكَدَّرَ عَيْشُهُ .

لإظهار الغامض المستبهِ. وأداة لكشف الخفي الملتبس. وبه تعرف
 ربوبية الرب وحمّة الرُّسل. ويختَرُ به من شبهات المَقالات. وفسادِ
 التَّأويلات. وبه تدفع مُضلاتُ الأهواء والتَّخل. وتُبتلُ تأويلاتُ
 الأديان والمِلل. ويُنزَّه عن غباوة التَّقليد وعمّة التَّريديد. قيل :
 قالَ الفَلَسَفَةُ : قَالَ : أَدَاةُ الضَّمَامِ وَالْأَلَّةُ الْخَوَاطِرِ. وَتَنَاجِيُ الْعَقْلِ وَأَدَلَّةُ
 لِمَعْرِفَةِ الْأَجْنَاسِ وَالْعَنَاصِرِ. وَعِلْمُ الْأَعْرَاضِ وَالْجَوَاهِرِ. وَدَلِيلُ
 الْأَشْخَاصِ وَالصُّوَرِ. وَاخْتِلَافُ الْأَخْلَاقِ وَالطَّبَائِعِ وَالسَّجَايَا وَالْفَرَائِزِ.
 قِيلَ : فَالْجَوْمُ. قَالَ : مَعْرِفَةُ الْأَهْلَةِ وَمَقَادِيرُ الْأَظْلَةِ. وَسُمُوتُ الْبُلْدَانِ.
 وَإِفْدَامُ الرِّزَالِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَانٍ. وَعِلْمُ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي
 الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ. وَأَمَارَاتُ الْغُيُوثِ وَالْأَطَارِ. وَأَوْقَاتُ سَلَامَةِ
 الزَّرْعِ وَالشَّارِ. قِيلَ : فَالطَّبُّ. قَالَ : سَانِسُ الْأَبْدَانِ. وَالْمُنْبَهَ عَلَى
 طَبَائِعِ الْحَيَوَانِ. وَبِهِ يَكُونُ حِفْظُ الصِّحَّةِ. وَمَرَمَةُ الْعِلَّةِ. وَالْوُقُوفُ عَلَى
 الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ. وَالْإِبَانَةُ عَنْ خَبَايَا الْأَسْرَارِ. وَعِلْمُ يَضْطَرُّ إِلَيْهِ الْخَاصُّ
 وَالْعَامُّ. وَيَفْتَقِرُ إِلَيْهِ النَّاسُ وَلَا نَعَامٌ. وَلَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ.
 وَيَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَقِيرُ وَالْخَطِيرُ. قِيلَ : فَالْخَوْ. قَالَ : يَبْسُطُ مِنَ الْعَمِي
 اللِّسَانِ. وَيُجْرِي مِنَ الْحَصْرِ الْبَيَانِ. وَبِهِ يُسَلِّمُ مِنَ هُجْنَةِ اللَّغْنِ وَتَحْرِيفِ
 الْقَوْلِ. وَهُوَ أَلَّةُ إِصْوَابِ الْمُنْطِقِ وَتَسْدِيدِ كَلَامِ الرَّبِّ. قِيلَ :
 فَالْحِسَابُ. قَالَ : عِلْمٌ طَبِيعِيٌّ لَا خِلَافَ عَلَيْهِ. وَأَضْطَرَّارِي لَا مَطْعَنَ
 فِيهِ. ثَابِتُ الدَّلَالَةِ صَائِبُ الْمَقَالَةِ. وَاضِعُ الْبَرْهَانِ شَدِيدُ الْبَيَانِ.

أَلْبَابُ السَّائِعِ فِي الذِّكَا وَالْأَدَبِ

مدح مختلف العلوم

١٤٦ قَدْ مَدَحَ أَبُو عُثْمَانَ الْجَلِيزُ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ وَذَمَّ بِأَعْيَانِهَا مُعَرِّبًا
عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى الْكَلَامِ وَبَعْدِ شَأُوهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَحِينَ سُئِلَ عَنِ الْأَثَرِ
فَقَالَ: هُوَ أَخْبَارُ الْأَصْنِينِ وَأَنْبَاءُ الْغَائِبِينَ وَقِصَصُ الْمُرْسَلِينَ وَأَدَابُ
الدُّنْيَا وَالْدِّينِ وَمَعْرِفَةُ الْقُرْضِ وَالنَّافِلَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالسُّنَّةِ وَالْمُصْلِحَةِ
وَالْمُفْسَدَةِ وَالنَّارِ وَالْجَنَّةِ إِلَى صَاحِبِهِ تُشَدُّ الرَّحَالُ وَحَوْلُهُ يَنْتَكِفُ
الرِّجَالُ وَيَسِيرُ بِهِ ذِكْرُهُ فِي الْبُلْدَانِ وَيَبْقَى اسْمُهُ عَلَى مَرْرِ الزَّمَانِ
قِيلَ: فَأَلْفَقَهُ قَوْلٌ: فِيهِ عِلْمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَبِهِ تُعْرَفُ الشَّرَائِعُ
وَتُقَامُ الْحُدُودُ وَالْأَحْكَامُ وَهُوَ عَصْمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَزِينَةٌ فِي الْآخِرَةِ
يَخْطُبُ لِصَاحِبِهِ فَضْلَ الْأَعْمَالِ وَيَخْلَعُ عَلَيْهِ ثَوْبَ الْجَمَالِ وَيَأْسِسُهُ
الْفَنَى وَيُبْلِغُهُ مَرْتَبَةَ الْقَضَا قِيلَ: فَالْكَلَامُ قَال: عِيَارُ كُلِّ صِنَاعَةٍ
وَزِمَامُ كُلِّ عِبَارَةٍ وَقِسْطُاسُ يُعْرَفُ بِهِ الْفَضْلُ وَالرُّحْمَانُ وَمِيزَانُ
يُعْلَمُ بِهِ الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ وَكَيْفُ يُمَيِّزُ بِهِ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ وَالْحَالِصُ
وَالْمَشُوبُ وَيُعْرَفُ بِهِ الْإِبْرِيزُ وَالسُّتُوقُ وَيَنْظُرُ بِهِ الصَّفْوُ وَالْكَدَرُ
وَسَلَّمَ يَرْتَقِي بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَيُوصِلُ بِهِ إِلَى الْخَفِيرِ
وَالْخَطِيرِ وَأَدَلَّةٌ لِلتَّفْصِيلِ وَالْتَّخْصِيلِ وَإِذْرَاكُ الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَالْأَلَّةُ

غَرَابَةُ الْمُخْدَلِّينَ وَفَصَاحَةُ الْقُدَمَاءِ وَجَمَعَتْ بَيْنَ الْأَمْثَالِ السَّابِرَةِ
وَحِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ . وَأَمَّا أَبُو تَمَّامٍ فَإِنَّهُ رَبُّ مَعَانٍ . وَصَقِلُ الْبَابِ وَأَذْهَانٍ .
قَدْ شَهِدَ لَهُ بِكُلِّ مَعْنَى مُبْتَكِرٍ . لَمْ يَمْسُ فِيهِ عَلَى أَثَرٍ . فَهُوَ غَيْرُ مَدَافِعٍ
عَنْ مَقَامِ الْإِغْرَابِ . الَّذِي بَرَزَ فِيهِ عَلَى الْأَضْرَابِ . وَلَقَدْ مَارَسَتْ مِنْ
الشَّعْرِ كُلِّ أَوَّلٍ وَآخِرٍ . وَلَمْ أَقُلْ مَا أَقُولُهُ إِلَّا بِتَقْيِيرٍ . فَمَنْ حَفِظَ شَعْرَ
الرَّجُلِ وَكَشَفَ عَنْ غَامِضِهِ . وَرَاضَ فَنَكَرَهُ بِرَاضِهِ . أَطَاعَتْهُ أَعْنَةُ
الْكَلَامِ . وَكَانَ قَوْلُهُ فِي الْبَلَاغَةِ مَا قَالَتْهُ حَذَامٌ . فَخَذَ مِنِّي فِي ذَلِكَ
قَوْلَ حَكِيمٍ . وَتَعَلَّمَ فَتَوَقَّ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٍ . وَأَمَّا أَبُو عَبَادَةَ الْجُبَيْرِيُّ
فَإِنَّهُ أَحْسَنَ فِي سَبْكِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى . وَأَرَادَ أَنْ يَشْعُرَ فَعَنَى . وَلَقَدْ
حَازَ طَرَفِي الرِّقَّةَ وَالْجَزَالَ عَلَى الْإِطْلَاقِ . فَيَنِينَا يَكُونُ فِي شَظْفٍ مُجْدٍ
حَتَّى يَتَشَبَّثَ بِرِيفِ الْعِرَاقِ . وَسُئِلَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ عَنْهُ وَعَنْ أَبِي تَمَّامٍ
وَعَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ : أَنَا وَأَبُو تَمَّامٍ حَكِيمَانِ . وَالشَّاعِرُ الْجُبَيْرِيُّ . وَلَعَمْرِي إِنَّهُ
أَنْصَفُ فِي حُكْمِهِ . وَأَعْرَبُ فِي قَوْلِهِ هَذَا عَنْ مَتَانَةٍ عِلْمِهِ . فَإِنْ أَبَا
عِبَادَةَ أَتَى فِي شِعْرِهِ بِالْمَعْنَى الْمُتَدَوِّدِ مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ . فِي اللَّفْظِ
الْمُصَوِّغِ مِنْ سَلَاسَةِ أَلَاءٍ . فَأَذْرَكَ بِذَلِكَ بَعْدَ الْمَرَامِ . مَعَ قُرْبِهِ إِلَى
الْأَفْهَامِ . وَمَا أَقُولُ إِلَّا أَنَّهُ أَتَى فِي مَعَانِيهِ بِأَخْلَاطِ الْعَالِيَةِ . وَرَقِي فِي
دِيَابِجَةِ لَفْظِهِ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ . وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ فَإِنَّهُ أَرَادَ
أَنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَ أَبِي تَمَّامٍ فَتَقَصَّرَتْ عَنْهُ خُطَاهُ . وَلَمْ يُعْطِهِ الشَّعْرُ مِنْ
قِيَادِهِ مَا أَعْطَاهُ . وَلَكِنَّهُ حَظِيَ فِي شِعْرِهِ بِالْحِكْمِ وَالْأَمْثَالِ . وَاخْتَصَرَ

سَالِمٌ مِنَ الْمُنَاقَصَةِ خَالٍ مِنَ الْمَعَارِضَةِ . حَاكِمٌ يَقْطَعُ الْحِلَافَ . مُؤَدٍّ إِلَى
 الْإِنْصَافِ وَالْإِنْتِصَافِ . وَبِهِ حِفْظُ الْأَعْمَالِ . وَنِظَامُ الْأَمْوَالِ . وَقِيَامُ
 أُمُورِ الْمُلُوكِ وَالتَّجَارِ . وَثَبَاتُ قَوَانِينِ الْبِلَادِ وَالْأَمْصَارِ . قِيلَ :
 فَأَلْعَرُوضُ . قَالَ : مِيزَانُ الشَّعْرِ وَعِيَارُ النَّظْمِ . وَرَائِضُ الطَّعْنِ وَسَائِسُ
 الْقَهْمِ . وَبِهِ يُعْرَفُ الصَّحِيحُ مِنَ الْمَرِيضِ . وَفَلَكَ عَلَيْهِ مَدَارُ الْقَرِيضِ .
 قِيلَ : فَالْحَظُّ . قَالَ : إِسَانُ الْيَدِ وَلَهْجَةُ الصَّيْرِ . وَوَحْيُ الْفِكْرِ . وَنَاقِلُ
 الْخَبَرِ . وَحَافِظُ الْأَثَرِ . وَعُمْدَةُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا . وَلِقَاحُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى . فَهَذَا
 آخِرُ مَا حَكِيَ عَنِ الْجَلَّاحِظِ فِي مَدَحِ الْعُلُومِ (طرائف اللطائف)

ابو تمام والمثنبي وابو عبادة البصري

١٤٧ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : لَقَدْ وَقَفْتُ مِنَ الشَّعْرِ عَلَى كُلِّ دِيَوَانٍ وَمَجْمُوعٍ .
 وَأَنْقَدْتُ شَطْرَ أَمْنِ الْعُمَرِ فِي الْخَفُوضِ مِنْهُ وَالسَّمُوعِ . فَأَلْقَيْتُهُ بِحَرِّ الْأَيُّوقِ
 عَلَى سَاحِلِهِ . وَكَيْفَ يَنْتَهِي إِحْصَاءُ قَوْلٍ لَمْ تُحْصَ أَسْمَاءُ قَائِلِهِ . فَعِنْدَ
 ذَلِكَ أَقْصَرْتُ مِنْهُ عَلَى مَا تَكْتَرُ قَوَائِدُهُ . وَتَنْشَعِبُ مَقَاصِدُهُ . وَلَمْ أَكُنْ مِمَّنْ
 أَخَذَ بِالتَّقْلِيدِ وَالتَّسْلِيمِ . فِي اتِّبَاعِ مَنْ قَصَرَ نَظَرُهُ عَلَى الشَّعْرِ الْقَدِيمِ . إِذَا
 الرُّادُ مِنَ الشَّعْرِ إِنَّمَا هُوَ إِيدَاعُ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ . فِي اللَّفْظِ الْجَزَلِ
 اللَّطِيفِ . فَتَمَّتْ وَجَدْتُ ذَلِكَ فَكُلُّ مَكَانٍ خِيَّتُ فَهُوَ بَابِلُ . وَقَدْ
 اكْتَفَيْتُ مِنْ هَذَا بِشَعْرِ أَبِي تَمَّامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ وَأَبِي عِبَادَةَ الْوَلِيدِ
 وَأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَدَبِّئِ . وَهُمُؤَلَاءُ الثَّلَاثَةِ هُمْ لَاتُ الشَّعْرِ وَعَزَّاهُ وَمَنَاتُهُ .
 الَّذِينَ ظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ حَسَنَاتُهُ وَمُسْتَحْسَنَاتُهُ . وَقَدْ حَوَتْ أَشَارَهُمْ

الَمَلَامَ • وَجَعَلَتْهُ عِرْضَهُ بَشَارَةً لِسَهَامِ الْأَقْوَامِ • وَلِسَائِلِ هَذَا أَنْ يَسْأَلَ
وَيَقُولَ : لَمْ عَدَلْتُ إِلَى شِعْرِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ • فَأَقُولُ : إِنِّي
لَمْ أَعْدِلْ إِلَيْهِمْ اتِّفَاقًا وَإِنَّمَا عَدَلْتُ نَظْرًا وَاجْتِهَادًا • وَذَلِكَ أَنِّي وَهَّتُ
عَلَى أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ قَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ دِيْوَانُ إِشَاعِرٍ مُفْلَقٍ يَثْبُتُ
شِعْرُهُ عَلَى أَلْحَاكِ إِلَّا وَعَرَضْتُهِ عَلَى نَظْرِي • فَلَمْ أَجِدْ أَجْمَعَ مِنْ دِيْوَانِ
أَبِي تَمَّامٍ وَأَبِي الطَّيِّبِ لِمَعَانِي الدَّقِيقَةِ وَلَا أَكْثَرَ اسْتِخْرَاجًا مِنْهَا لِلطَّيِّفِ
الْأَغْرَاضِ وَالْمَقَاصِدِ • وَلَمْ أَجِدْ أَحْسَنَ تَهْذِيبًا لِلْأَلْفَافِ مِنْ أَبِي عِبَادَةَ
وَلَا أَنْفَسَ دِيْبَاجَةً وَلَا أَبْهَجَ سَبْكًَا • فَأَخْتَرْتُ دَوَائِنَهُمْ لِأَسْتَمِيعَهَا
عَلَى مَحَاسِنِ الطَّرْفَيْنِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَافِ • وَلَمَّا حَفِظْتُهَا أَتَيْتُ مَا
سِوَاهَا مَعَ مَا بَقِيَ عَلَى خَاطِرِي مِنْ غَيْرِهَا (المثل السائر لابن الاثير)

وصف القلم

١٤٨ قَالُوا : الْقَلَمُ أَحَدُ الْأَلْسَانِينَ وَهُوَ الْمُخَاطَبُ لِلْغُيُوبِ • بِسَرَارِ
الْقُلُوبِ • عَلَى لُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ مَعَانٍ مَعْقُولَةٍ • بِحُرُوفٍ مَعْلُولَةٍ • مُتَبَايِنَاتِ
الْأُصُورِ مُخْتَلِفَاتِ الْجِهَاتِ • لِقَاحِهَا التَّفَكُّيرُ وَنِتَاجُهَا التَّدْبِيرُ • تَحْرُسُ
مُنْفَرِدَاتٍ • وَتَنْطِقُ مُزْدَوِجَاتٍ • بِلَا أَصْوَاتٍ مُسْمُوعَةٍ وَلَا أَلْسُنٍ مُخَدَّوْدَةٍ
وَلَا حَرَكَاتٍ ظَاهِرَةٍ • خَلَقَ قَلَمٌ حَرْفَ بَارِيهِ • قَطَعَهُ لِيَتَلَقَّى الْمِدَادَ فِيهِ
وَأَرْهَفَ جَانِبِيهِ لِيَرُدَّ مَا أَنْشَرَعَهُ إِلَيْهِ وَشَقَّ رَأْسَهُ لِيَخْتَسِرَ الْمِدَادُ
عَلَيْهِ • فَهَذَا لِكَ اسْتِمْدَادِ الْقَلَمِ بِشِقِّهِ وَنَثَرِ فِي الْقَرِطَاسِ بِخَطِّهِ حُرُوفًا
أَحْكَمَهَا التَّفَكُّرُ وَأَوَّلَى الْأَنْمَاعِ بِهَا الْكَلَامُ الَّذِي سَدَّاهُ الْعَمَلُ وَالْحَمَةُ

بِالْإِبْدَاعِ فِي وَصْفِ مَوَافِقِ الْقِتَالِ . وَأَنَا أَقُولُ قَوْلًا لَسْتُ فِيهِ
مُتَأَنِّيًا . وَلَا مِنْهُ مُتَلَبِّيًا . وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا خَاضَ فِي وَصْفِ مَعْرَكَةٍ كَانَ
لِسَانُهُ أَمْضَى مِنْ نِصَالِهَا . وَأَشْجَعُ مِنْ أَبْطَالِهَا . وَقَامَتْ أَقْوَالُهُ لِلْسَّامِعِ
مَقَامَ أَفْعَالِهَا . حَتَّى نَظُنَّ الْفَرِيقَيْنِ قَدْ تَقَابَلَا . وَالسَّلَاحَيْنِ قَدْ تَوَاصَلَا .
وَطَرِيقُهُ فِي ذَلِكَ تَهْلُ بِسَالِكِهِ . وَتَتَوَقَّعُ بِمُعْذَرِ تَارِكِهِ . وَلَا شَكَّ أَنَّهُ
كَانَ يَشْهَدُ الْحُرُوبَ مَعَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فَيَصِفُ لِسَانُهُ مَا أَدَّاهُ إِلَيْهِ
عِيَانُهُ . وَمَعَ هَذَا فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ عَادِلِينَ فِيهِ عَنِ السَّنَنِ الْمُتَوَسِّطِ .
فَإِمَّا مُفَرِّطٌ فِي وَصْفِهِ وَإِمَّا مُفَرِّطٌ . وَهُوَ وَإِنْ أَنْفَرَدَ بِطَرِيقٍ صَارَ أَبَا
عُذْرِهِ . فَإِنَّ سَعَادَةَ الرَّجُلِ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ شِعْرِهِ . وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَإِنَّهُ
خَاتِمُ الشُّعْرَاءِ . وَمَهْمَا وَصَفَ بِهِ فَهُوَ فَوْقَ الْوَصْفِ وَفَوْقَ الْإِطْرَاءِ . وَلَقَدْ
صَدَّقَ فِي قَوْلِهِ مِنْ أَبْيَاتٍ يَمْدَحُ بِهَا سَيْفَ الدَّوْلَةِ :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَيْتِهِ إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدًا خُتِمُوا
وَلَا تُبَالِ بِشِعْرِ بَعْدَ شَاعِرِهِ قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلَ حَتَّى أُحْمَدَ الصَّمَمُ
وَلَمَّا تَأَمَّلْتُ شِعْرَهُ بَعَيْنِ الْمُعْدَلَةِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْهَوَى . وَعَيْنِ
الْمَعْرِفَةِ الَّتِي مَا ضَلَّ صَاحِبُهَا وَمَا غَوَى . وَجَدْتُهُ أَقْسَامًا خَمْسَةً . خَمْسُ
مِنْهَا فِي الْغَايَةِ الَّتِي أَنْفَرَدَ بِهَا . وَخَمْسُ مِنْ جَيْدِ الشَّعْرِ الَّذِي يُشَارِكُهُ
فِيهِ غَيْرُهُ . وَخَمْسُ مِنْهُ مِنْ مُتَوَسِّطِ الشَّعْرِ . وَخَمْسُ دُونَ ذَلِكَ .
وَخَمْسُ فِي الْغَايَةِ التَّهْقِيرَةِ الَّتِي لَا يُعَابُ بِهَا . وَعَدَّهَا خَيْرٌ مِنْ وُجُودِهَا .
وَلَوْ لَمْ يَقُلْهَا أَبُو الطَّيِّبِ لَوْ قَاهُ اللَّهُ شَرَّهَا . فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي أَلَسْتُهَ لِبَاسَ

١٥١ ! قصيدة ابن البواب في وصف صناعة الخط

يَا مَنْ يُرِيدُ إِجَادَةَ التَّحْرِيرِ وَيَرُومُ حُسْنَ الْخَطِّ وَالتَّصْوِيرِ
 إِنْ كَانَ عَزَمَكَ فِي الْكِتَابَةِ صَادِقًا فَأَرْغَبْ إِلَى مَوْلَاكَ فِي التَّيْسِيرِ
 أَعِدْ مِنْ الْأَقْلَامِ كُلِّ مُتَقَفٍ وَإِذَا عَمِدْتَ لِزَيِّهِ فَتَبَوَّخْهُ
 أَنْظِرْ إِلَى طَرَفِهِ فَأَجْعَلْ زَيِّهُ وَأَجْعَلْ لِحَافَتِهِ قَوَامًا عَادِلًا
 وَالشَّقَّ وَسَطُهُ لِيَبْقَى زَيُّهُ حَتَّى إِذَا أَتَيْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ
 فَاصْرِفْ لِرَأْيِ الْقَطِّ عَزَمَكَ كُلَّهُ لَا تَطْمَعَنَّ فِي أَنْ أَبُوحَ بِسِرِّهِ
 لَكِنَّ جُمْلَةً مَا أَقُولُ بِأَنَّهُ وَالِقَ دَوَاتِكَ بِالْذُّخَانِ مُدَبَّرًا
 وَأَضِفْ إِلَيْهِ مُفْرَةً قَدْ صَوَّلْتَ وَحَتَّى إِذَا مَا تَحَرَّتَ فَأَعْمِدْ إِلَى الْوَرَقِ النَّعِيمِ الْخَبُورِ
 فَانْكُسْهُ بَعْدَ الْقَطْعِ بِالْمِعْصَارِ كَيْ يَنَازِلَ عَنِ التَّشْعِيثِ وَالتَّغْيِيرِ
 ثُمَّ أَجْعَلِ التَّمْثِيلَ دَأْبَكَ صَابِرًا مَا أَذْرَكَ الْمَأْمُولَ مِثْلُ صُبُورِ
 إِبْدَاءِهِ فِي اللَّوْحِ مُتَضِيًّا لَهُ عَزَمًا تُجَرِّدُهُ عَنِ التَّشْمِيرِ
 لَا تُخَيِّلَنَّ مِنَ الرَّدِيِّ مَخْطُوهُ فِي أَوَّلِ التَّمْثِيلِ وَالتَّسْطِيرِ

اللسانُ . ونَهَسَتْهُ اللَّهَوَاتُ وَقَطَعَتْهُ الْأَسْنَانُ وَلَقَطَتْهُ الْبِلَقَاءُ وَوَعَتْهُ
الْأَسْمَاعُ عَنْ أَمْحَاءِ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتٍ وَأَسْمَاءٍ . قَالَ الْبُخْتَرِيُّ :
طِعَانُ بِأَطْرَافِ الْقَوَافِي كَأَنَّهُ طِعَانُ بِأَطْرَافِ الْقِنَا الْمُتَكْسِرِ
١٤٩ قَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ يَصِفُ مُحَبَّرَةً :

وَلَقَدْ مَضَيْتُ إِلَى التَّحَدِّثِ آيِفًا وَإِذَا بِمُحَبَّرَتِهِ ظَبَابًا رُتِعُ
وَإِذَا ظَبَابُ الْإِنْسِ تَكْتُبُ كُلُّ مَا يَمْلِي وَتَحْفَظُ مَا يَقُولُ وَتَسْمَعُ
يَتَجَادِبُونَ الْحَبَرَ مِنْ مَلُومَةٍ بَيْضَاءَ تَحْمِلُهَا عِلَاقِقُ أَرْبَعٍ
مِنْ خَالِصِ الْبَلُورِ غَيْرَ لَوْنِهَا فَكَأَنَّمَا سَجَّ يُلُوحُ وَيَلْمَعُ
إِنْ نَكَّسُوهَا لَمْ تَسِلْ وَمَلِكُهَا فِيمَا حَوَتْهُ عَاجِلًا لَا يَطْمَعُ
وَمَتَى أَمَالُوهَا لِرُشْفِ رُضَائِهَا أَذَاهُ فُوهَا وَهِيَ لَا تَنْتَمِعُ
وَكَأَنَّمَا قَلْبِي يَضُنُّ بِسِرِّهِ أَبَدًا وَيَكْتُمُ كُلَّ مَا يُسْتَوْدَعُ

وصف الخط

١٥٠ سُلِّ بَعْضُ الْكُتَّابِ عَنِ الْخَطِّ مَتَى يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِالْجُودَةِ .
قَالَ : إِذَا اتَّعَدَلَتْ أَقْسَامُهُ . وَطَالَتْ أَلْفُهُ وَلَا مُهُ . وَاسْتَقَامَتْ سَطُورُهُ :
وَضَاهَى صُعُودُهُ حُدُورُهُ . وَتَفَتَّحَتْ عُيُونُهُ . وَلَمْ تَشْتَبِهْ رَأُوهُ وَنُونُهُ .
وَأَشْرَقَ قِرْطَاسُهُ . وَأَظْلَمَتْ أَنْقَاسُهُ . وَلَمْ تَخْتَلَفْ أَجْنَاسُهُ . وَأَسْرَعَ إِلَى
الْعُيُونِ نَصُورُهُ . وَإِلَى الْعُقُولِ تَمَرُّهُ . وَقَدَّرَتْ فُصُولُهُ . وَأَنْدَجَّتْ
أُصُولُهُ . وَتَنَاسَبَ دَقِيقُهُ وَجَلِيلُهُ . وَخَرَجَ مِنْ نَخَطِ الْوَرَّاقِينَ . وَبَعْدَ عَنْ
بَصْنِ الْعُحَيْرِينَ . وَقَامَ لِصَاحِبِهِ مَقَامُ النِّسْبَةِ وَالْحَلِيَةِ (لِلْقَهْرَوَانِي)

أَخْيَر دَابَّهِمْ ! وَخَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ إِشْفَاقِكَ وَحَنَانِكَ . أَكْثَرَ مِنْ غِلَظَةِ
 جَنَانِكَ . وَانْكُتَمَ عَنْهُمْ مَيْلُكَ . وَأَفْضَلَ فِيهِمْ جُودَكَ وَنَيْلَكَ . وَاثْبَتَهُمْ عَلَى
 حُسْنِ الْجَوَابِ . وَسَبَقَ لَهُمْ خَوْفُ الْجَزَاءِ عَلَى رَجَاءِ الثَّوَابِ . وَعَلِمَهُمْ
 الصَّبْرَ عَلَى الضَّرَارِ . وَالْمُهَلَّةَ عِنْدَ اسْتِخْفَافِ الْجَرَازِ . وَخَذَهُمْ بِحُسْنِ
 السَّرَازِ . وَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ مِرَاسَ الْأُمُورِ الصَّعْبَةِ الْمِرَاسِ . وَحُسْنَ
 الْأَصْطِنَاعِ وَالْإِحْتِرَاسِ . وَالْإِسْتِكْثَارَ مِنْ أُولَى الْمَرَاتِبِ وَالْأَعْلُومِ .
 وَالسِّيَاسَاتِ وَالْحُلُومِ . وَالْمَقَامِ الْمَعْلُومِ . وَكَرَّهَ إِلَيْهِمْ مَجَاسَةَ الْمُلُوكِ .
 وَمُصَاحَبَةَ السَّاهِينَ . جَاهِدَ أَهْوَاءَهُمْ عَنْ عُقُولِهِمْ . وَحَذَرَ الْكُذِبَ
 عَلَى مَقُولِهِمْ . وَرَشَّحَهُمْ إِذَا آتَسَتْ مِنْهُمْ رُشْدًا أَوْ هُدْيًا . وَأَرْضَعَهُمْ
 مِنَ الْمَوَازِرَةِ وَالْمُشَاوَرَةِ ثَدْيًا . لِيُتَرَّنَهُمْ عَلَى الْإِعْتِيََادِ وَتَحْمِلِهِمْ عَلَى
 الْإِزْدِيَادِ . وَرَضَّهُمْ رِيَاضَةَ الْحَيَادِ . وَأَحَذَرَ عَلَيْهِمُ الشَّهَوَاتِ فَهِيَ
 دَاوُهُمْ . وَأَعْدَاؤُكَ فِي الْحَقِيقَةِ وَأَعْدَاؤُهُمْ . وَتَدَارَكَ الْخَلْقَ الدَّائِمَةَ كُلَّ
 مَا نَجَحَتْ . وَأَقْدَعَهَا إِذَا هَجَمَتْ . قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ تَضْعِيفُهَا . وَيَتَوَيَّ ضَعِيفُهَا :
 إِنْ الْغُصُونُ إِذَا قَوَمَتَهَا أَعْتَدَلَتْ . وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوَمَتَهَا الْحَشَبُ
 وَإِذَا قَدَرُوا عَلَى التَّدْبِيرِ . وَتَشَوَّفُوا لِلْحَلِّ الْكَبِيرِ . فَإِيَّاكَ أَنْ
 تُوْطِنَهُمْ فِي مَكَانِكَ جُهْدَ إِمْكَانِكَ . وَفَرِّقَهُمْ فِي بُلْدَانِكَ تَفْرِيقَ
 عُبْدَانِكَ . وَاسْتَعْمِلَهُمْ فِي بُعُوثِ جِهَادِكَ . وَالنِّيَابَةِ عَنْكَ فِي سَبِيلِ
 اجْتِهَادِكَ . وَانْظُرْ إِلَيْهِمْ بِأَعْيُنِ الثَّقَاتِ . فَإِنَّ عَيْنَ الثَّقَةِ . تُبْصِرُ مَا لَا
 تُبْصِرُ عَلَى الْحُبَّةِ وَاللِّقَةِ .

(المقري)

فَالْأَمْرُ يَضَعُ ثُمَّ يَرْجِعُ هُنَا وَلَرَبَّ سَهْلٍ جَاءَ بَعْدَ عَسِيرٍ
 حَتَّى إِذَا أَدْرَكَتْ مَا أَمَلَتْهُ أَضْحَيْتَ رَبِّ مَسْرَةٍ وَجُودٍ
 فَاشْكُرْ إِلَهَكَ وَاتَّبِعْ رِضْوَانَهُ إِنَّ إِلَهَهُ يَجِبُ كُلَّ شُكُورٍ
 وَارْتَبِ لِكُفِّكَ أَنْ تُخْطِئَ بَنَانَهَا خَيْرًا تَخْلِفُهُ بِدَارِ غُرُورٍ
 فَجَمِيعُ ضَلَالِ الْمَرْءِ يَلْقَاهُ غَدًا عِنْدَ التَّقَاءِ كِتَابُهُ الْمَشُورِ

في الادب وتربية الصغار

١٥٢ كَتَبَ أَبُو الْفَضْلِ هَبَّةُ اللَّهِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ مَدْرَسِ ابْنِهِ :
 أَبَا عَلِيٍّ هُوَ الدَّهْرُ الْخَوْنُ وَمَا يَحْطَى بِمَجْدَوَاهُ إِلَّا الْجَاهِلُ الْعَمْرُ
 إِنِّي لَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ حَتَّى أَرَى وَبِهِ أَشْمُو وَأَفْتَحُرُ
 وَلَوْ أَرَدْتُ مَكْفَاةً عَلَى مَنْ أَسَدَيْتَهَا لَتَقَضَى دُونَهَا الْعَمْرُ
 عَهْدْتُ فَضْلَكَ لَا يَخْتَلُجُ تَذْكِرَةٌ وَحُسْنُ رَأْيِكَ مَا فِي نَفْسِهِ ضَرَرُ
 رَاجِعُ سَدَادِكَ فِيهِ فَهُوَ إِنْ سَمَحْتَ بِهِ اللَّبَّالِيُّ عَلَى أَحْدَانِهَا وَزَرُ
 وَأَحْفَظُ لَهُ حَقَّ آبَاءٍ وَمَعْرِفَةٍ مَضَتْ بِتَاكِدِهَا الْأَيَّامُ وَالْمَصْرُ
 وَأَوَّلِهِ مِنْكَ قَسْطًا مِنْ مُلَاحَظَةٍ فَمَا يَرَى لَكَ فِي إِهْمَالِهِ عُذْرُ
 فَإِنَّهُ نَبْعَةٌ طَابَتْ مَنَابِتُهُ صُلْبٌ عَلَى النِّجْمِ مَا فِي عُودِهِ خَوْرُ
 مُغْرَى بِمَا زَادَ فِي قَدَرٍ وَمَنْزِلَةٍ وَمَا تَبَدَّى لَهُ فِي خَدِّهِ شَعْرُ
 دَلَالٍ مُخْبِرَاتٍ عَنْ تَجَابِتِهِ كَالنَّارِ تُخْبِرُ عَنْ ضَوْضَائِهَا الشَّرَرُ
 مِنْ مَعْشَرٍ حَلَّتْ أَعْلِيَاءُ بَيْنَهُمْ يُعَدُّ شُكْرُهُمْ فُخْرًا إِذَا شَكَرُوا
 ١٥٣ قَالَ لِسَانَ الدِّينِ فِي تَرْبِيَةِ الْوَلَدِ : أَحْسِنِ آدَابَهُمْ وَأَجْمِلِ

وَإِذَا أَمَرَ عَلَى الْغَارِقِ كَفَّهُ بِأَنَامِلٍ يَخْمَلْنَ شَخْتًا مُرْهَقًا
مُتَنَاصِرًا مُتَطَاوِلًا وَمُقَصِّصًا وَمَوْصَلًا وَمُشْتَتًا وَمُؤَلَّكًا
تَرَكَ الْأَعْدَاءَ رَوَاجِفًا أَحْشَاوَهَا وَقَلَاعَهَا قُلْعًا هُنَالِكَ رُجْفًا
نُحْلِيَّةِ الرِّقْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَنْزِلُ الْأَرْوَى إِلَيْهِ تَلْطُفًا
يَرْمِي بِهِ قَلَمًا يُخْجُّ لَمَابَهُ فَيَعُودُ سَيْفًا صَارِمًا وَمُتَقَفًا
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَصْبَهَانِيُّ :

أَخْرَسُ يُنْبِئُكَ بِإِطْرَافِهِ عَنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنَ الْأَمْرِ
يَذَرِي عَلَى قِرْطَاسِهِ دَمْعَةً يُبْدِي بِهَا السِّرَّ وَمَا يَذَرِي
يُرَى أَسِيرًا فِي دَوَاقٍ وَقَدْ أَطْلَقَتْ أَقْوَامًا مِنَ الْأَنْسْرِ
أَخْرَقَ لَوْلَمْ تَبْرِهْ لَمْ يَكُنْ يَرْشُقُ أَقْوَامًا وَلَمْ يُبْرِ
كَالْتَجْرِ إِذْ يَجْرِي وَكَالْلَيْلِ إِذْ يَغْشَى وَكَالْصَّارِمِ إِذْ يَفْرِي
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ جَرَّارٍ :

أَهَيْفُ مَمْشُوقٌ يَخْرِبُكَ بِحُلِّ عَمَدِ السِّرِّ إِعْلَانُ
لَهُ لِسَانٌ مُرْهَفٌ حَذُّهُ مِنْ رِيْقَةِ الْكُرْسُفِ رِيَّانُ
تَرَى بَسِيطَ الْفِكْرِ فِي نَظْمِهِ شَخْصًا لَهُ حَدٌّ وَجْهَانُ
كَأَنَّمَا يَسْتَحِبُّ فِي إِثْرِهِ ذِيلاً مِنْ أَلْسِنَةِ سَحَابَانُ
لَوْلَاهُ مَا رَمَّ مَنَارُ الْأُهْدَى وَلَا سَمَا لِلْمَلِكِ دِيْوَانُ

فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

١٥٦ لَقَلَّمُ أَنْ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ كِلَاهُمَا آلَةٌ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ يَسْتَعِينُ

أَلْبَابُ الثَّامِنُ فِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ

١٥٤ فَأَخْرَجَ صَاحِبُ سَيْفٍ صَاحِبَ قَلَمٍ فَقَالَ صَاحِبُ الْقَلَمِ : أَنَا أَفْتُلُ بِأَعْرَارٍ وَأَنْتَ تَقْتُلُ عَلَى خَطَرٍ . وَصَرِيحُ الْأَقْلَامِ . أَشَدُّ مِنْ صَلِيلِ الْحُسَامِ . فَقَالَ صَاحِبُ السَّيْفِ : الْقَلَمُ خَادِمُ السَّيْفِ إِنْ تَمَّ مُرَادُهُ وَإِلَّا فَإِلَى السَّيْفِ مَعَادُهُ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَبِي تَمَّامٍ :

السَّيْفُ أَعْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْحَدِّ وَاللَّعِبِ
يُبِضُ الصَّفَاحُ لِأَسْوَدِ الصَّخَافِ فِي مُتَوَنِّهِنَ جَلَاءِ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَلَبِّي :

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَفْلَاحِي قَوَائِلُ لِي أَجْدُ لِلْسَّيْفِ لَيْسَ أَجْدُ لِلْقَلَمِ
الْكُتُبُ نَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي تَفْضِيلِ الْقَلَمِ عَلَى السَّيْفِ :

لَعَمْرُكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكِبَرِ بِأَخْوَفٍ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ
لَهُ شَاهِدٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ ظَهَرَتْ عَلَى سِرِّهِ الْغَائِبِ
أَدَاةُ النُّيَّةِ فِي جَانِبِهِ فَمِنْ مِثْلِهِ رَهْبَةُ الرَّاهِبِ
سِنَانُ النُّيَّةِ فِي جَانِبِ وَحْدُ النُّيَّةِ فِي جَانِبِ
أَلَمْ تَرَنِ صَدْرَهُ كَالسِّنَانِ وَفِي الرِّدْفِ كَالْمَرْهَفِ الْقَاضِبِ
١٥٥ قَالَ الصَّوَلِيُّ أَنَشَدَنِي طَلْحَةُ بْنُ عُيَيْدٍ اللَّهِ فِي الْقَلَمِ :

لَمْ نَصُورِ حِينَ أَمَرَهُ بِالْقُدُومِ : أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِمَّا حَفَظْنَاهُ مِنْ وَصَايَا
الْفَرَسِ : أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْوُزَرَاءُ إِذَا سَكَنَتِ الدَّهْمَاءُ . سُنَّةُ اللَّهِ فِي
عِبَادِهِ وَالسَّلَامُ (مقدمة ابن خلدون)

١٥٧ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

إِنْ يُجْدِمُ الْقَلَمُ السِّيفَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفُهُ الْأُمَمُ
فَأَلَمْتُ وَأَلَمْتُ لَا شَيْءَ يُقَابِلُهُ مَا زَالَ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
بِذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَذْبُورِيَّتَ أَنْ السُّيُوفُ لَهَا مَذْأَرْهَفَتْ خَدَمُ
١٥٨ قَالَ حَبِيبُ فِي قَلَمِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ وَأَحْسَنَ :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بَسَنَانِهِ تُصَابُ مِنَ الْمَرْءِ الْكَلَى وَالْمَفَاصِلُ
لَهُ الْجَلَوَاتُ الْأَلَاءُ لَوْلَا تَحْيِيهَا لَمَّا أُحْتَقِلَتْ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْمُحَافِلُ
لُعَابُ الْأَفَاعِي أَلْقَاتِ لَعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى أَشْتَارَتْهُ أَيْدِ عَوَاسِلُ
لَهُ دِيمَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَفَعَمَا بِأَنَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ
فَصِيحُ إِنْ أُسْتَطَقَّتْهُ وَهُوَ رَاكِبُ وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ
إِذَا مَا أَمْتَطَى الْخَمْسَ اللَّطَافِ وَأَفِغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفَكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْفَنَاءِ وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الْخِيَامِ الْمُحَافِلُ
إِذَا اسْتَعْذَرَ الذَّهْنَ الذَّكِيَّ وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ آسَافِلُ
وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصِرَانِ وَسَدَدَتْ ثَلَاثَ نَوَاجِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ
رَأَيْتُ جَلِيلًا شَأْنَهُ وَهُوَ مُرْهَفُ ضَنَى وَتَمِينًا خَطْبَهُ وَهُوَ نَاجِلُ
١٥٩ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي :

بها على أمره . إلا أن الحاجة إلى السيف في أول الدولة ، مادام أهلها
في تهديد أمرهم ، قد من الحاجج إلى القلم ، إذ القلم في تلك الحال خادم
قطر منفذ للحكم السطاني . والسيف شريك في المعونة . وكذلك
في آخر الدولة حيث تضعف عصيتها ويقل أهلها بما يذلهم من الحرم .
فتحتاج الدولة إلى الاستظهار بأرباب السيوف وتقوى الحاجة إليهم
في حماية الدولة والمدافعة عنها . كما كان الشأن أول الأمر في تهويها .
فتكون للسيف منزلة في الحالتين على القلم . ويكون أرباب السيف
حينئذ أوسع جاهاً وأكثر نعمة وأسنى إقطاعاً . وأما في وسط الدولة
فيسكنها صاحبها بعض الشيء عن السيف . لأنه قد تهدد أمره ولم
يبق همه إلا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط والمباهاة
الدول وتنفيذ الأحكام . والقلم هو المميز له في ذلك فتعظم الحاجة
إلى تضييفه وتكون السيوف مهملة في مضاجع غودها . إلا إذا نابت
نايبة أودعت إلى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة إليها .
فيكون أرباب الأفرام في هذه الحالة أوسع جاهاً وأعلى رتبة وأعظم
نعمة وثروة . وأقرب من السلطان مجلساً وأكثر إليه تردداً . وفي
حلوته نجياً . لأنه حينئذ الله التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه
والنظر في أعطائه وتنقيف أطرافه والمباهاة بأحواله . ويكون الوزراء
حينئذ وأهل السيوف مستغنى عنهم مبعدين عن ناظر السلطان - ذرين
على أنفسهم من بؤاديه . وفي معنى ذلك ما كتب به أبو مسلم

فَإِنْ كَانَ زَهْرًا فَهَوَّ صُنْعُ سَحَابَةٍ وَإِنْ كَانَ دُرًّا فَهَوَّ مِنْ لُجَّةِ الْبَحْرِ
بِأَيْدِيهِمْ أَقْلَامٌ . تَجْتَلِسُ لِطَفْهَةِ الْأَحْلَامِ . صَافِيَةُ الْجَوَاهِرِ . زَاهِيَةُ
الْأَزَاهِرِ . لَيْثَةُ الْأَعْطَافِ . نَاعِمَةُ الْأَطْرَافِ . تَبْكِي وَهِيَ مُبْتَسِيَةٌ .
وَتَسْكُتُ وَهِيَ بِمَا يُطْرِبُ السَّمْعَ مُتَكَلِّمَةٌ . قَدْ أَعْتَدْتُ قُدُودَهَا .
وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْبَرَاةِ سُبُودَهَا . أَسَانَتْهَا مُرْهَفَةٌ . وَمَطَارِفُهَا مُفَوِّقَةٌ .
تَجْتَهِدُ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي . وَتُبْدِي مِنْ دُرَرِهَا مَا يَفْضَحُ الدَّرَارِي .
تَمِيسُ فِي وَشْيِ أَمْرَادِهَا . وَتَشْرَحُ الصُّدُورَ بِعُدُوبَةِ إِيْرَادِهَا . نَشَأَتْ
عَلَى شَطُوطِ الْأَنْهَارِ . وَتَعَلَّمَتْ الْخَنَ مِنْ إِعْرَابِ الْأَطْيَارِ . طَوِيلَةٌ
الْأَنْيَابِ . تَسْلُبُ الْقُلُوبَ بِحُسْنِ الْأَسَالِيبِ . تَدْهَشُ النََّاظِرَ وَتَحْجُلُ
الْعَامِلَ . وَلَا تَرْضَى بِأَمْطَاءٍ غَيْرِ الْأَنْدَالِ . الشُّجَاعَةُ كَاهِنَةٌ فِي مُهْجَتِهَا .
وَالْفَصَاحَةُ جَارِيَةٌ عَلَى لَهْجَتِهَا . تَبْهَرُ بِالْمُضَارَةِ نَوَاطِرَ الْبَهَارِ . وَتَطْرِرُ
بِالْلَّيْلِ أَرْذِيَةَ النَّهَارِ . إِنْ قَالَتْ لَمْ تَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلِ . وَإِنْ صَالَتْ
رَجَعَتْ السُّيُوفُ مُسْتَتَرَةً بِأَذْيَالِ الْحَمَائِلِ . تَجِدْتُ لِلْعُرْسِ فَرْفِعَتْ إِلَى
أَعْلَى الرُّتَبِ . وَحَلَّتْ وَسَبَقَتْ فَسُمِّيَتْ بِالْقَصَبِ (لِكَمَلِ الدِّينِ الْحَافِي)

١٦١ إِعْتَدَانُ وَهَبٍ يَقْلَمُ صُوبَ قَصْرِ الْقَامِ فِي يَدِهِ فَأَنْشَدَ :
إِذَا مَا أَلْتَقَيْنَا وَاتْتَصَيْنَا صَوَارِمًا يَكَادُ يَصْمُ السَّامِعِينَ صَرِيرُهَا
تَسَاقَطَ فِي الْقِرَاطِ مِنْهَا بَدَائِعُ كَمَثَلِ الْأَلْيِ نَظْمُهَا وَنَسِيرُهَا
تُقَوِّدُ آيَاتِ الْيَانِ بِفِطْنَةٍ وَيَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ الْبِلَاعَةِ نُورُهَا
تَظَلُّ لَنَايَا وَالْعَطَايَا شَوَارِعًا تَدُورُ بِمَا شَفْنَا وَتُضِي أُمُورُهَا

إِذَا أَفْخَرَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسَفِينِهِمْ وَعَدُوهُ مِمَّا يُكْسِبُ الْحُجْدَ وَالْكَرَمَ
كَفَى قَلَمُ الْكُتَّابِ فَخْرًا وَرَفْعَةً مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ
لِأَيِّ الْفَرْجِ مِنَ الدَّهَانِ

قَوْمٌ إِذَا أَخَذُوا الْأَقْلَامَ مِنْ قَصَبٍ ثُمَّ اسْتَمَدُوا بِهَا مَاءَ الْمُنْيَاتِ
تَالَوْا بِهَا مِنْ أَعَادِيهِمْ وَإِنْ بَعْدُوا مَا لَا يُنَالُ بِحَدِّ الْمَشْرِفَاتِ
فِي شَرَفِ الْكُتَّابِ

١٦٠ أَلْكَتَابُ عِمَادِ الْمُلْكِ وَازْكَانَهُ . وَعُيُونُهُ الْمُبْصِرَةُ وَأَعْوَانُهُ . وَبِهَا
الدُّوَلُ وَنَظَائِمُهَا . وَرُؤُوسُ الرِّئَاسَةِ وَقَوَائِمُهَا . مَا لَيْسَ لَهُمْ فَاحِرَةٌ . وَتَحَاسِنُهُمْ
بَاهِرَةٌ . وَشَمَائِلُهُمْ لَطِيفَةٌ . وَنُفُوسُهُمْ شَرِيفَةٌ . مَدَارُ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ
عَلَيْهِمْ . وَمَرْجِعُ التَّصَرُّفِ وَالتَّدْبِيرِ إِلَيْهِمْ . بِهِمْ تُحَلَّى الْعَوَاطِلُ . وَتَبْسِمُ
تُغُورُ الْمَعَالِقُ . مَجَالِسُهُمْ بِالْفَضَائِلِ مَعْمُورَةٌ . وَبِنِدَاهِهِمْ أُنْدِيَةُ الْقُصَادِ
مَعْمُورَةٌ . يَهْدُونَ إِلَى الْأَسْمَاعِ أَنْوَاعَ الْبَدِيعِ . وَيَزْهَوْنَ الْأَخْدَاقَ فِي
حَدَائِقِ التَّوَشِيحِ وَالتَّوَشِيحِ . هُمْ أَهْلُ الْبَرَاةِ وَاللَّسَنِ . وَشِيئُهُمْ لَفٌ
الْقَبِيحِ وَنَشْرُ الْحَسَنِ . يَمِيلُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِمُوجِبِ الْمَدْحِ . وَلَا يَمِيلُونَ
مِنْ مُرَاجَعَةِ الرَّاعِبِينَ فِي الْمُنْحِ . دَائِبُهُمْ اسْتِخْدَامُ النَّاسِ بِالْمَعْرُوفِ .
وَعَدَمُ التَّوَدُّعِ عَنِ الْعَامِيِّ وَالْمَأْهُوفِ . يَجْلُونَ الْكَبِيرَ . وَيُخْلُونَ الصَّغِيرَ .
وَلَا يَخْلُونَ بِمُرَاعَاةِ النَّظِيرِ . لَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ رُجُوعٌ وَالنِّفَاقُ . وَبِالْجُمْلَةِ
فَقَدْ حَازُوا جَمِيعَ حَبِيلِ الصِّفَاتِ :

كَتَبَتْ قُلُوبُنَا أَنَّ هَذَا مُحَلَّلٌ وَذَلِكَ حَرَامٌ قِسْتُ خَطَاكَ بِالسَّخْرِ

قَالَ آجُرْ فِي الشُّكْرِ :

لَقَدْ أَصْحَتْ خِلَالَ أَبِي حُصَيْنٍ حُصُونًا فِي الْمِلِمَاتِ الصَّعَابِ
كَبَانِي طَلٍّ وَابِلِهِ وَأَوَى غَرَابٍ مَنَظِقِي بَعْدَ اغْتِرَابِ
وَكُنْتُ كَرَوْضَةٍ سَقِيَتْ سَحَابًا فَأَنْتَ بِاللَّسِيمِ عَلَى السَّحَابِ
قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا كُنْتَ مِنْ كُلِّ الطَّبَاعِ مُرَكَّبًا فَأَنْتَ إِلَى كُلِّ الْقُلُوبِ حَبِيبُ
قَالَ آخَرُ فِي قِلَّةِ الْمُرُوءَةِ :

مَرَرْتُ عَلَى الْمُرُوءَةِ وَهِيَ تَبْكِي فَقُلْتُ لَهَا لِمَا تَبْكِي الْقَتَاةُ
فَقَالَتْ كَيْفَ لَا أَبْكِي وَأَهْلِي جَمِيعًا دُونَ خَلْقِ اللَّهِ مَاؤَا
قَالَ الْبَهَاءُ زُهَيْرٌ فِي الْمُوَدَّةِ :

حَفِظْتُ لَكُمْ ذَاكَ الْوَدَادَ وَصُنْتُهُ فَهِيَ هُوَ مَخْتُومٌ لَكُمْ بِخِتَامِ
فَلَا تُذَكِّرُوا طِيبَ اللَّسِيمِ إِذَا سَرَى إِلَيْكُمْ فَذَاكَ الطِّيبُ فِيهِ سَلَامِي

مروان بن أبي حفصة وجعفر البرمكي

١٦٤ دَخَلَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى فَأَنْشَدَهُ :

أَبْرَ فَمَا تَرَجُّو الْجِيَادَ لِحَاقَهُ أَبُو الْفَضْلِ سَبَاقُ الْأَصَامِيمِ جَعْفَرُ
وَزِيرٌ إِذَا نَابَ الْخِلَافَةَ حَادِثُ أَشَارَ بَمَا عَنْهُ الْخِلَافَةُ تَصْدُرُ
فَقَالَ جَعْفَرٌ : أُنْشِدْنِي مَرْنِيَّتَكَ فِي مَعْنَى زَائِدَةٍ فَأَنْشَدَهُ :

أَقَمْنَا بِالْيَمَامَةِ أَوْ تَسِينَا مُقَامًا لَا يُرِيدُ بِهِ زَوَالًا
وَقَدْ أَتَيْنَا نَذْهَبُ بَعْدَ مَعْنٍ وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَا نَوَالًا

أَلْبَابُ التَّاسِعِ فِي اللَّطَائِفِ

وزير المأمون والشاعر

١٦٢ كَانَ أَبُو عَبَّادٍ الرَّازِيُّ وَزِيرُ الْمَأْمُونِ شَدِيدَ الْحِدَّةِ سَرِيعَ
الغَضَبِ . رُبَّمَا اغْتَاظَ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَرَمَاءَ بِدَوَاتِهِ
أَوْ شَتَمَهُ فَأَنْغَشَ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ الْعَالِيُّ الشَّاعِرُ وَأَنْشَدَهُ :

لَمَّا انْخَضَ بِالْوَزِيرِ رُكْبَانَا مُسْتَعْصِمِينَ بِجُودِهِ أَعْطَانَا
ثَبَّتَ رَحًا مُلْكِ الْأِمَامِ ثَابِتٍ وَأَقَاضَ فِينَا الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَا
يَقْرِي الْوُفُودَ عِلَاقَةً وَسِمَاحَةً وَالنَّاسَ كَيْنَ مُهْتَدًا وَسِنَانَا
مَنْ لَمْ يَزَلْ لِلنَّاسِ غَيْثًا مُرْعَاً مُتَخَرِّقًا فِي جُودِهِ مِعْوَانَا .
فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ فِي جُودِهِ وَقَفَ وَأَرْمَجَ عَلَيْهِ . وَصَارَ يُكْرَرُ
فِي جُودِهِ مَرَارًا . حَتَّى ضَجَرَ أَبُو عَبَّادٍ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ السُّودَاءُ فَقَالَ :
يَا شَيْخُ قُلْ : قَرَانَا أَوْ صَفْعَانَا وَخَلَصْنَا . فَضَحِكَ جَمِيعُ مَنْ كَانَ بِالْمَجْلِسِ
وَذَهَبَ غَيْظُهُ هُوَ أَيْضًا فَضَحِكَ مَعَ النَّاسِ . وَأَتَمَّ الْعَالِيُّ قَافِيَتَهُ
بِقَوْلِهِ مِعْوَانَا . ثُمَّ وَصَلَهُ الْوَزِيرُ (لَابِن الطِّقْطَقِي)

١٦٣ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي ظُلْمِ الدُّنْيَا :
عَبْتُ عَلَى الدُّنْيَا بِتَمْدِيمِ جَاهِلٍ وَتَأْخِيرِ ذِي لُبٍّ فَأَبَدَتْ لِي الْعُذْرَا
بُنُو الْجَهْلِ أَبْنَاءِي وَأُمَّاءُ الْوَالِئِ هِيَ فَانْهَمُ أَبْنَاءُ ضُرَّتِي الْأُخْرَى

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنٍ مَدِيحًا كَمَا بِالْمَدْحِ تُتَجَمُّعُ الْوَلَاةُ
 قُلْنَا أَكْرَمُ الثَّقَلَيْنِ طَرًّا وَمَنْ كَفَاهُ دَجَلَةٌ وَالْفَرَاتُ
 فَقَالُوا يُقْبَلُ الْمَدَحَاتِ لَكِنْ جَوَازُهُ عَلَى الْمَدْحِ الصَّلَاةُ
 فَقُلْتُ لَهُمْ وَمَا تُغْنِي بَصَلَاتِي عِيَالِي إِنَّمَا تُغْنِي الرِّزْكَاءُ
 فَأَمَّا إِذَا أَبَى إِلَّا صَلَاتِي وَعَاقَتِي الْهُمُومُ الشَّاعِلَاتُ
 فَيَأْمُرُنِي بِكَسْرِ الصَّادِ مِنْهَا لَعَلِّي أَنْ تُلْشِطَنِي الصَّلَاتُ
 فَتُصْلِحَ لِي عَلَى هَذَا حَيَاتِي وَيُصْلِحَ لِي عَلَى هَذَا أَلَمَاتُ

فَصَحَّحَ وَأَسْتَظَرَّهُ وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ (للشريشي)

١٦٦ حَدَّثَ الصَّوْلِيُّ قَالَ: وَلِدَ لِلْهَادِي وَلَدٌ فِي أَوَّلِ يَرَمٍ وَلِيَ الْخِلَافَةَ
 فَدَخَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَأَنْشَدَهُ:

أَكْثَرَ مُوسَى غَيْظَ حُسَادِهِ وَزَيْنَ الْأَرْضِ بِأَوْلَادِهِ
 وَجَاءَنَا مِنْ صُلَيْهِ سَيِّدٌ أَصِيدُ فِي تَهْطِيعِ أَجْدَادِهِ
 فَانْكَسَتِ الْأَرْضُ بِهِ بِهَجَّةٍ وَاسْتَبْشَرَ الْمَلِكُ بِمِيلَادِهِ
 وَابْتَسَمَ الْمُنْبَرُ عَنْ فَرَحَةٍ عَلَتْ بِهَا ذِرْوَةُ أَعْوَادِهِ
 كَأَنِّي بَعْدَ قَلِيلٍ بِهِ بَيْنَ مَوَالِيهِ وَقُوَادِهِ
 فِي تَحْفَلٍ تَحْتَقُ رَايَاتُهُ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ بِأَجْنَادِهِ
 فَأَمَرَ لَهُ مُوسَى بِأَلْفِ دِينَارٍ وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِ فَرَضِي عَنْهُ (الاعاني)

معن بن زائدة والثلاث جوار

١٦٧ كَانَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ فِي بَعْضِ صُيُودِهِ فَعَطِشَ فَلَمْ يَجِدْ مَعَ

وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ عِيَالًا
 حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْقَصِيدَةِ وَجَعَفَ يُرْسِلُ دُمُوعَهُ عَلَى خَدَّيْهِ . فَقَالَ :
 هَلْ أَتَاكَ عَلَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَوَلَدِهِ . قَالَ : لَا .
 قَالَ : فَلَوْ كَانَ مَعْنٌ حَيًّا ثُمَّ سَمِعَهَا مِنْكَ كَمْ كَانَ يُثَبِّكُ عَلَيْهَا . قَالَ :
 أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ . قَالَ : فَإِنَّا كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَرْضَى لَكَ بِذَلِكَ وَقَدْ
 أَمَرْنَا لَكَ عَنْ مَعْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالضَّعْفِ مِمَّا ظَنَنْتَهُ وَزِدْنَاكَ مِثْلَ
 ذَلِكَ . فَأَقْبَضَ مِنَ الْخَازَنِ أَلْفًا وَسِتِّمِائَةَ دِينَارٍ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ . فَقَالَ
 مَرْوَانُ يَذْكُرُ جَعْفَرًا وَمَا سَمِعَ بِهِ عَنْ مَعْنٍ :

نَفَحَتْ مُكَافِئَاتٍ عَنْ جُودِ مَعْنٍ لَنَا فِيمَا نَجُودُ بِهِ سِجَالًا
 فَجَعَلَتْ الْعَطِيَّةَ يَا ابْنَ يَحْيَى لِنَادِيهِ وَلَمْ تَرُدِّ الْمِطَالَا
 فَكَافَأَ عَنْ صَدَى مَعْنٍ جَوَادُ بِأَجُودِ رَاحَةٍ بَذَلَتْ نَوَالَا
 بَنَى لَكَ خَالِدٌ وَأَبُوكَ يَحْيَى بِنَاءً فِي الْمَكَارِمِ لَنْ يُنَالَا
 كَانَ الْبَرْمَكِيُّ إِكْلَالَ مَالٍ نَجُودُ بِهِ يَدَاهُ يُفَادُ مَالَا

الصلوات والصلوة

١٦٥ وَمَا يُسْتَحْسَنُ مِنْ تَجْنِيسِ الصَّلَاتِ وَالصَّلَاةِ حِكَايَةَ أَحْمَدَ بْنِ
 الْمَدِيرِ . وَكَانَ إِذَا مَدَحَهُ شَاعِرٌ وَلَمْ يَرْضَ شِعْرَهُ قَالَ لِغُلَامِهِ : اْمْضِ
 بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا تُفَارِقْهُ حَتَّى يُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ثُمَّ خَلَّهِ . فَتَحَامَاهُ
 الشُّعْرَاءُ إِلَّا الْأَفْرَادَ الْمُعْجِدُونَ . فَجَاءَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَصْرِيُّ
 فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الشُّبَيْدِ . فَقَالَ : أَعَرَفْتَ الشَّرْطَ . قَالَ : نَعَمْ وَأَنْشَدَ :

يَا أَبْنَى الْخُلَافِ الْأَوَّلِينَ وَيَا أَبَا الْمُتَأَخِّرِينَ
 إِنَّ ابْنَ عَبْدِكَ مَاتَ وَأَا أَيَّامُ تَحْتَرِمُ أَقْرَبَنَا
 وَمَضَى وَخَلَفَ صَبِيَّةٌ بِعَرَاصِهِ مُتَلَدِّدِينَ
 وَهَيْرَةً عَبْرَى خِلَافِ أَقَارِبِ مُسْتَعْبِرِينَ
 أَصْبَحَ فِي رَيْبِ الْحَوَا ذِثْ يُحْسِنُونَ بِكَ الظُّنُونَا
 قَطَعَ الْوَلَاةُ جِرَايَةَ كَانُوا بِهَا مُسْتَسْكِنَا
 فَأَمَّنْ بِرَدِّ جَمِيعِ مَا قَطَعُوهُ غَيْرَ مُرَاقِبِينَ
 أَعْطَاكَ أَفْضَلَ مَا تُؤْمَلُ أَفْضَلُ الْمُتَفَضِّلِينَ
 (قَالَ): فَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ لَهُ بِمَا سَأَلَ فَقَالَ يَشْكُرُهُ:

يَا خَيْرَ مُسْتَخْلَفٍ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ إِسْمَامُ وَلَيْسَ عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ بَاسٍ
 أَحْيَيْتَ مِنْ أَمَلِي نِضْوًا تَعَاوَدُهُ تَعَاقَبُ الْيَاسِ حَتَّى مَاتَ بِالْيَاسِ

الباهلي والرشد

١٦٩ قَدِمَ عَلَى الرَّشِيدِ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَاهِلَةٍ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ حَبْرَةٌ وَرِدَاءُ
 يَمَانٍ قَدْ شَدَّهُ عَلَى وَسْطِهِ ثُمَّ ثَنَاهُ عَلَى عَاتِقِهِ . وَعِمَامَةٌ قَدْ عَصَبَهَا عَلَى
 فُؤْدِيهِ . وَأَرَاخَى لَهَا عَذَبَةً مِنْ خَلْفِهِ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْ الرَّشِيدِ . فَقَالَ :
 سَعِيدُ يَا أَعْرَابِيُّ خُذْ فِي شَرَفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَنْدَفَعَ فِي شِعْرِهِ .
 فَقَالَ الرَّشِيدُ : يَا أَعْرَابِيُّ أَتَمَّتْكَ مُسْتَحْسَنًا وَأَنْبَرَكُ مَتْمَهَا . فَقَالَ لَنَا
 بَيْتَيْنِ فِي هَذَيْنِ يَفْنِي مُحَمَّدًا الْأَمِينَ وَعَبْدَ اللَّهِ الْأَمَامُونَ أَبْنَاهُ وَهَما
 حِفَاؤُهُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَمَلْتَنِي عَلَى الْوَعْرِ الْقَرْدِدِ . وَأَرْجَعْتَنِي

غُلْمَانِهِ مَاءً • فَيَدْنَاهُ • كَذَلِكَ وَإِذَا بَشَلَاتِ جَوَارٍ قَدْ أَقْبَلْنَ حَامِلَاتٍ
ثَلَاثَ قُرْبٍ فَسَقَيْنَهُ • فَطَلَبَ شَيْئًا مِنْ أَلْمَالِ مَعَ غُلْمَانِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ • فَدَفَعَ
لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ عَشْرَةَ أَسْهُمٍ مِنْ كِنَانَتِهِ نُصُولَهَا مِنْ ذَهَبٍ •
فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : وَيَلَكُنَّ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الشَّهَابِلُ إِلَّا لِمَنْ بَنِي زَائِدَةَ •
فَلْتَقُلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ شَيْئًا مِنَ الْأَبْيَاتِ • فَقَالَتِ الْأُولَى :

يُرْكَبُ فِي السِّهَامِ نُصُولُ تَبَرٍ وَيَزِي لِلْعَدَى كَرَمًا وَجُودًا
فَلَمْ رَضَى عِلَاجٌ مِنْ جِرَاحٍ وَكَفَّانُ لِمَنْ سَكَنَ الْخُودَا
وَقَالَتِ الثَّانِيَةُ :

وَمُحَارِبٍ مِنْ فَرَطِ جُودٍ بَنَانِهِ عَمَّتْ مَسَارِمُهُ الْأَقَارِبَ وَالْعَدَى
صَيَغَتْ نُصُولُ سِهَامِهِ مِنْ عَسْجِدٍ كَيْ لَا يَفُوتَهُ التَّقَارِبُ وَالنَّدَى
وَقَالَتِ الثَّالِثَةُ :

وَمِنْ جُودِهِ يَزِي الْعُدَاةَ بِأَسْهُمٍ مِنْ الذَّهَبِ الْإِبْرِيذِ صَيَغَتْ نُصُولَهَا
لِيَنْفِثَهَا الْمَجْرُوحُ عِنْدَ دَوَالِهِ وَيَشْتَرِي الْأَكْفَانَ مِنْهَا قَتِيلَهَا

الحسين بن الضحَّاك عند التمركل

١٦٨ حَدَّثَ الصَّوَلِيُّ قَالَ : كَانَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ الصَّحَّاحِ ابْنٌ يُسَمَّى مُحَمَّدًا
لَهُ أَرْزَاقٌ مَاتَ فَقُطِعَتْ أَرْزَاقُهُ • فَقَالَ يُخَاطَبُ التَّوَكُّلَ وَيَسْأَلُهُ أَنْ
يَجْعَلَ أَرْزَاقَ ابْنِهِ الْمُتَوَكِّيَ لِرُزْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ :

إِنِّي أَتَيْتُكَ شَافِعًا بَوَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ
وَشَهِيبُكَ الْمُعْتَرِّ أَوْ بَجَهْ شَافِعٍ فِي الْعَالَمِينَ

١٧٣ وَقَالَ يَعْتَذِرُ إِلَى ابْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُوصِلِيِّ وَقَدْ حُجِبَ عَنْ بَابِهِ :
 قَدْ جِئْتُ مُعْتَذِرًا وَالْعَفْوَ مِنْ شَيْئِكَ فَأَمَّا هَذَا لَعْدِي مَقِيلًا فِي ذُرَى كَرَمِكَ
 وَإِنْ أَرَدْتَ جَعَلْتُ الْحَدَّ وَاسِطَةً حَتَّى يَكُونَ شَفِيعًا لِي إِلَى قَدَمِكَ

علي بن الحليل ومزيد بن المزيد

١٧٤ وَلِدَ لِيَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ ابْنٌ فَأَتَاهُ عَلِيُّ بْنُ الْحَلِيلِ فَقَالَ : أَسْتَمِعُ أَيُّهَا
 الْأَمِيرُ تَهْنئةً بِالْفَارِسِ الْوَارِدِ . فَتَبَسَّمَ وَقَالَ : هَاتِ . فَأَنْشَدَهُ :

يَزِيدُ يَا ابْنَ الصَّيْدِ مِنْ وَائِلٍ أَهْلُ الرِّثَاسَاتِ وَأَهْلُ الْمَعَالِ
 يَا خَيْرَ مَنْ أَنْجَبَهُ وَالِدٌ لِيَهْنِكَ الْفَارِسُ لَيْثُ النَّزَالِ
 جَاءَتْ بِهِ غَرَاءُ مَيْمُونَةٍ وَالسَّعْدُ يَبْدُو فِي طُلُوعِ الْهَلَالِ
 عَلَيْهِ مِنْ مَعْنٍ وَمِنْ وَائِلٍ سِيمَا تَبَاشِيرٍ وَسِيمَا جَلَالِ
 وَاللَّهُ يُنْقِيهِ لَنَا سَيِّدًا مُدَافِعًا عَنَّا صُرُوفَ اللَّيَالِ
 حَتَّى نَرَاهُ قَدْ عَلا مِنْبَرًا وَقَاضٍ فِي سُؤَالِهِ بِالنَّوَالِ
 وَسَدِّ ثَغْرًا فَكَفَى شَرَّهُ وَقَارِعَ الْأَبْطَالِ تَحْتَ الْعَوَالِ
 كَمَا كُنَّا ذَاكَ آبَاؤُهُ فَيَحْتَذِي أَفْعَالَهُمْ عَنْ مِثَالِ

فَأَسْرَلَهُ عَنْ كُلِّ بَيْتٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ (الآغا نِي)

١٧٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ : خَرَجَ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صُمَادِحٍ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ
 يَوْمًا عَلَى بَعْضِ مُنْتَرَهَاتِهِ . فَحَلَّ بِرَوْضَةٍ قَدْ سَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا أَلْبَهِيحُ .
 وَتَفَسَّتْ عَنْ مِسْكِيهَا الْأَرِيحُ . وَمَاسَتْ مَعَاطِفُ أَغْصَانِهَا . وَتَكَلَّتْ
 بِالْأَلْيَةِ الْبَلَّالِ أَجْيَادُ قُضْبَانِهَا . فَتَشَوَّقَ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي طَالِبِ بْنِ غَانِمٍ .

عَلَى السَّهْلِ الْحَذَرِ رَوْعَةُ الْخِلَافَةِ وَبَهْرُ الدَّرَجَةِ وَنُفُورُ السَّوَابِ عَلَى
الْبِدْيَةِ . فَأَرَوْنِي تَتَأَلَّفُ لِي نَوَافِرُهَا وَيَسْكُنُ رَوْحِي . قَالَ : قَدْ
فَعَلْتُ وَجَعَلْتُ اعْتِزَارَكَ بَدَلًا مِنْ امْتِحَانِكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
نَفَسْتَ الْخِنَاقَ . وَسَهَّلْتَ مِيدَانَ السِّبَاقِ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

بَنَيْتَ لِعَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ مُحَمَّدٍ ذُرِّيَّةَ الْإِسْلَامِ فَأَخْضَرَ عَمُودَهَا
هَهَا طُنْبَاهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمَا وَأَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمُودَهَا
فَقَالَ الرَّشِيدُ : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ فَسَلْ وَلَا تَكُنْ مَسْلُوكًا دُونَ إِحْسَانِكَ .
قَالَ : الْهَيْدَةَ . فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ نَاقَةٍ وَسَبْعِ خِلَعٍ (لابن عبدربه)
١٧٠ قَالَ الْبُسْتِيُّ يَعْتَذِرُ :

أَسَأْتُ إِلَى نَفْسِي وَطَأَمْتُ مِنْ قَدْرِي فَحَكَمَ غَنَى أَخْلَاقِكَ الْغَرَّ فِي قَهْرِي
فَمَا الْعَقْلُ إِلَّا خَاتَمُ أَنْتَ فَصُّهُ وَعَقْلُكَ نَفْسُ الْقَصْرِ فَخْتَمَ بِهِ عُذْرِي
١٧١ وَقَالَ أَيْضًا فِي رِسَالَةٍ أَتَتْهُ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ :

مَا إِنْ سَمِعْتُ بُنَوَارَ لَهُ ثَمَرٌ فِي الْوَقْتِ يُتِمُّ سَمْعَ الْمَرْءِ وَالْبَصَرَ
حَتَّى أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ مُبْتَسِمًا عَنْ كُلِّ لَفْظٍ وَمَعْنَى أَشْبَهَ الدُّرَارَ
فَكَانَ لَفْظُكَ فِي آلَانِهِ زَهْرًا وَكَانَ مَعْنَاكَ فِي أَثْنَانِهِ ثَمَرًا
تَسَابِقًا فَاصْبَابًا الْقَصْدَ فِي طَلْقِ اللَّهِ مِنْ ثَمَرٍ مَذَّ سَابِقَ الزَّهْرَا
١٧٢ وَقَالَ وَهُوَ مِنْ أَجْلِ مَا قِيلَ فِي بَابِ الشُّكْرِ :

أَقُولُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا لَا يُشَوِّبُهُ رِيَاءٌ وَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ هُوَ صَادِقُ
تُرْكِبٍ مِنْ شُكْرِي وَبِرِّكَ صُورَةٌ فَبِرِّكَ بِي حَيٌّ وَشُكْرِي نَاطِقٌ

لَكُمْ آلَ عَمَّارٍ يُبُوتُ رَفِيعَةً تُشِيدُ مِنْ كَسْبِ الشَّائِدَعَانِ
 إِذَا نَحْنُ أَذْنَبْنَا رَجَوْنَا ثَوَابَكُمْ وَلَمْ نَقْتَنِعْ بِالْعَفْوِ دُونَ الْمَكَارِمِ
 وَإِنَّكَ فَرَعٌ مِنْ أَصُولِ كَرِيمَةٍ وَلَا تَلِدُ الْأَزْهَارَ غَيْرَ الْكَمَامِ
 وَإِنِّي مَظْلُومٌ لَزُورِ سَمْعَتِهِ وَقَدْ جِئْتُ أَرْجُو الْعَفْوَ فِي زِيِّ ظَالِمٍ
 فَعَفَا عَنْهُ وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَوَصَّلَهُ (الذخيرة لابن بسام)

كَتَبَ ابْنُ خُرُوفٍ لِبَعْضِ الرُّؤَسَاءِ :

يَا مَنْ حَوَى كُلَّ مَجْدٍ بِجَدِّهِ وَبِجَدِّهِ
 أَتَاكَ تَجَلُّلُ خُرُوفٍ فَأَمْنٌ عَلَيْهِ بِجَدِّهِ

١٧٩ كَتَبَ آخَرُ إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ :

تَبَسَّمَ الْفَرُّ عَنْ أَوْصَائِكُمْ فَسَرَى مِنْ طِيبِ عَرْفِكُمْ رِيحٌ فَأَحْيَانَا
 فَمِنْ هُنَاكَ عَشْمَانُكُمْ وَلَمْ تَزَكَمْ وَالْأَذُنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا
 ١٨٠ لِأَبِي الْوَلِيدِ مِمَّا يَكْتُبُ عَلَى قَوْسٍ :

إِنِّي إِذَا رَفَعْتَ سَمَاءَ عِجَاجِي وَالْحَرْبُ تَقْعُدُ بِالرَّدَى وَتَقُومُ
 وَتَقْرُ وَالْأَبْطَالُ فِي جَنَابَتِهَا وَالْمَوْتُ مِنْ فَوْقِ النُّفُوسِ يَحُومُ
 مَرَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْخُتُوفُ كَأَنَّمَا نَحْنُ الْأَهْلَةُ وَالسِّهَامُ نُجُومُ
 ١٨١ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زُرْقُونٍ :

يَا مَعْدِنَ الْفَضْلِ وَطُودَ الْحِجْيِ لَا زِلْتَ مِنْ بَحْرِ الْعُلَى تَعْرِفُ
 عَبْدُكَ بِالْبَابِ فَكُلْ مُنْعَمًا يَدْخُلُ أَوْ يَصِيرُ أَوْ يَنْصَرِفُ
 ١٨٢ كَتَبَ ابْنُ هُدَيْلٍ الْفَزَارِيُّ لِلْغَنِيِّ بِاللَّهِ سُلْطَانِ ابْنِ الْحَطِيبِ :

أَحَدُ زُرَّاءِ دَوْلَتِهِ . وَسُيُوفِ صَوْلَتِهِ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِدِيهَا فِي وَرِيقَةٍ
كَرْتُبٍ يُعَوِّدُ مِنْ شَجَرَةٍ :

أَقْبَلَ أَبَا طَالِبٍ إِلَيْنَا وَأَسْفُطُ سَفُوطِ النَّدَى عَلَيْنَا
فَتَحْنُ عِشْدُ بَغَيْرِ وَسْطَى مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا لَدَيْنَا
١٧٦ أَخْبَرَانِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ الْحَسَنِ بْنِ

بَادِيسَ بِالْمُهَدِيَّةِ فِي الْمِيدَانِ وَقَدْ رَمَى بِالشَّابِّ فَصَنَعَتْ فِيهِ بِدِيهَا :
يَا مَلَكًا قَدْ خُلِقْتَ كَمَفْهُ لَمْ تَذَرِ إِلَّا الْجُودَ وَالْبَاسَا
إِنْ التَّحُومَ الزُّهْرَ مَعَ بُعْدِهَا قَدْ حَسَدَتْ فِي قُرْبِكَ النَّاسَا
كَمَا تَمْنَى الْبَدْرُ لَوْ أَنَّهُ أَضْحَى لِنَشَابِكَ بُرْجَاسَا
١٧٧ سَخِطَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ عَلَى ابْنِ سَيَّابَةَ فَأَسْتَرْضَاهُ فَأَمْتَعَ .
فَكُتِبَ إِلَيْهِ ابْنُ سَيَّابَةَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

إِنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ أَحَاطَ بِجُرْمَتِي فَأَحِطْ بِجُرْمِي عَفْوَكَ أَلْأُمُولَا
فَكَمْ أَرْتَجِيكَ فِي أَتْيِ لَا يُرْتَجَى فِي مِثْلِهَا أَحَدُ فَنَاتُ السُّوَلَا
وَضَلَّتْ عَنْكَ فَلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبًا وَوَجَدْتُ حِلْمَكَ لِي عَلَيْكَ دَلِيلَا
هَبْنِي أَسَاتُ وَمَا أَسَاتُ أَقْرَ كُنِي يَزْدَادَ عَفْوَكَ بَعْدَ طَوْلِكَ طَوْلَا
فَالْعَفْوُ أَجَلُ وَالْفَضْلُ بِأَمْرِي لَمْ يَعْدِمِ الرَّاجُونَ مِنْهُ حِيلَا
فَلَمَّا قَرَأَهَا الْفَضْلُ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَرَضِيَ عَنْهُ (بدائع البداهة للازدي)
١٧٨ وَشِي يَابْنَ سَيِّدٍ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ فَجَاهَهُ فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

وَلَا عَرَوْنَا تَعْفُوًا أَنْتَ ابْنُ مَنْ غَدَا يُعَوِّدُ عَفْوًا عَنْ كِبَارِ الْجَرَاحِمِ

١٨٦ لَتَأْتِ الدِّينَ بْنَ أَبِي الْخَوَارِ فِي الْمَرْقِصِ :

وَوَاللَّهِ مَا أَخَرْتُ عَنْكَ مَدَانِحِي لِأَمْرِ سِوَى أَنِّي عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ
وَقَدْ رُضْتُ فِكْرِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَمَا سَأَغْ أَنْ أَهْدِيَ إِلَى مِثْلِكُمْ شِعْرِي
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ دُرًّا فَتِلْكَ نَقِيبَةٌ وَإِنْ كَانَ دُرًّا كَيْفَ يَهْدِي إِلَى الْبَحْرِ

١٨٧ كَتَبَ ابْنُ وَضَّاحٍ الْمُرْسِيُّ لِرَبِّيسٍ قَطَعَ عَنْهُ إِحْسَانَهُ فَقَطَعَ مَدَحَهُ :

هَلْ كُنْتُ إِلَّا طَائِرًا بَنَيْنَاكُمْ فِي دَوْحٍ نَحْمَدُكُمْ أَقُومُ وَأَقْعُدُ
إِنْ تَسْلُبُونِي رِيَشَكُمْ وَتَقْلَبُوا عَنِّي ظِلَالَكُمْ فَكَيْفَ أُغَرِّدُ

١٨٨ كَتَبَ الْحَمْدَانِيُّ إِلَى الْقَاضِي أَبِي حَصِينٍ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الرِّقَّةِ :

يَا طُولَ شَوْقِي إِنْ كَانَ الرَّجُلُ عَدَا لَا فَرْقَ اللَّهُ فِيمَا بَيْنَنَا أَبَدًا
يَا مَنْ أَصَافِيهِ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدٍ وَمَنْ أَخَالَصُهُ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا
رَاعَ الْفِرَاقُ فَوَادًا كُنْتُ تَوْنُسُهُ وَزَادَ بَيْنَ الْجُنُونِ الدَّمْعَ وَالسَّهْدَا
لَا يُبْعِدُ اللَّهُ شَخْصًا لَا أَرَى أَنَسَا وَلَا تَطِيبُ لِي الدُّنْيَا إِذَا بَعْدَا
أَضْحَى وَأَضْحَيْتُ فِي سِرِّي وَفِي عَلَنٍ أَعُدُّهُ وَالِدَا إِذْ عَدَّنِي وَلَدَا
مَا زَالَ يَنْظُمُ فِي الشَّعْرِ مُجْتَهِدَا فَضْلًا وَأَنْظُمُ فِيهِ الشَّعْرَ مُجْتَهِدَا
حَتَّى اعْتَرَفْتُ وَعَزَّيْتُ قَضَائِلَهُ وَفَاتَ سَبَقًا وَحَارَ الْقُضْلُ مُنْقَرِدَا
إِنْ قَصَّرَ الْجُهْدُ عَنْ إِذْرَاكِ غَايَتِهِ فَأَعْذَرِ النَّاسَ مَنْ أَعْطَاكَ مَا وَجَدَا
لَا يَطْرُقُ النَّازِلُ الْخُدُورُ سَاحَتَهُ وَلَا تَمُدُّ إِلَيْهِ الْحَادِثَاتُ يَدَا
أَبْقَى لَنَا اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا بَرَحَتْ أَيَّامُنَا أَبَدًا فِي ظِلِّهِ جُدَا

لَيْسَ يَا مَوْلَايَ لِي مِنْ جَابِرٍ إِذْ غَدَا قَلْبِي مِنَ الْبَلَوِ جُذَاذًا
غَيْرُ صَاحِبٍ أَحْمَرُ تَكْتُبُ لِي فِيهِ يَمْنَاكَ أَعْتَاءَ صَحَّ هَذَا
١٨٣ سَلَّمَ عَلَى الْمُتَنَبِّي بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرُدَّ . فَقَالَ مُعْتَذِرًا :

إِذْ كُنْتُ حِينَ لَقَيْتَنِي مُتَوَجِّعًا لِتَغْيِبِكَ
فَشَغَلْتُ عَنْ رَدِّ السَّلَامِ وَكَانَ شُغْلِي عَنْكَ بِكَ
١٨٤ سَأَلَ الْحُجَّاجُ ابْنَ الْقَرِيَّةِ قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ مَنْ نَطَقَ
بِالشَّعْرِ . فَقَالَ : آدَمُ وَهُوَ حِينَ قَتَلَ قَايِنَ أَخَاهُ هَابِيلَ فَأَنشَدَ :

تَغَيَّرَتِ الْإِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ
وَلَمْ يَرُ فِي الْأَفْئِشَى مَلِيجٌ وَجَفَنِي بَعْدَ أَحْبَابِي قَرِيجٌ
فَأَجَابَهُ إِبْلِيسُ عَلَى قَوْلِهِ :

تَوَحَّ عَلَى الْإِلَادِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَبِالْفِرْدَوْسِ ضَاقَ بِكَ الْفَسِيجُ
وَكُنْتَ بِهِ وَعِزَّكَ فِي نَعِيمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَقَلْبُكَ مُسْتَرْمِجٌ
فَمَا زَالَتْ مُكَايَدَتِي وَمَكْرِي إِلَى أَنْ قَاتَكَ الثُّنَى الرَّيِّجُ
١٨٥ رِأْسُ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ الْمَعْرِيِّ فِي الرِّقْصِ :

أَبَا صَالِحٍ أَشْكُو إِلَيْكَ نَوَائِبًا عَرَّتْنِي كُلَّ يَوْمٍ يَشْكُو النَّبَاتُ إِلَى الْقَطَرِ
لِتَنْظُرَ نَحْوِي نَظْرَةً لَوْ نَظَرَتْهَا إِلَى الصَّخْرِ فَجَرَّتِ الْعُيُونُ مِنَ الصَّخْرِ
وَفِي الدَّارِ خَلْفِي صَبِيَةٌ قَدْ تَرَكَتْهُمْ يُطْلُونَ إِطْلَالَ الْفِرَافِخِ إِلَى الْوَكْرِ
جَنَيْتُ عَلَى رَوْحِي بِرَوْحِي جَنَايَةً فَأَثَقْتُ ظَهْرِي بِالَّذِي خَفَّ مِنْ ظَهْرِي

فِيَا بَقِي وَلَا تَزُجُوهُ . فَتَحْنُ جَمِيعًا نَدْعُوكَ وَنُثْنِي عَلَيْكَ . خَصْبَ لَنَا
 جَنَابِكَ وَعَذَابَ ثَوَابِكَ . وَحَسَلَتْ نَظْرَتُكَ . وَكَرَّمَتْ مَقْدَرَتُكَ .
 جَبَرْتَ الْفَقِيرَ . وَفَكَكْتَ الْأَسِيرَ . وَالْحَبِيرُ بِفَنَائِكَ . وَالشَّرُّ بِسَاحَةِ
 أَعْدَائِكَ . وَالنَّصْرُ مُنَوِّطٌ بِلَوَائِكَ . وَالْحِذْلَانُ مَعَ الْوَيْةِ حُسَادِكَ .
 وَالْبِرُّ فِعْلُكَ . قَدْ طَحَّطَ عَدُوُّكَ غَضَبُكَ . وَهَزَمَ مَقَابِلَهُمْ شَهَادُكَ .
 وَسَارَ فِي النَّاسِ عَدْلُكَ . وَشَسَعَ بِالنَّصْرِ ذِكْرُكَ . وَسَكَنَ قَوَارِعَ
 الْأَعْدَاءِ ظَفَرُكَ . الْأَذَى عَطَاؤُكَ . وَالِدَوَاءُ رَمْزُكَ . وَالْأَوْرَاقُ لِحْظُكَ
 وَأَطْرَافُكَ (لابن عبد ربّه)

مدح مقامات الحريري

١٩١ إني لم أَرِ فِي كُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ . وَلَا فِي تَصَانِيفِ
 النِّجَمِ وَالْعَرَبِ . كِتَابًا أَحْسَنَ تَأْلِيفًا . وَأَعْجَبَ تَصْنِيفًا . وَأَغْرَبَ تَرْصِيفًا .
 وَأَتَمَّلَ لِلْعَجَائِبِ الْعَرَبِيَّةِ . وَأَجْمَعَ لِلْغَرَائِبِ الْأَدَبِيَّةِ . وَأَكْثَرَ تَصْنِيفًا
 لِأَمْثَالِ الْعَرَبِ . وَنَكَّتِ الْأَدَبِ . مِنْ الْمَقَامَاتِ الَّتِي أَنْشَأَهَا الْإِمَامُ
 جَمَالُ الْعَصْرِ . وَكَمَالَ الدَّهْرِ . أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَرِيرِيُّ
 الْبَصْرِيُّ بِرَدِّ اللَّهِ مُضْجَعَهُ . وَطَيْبَ مُهْجَعَهُ . إِنْشَاءً فَاخِرًا . وَكِتَابًا
 بَاهِرًا . وَتَسْنِيفًا عَجِيبًا مُعْجَزًا . وَتَأْلِيفًا عَزِيزًا مُعْزِزًا . نَعَمْ كِتَابٌ بَدِيعٌ .
 لَهُ قَدَرٌ رَفِيعٌ . قَدْ نَمَتْ حَسَنَاتُهُ . وَدَلَّتْ عَلَى الْإِعْجَازِ آيَاتُهُ . هَذَا
 وَلَمَّْا خَرَجَ مِمَّنْ بُولِ النِّظَامِ . مُتَدَاوِلًا فِيهَا بَيْنَ الْأَنَامِ . أَكْبَأُ أَبْنَاءَ زَمَانِنَا
 عَلَى تَحْصِيلِهِ . وَوَاظِبُوا عَلَى تَفْهَمِ جَمَلِهِ وَتَفْصِيلِهِ . غَيْرَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ زَبَانًا .

الْبَابُ الْعَاشِرُ فِي الْمَدِيحِ

بلعاء بن قيس وبنو هاشم

١٨٩ قَالَ بَلْعَاءُ بْنُ قَيْسٍ: الْعَرَبُ كَأَلْبَدْنٍ وَقَرَيْشٌ رُوحُهَا. وَقَرَيْشٌ رُوحُ وَبَنُو هَاشِمٍ سِرُّهَا وَلِبَآءُ وَمَوْضِعُ غَايَةِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا مِنْهَا. وَهَاشِمٌ مَلِغُ الْأَرْضِ وَزِينَةُ الدُّنْيَا. وَحَيُّ الْعَالَمِ وَالسَّامُ الْأَضْعَمُ. وَالْكَاهِلُ الْأَعْظَمُ. وَلِبَابُ كُلِّ جَوْهَرٍ كَرِيمٍ وَسِرُّ كُلِّ غَنْصٍ شَرِيفٍ. وَالطَّيْنَةُ الْبَيْضَاءُ وَالْمَغْرَسُ الْمُبَارَكُ وَالنِّصَابُ الْوَتِيقُ وَمَعْدَنُ الْفَهْمِ وَيَبُوعُ الْعِلْمِ. وَتَهْلَانُ ذُو النِّصَابِ فِي الْحِلْمِ وَالسَّيْفِ. الْحَسَامُ فِي الْعَزْمِ مَعَ الْأَنَاءَةِ وَالْحَزْمِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْجُرْمِ وَالْقَصْدِ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ وَالصَّفْحِ بَعْدَ الْمَقْدَرَةِ. وَهُمْ الْأَنْفُ الْمَقْدَمُ. وَالسَّامُ الْأَكْرَمُ. وَكَأَلْمَاءِ الَّذِي لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ. وَكَأَلشَّمْسِ الَّتِي لَا تَخْفَى بِكُلِّ مَكَانٍ. وَكَأَلذَّهَبٍ لَا يُعْرِفُ بِالنَّقْصَانِ. وَكَأَلنَّجْمِ لِلْحَيْرَانِ وَالْبَارِدِ لِلظَّمآنِ (للقيرواني)

مديح المأمون

١٩٠ قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ: دَخَلَ الْمَأْمُونُ بَغْدَادَ فَتَلَقَّاهُ وَجُوهُ أَهْلِهَا. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَشْدَمِكَ. وَرَادَ فِي نِعْمَتِكَ وَشُكْرِكَ عَنْ رِعْيَتِكَ. تَقَدَّمْتَ مَنْ قَبْلَكَ. وَأَتَعَبْتَ مَنْ بَعْدَكَ. وَأَيَسْتَ أَنْ يُعَايِنَ مِثْلَكَ. أَمَا فِيهَا مَضَى فَلَا تَعْرِفُهُ. وَأَمَّا

أَخْلَصْتُ فِيهِ بِشُكْرِهِ وَوَفَّيْتُ فِيهِ بِالنَّدْوَرِ .
لَمَّا أَعْتَلَّتْ تَصَدَّعَتْ شُعَبُ الْقُلُوبِ مِنَ الصَّدُورِ
مِنْ بَيْنِ مُلْتَهَبِ الْفُؤَا دِ وَبَيْنِ مُكْتَتِبِ الصَّيْرِ
يَا عُدَّتِي لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَلِلْخَطْبِ الْخَطِيرِ
كَانَتْ جُفُونِي ثَرَّةً أَوْ أَمَاقٍ بِالْدمْعِ الْغَزِيرِ
لَوْ لَمْ أَمُتْ جَزَعًا لَعَمَ رُكَّ إِنِّي عَيْزُ الصُّبُورِ
يَوْمِي هُنَا لِكَ كَالسَّيِّدِ نَ وَسَاعَتِي مِثْلُ الشُّهُورِ
يَا جَعْفَرُ الْمُتَوَكَّلِ أَوْ مَالِي عَلَى الْبَذْرِ الْمُنِيرِ
الْيَوْمَ عَادَ الدِّينُ غَضَمَ الْعُودِ ذَا وَرَقٍ نَضِيرِ
وَالْيَوْمَ أَصْبَحْتَ الْخِلَافَةَ وَهِيَ أَرْضِي مِنْ ثَمِيرِ
قَدْ حَالَقْتُكَ وَعَاقَدْتُكَ عَلَى مُطَاوَلَةِ الدُّهُورِ

فَقَالَ الْمُتَوَكَّلُ لِلْفَتْحِ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَنْطِقُ عَنْ نَبِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَوَدَّ مَخْضٍ
وَمَا قَضَيْنَا حَقَّهُ . فَتَقَدَّمَ بِأَن يُحْمَلَ إِلَيْهِ السَّاعَةُ خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

١٩٤ مَدَحَ مُطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ مَعْنَ بْنَ زَائِدَةَ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَهَا :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِسَيِّدِ الْعَرَبِ ذِي الْفَرَرِ الْوَاضِحَاتِ وَالْأَنْجَبِ
فَتَى زَارَ وَكَلَّهَا وَأَخِي أَوْ جُودِ حَوَى عَائِنَهُ مِنْ كَتَبِ
جَاءَ الَّذِي تُفْرَجُ الْهَمُومُ بِهِ حِينَ يُلْزُ الْوَضِيعُ بِالْحَقَبِ
شَهْمٌ إِذَا الْحَرْبُ شَبَّ دَارُهَا أَعَادَهُ عَوْدَةً عَلَى الْفُطْبِ
يُطْفِئُ نِيرَانَهَا وَيُوقِدُهَا إِذَا خَبَتْ نَارُهَا بِلَا حَطَبِ .

خَبَطُوا فِيهِ خَبْطَ عَشَوَاءَ . إِذَا وَقَعُوا مِنْهُ فِي مُنْضِلَةٍ عَمِيَاءَ ، وَلَا يَهْتَدُونَ
إِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ . بَلْ يَتَرَدَّدُونَ فِي تِيهِ بِلاَ دَلِيلٍ ... (للمطريزي)

١٩٢ قَالَ الْبَرَعِيُّ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَكَمِيِّ :

إِلَى صَارِمِ الدِّينِ الْهَقِّي ابْنِ مُحَمَّدٍ رَمَتْ بِي مَقَادِيرُ حِرَتٍ وَخُطُوبُ
وَحَطَّتْ بِي الْأَمَالُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ لَدَى خَيْرِ مَنْ يُلَوِّي إِلَيْهِ أَدِيبُ
فَوَاقَيْتُ أَعْلَى النَّاسِ نَفْسًا وَمَنْصَبًا وَأَخْصَبَ رَبًّا وَالزَّمَانَ جَدِيبُ
هُوَ الْكُوزُ الْفَيَاضُ فِي آلِ قَارِحٍ بِهِ الْعَيْشُ يَحْأُو وَالزَّمَانُ يُطِيبُ
غَمَامُ يِعْمُ الْخَلْقُ ظِلًّا فَتَانًا لِكُلِّ مِنَ الرَّاجِيزِ فِيهِ نَصِيبُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ جِئْتُكَ زَائِرًا وَشَأْنِي وَقِيتَ الشَّائِنِينَ عَجِيبُ
أَوْمِلُ مِنْكَ الْبَرَّ وَالْبِرُّ وَاسِعٌ وَأَرْجُو نَدَاكَ الْجَمُّ وَهُوَ قَرِيبُ
فَقُمْ بِي وَعَامِلْنِي بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَإِنَّ رَجَائِي فِيكَ أَيْسَ يَخِيبُ
وَصُنْ مَاءَ وَجْهِي عَنْ زَمَانٍ مُعَانِدٍ وَصِلْ حَبْلَ أُنْسِي فَأَلْغَرِيبُ غَرِيبُ
وَدُمْتَ مَنَارَ الدِّينِ مَا لَاحَ بَارِقُ وَمَا أَهْتَزَّ عَضْنُ فِي الْأَرَالِ رَطِيبُ
وَلَا زِلْتَ مَأْمُولِي وَعَوْنِي وَنُصْرَتِي عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوُبُ

١٩٣ حَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدَرِّجِ قَالَ : مَرِضَ الْمُتَوَكِّلُ مَرَضَةً خِيفَ
عَلَيْهِ مِنْهَا . ثُمَّ عَوِيَ وَأَذِنَ لِلنَّاسِ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ فَدَخَلُوا عَلَى
طَبَقَاتِهِمْ كَأَفَّةٍ . وَدَخَلْتُ مَعَهُمْ فَلَمَّا رَأَيْتُ أَسْتَدْنَانِي حَتَّى قُمْتُ وَرَاءَ
الْفَتْحِ وَنَظَرْتُ إِلَيَّ مُسْتَنْطَقًا فَأَنْشَدَنِي :

يَوْمَ أَنَا بِالْأَسْرُورِ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَبِيرِ

يَا سَائِلِي مَا الَّذِي حَصَلَتْ عَنْدهُمْ
أَقَادِنِي الْمَلِكُ الْيَمُونُ طَارَهُ
وَأَشْتَقِي مِنْ حَقِّهِ بَحْرَ اعْطَى وَطَمًا
فَإِنْ أَكُنْ سَاكِتًا عَنْ شُكْرِ أَنْعَمِهِ
١٩٦ وَقَالَ فِي أَبِي نَصْرٍ :

أَبَا نَصْرٍ نَصْرَتْ عَلَى الْأَعَادِي وَصَرَتْ لِكُلِّ ذِي فَضْلٍ إِمَامًا
بِرَأْيِي يَهْزِمُ الْجَيْشَ اللَّهُمَّا وَعَزَمَ يُخْلِلُ السَّيْفَ الْحُسَامَا
١٩٧ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَمْدَحُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ :

إِنْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ حَسَنٌ فَهُوَ فِي دُورِ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ
مَا يُبَاوَنُ إِذَا مَا أَفْضَلُوا مَا بَقِيَ مِنْ مَا لَهُمْ أَوْ مَا هَلَكَ
عَقَلَتْ أَلْسِنُهُمْ عَنْ قَوْلٍ لَا فَهِيَ لَا تَعْرِفُ إِلَّا هُوَ لَكَ
مِنْهُمْ مُوسَى جَوَادٌ مَا جِدُّ لَا يَرَى مَا لَمْ يَهَبْ مِمَّا مَلَكَ
زَيْنُوا الْأَرْضَ كَمَا قَدْ زَيْنَتْ بِنُجُومِ اللَّيْلِ آفَاقُ الْفَلَكَ
١٩٨ قَالَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ يَمْدَحُ أَبَا عَمْرٍو أُخَيْمَةَ بْنَ الْجَلَّاحِ :

إِذَا مَا أَرَدْتَ الْغَزَا مِنْ آلٍ يَتَرَبِّ بَنِي فِي الْعُلَى وَالْفَخْرِ وَالْمُجْدِ مَنْزِلًا
وَأَنْتَ فِي يَوْمِ الْكُرْبِيَّةِ سَيْفُهُ رَأَيْتَ شُعَاعَ الْمَوْتِ فِي السَّيْفِ يَلْمَعُ
وَأَنْ وَهَبْتَ كَفَاهُ وَالْغَيْثَ هَاطِلٌ يَدُومُ عَطَاهُ وَالسَّحَابُ تَقْلَعُ
وَيَأْمَنُ فِي آيَاتِهِ كُلُّ خَائِفٍ وَيَسْبَعُ مِنْ نِعْمَاهُ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ

لَيْتُ بِحَقَّانَ قَدْ حَمَى أَجْمَا فَصَارَ مِنْهَا فِي مَنْزِلِ أَشْبِ
 شِبْلَاهُ قَدْ أَزَيَا بِهِ فَهُمَا شِبْهَاهُ فِي جَدِّهِ وَفِي لَبِ
 قَدْ وَمَقَا شَعْنَهُ وَسِيرَتُهُ وَأَحْكَمَانَهُ أَكْرَمَ الْأَدَبِ
 نِعَمَ أَلْقَى تُقَرَّنُ الصَّعَابُ بِهِ عِنْدَ تَجَاوِيِ الْخُصُومِ لِارْتِكَابِ
 تَرَى لَهُ أَلْجَمَ وَالنَّهْيَ خُلُقًا فِي ضَوْلَةٍ مِثْلِ جَا حِمِ اللَّهَبِ
 سَيْفُ الْإِمَامَيْنِ ذَاكَ وَذَا إِذَا قَلَّ بُنَاةُ الْوَفَاءِ وَالْحَسَبِ
 ذَا هَوَادَةٍ لَا يُخَافُ تَبَوُّثَهَا وَدِينُهُ لَا يُشَابُ بِالرَّيْبِ
 فَلَمَّا سَمِعَ بِمَا مَعْنُ قَالَ لَهُ : إِنْ شِئْتَ مَدَحْنَاكَ كَمَا مَدَحْنَا . وَإِنْ
 شِئْتَ أَتَيْنَاكَ . فَاسْتَحْيَا مُطِيعٌ مِنْ اخْتِيَارِ الثَّوَابِ عَلَى الْمَدِيحِ وَهُوَ مُتَحَاجٌّ
 إِلَى الثَّوَابِ فَأَنشَأَ :

تَنَاءُ مِنْ أَمِيرٍ خَيْرٌ كَسَبِ إِصَاحِبِ نِعْمَةٍ وَأَخِي ثَرَاءُ
 وَلَكِنَّ الزَّمَانَ بَرَى عِظَامِي وَمَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ
 فَضْحَكَ مَعْنُ حَتَّى اسْتَلْقَى . وَقَالَ : لَقَدْ لَطَفْتَ حَتَّى شَخَّصْتَ مِنْهَا .
 صَدَقْتَ لَعَمْرِي مَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ . وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
 دِرْهَمٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَجْهَهُ (الآغا نِي)

١٩٥ قَالَ الْبُسْتِي يَمْدَحُ آلَ فُرَيْعُونَ :

بُنُو فُرَيْعُونَ قَوْمٌ فِي وَجْهِهِمْ نُورُ الْهُدَى وَضِيَاءُ السُّودِّ الْعَالِي
 كَأَنَّمَا خُلِفُوا مِنْ سُودِّ وَعَلَا وَسَارُّ النَّاسِ مِنْ طِينٍ وَصَلَّالِ
 مَنْ تَأَقَّ مِنْهُمْ تَقُلُّ هَذَا أَجْلُهُمْ شَأْنًا وَأَسْمَحَهُمْ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ

٢٠٣ قَالَ النَّبِيُّ يَمْدَحُ غَسَّانَ حِينَ أَرْحَلَ مِنْ عِنْدِهِمْ رَاجِعًا :
لَا يُبْعِدُ اللَّهُ حِيرَانَا تَرْكُهُمْ مِثْلَ الصَّايِغِ تَجَارَ لَيْلَةَ الظَّلمِ
هُمْ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ فِي الْأَوَاءِ وَالنَّعمِ
أَحْلَامُ عَادٍ وَأَجْسَادُ مُطَهَّرَةٍ مِنَ الْمَعَقَةِ وَالْأَقَاتِ وَالْأَنَمِ
٢٠٤ دَخَلَ شَاعِرٌ عَلَى الْمَلِكِ الْوَلِثِ وَقَالَ لَهُ :

إِنِّي رَأَيْتُكَ سَيِّدِي فِي مَجْلِسٍ قَعَدَ الْمُلُوكُ بِحَافَتِهِ وَقَامُوا
فَكَأَنَّكَ الدَّهْرُ الصَّوُولُ عَلَيْهِمْ وَكَأَنَّهُمْ مِنْ حَوْلِكَ الْآيَامُ
فَقَالَ : أَحْسَنْتَ كَمْ أَمَلْتُ أَطْلُبُ مَا تَشَاءُ . قَالَ : يَا مَوْلَايَ
يَدُكَ بِالْعَطِيَّةِ أَوْسَعُ مِنْ لِسَانِي بِالْمَسْئَلَةِ . فَوَهَبَهُ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ
٢٠٥ قَالَ ابْنُ بُنَابَةَ فِي الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ صَاحِبِ حِمَاةٍ :

لَنَا مَلِكٌ قَدْ قَامَتْنَا هِبَاتُهُ فَتَرُّ الْعَطَامِنُهُ وَنَظْمُ الشَّنَائِمِنَا
يُذَكِّرُنَا أَخْبَارَ مَعْنٍ بِجُودِهِ وَنُشِّي لَهُ لَفْظًا فَيُنْشِي لَنَا مَعْنَى
٢٠٦ وَأَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ فِي الْقَسَمِ عَلَى الْمَدْحِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

حَلَفْتُ بِمَنْ سِوَى السَّمَاءِ وَشَادَهَا وَمَنْ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَاتَقِيَانِ
وَمَنْ قَمَ فِي الْمَعْقُولِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ بَأْتَتْ مِنْ إِدْرَاكِ كُلِّ عِيَانِ
لَمَّا خَلَقْتَ كَفَّاكَ إِلَّا لِأَرْبَعٍ عَقَائِلَ لَمْ تُعْقِلْ لَهُنَّ ثَوَانِي
لِتَقِيلَ أَفْوَاهٍ وَإِعْطَاءِ نَائِلٍ وَتَقْلِبَ هِنْدِي وَحَبْسِ عِنَانِ
٢٠٧ قَالَ شَرَفُ الدِّينِ الْقَيَّرَوَانِي :

جَاوَزَ عَلِيًّا وَلَا تَخْفَلْ بِحَادِثَةٍ لِذَا أَدْرَعْتَ فَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْأَسْلِ

مَنَاقِبُ فِي الْجَلَّاحِ كَانَتْ قَدِيمَةً فَسَارَ عَلَيْهَا وَابْنُهُ يَتَّبَعُ
 ١٩٩ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَمْدَحُ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ:

تَرَكَ الْمَنَابِرَ وَالسَّرِيرَ تَوَاضَعًا وَلَهُ مَنَابِرُ لَوَيْشَا وَسَرِيرُ
 وَلَغَيْرِهِ يُجَنَّبِي الْحَرَاجُ وَإِنَّمَا يُجَنَّبِي إِلَيْهِ حَمِيدٌ وَأُجُورُ
 ٢٠٠ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِيُّ يَمْدَحُ الْأَمِيرَ يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ:

إِنَّ الْأِمَامَ هُوَ الطَّيِّبُ وَقَدْ شَفَى عِلَلُ الْبَرَايَا ظَاهِرًا وَدَخِيلًا
 حَمَلُ الْبَسِيطَةِ وَهِيَ تَحْمِلُ شَخْصَهُ كَأَلُوحٍ يُوجَدُ حَامِلًا لَمْ يَحْمُولًا
 ٢٠١ قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي الْمَدْحِ:

قَدْ هَزَزْنَاكَ فِي الْمَكْلُومِ غَضْنَا وَأَسْتَلَمْنَاكَ فِي النَّوَابِ رُكْنًا
 وَوَجَدْنَا الزَّمَانَ قَدْ لَانَ عِطْفًا وَتَأَتَّى فِعْلًا وَأَشْرَقَ حُسْنًا
 فَإِذَا مَا سَأَلْتُهُ كَانَ سَمْعًا وَإِذَا مَا هَزَزْتُهُ كَانَ لَدْنَا
 أَنْتَ مَا أَسْمَاءُ أَخَصَبَ وَادِيهِ وَرَقَّتْ رِيَاضُهُ فَأَنْتَجَمْنَا
 تَرَعْتَ بِي إِلَى وَدَادِكَ نَفْسُ قَلَمًا اسْتَضْجَبَتْ سِوَى الْفَضْلِ خِدْنَا
 ٢٠٢ قَالَ ابْنُ التَّبَّيْهِ يَمْدَحُ صَاحِبَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنَ أَيُّوبَ:

هُوَ الْعَادِلُ الظَّلَامُ لِلْمَالِ وَالْعَدَى خَزَائِنُهُ قَدْ أَقْفَرَتْ وَدِيَارُهَا
 كَرِيمٌ لَهُ نَفْسٌ تَجُودُ بِمَا حَوَتْ وَأَعْجَبُ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ اعْتَذَارُهَا
 حَسَامٌ لَهُ حَدٌّ يَرُوعُ مِثْلَ مِثْلِهِ وَصَفْحَةٌ صَفْحٌ لِلذُّبُوبِ اعْتِفَارُهَا
 لَهُ رَاحَةٌ فِي السَّلَامِ تُجَنَّبِي جَنَانَهَا وَيَوْمَ هِيَاجِ الْحَرْبِ تُوقَدُ نَارُهَا
 أَنَامِلُهُ طَوْرًا غُصُونٌ تَوَاضِعُ وَطَوْرًا سُيُوفٌ دَامِيَاتٌ شِفَارُهَا

لَوْ كَانَتْ الرِّيحُ حَقًّا تَحْمِلُ الْخَبْرَا حَمَّتْ رِيحُ الصَّبَا أَنْفَاسَنَا سَحْرَا
إِلَى الشُّجَاعِ الَّذِي مَا سَلَ صَارِمُهُ إِلَّا وَدَمُ الْعِدَى فَوْقَ الصَّعِيدِ جَى
لَيْثُ يِلَاقِي رِجَالَ الْحَرْبِ مُقْتَدِرَا وَطَعْنُهُ فِي حَشَاهَا وَاقِقَ الْقَدْرَا
يَا حَامِيَا عَنَسَ قَدْ بَنَيْنَا عَلَى وَجَلٍ مِنْ قَارِسٍ لَا يَخَافُ الْبُؤْسَ وَالضَّرَارَا
لَقَدْ رَجَوْنَاكَ عِنْدَ الْخُطْبِ تَذَرِكُنَا وَمِنْ دِمَاهُمُ تَرَوِي الصَّارِمَ الذِّكْرَا
٢١٢ قَالَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ يَمْدُحُ أَبَا دُلْفٍ وَكَانَ قَتَلَ قَرْقُورَ فِي الْحَرْبِ

إِمْتَدَحَ مِنْ وَائِلٍ رَجُلَا عَصَرَ الْآفَاقَ فِي عُصْرِهِ
الْمَنَاسِيَا فِي مَنَاقِبِهِ وَالْعَطَايَا فِي ذُرَا حُجْرِهِ
مَلِكٌ تَنْدَى أَنْامِلُهُ كَانِبَ لَاجِ النَّوَى عَنْ مَطَرِهِ
مُسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ كَانِبَ سَامِ الرُّوضِ عَنْ زَهْرِهِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ بَيْنَ بَادِيِهِ وَتَحْضُرِهِ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
يَا دَوَاءَ الْأَرْضِ إِنْ فَسَدَتْ وَمُدِيلَ الْيَسْرِ مِنْ عُسْرِهِ
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ بَادِيِهِ إِلَى حَضَرِهِ
مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرُمَةً يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَقَرِهِ
وَزَحُوفٍ فِي صَوَاهِلِهِ كَصِيَاحِ الْحَشْرِ فِي أَثَرِهِ
قُدْنُهُ وَاللُّوتُ مُكْتَمِنٌ فِي مَذَاكِبِهِ وَمُسْتَجِرُهُ
زَرْتُهُ وَالْحَيْلُ عَائِسَةٌ تَحْمِلُ الْبُؤْسَ عَلَى عَشْرِهِ
خَارِجَاتٍ تَحْتَ رَايَاتِهَا كَخُرُوجِ الطَّيْرِ مِنْ وَكْرِهِ

سَلَّ عَنْهُ وَأَنْطَقَ بِهِ وَأَنْظَرَ إِلَيْهِ تَحْدِ مِلءُ السَّمَامِ رُلَا فَوَاهِ وَالْمَلَسِ
 ٢٠٨ قَالَتِ الْخُنْسَاءُ فِي أَخِيهَا وَقَدْ أَرَادَتْ مُسَاوَاتَهُ بِأَيِّهِ مَعَ مُرَاعَاةِ
 حَقِّ الرِّالِدِ بِزِيَادَةِ مَنَحٍ لَا يَنْقُصُ بِهِ حَقُّ الْوَلَدِ :

جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلََا وَمَا يَتَعَاوَرَانِ مَلَاءَةً الْفَخْرِ
 وَهَمَا وَقَدْ بَرَزَا كَكُنْهُمَا صَحْرَانِ قَدْ حَطَا عَلَى وَحَرِ
 بَرَقَتْ صَفِيحَتُهُ وَجْهَهُ وَالِدِهِ وَضَى عَلَى غُلُوْلِهِ يَجْرِي
 أَوْلَى قَاوِلَى أَنْ يُسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السَّنِّ وَالْكِبَرِ

٢٠٩ قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى فِي بَنِي سِنَانٍ :
 قَوْمٌ أَبُوهُمْ سِنَانٌ حِينَ تَلَسُّهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
 لَوْ كَانَ يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ يَا بَائِسِهِمْ أَوْ تَجِدُهُمْ قَعْدُوا
 وَقَالَ يَمْدَحُ هَرَمَ بْنَ سِنَانٍ :

وَأَبْيَضَ فَيَاضَ يَدَاهُ عَمَامَةٌ عَلَى مُعْتَمِيهِ مَا تَقُبُّ فَوَاضِلُهُ
 تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتُهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
 أَخُو دِمَةٍ لَا تُتْلَفُ الْحُمْرُ مَالُهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتْلَفُ الْمَالُ نَائِلُهُ
 ٢١٠ قَالَ أَعَشَى قَيْسٍ يَمْدَحُ الْأَسْوَدَ بْنَ الْمُنْذِرِ أَخَا النُّعْمَانَ :

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا مَا كَبَتْ وَجُوهُ الرِّجَالِ
 فَرَعُ نَبْعٍ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ غَزِيرُ اللَّهِ عَظِيمُ الْجَمَالِ
 فَإِذَا مِنْ عَصَاكَ أَسْبَحَ تَحْزُو نَاوَكِبُ الَّذِي يُطِيعُكَ عَالِ
 ٢١١ قَالَ عُروَةُ بْنُ الْوَرْدِ :

لَنْ تَضَعُفَتْ وَأَضْنَاكَ السَّقَامُ فَلَمْ
لَوْ كَانَ أَفْضَلُ مَا فِي الْخَلْقِ بَطْشَهُمْ
يَضْعُفُ قُوَى عَقْلِكَ الصَّافِي وَلَمْ يَمِدْ
دُونَ الْعُقُولِ لَكَانَ الْفَضْلُ لِلْأَسَدِ
٢١٧ قَالَ عُمَارَةُ الْيَمِينِيُّ :

يَا لِسَانَ الزَّمَانِ لَفْظًا وَمَعْنَى
تَعْتَلِي كَوَكْبًا وَتَشْرِقُ بِشَمْسًا
وَرَبِيعَ الْأَنَامِ كَفَاً وَمَعْنَى
وَتُحَايِي لَيْثًا وَتَنْهَلُ مِرْنًا
٢١٨ قَالَ آخَرُ :

إِذَا حَلَّتْ بِأَرْضٍ وَهِيَ مُجْدِبَةٌ
فَلَيْسَ تَرْحَلُ إِلَّا وَهِيَ مُعْشِبَةٌ
قَالِمَةُ الْغَيْثِ لَمْ يَخْطُرْ بِهَا السَّارِي
كَأَنَّمَا أَنْتَ فِيهَا رَحْمَةُ الْبَارِي
٢١٩ قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْبَيْهَقِيُّ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ :

نَدَاكَ إِذَا ضَنَّ الْعَمَامُ غَمَامُ
فَهَذَا يُنْذِلُ الرِّزْقَ وَهُوَ مُنَمَّعُ
وَعَزْمُكَ إِنْ فُلَّ الْحَسَامُ حَسَامُ
وَذَلِكَ يَرُدُّ الْجَيْشَ وَهُوَ لَهُامُ
وَمَنْ طَلَبَ الْأَعْدَاءَ بِالْمَالِ وَالطَّبِي
وَبِالسَّعْدِ لَمْ يَبْعُدْ عَلَيْهِ مَرَامُ
٢٢٠ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ فِي نَجَلِ بَعْضِ الْأَمْرَاءِ :

فَتَى جَمَعَ الْعُلَمَاءَ عِلْمًا وَعِفَّةً
كَأَنَّ جَمَعَ التَّفَاحِ شَكْلًا وَبَهْجَةً
وَجُودًا وَبَاسًا لَا يُفِيقُ فَوَاقَا
وَرَأِيحَةً مَحْبُوبَةً وَمَذَاقَا
٢٢١ قَالَ عُمَارُ بْنُ الْحَسَنِ يَمْدَحُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ لَهَيْعَةَ :

إِذَا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ مَرَوْ لَيْلَةً
إِذَا ذُكِرَ الْأَخْبَارُ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ
فَقَدْ سَارَ مِنْهَا نُورُهَا وَجَاهُهَا
فَهُمْ أَتَجَمُّ فِيهَا وَأَنْتَ هَالِكُهَا
٢٢٢ أَنشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيٍّ فِي جَبَقْرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلَبُونٍ :

وَلِفُرْقُوْرٍ أَدْرَتْ رَحًا لَمْ تَكُنْ تَرْتَدُّ فِي فِكْرِهِ
 قَدْ تَأَيَّنَتْ الْبَقَاءُ لَهُ فَأَبَى الْخُتُومُ مِنْ قَدْرِهِ
 فَلَمَّا أُنْشِدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ اسْتَعْسَنَهَا أَبُو دُلْفٍ
 وَسَرَّ بِهَا وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ
 ٢١٣ أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ . بَيْنَا أَبُو دُلْفٍ يَسِيرُ مَعَ
 أَخِيهِ مَعْقِلَ وَهَمَّا إِذْ ذَاكَ بِالْعِرَاقِ إِذْ مَرَّ بِأَمْرَأتَيْنِ تَتَمَاشِيَانِ .
 فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا لِصَاحِبَتِهَا : هَذَا أَبُو دُلْفٍ . قَالَتْ : وَمَنْ أَبُو دُلْفٍ .
 قَالَتْ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ : (إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ) . (قَالَ) :
 فَاسْتَعْبَرَ أَبُو دُلْفٍ حَتَّى جَرَى دَمْعُهُ . قَالَ لَهُ مَعْقِلُ : مَا لَكَ يَا أَخِي
 تَبْكِي . قَالَ : لِأَنِّي لَمْ أَقْضِ حَقَّ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ (الْأَغَانِي)

٢١٤ قَالَ آخِرُ فِي الْمُدْحِ :
 أَهْلُ بَانَ يُسَعَى إِلَيْهِ وَيُرْتَجَى وَبِزَارٍ مِنْ أَقْصَى الْبِلَادِ عَلَى الرَّجَا
 فَلَقَدْ غَدَا بِالْمُكْرَمَاتِ مُقَلِّدًا وَمُوشِحًا وَمُخْتَمًا وَمُتَوَجًّا
 ٢١٥ قَالَ الْمُتَنَبِّيُ يُمْدِحُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ :
 ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجْهَ الْأَرْضِ عَنْ مَلِكٍ مِلَّ الزَّمَانِ وَمِلَّ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
 وَتَحَنُّنُ فِي جَذَلِ الرُّومِ فِي وَجَلٍ وَالْبَرُّ فِي شُغْلٍ وَالْبَجْرُ فِي تَحْجَلٍ
 ٢١٦ وَقَالَ أَيْضًا :

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ أَخْلَاقًا وَأَوْفَرَهُمْ عَقْلًا وَأَسْبَقَهُمْ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ
 أَصْبَحْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ بِالرَّأْيِ وَالْعَقْلِ لَا بِالْبَطْشِ وَالْجَلَدِ

الْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ
فِي الْفَخْرِ وَالْحِمَاةِ

- ٢٢٧ قَالَ أَبُو بَكْرِ الْأَرَجَانِيُّ فِي بَابِ الْفَخْرِ :
أَنَا أَشْمَرُ الْفُقَهَاءِ غَيْرُ مُذَافِعٍ فِي الْعَصْرِ أَوْ أَنَا أَفْقَهُ الشُّعْرَاءِ
شِعْرِي إِذَا مَا قُلْتُ دُونَهُ الْوَرَى بِالطَّبَعِ لَا يَكْلَفُ الْإِلْقَاءُ
كَالصَّوْتِ فِي قُلُلِ الْجِبَالِ إِذَا عَلَا لِلسَّمْعِ هَاجَ تَجَاوُبِ الْأَصْدَاءِ
- ٢٢٨ قَالَ الْقَاضِي الرَّشِيدُ أَبُو الْحُسَيْنِ النَّسَائِيُّ الْأَسْوَانِيُّ :
جَلَّتْ لَدَيَّ الرَّزَايَا بَلْ جَلَّتْ هَمَّتِي وَهَلْ يَضُرُّ جَلَاءُ الصَّارِمِ الذِّكْرُ
غَيْرِي يُغَيِّرُهُ عَنْ حُسْنِ شَيْئِهِ صَرَفَ الزَّمَانَ وَمَا يَأْتِي مِنَ الْغَيْرِ
لَوْ كَانَتْ النَّارُ لِلْيَاقُوتِ مُحْرِقَةً لَكَانَ يَشْتَبِهُ الْيَاقُوتَ بِالْحَجَرِ
فَلَا تَعْرِفُ نَكَاتَ طَهَارِي وَقِيمَتَهَا فَإِنَّمَا هِيَ أَصْدَافٌ عَلَى دُرٍّ
وَلَا تَظُنَّ خَفَاءَ النُّجْمِ عَنْ صَغِيرٍ فَالذَّنْبُ مِنْ ذَاكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْبَصَرِ
- ٢٢٩ قَالَ عَنَرُ يَهْدَدُ هَوَارِيزَ وَجُشَمَ وَكَانَا قَدْ أَغَارَا عَلَى دِيَارِ عَبَسٍ :
سَكَتُ فَعَرَّأْتُ أَعْدَائِي السُّكُوتَ وَظَنُّونِي لِأَهْلِي قَدْ نَسِيتُ
وَكَيْفَ أَنَا عَنْ سَادَاتِ قَوْمِ أَنَا فِي فَضْلِ نِعْمَتِهِمْ رَيْتُ
وَإِنْ دَارَتْ بِهِمْ خَيْلُ الْأَعَادِي وَنَادَوْنِي أَحْبَبْتُ مَتَى دُعِيتُ
بِسَيْفِ حَدِّهِ مَوْجُ الْمَنَآيَا وَرَمَحِ صَدْرِهِ الْخُفِّ الْمَمِيتُ
خَلِيفَتُ مِنَ الْحَدِيدِ أَشَدُّ قَلْبًا وَقَدْ بَلَى الْحَدِيدُ وَمَا بَلِيتُ

لَوْ بَخَلَّ الدَّهْرُ ذَا عِزِّ لِعِزَّتِهِ كُنْتَ الْأَحَقَّ بِتَغْيِيرِ وَتَحْلِيدِ
تَبْلَى الْكِرَامُ وَأَنَارُ الْكِرَامِ وَمَا تَزْدَادُ فِي كُلِّ عَصْرِ غَيْرَ تَجْدِيدِ
٢٢٣ لَا بِي الشَّيْصِ الْخَزَاعِي :

عَشِقَ الْمَكَارِمَ فَهُوَ مُشْتَغِلُهَا وَالْمَكْرُمَاتِ قَلِيلَةُ الْعُشَاقِ
وَأَقَامَ سُوقًا لِلشَّاءِ وَلَمْ تَكُنْ سُوقُ الشَّاءِ تُعَدُّ فِي الْأَسْوَاقِ
بَثَّ الصَّنَائِعِ فِي الْبِلَادِ فَأَصْبَحَتْ تُجْبَى إِلَيْهِ مَحَامِدُ الْأَفَاقِ
٢٢٤ قَالَ أَبُو حَوَّةَ :

قَوْمٌ إِذَا اقْتَحَمُوا الْحَاجَ رَأَيْتَهُمْ أَسَدًا وَخِلَتْ وُجُوهُهُمْ أَقَارًا
لَا يَعْدِلُونَ بِرِفْدِهِمْ عَنْ سَائِلٍ عَدَلَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ أَوْ جَارًا
وَإِذَا الصَّرِيحُ دَعَاهُمْ لِلْمَةِ بَذَلُوا النُّفُوسَ وَفَارَقُوا الْأَعْمَارَا
وَإِذَا زَنَادَ الْحَرْبُ أَخَذَ نَارُهَا قَدَحُوا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ نَارَا
٢٢٥ قَالَ الْعَرَنْدَسُ يَمْدَحُ قَوْمًا :

هَيْنُونَ لَيُونُ أَيْسَارُ ذَوُو كَرَمٍ سَوَاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ
فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يُعَدُّ الْحَجْدُ مُتَلَدًا وَلَا يُعَدُّ نَثَا خِزْيٍ وَلَا عَارِ
لَا يَنْطِقُونَ عَنْ الْفُحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يَمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِاَكْنَعَارِ
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَعْلٌ لَا قَيْتَ سَيِّدُهُمْ مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
٢٢٦ قَالَ الْحَزِينُ اللَّيْثِيُّ فِي عَلِيٍّ
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَائِفَهُ وَآلِيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلَّ وَالْحَرَمَ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكُرَمُ

نَهْدًا وَذَا شَطْبٍ يُقْدُ النِّضَ وَالْأَبْدَانِ قَدًا .
 وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَاكَ مُنَازِلٌ كَعَمًا وَنَهْدًا
 قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ تَتَمَرَّوْا حَاقًا وَقَدًا
 كُلُّ أَمْرِي يُجْرِي إِلَى يَوْمِ الْهَيَاجِ بَا اسْتَعْدًا
 نَازِلْتُ كَبَشْتَهُمْ وَلَمْ أَرِ مِنْ تَرَالِ الْكَبَشِ بُدًا
 هُمْ يَنْذُرُونَ دَمِي وَأَنَا نَذْرُ إِنْ لَقِيتُ بَانَ أَشَدًّا
 كَمَنْ مِنْ أَخِي صَالِحٍ بَوَّأَهُ يَدَيَّ لِحَدَا
 مَا إِنْ جَرَعْتُ وَلَا هَلَمْتُ وَلَا يَرُدُّ بَكَايَ زَنْدًا
 أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخَافْتُ يَوْمَ خَلَقْتُ جَدًا
 أَغْنِي غَنَاءَ الذَّاهِبِ نَ أَعْدُ لِلْأَعْدَاءِ عَدًا
 ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبْتُهُمْ وَبَقِيتُ مِثْلَ السِّيفِ قَرْدًا

٢٣٢ قَالَ عَنَّا وَقَدْ خَرَجَ إِلَى دِيَارِ بَنِي زَيْدٍ فِي طَلَبِ رَأْسِ ابْنِ مُحَارِبٍ :
 أَطْوِي فَيَا فَيَا الْفَلَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ وَأَقْطَعُ الْبَيْدَ وَالرَّمْضَاءُ تَسْتَعِرُ
 وَلَا أَرَى مُوَسَّاعًا غَيْرَ الْحَسَامِ وَإِنْ قَلَّ الْأَعَادِي عَدَاةُ الرُّوعِ أَوْ كَثُرُوا
 فَحَازِرِي يَا سَبَاعَ الْبَرِّ مِنْ رَجُلٍ إِذَا انْتَضَى سَيْفُهُ لَا يَنْفَعُ الْحَذَرُ
 وَرَافِقِي تَرَى هَامًا مُقْلَقَةً وَالطَّيْرَ عَاكِفَةً تُمْسِي وَتَبْتَكِرُ
 مَا خَالِدٌ بَعْدَ مَا قَدْ سَرَتْ طَالِبُهُ بِخَالِدٍ لَا وَلَا الْجِدَا تَفْتَخِرُ
 وَلَا دِيَارَهُمْ بِالْأَهْلِ آسَةِ يَاوِي الْغُرَابِ مَهَا وَالذِّبُّ وَالنَّيْرُ
 ٢٣٣ وَقَالَ بَعْضُ بَنِي أَسَدٍ :

وَأَيُّ قَدْ شَرِبْتُ دَمَ الْأَعَادِي
وَفِي الْحَرْبِ الْعَوَانِ وَلِدْتُ طِفْلاً
فَمَا لِلرَّيْخِ فِي جَنْبِي نَصِيبٌ
وَلِي بَيْتٌ عَلاَ فَلاَ الثَّرَيَّا
٢٣٠ وَقَالَ أَيْضاً يَفْتَخِرُ :

أَعَادِي صَرَفَ دَهْرِي لَا يُعَادِي
وَأُظْهِرُ نَضْحَ قَوْمٍ ضَيَّعُونِي
أَعْلَلُ بِأَلْمَنِي قَلْبًا عَلِيلاً
تُعَيِّرُنِي الْعَدَى بِسَوَادِ جِلْدِي
وَرَدْتُ الْحَرْبَ وَالْأَبْطَالُ حَوْلِي
وَحُضْتُ بِمُهْجَتِي بِحَرِّ الْمَنَايَا
وَعُدْتُ مُخَضَّباً بِدَمِ الْأَعَادِي
وَسَيِّفِي مُرْهَفُ الْحَدِيدِ مَاضٍ
وَرَنْجِي مَا طَعَنْتُ بِهِ طَعِيناً
وَلَوْلَا صَارِمِي وَسِنَانُ رَنْجِي
٢٣١ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرَبَ :

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُزَرٍّ
إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنٌ
أَعَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا
فَأَعْلَمُ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
وَمَنَايِبُ أَوْرُنْ نَجْدَا
بِقَةِ وَعَدَاءِ عُلْدَا

حِصَانِي كَانَ دَلَالُ الْمَنَآيَا
وَسَيْفِي كَانَ فِي الْهَيْمِ طَيْبًا
أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي خُيِّرْتُ عَنْهُ
وَلَوْ أُرْسِلْتُ رُحْمِي مَعَ جَبَانٍ
مَلَأْتُ الْأَرْضَ خَوْفًا مِنْ حُمَايَ
إِذَا الْأَبْطَالُ قَرَّتْ خَوْفَ بَاسِي
٢٣٥ وَقَالَ مُضَرَّسُ بْنُ رَبِيعٍ :

إِنَّا لَنُضْحُ عَنْ عَجَاهِلِ قَوْمِنَا
وَمَتَى نَخْفُ بِوَمَا فَسَادَ عَشِيرَةٍ
وَإِذَا تَوَاصَدُوا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ
وَنُعِينُ فَاعْلَمْنَا عَلَى مَا نَابَهُ
وَنَجِبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ بِثَائِبٍ
فَفُئِلَ شَوْكُهَا وَنَفَقْنَا حَمِيهَا
وَتَحَلُّ فِي دَارِ الْخِفَاطِ يُؤُونَنَا
٢٣٦ وَقَالَ عَنَتَرَةُ الْعَبْسِيُّ :

وَأَجْهَدِي فِي عَدَاوَتِي وَعِنَادِي
إِنَّ لِي هِمَّةً أَشَدَّ مِنَ الصَّنْ
وَحُسَامًا إِذَا صَرَبْتُ بِهِ الدَّهْ
وَسِينَانَا إِذَا تَعَسَّفَتْ فِي اللَّهِ
أَنْتِ وَاللَّهُ لَمْ تُلْغِي بِسَالِي
رِ وَأَقْوَى مِنْ رَاسِيَاتِ الْجِبَالِ
رَتَحَتْ عَنْهُ الْقُرُونُ الْخَوَالِي
لِي هِدَانِي وَرَدَّنِي عَنْ ضَلَالِي .

وَأَيُّ لَأَسْتَفْنِي فَمَا أَبْطَرَ الْفَنَى
وَأَغْرَضُ مَيْسُورِي عَلَى مَبْتَنِي قَرْضِي
وَأُذِرُكَ مَيْسُورَ الْفَنَى وَمَعِي عَرْضِي
أُخُوَيْقَةً مَنِي بِقَرْضٍ وَلَا قَرْضٍ
إِذَا كَدَّرْتُ أَخْلَاقَ كُلِّ فَنَى تَحْضٍ
يَزِلُّ بِكَمَا زَلَّ الْبَعِيرُ عَنِ الدَّخْضِ
وَإِنْ كَانَ نَحْنِي الظُّلُوعِ عَلَى بُغْضِي
قَوَارِعُ تَبْرِي الْعَظَمِ عَنْ كَلِمِ مَضٍ
وَفِي النَّاسِ مَنْ يُقْضَى عَلَيْهِ وَلَا يُقْضَى
وَلَا الْبُخْلُ فَاغْلَمَ مِنْ سَمَاءٍ وَلَا أَرْضِي
صُرُوفُ لِيَالِي الدَّهْرِ بِالْأَثَلِ وَالْثَقْصِ
وَأَيُّ لَسَهْلُ مَا تَغْيِرُ شَيْئِي
وَلِعَنْتَرَةَ فِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ : ٢٣٤

إِذَا كَشَفَ الزَّمَانُ لَكَ الْقَنَاعَا
فَلَا تَحْشَ الْمُنِيَّةَ وَالْتِقِيهَا
وَلَا تَحْتَرِ فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ
وَحَوْلَكَ نِسْوَةً يَنْدُبْنَ حُزْنَآ
يَقُولُ لَكَ الطَّيِّبُ دَوَاكَ عِنْدِي
وَلَوْ عَرَفَ الطَّيِّبُ دَوَاءَ دَاءٍ
وَفِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ قَدْ تَرَكَنَا
أَقْنَا بِالذَّوَابِلِ سَوْقَ حَرْبٍ
وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرَفُ الدَّهْرِ بَاعَا
وَدَافِعَ مَا أُسْطَطَتْ لَهَا دِفَاعَا
وَلَا تَبْكِ الْمُنَازِلَ وَالْبِقَاعَا
وَيَهْتَكُنَ الْهَرَاقِعَ وَالْأَقْمَاعَا
إِذَا مَا جَسَّ كَفْكُ وَالذَّرَاعَا
يَرُدُّ الْمَوْتَ مَا قَاسَى الزَّوَاعَا
لَنَا بِفَعَالِنَا خَبْرًا مُشَاعَا
وَصَيَّرَنَا النُّفُوسَ لَهَا مَتَاعَا

وَنَحْنُ أَمْسٌ لَا نَبْدُلُ لِحَايِفِ
مَلَكْنَا أَلْعَوَالِي بِالْمَعَالِي فَجَارْنَا
وَرَثْنَا عَنِ الْآبَاءِ عِنْدَ اخْتِرَامِهَا
تَوَمَّرْنَا أَسْيَافُنَا وَرِمَاخُنَا
بَلَيْنًا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ كَمَكْبَةِ
فَرَسٍ شَاءَ فَلْيَخْشُ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَلِنْ
وَسَوْفَ نَجَازِي بِاللَّطَائِفِ أَهْلَهَا
٢٣٩ قَالَ أَلْقَرِيظُ بْنُ أُنَيْفٍ يَفْتَخِرُ بِقَوْمِهِ :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ لَهُمْ
لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ
لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ
يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً
كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ
فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا
وَلِلَّهِ غَيْرُ حَيْثُ يَقُولُ : ٢٤٠

أَنَا فِي الْحَرْبِ أَلْعَوَانِ
وَحُسَامِي مَعَ قَتَايِ
إِنِّي أَطْعَمُ خَضِييِ
أَسْفَهُ كَبَاسِ الْمَنَآيَا
غَيْرُ مَجْهُولِ الْمَكَانِ
لِفِعَالِي شَاهِدَانِ
وَهُوَ يَقْضَانُ الْجَنَانِ
وَقَرَاهَا مِنْهُ دَانِ

وَجَوَادًا مَاسَارَ إِلَّا سَرَى الْبَرْقُ وَرَاهُ مِنْ اقْتِدَاجِ النَّعَالِ
 أَذْهَمُ يَصْدَعُ الدُّجَى بِسَوَادِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ غَرَّةٌ كَالْهَلَالِ
 يَفْتَدِينِي بِنَفْسِهِ وَأَفْدِيهِ بِنَفْسِي يَوْمَ الْقِتَالِ وَمَالِي
 وَإِذَا قَامَ سَوْقُ حَرْبِ الْعَوَالِي وَتَلَطَّى بِالْمَرْهَفَاتِ الصِّقَالِ
 كُنْتُ دَلَالَهَا وَكَانَ سِنَانِي تَاجِرًا يَشْتَرِي النُّفُوسَ الْغَوَالِي
 يَا سِبَاعَ الْفُلَا إِذَا اشْتَعَلَ الْحَرْقُ بَاتَّبِعِينِي مِنَ الْقَفَارِ الْخَوَالِي
 إِنِّتَبِعِينِي تَرَى دِمَاءَ الْأَعَادِي سَائِلَاتٍ بَيْنَ الرَّبِّي وَالرِّمَالِ
 ثُمَّ عُودِي مِنْ بَعْدِ ذَاوِ الشُّكْرِ بِنِي وَادْكُرِّي مَا رَأَيْتَهُ مِنْ فِعَالِي
 وَخُذِي مِنْ جَمَاجِمِ الْقَوْمِ قُوَّتًا لِنَيْكَ الصِّغَارِ وَالْأَشْبَالِ
 ٢٣٧ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ:

مَتَى مَا تَأْتِ يَثْرَبُ أَوْ تُرْذَهَا تَجِدْنَا نَحْنُ أَكْرَمَهَا جُدُودًا
 وَأَعْلَاهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ رُكْنًا وَأَلَيْنَا لِبَاغِي الْخَيْرِ عُودًا
 وَأَخْطَبَهَا إِذَا اجْتَمَعُوا لِأَمْرٍ وَأَقْصَدَهَا وَأَوْفَاهَا عَهْدًا
 إِذَا نُدْعَى لِشَارٍ أَوْ لِحَارٍ فَتَحْنُ الْأَكْثَرُونَ بِهَا عِيدًا
 مَتَى مَا نُدْعَى فِي جُشْمٍ وَعَوْفٍ تَجِدُنِي لَا أَعَمُّ وَلَا وَحِيدًا
 وَحَوْلِي جَمْعُ سَاعِدَةِ بْنِ عَمْرٍ وَتَبِمُ اللَّاتِ قَدْ لَبَسُوا الْحِيدًا
 زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ نَلْتُمُ مُلُوكَنَا وَزَعَمْنَا أَنَّنَا نَلْتُمُ عِيدًا
 وَمَا نَبْنِي مِنَ الْأَخْلَافِ وَتَرَا وَقَدْ نَلْنَا الْمُسُودَ وَالْمُسُودَا
 ٢٣٨ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ:

٢٤٢ وَمِنْ الْمُعْجَبِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ مُعِيرِ الدِّينِ بْنِ تَمِيمٍ :
 لَوْ كُنْتُ تَشْهَدُنِي وَقَدْ حَمَى الْوَعَى فِي مَوْقِفٍ مَا الْمَوْتُ فِيهِ بِمَعْرَلٍ
 لَأَبْرَى أَنَا يَبِ الْقَنَاقَةِ عَلَى يَدَيَّ تَحْرِي دَمًا مِنْ تَمَتَّ ظِلُّ الْقَسْطَلِ
 ٢٤٣ قَالَ بَذَرُ الدِّينِ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ يَتَهَدَّدُ تَيُّورُكَ عَلَى لِسَانِ الظَّاهِرِ رُقُوقَ
 السِّيفِ وَالرُّخِّ وَالنَّشَابِ قَدْ عَلِمْتُ مِنَّا الْحُرُوبَ قَسَلٍ مِنْهَا ثَلَاثَةٌ
 إِذَا التَّقِينَا تَجِدُ هَذَا مُشَاهِدَةً فِي الْحَرْبِ فَأَنْتَ فَأَمْرُ اللَّهِ آتِيكَ
 بِخِدْمَةِ الْحَرَمَيْنِ اللَّهُ شَرَّفَنَا فَضْلًا وَمَلَكْنَا الْأَمْصَارَ تَلِيكَ
 وَبِالْجَمِيلِ وَحَلَوِ النَّصْرِ عَوْدَنَا خُذِ التَّوَارِيخَ وَأَفْرَاهَا فَتَيِكَ
 وَمَنْ يَكُنْ رَبُّهُ الْفَتْاحُ نَاصِرُهُ فَمَنْ يَخَافُ وَهَذَا الْقَوْلُ يَكْفِيكَ

قصيدة ابن سناء الملك في الفخر

٢٤٤

سِوَايَ بَابِ الْمَوْتِ أَوْ يَرْهَبُ الرَّدَى وَغَيْرِي يَهْوَى أَنْ يَعْيشَ خُلْدًا
 وَالْكَفَى لَا أَرْهَبُ الدَّهْرَ إِنْ سَطَا وَلَا أَحْذَرُ الْمَوْتَ أَلْزَوَامَ إِذَا عَدَا
 وَلَوْ مَدَّ نَحْوِي حَادِثُ الدَّهْرِ كَهْمُهُ لَحَدَّثْتُ نَفْسِي أَنْ أَمُدَّ لَهُ يَدَا
 تَوْقُدُ عَزْمِي يَتْرُكُ الْمَاءَ جَمْرَةً وَحِيلَةُ حُلُمِي تَتْرُكُ السِّيفَ مِهْرَدَا
 وَفَرَطُ أَحْقَارِي لِلْأَنَامِ لِأَنِّي أَرَى كُلَّ عَارِمٍ حَلَى سُودْدِي سُدَى
 وَيَأْتِي إِبَانِي أَنْ يَرَانِي قَاعِدَا وَإِنِّي أَرَى كُلَّ الْبَرِيَّةِ مَقْعَدَا
 وَأَظُنُّ أَنْ أَبْدَى لِي الْمَاءُ مِنْهُ وَلَوْ كَانَ لِي نَهْرُ الْحَجَرَةِ مَوْرِدَا
 وَلَوْ كَانَ إِذْ رَأَيْتُ الْهَدَى بَدَلُ رَأَيْتُ الْهَدَى أَنْ لَا أَمِيلَ إِلَى الْهَدَى
 وَقَدْ مَا بَغِيرِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَشْيَا وَبِي وَبِفَضْلِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَمْرَدَا

خَلَقَ الرُّمَحُ إِكْفَى وَالْحَسَامُ الْهُنْدُوَانِي
 وَمَعِيَ فِي الْأَهْدِكَا نَا فَوْقَ صَدْرِي يُؤَسِّنَانِي
 وَإِذَا مَا الْأَرْضُ صَارَتْ وَرْدَةً مِثْلَ الدَّهَانِ
 وَالِدَمَا تَجْرِي عَلَيْهَا لَوْنَهَا أَحْمَرُ وَنِي
 فَاسْتَقِيَانِي وَأَسْمَعَانِي نِعْمَةً بِكُنِّي تَعْلَمُ رَبِّي
 أَطِيبُ الْأَصْوَاتِ عِنْدِي حُسْنُ صَوْتِ الْهُنْدُوَانِي
 وَصَرِيدُ الرُّمَحِ جَهْرًا فِي الْوَعْيِ يَوْمَ الطَّمَانِ
 وَصِيَا حُ الْقَوْمِ فِيهِ وَهُوَ لِلْإِيْطَالِ دَانِ

٢٤١ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي هَمْدَانٍ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَفْرَعُ بِالْأَنَاءِ
 قَوَارِسُهَا حُمُرُ الْعُيُونِ دَوَامٍ
 وَأَقْبَلَ رَهْجٌ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ
 غَمَامَةٌ دَجَنُ أَوْعِرَاضٍ قَتَامٍ
 وَمِنْ كُلِّ نَحْيٍ قَدْ أَتَتْهَا عَصَابَةٌ
 ذَوُو نَجْدَاتٍ فِي الْأَنَاءِ كِرَامٍ
 وَنَادَيْتُ فِيهِمْ دَعْوَةً فَأَجَابَنِي
 قَوَارِسُ مِنْ هَمْدَانَ لَيْسُوا بِعَزَلٍ
 يَقُودُهُمْ حَارِجِي الْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ
 نِدَاءُ الْوَعْيِ مِنْ شَائِكَ وَسَنَامٍ
 جَزَى اللَّهُ هَمْدَانَ الْجَنَانَ فَإِنَّهُمْ
 سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَالْكَرِيمُ يُحَايِي
 مَتَى تَأْتِيهِمْ فِي دَارِهِمْ تَسْتَضِيئُهُمْ
 سِهَامُ الْأَعَادِي عِنْدَ كُلِّ حِمَامٍ
 وَقَوْمٌ يُحِبُّونَ الْإِمَامَ وَهَدِيَّةُ
 تَبَتْ نَاعِمًا فِي غِبْطَةٍ وَطَعَامٍ
 كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ
 سِرَاعُ إِلَى الْهَيْجَا بِكُلِّ حُسَامٍ
 لَقَلْتُ لِهَمْدَانَ أَذْجَأُوا بِسَلَامٍ

إِنِّي إِذَا كَانَ قَوْمِي فِي الْوَرَى عِلْمًا فَإِنِّي عَلِمْتُ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ
٢٤٨ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرِ يَحْيَى بْنُ بَكْرِ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ :

هُوَ الشَّعْرُ أَجْرَى فِي مَيَادِينِ سَبْقِهِ وَأَفْرَجَ مِنْ أَبْوَابِهِ كُلِّ مُبْهِمٍ
وَسَلَ أَهْلُهُ عَنِّي هَلْ أَمْتَزَتْ مِنْهُمْ بِطَبْعِي وَهَلْ عَادَرْتُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ
سَلَكْتُ أَسَالِيبَ الْبَدِيعِ فَأَفْهَجَتْ بِأَقْوَالِي الرُّكْبَانَ فِي الْبَيْدِ رَتَمِي
وَرَبَّمَا غَنَى بِهِ كُلُّ سَاجِعٍ بِرَدِّدِهِ فِي شَجْوِهِ وَالْتَرَمِ
وَضَمِينِي قَوْمِي لِأَنِّي لِسَانُهُمْ إِذَا أَقْحَمَ الْأَقْوَامَ عِنْدَ التَّكَلُّمِ
وَطَلَبَنِي دَهْرِي لِأَنِّي زَنْتُهُ وَأَنِّي فِيهِ غُرَّةٌ فَوْقَ أَذْهَمِ
٢٤٩ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ قَوْلُهُ :

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فِهْرِ وَإِخْوَتِهِمْ قَدْ يَنْبُوا سُنْدًا لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِّيَّتُهُ تَقْوَى إِلَهِهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاطُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةُ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخَدَّثَةٍ إِنْ الْخَلَّاتِقَ فَأَعْلَمَ شَرَّهَا الْبِدْعُ
لَوْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَذْنِي سَبْقِهِمْ تَبِعُ
لَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الرِّقَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا يَفْعُوا
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ أَوْ أَرَانُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِاللَّدَى مَنَعُوا
لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أُصِيدُوا فَلَا ضُورَ وَلَا هَامَ
وَلَا يَضْنُونَ عَنْ جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمْسَهُمْ فِي مَطْعٍ طَمَعُ
كَانَهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ سَمِعَ

وَإِنَّكَ عَبْدِي يَا زَمَانُ وَإِنِّي
وَمَا أَنَا رَاضٍ أَنِّي وَأَطَى الْتَرَى
وَلَوْ عَلِمْتُ زَهْرُ النُّجُومِ مَكَانِي
أَرَى الْخَلْقَ دُونِي إِذَا أَرَانِي فَوْقَهُمْ
وَبَذَلُ نَوَالِي زَادَ حَتَّى لَقَدْ غَدَا
وَلِي قَلَمٌ فِي أُنْمُلِي إِنْ هَزَزْتُهُ
إِذَا صَالَ فَوْقَ الطَّرْسِ وَقَعَ صَرِيدهُ
٢٤٥ لِأَيِّ الطَّيْحَانِ الْقَيْنِيِّ :

وَإِنِّي مِنَ الْتَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ
نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا غَابَ كَوْكُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مَسُودٌ
٢٤٦ لِحَسَنَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ :

وَلَقَدْ تُقَلِّدُنَا الْعَشِيرَةَ أَمْرَهَا
وَتَزُورُ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ رِكَابُنَا
وَنُحَاوِلُ الْأَمْرَ الْمُهَمَّ خُطَابُهُ
٢٤٧ قَالَ أَبُو الْجَرَّاحِ الْبَكْرِيُّ :

إِنَّا لَنَبْنِي عَلَى مَا شَيْدَتْهُ لَنَا
لَا يَرْفَعُ الضَّيْفُ عَيْنًا فِي مَنَازِلِنَا
إِلَّا إِلَى ضَاحِكٍ مِنَّا وَمُبْتَسِمٍ

أَلْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ
فِي النُّجُومِ

٢٥٤ كَانَ الرَّشِيدُ أَحْمَدُ بْنُ الرَّبِيعِ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ صِفَاتُ وَأَخْلَاقُ
تَقْتَضِي أَنْ تُجَوَّدَ مَعَانِي الْإِهْوَاءِ فِيهِ . مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَسْوَدَ وَلَا
يَذَالُ يَدْعِي الذُّكَا وَأَنَّ حَاطِرَهُ مِنْ نَارٍ . فَقَالَ فِيهِ ابْنُ قَادُوسٍ :
إِنْ قُلْتَ مِنْ نَارٍ خُلِقْتُ وَفُتُّ كُلُّ النَّاسِ فَهَمَّا
وَلَمَّا صَدَقْتَ فَمَا الَّذِي أَطْفَاكَ حَتَّى صِرْتَ فَحْمًا
٢٥٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي بَحْثِهِ :

بِرَاءَةٌ غَرَّنِي مِنْهَا وَمِيضُ سَنَاءٍ حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهَا الْكَفَّ مُقْتَسَا
فَصَادَفْتُ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ تَضْرِبُهُ مِنْ لَوْمِهِ بِعَصَا مُوسَى لَمَا انْتَجَسَا
٢٥٦ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ فِي آخِرِ :

أَبُو نُوحٍ دَخَلَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا فَعَدَّانِي بِرَائِحَةِ الطَّعَامِ
وَقَدَّمَ بَيْنَنَا لَحْمًا سَمِيمًا أَكَلْنَاهُ عَلَى طَبَقِ الْكَلامِ
فَلَمَّا أَنْ رَفَعْتُ يَدَيَّ سَقَانِي كُؤُوسًا ثَمَرُهَا رِيحُ الْمُدَامِ
فَكَانَ كَمَنْ سَقَى الطَّغْمَانَ إِلَّا وَكُنْتُ كَمَنْ تَغَدَّى فِي الْمَنَامِ
وَقَالَ أَيْضًا فِي غَيْرِهِ :

رَأَيْتُ أَبَا رُرَادَةَ قَالَ يَوْمًا لِحَاجِبِهِ وَفِي يَدِهِ الْحُسَامُ
لَمِنْ وَضِعَ الْيُونَانَ وَبَلَاحَ شَخْصٌ لَا خَطْفَنَ رَأْسَكَ وَالسَّلَامُ

٢٥٠ وَمَا يُسْتَجَادُ لِمُعِيدِنِ الْأَرْضِ قَوْلُهُ :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ نَجْدِنَا إِنَّكَ عَنْ مَسْعَاتِنَا جَاهِلُ
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ بِآبَانَا فَسَلْ تُبًّا أَيُّهَا السَّائِلُ
سَائِلُ بِنَا خُجْرًا غَدَاةَ الْوَعَى يَوْمَ تَوَلَّى جَمْعُهُ الْحَائِلُ
قَوْمِي بُودُوْدَانِ أَهْلُ الْحِجَى يَوْمًا إِذَا أَلْقَيْتَ الْحَائِلُ
كَمْ فِيهِمْ مِنْ آئِدٍ سَيِّدٍ ذِي نَفْحَاتٍ قَائِلُ قَائِلُ
مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ وَمَنْ فِعْلُهُ فِعْلٌ وَمَنْ نَائِلُهُ نَائِلُ
لَا يَحْرِمُ السَّائِلُ إِنْ جَاءَهُ وَلَا يُعْقِي سَيْبُهُ الْعَادِلُ
الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ يَوْمَ الْوَعَى يَذْهَلُ مِنْهُ الْبَطْلُ الْبَاسِلُ

٢٥١ وَقَالَ كَتَبُ يَمْدَحُ الْأَنْصَارِ :

لَا يَشْتَكُونَ الْمَوْتَ إِنْ تَرَلَّتْ بِهِمْ شُهَبًا ذَاتُ مَعَاقِرٍ وَأَوَارٍ
وَرَبُّو السِّيَادَةِ كَلْبًا عَنْ صُكَايِرٍ إِنَّ الْكِرَامَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ

٢٥٢ قَالَ الْمُتَنَبِّي :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا بِأَنْبِي خَيْرٌ مِنْ تَسْمَى بِهِ قَدَمُ
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَسْمَعْتُ كَلَامَاتِي مَنْ بِهِ صَمُ
الْحَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْأَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسِّيفُ وَالرُّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
٢٥٣ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ شَمْسٍ الْخَلَّافَةُ :

أَنَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيْزُ مَا لِي آفَةٌ سِوَى نَقْصِ تَمِيْزِ الْمَعَانِدِ فِي تَقْدِي
وَرُبَّ جَهْلٍ عَابَنِي بِحَسَنِي وَيَقْبَحُ ضَوْءُ الشَّمْسِ فِي الْأَعْيُنِ الرَّمْدِ

الرُّوحُ يُشْكُو لِحُثْمَانِ الْعَلِيلِ عَلَى عِلَاتِهِ فَإِذَا مَا طَبَهُ رَحَلَا
٢٦٣ مِنْ شِعْرِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَوْلُهُ فِي هَجْوِ قَاضٍ :

قَدْ يَفْتَحُ الْمَرْءُ حَانُوتًا لِمَتَجَرِهِ وَقَدْ فَتَحَ لَكَ الْحَانُوتَ بِالذِّينِ
بَيْنَ الْأَسَاطِينِ حَانُوتٌ بِلا غَلَقٍ تَبْتَاعُ بِالذِّينِ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ
صَيَّرَتْ دِينَكَ شَاهِينًا تَصِيدُ بِهِ وَلَيْسَ يُفْلِحُ أَصْحَابُ الشَّوَاهِينِ
٢٦٤ مِنْ شِعْرِ أَبِي الْعَبَّاسِ يَهْجُو بَنِي الرَّبِيزِ :

بَنِي أَسَدٍ لَا تَذْكُرُوا الْفَخْرَ إِنَّكُمْ مَتَى تَسْأَلُوا فَضْلًا تَضُنُّوا وَتَبْخُلُوا
مَتَى تَذْكُرُوهُ تَكْذِبُوا وَتُحْمَقُوا وَنِيرَانُكُمْ يُشَرِّ فِيهَا تَحْرُقُ
إِذَا اسْتَبَقْتُ يَوْمًا قُرَيْشٍ خَرَجْتُمْ بَنِي أَسَدٍ سَكَنَّا وَذُو الْحَجْدِ يَسْبِقُ
تُحْيُونَ خَلْفَ الْقَوْمِ سُودًا وَجُوهَكُمْ إِذَا مَا قُرَيْشٍ لِلْأَصَامِمْ أَصْفَقُوا
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ لِلْوُمِ طَابَعًا يُلُوحُ عَلَيْكُمْ رَسْمُهُ لَيْسَ يَخْلُقُ
٢٦٥ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِي يُذَمُّ أَهْلَ مَدِينَةِ قَاسٍ :

مَشَى اللَّوْمُ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مُشَرَّدًا يُجُوبُ بِأَدِّ اللَّهِ شَرَقًا وَمَغْرِبًا
فَلَمَّا أَتَى قَاسًا تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا وَقَالُوا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
٢٦٦ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْفَرَجِ الْمُنَجِّمُ لَمَّا أَحْتَرَقَتْ دَارُ ابْنِ صُورَةَ بِمِصْرَ :

أَقُولُ وَقَدْ عَايَنْتُ دَارَ ابْنِ صُورَةَ وَلِلنَّارِ فِيهَا مَارِجٌ يَتَضَرَّمُ
كَذَا كُلِّ مَالٍ أَصْلُهُ مِنْ مَهَاوِشٍ فَعَمَّا قَلِيلٍ فِي نَهَارٍ يَفْزَعُ
وَمَا هُوَ إِلَّا كَافِرٌ طَالَ عَمْرُهُ فَجَاءَتْهُ لَمَّا اسْتَبَطَّاهُ جَهَنَّمُ

٢٦٧ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرِ يَحْيَى بْنُ يَبَى لَمَّا أَنْصَرَفَ عَنِ الْمَغْرِبِ :

فَمَا فِي الْأَرْضِ أَفْجُ مِنْ خِوَانٍ عَلَيْهِ الْخُبْرُ يَحْضُرُهُ الرِّحَامُ
٢٥٧ قَالَ آخِرُ :

لَقَدْ عَثَرْتُ بِمَجْنَحِ اللَّيْلِ رَجُلِي عَلَى شَخْصٍ وَلَمْ يَكْ فِي حِسَابِي
فَقَالَ مُجَابِئًا لِي أَنْتَ أَعْمَى فَقُلْتُ نَعَمْ وَدَوَّاسُ الْكِلَابِ
٢٥٨ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ فِي بَعْضِ مَنْ هَجَاهُ :

وَلَقَدْ قَتَلْتُكَ يَا هَجَاءُ فَلَمْ تَمُتْ إِنَّ الْكِلَابَ طَوِيلَةَ الْأَعْمَارِ
٢٥٩ قَالَ جَرِيدٌ يَهْجُو الْفَرَزْدَقَ :

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْفَرَزْدَقَ حَيَّةٌ وَمَا قَتَلَ الْحَيَّاتِ مِنْ أَحَدٍ قَبْلِي
٢٦٠ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي نَفْطَوِيهِ :

لَوْ أَوْحِيَ النَّحْوُ إِلَى نَفْطَوِيَّةٍ مَا كَانَ هَذَا النَّحْوُ يُعْزَى إِلَيْهِ
أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِنَصْفِ أَسْمِهِ وَصَيَّرَ الْبَاقِي ضَرَاخًا عَلَيْهِ
٢٦١ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الصَّوْلِي فِي مَنْ هَجَرَهُ :

وَكُنْتُ أَخِي بِاللَّهْرِ حَتَّى إِذَا نَبَأَ نَبَوْتُ فَلَمَّا عَادَ عُدْتُ مَعَ اللَّهْرِ
فَلَا يَوْمَ إِقْبَالٍ عَدَدْتُكَ طَائِلًا وَلَا يَوْمَ إِذْبَارٍ عَدَدْتُكَ فِي وَثَرٍ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ أَحْلَامٍ نَائِمٍ كِلَا حَالَتَيْكَ مِنْ وَفَاءٍ وَنِنْ غَدْرِ
٢٦٢ هَجَا ابْنُ خُرُوفٍ مُهَذَّبُ الدِّينِ بْنُ الطَّيِّبِ :

إِنَّ الْأَعْيُرَ حَازَ الطِّبَّ أَجْمَعَهُ اسْتَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا الْعِلَامَ وَالْعَمَلَا
وَلَيْسَ يَجْهَلُ شَيْئًا مِنْ غَوَامِضِهِ إِلَّا الدَّلَائِلَ وَالْأَمْرَاضَ وَالْعِلَلَا
فِي حِيلَةِ الْبَرِّ قَلْتُ عِنْدَهُ حَيْلٌ بَعْدَ اجْتِهَادٍ وَيَذْرَى لِلرَّدَى حَيْلَا

وَطَائِرٌ فِي وَكْرِهِ نَائِمٌ يَطِيرُ فِي الْأَرْضِ بِأَسْرَارِهِ
حَيَاتُهُ فِي قَطْعِ أَوْدَاجِهِ وَعَيْشُهُ فِي قَطْعِ مَنَاقِرِهِ
يَكْرَعُ مِنْ مُسْتَنَقِعِ الْقَارِ كَيْ يَأْخُذَ بِالْمُنْقَارِ مِنْ قَارِهِ.

٢٧٢ قَالَ ابْنُ بُصَافَةَ مُلْغِزًا فِي الْبَيْضَةِ :

وَمَوْلُودَةٍ لَا رُوحَ فِيهَا وَإِنَّمَا لَتَقْبَلُ نَفْحَ الرُّوحِ بَدَدَ رِلَادِهَا
وَتَسْمُو عَلَى الْأَقْرَانِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى وَلَكِنْ سُمُوًا لَمْ يَكُنْ بِمُرَادِهَا
أَرَادَ فِي أَلَيْتِ الْأَوَّلِ بَيْضَةَ الدَّجَاجَةِ وَفِي الثَّانِي بَيْضَةَ الْحَرْبِ

٢٧٣ أَنشَدَ الْإِمَامُ ابْنُ الْحَلَاوِيِّ رَجُلٌ لُغْزًا فِي شَبَابَةٍ فَقَالَ :

وَنَاطِقَةٍ خَرَسَاءٌ بَادٍ شُحُوبُهَا تَكْنَفُهَا عَشْرٌ وَعَنْهُنَّ تُخْبِرُ
يَلْذِي إِلَى الْأَسْمَاعِ رَجْعَ حَدِيثِهَا إِذَا سُدَّ مِنْهَا مَخْرُجُ جَاشٍ مَخْرُ
٢٧٤ كَانَ ابْنُ شَيْبٍ مُقَدِّمًا فِي حَلِّ الْأَلْغَازِ لَا يَكَادُ يَتَوَقَّفُ عَمَّا يُسْأَلُ
عَنْهُ . فَتَقَاوَضَ أَبُو غَالِبِ بْنُ الْحَصِينِ وَأَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ
فِي أَمْرِ ابْنِ شَيْبٍ هَذَا وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حَلِّ اللَّغْزِ . فَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ :

تَعَالَ حَتَّى نَعْمَلَ لُغْزًا مَحَالًا وَنَسْأَلَهُ عَنْهُ . فَظَنَّمَ أَبُو الْمَنْصُورِ :

يَمَاشِي لَهُ فِي الرَّأْسِ رِجْلٌ وَمَوْضِعُ وَجْهِهِ مِنْهُ مَقَاهُ
إِذَا غَمَضْتَ عَيْنَكَ أَبْصَرْتَهُ وَإِنْ فَتَحْتَ عَيْنَكَ لَا تَرَاهُ
وَنَظَّمَ أَيْضًا :

وَجَارٌ هُوَ تَيَّارٌ ضَعِيفُ الْعَقْلِ ضَوَّارٌ
بِلَا لَحْمٍ وَلَا رِيشٍ . وَهُوَ فِي الرَّمْزِ طَيَّارٌ

وَقَدْ ذَمَّ عِنْدَ أَهْلِهَا مَثْوَاهُ . وَصَفَرَتْ مِنْ نَائِلِهِمْ نِدَاهُ :
 أَقَمْتُ فِيكُمْ عَلَى الْإِقْتَارِ وَالْعَدَمِ لَوْ كُنْتُ حُرًّا أَيْ النَّفْسِ لَمْ أَقِمِ
 وَظَلْتُ أَبْكِي لَكُمْ عُذْرًا لِعَلَّكُمْ تَسْتَفِظُونَ وَقَدْ عِثُّمُ عَنْ الْكَرَمِ
 فَلَا حَديقَتُكُمْ يُجَنِّي بِهَا ثَمْرٌ وَلَا سَمَؤُكُمْ تَنْهَلُ بِالذِّمِّ
 أَوْعَلْتُ فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَأَعْجَزَنِي نَيْلُ الرِّغَابِ حَتَّى أَبْتُ بِالْندَمِ
 ٢٦٨ قَالَ أَحْمَدُ السَّاهِنِيُّ يَهْجُو أَبَا الْبَقَاءِ الصَّالِحِيَّ السَّاحِرَ :
 أَبَا الْبَقَاءِ لِحَالِكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ فِيكَ الطَّيْبَةُ قَدْ قَدَّتْ مِنَ الْحَجَرِ
 كَمْ يَدَّعِي بِمُلُومِ النِّجَمِ مَعْرِفَةً وَلَيْسَ تَفَرُّقُ بَيْنَ النِّجَمِ وَالْقَمَرِ
 ٢٦٩ هَجَا بَعْضُ آيَةِ رَبِّهِ قَبَائِلَ الْبَرِّ فَقَالَ :

رَأَيْتُ آدَمَ فِي تَوْبِي فَقُلْتُ لَهُ أَبَا الْبَرِّيَّةِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ حَكَمُوا
 أَنَّ الْبَرَّابِرَ أَسْلُ مِنْكَ قَالَ إِذَا حَوَاءُ طَالِقَةٌ إِنْ كَانَ مَا زَعَمُوا

الْبَابُ الثَّلَاثُ عَشَرَ فِي الْأَلْفَاظِ

٢٧٠ لُنْزِي فِي خَاتَمِ الصَّفَدِيِّ :
 وَمُسْتَدِيرُ رَوْقِ الْعَيْنِ بِهَجَّتِهِ
 كَأَنَّهُ مَلَكٌ نَجْمُ الدَّجَى فِيهِ
 حُرُوفُهُ أَرْبَعٌ قَدْ رُكِبَتْ فَإِذَا
 مَا قُلْتُ أَوَّلَ حَرْفٍ تَمَّ بَاقِيهِ
 ٢٧١ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْغِزًا فِي قَلَمٍ :

ضَعِيفٌ وَكَمْ أَغْنَتْ مُجَاجَةٌ رَنَمَهُ فَقِيرًا بِهِ أَمْسَى وَمَرْبَعُهُ جَحْصَبُ
يُرَى مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ طَوْرًا وَتَارَةً مِنَ الطَّيْرِ لَكِنْ ذُوهُ تُسَبَّلُ الْحُجْبُ
شَقِيٌّ لِنَفْعِ الْغَيْرِ يَسْجُنُ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ فِي السِّجْنِ أَكْلٌ وَلَا شَرْبُ
٢٧٨ لِبَعْضِهِمْ فِي الْبَحْرِ :

وَحَمَالُ أَثْقَالِ الْبَرِّيَّةِ قَادِرٍ وَيَخْجُزُ إِنْ حَمَلَتْهُ نِصْفَ دِرْهَمٍ
يَسِيرُ بِأَيْدِي النَّاسِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَيَسْرِي بِأَلَا رَجُلٍ لَهُ سَيْرٌ أَرْقَمُ
٢٧٩ لِآخِرٍ فِي الْفَكْرِ :

وَمَا شَيْءٌ يُجُوبُ الْأَرْضَ سَبْقًا وَيُبْصِرُ مَا أَوَادَ بَغَيْرِ عَيْنٍ
يُشَاهِدُ مَا يُرِيدُ بِأَلَا لُغُوبٍ وَلَا يَبْرَحُ بِأَلَا كَدَرٍ وَمَيْنٍ
٢٨٠ لِلْمُتَتَّبِعِي فِي الْحُمَى :

وَزَاوِرَةٌ كَأَنَّ بِهَا حَيَاءٌ فَلَيْسَ تَرُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ
بَذَاتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاقَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَايِ
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ
٢٨١ وَمِنْ لَطَائِفِ مَا وَقَعَ فِي بَابِ الْأَلْفَاظِ أَنَّ شَيْخَ الشُّيُوخِ بِحَمَاءَ
كَتَبَ إِلَيَّ، وَالدِّهْ مُلْفِزًا فِي بَابٍ يَقُولُهُ :

مَا وَاقَتْ بِالْخُرْجِ يَذْهَبُ طَوْرًا وَيَمُجِي
لَسْتُ أَخَافُ شَرَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ يُمَرَّجُ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَالِدُهُ فِي الْجَوَابِ : ذَهَابٌ وَنَحْيٌ وَخَوْفٌ وَشَرٌّ هَذَا
بَابُ خُصُومَةٍ . وَالسَّلَامُ

بَطْنِ بَارِدٍ جِدًّا وَلَكِنْ كُلُّ نَارٍ
وَأَنْفَذَا النَّزِينَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ عَلَى الْأَوَّلِ هُوَ طَيْفُ الْحَيَالِ . وَكَتَبَ
عَلَى الثَّانِي : هُوَ الزَّبَقُ . فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ : هَبِ النَّزْرَ الْأَوَّلَ هُوَ طَيْفُ
الْحَيَالِ وَالثَّانِي يُسَاعِدُكَ عَلَيْهِ فَكَيْفَ تَعْمَلُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ .
فَقَالَ : لِأَنَّ الْمَنَامَ يُفَسِّرُ بِالْعَكْسِ لِأَنَّ مَنْ بَكَى يُفَسِّرُ لَهُ بِالضَّحْكِ .
وَمَنْ مَاتَ يُفَسِّرُ لَهُ بِطُولِ الْحَيَاةِ . وَقَوْلُهُ فِي الثَّانِي هُوَ طَيَّارٌ أَنَّ أَرْبَابَ
صَنْعَةِ الْكِيمَاءِ يَرْمُزُونَ لِلزَّبَقِ بِالطَّيَّارِ وَالْقَرَارِ وَالْآبِقِ وَمَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ لِأَنَّهُ يُنَاسِبُ صِفَتَهُ . وَأَمَّا بَرْدُهُ فَظَاهِرٌ . وَلَا فِرَاطَ بَرْدِهِ تَهْلُ
جَسْمُهُ وَجَرْمُهُ . وَكُلُّهُ نَارٌ لِسُرْعَةِ حَرِّكَتِهِ وَتَشْكِلُهُ فِي افْتِرَاقِهِ وَالْتِمَامِهِ .
فَأَعْجَبَا مِنْ ذِكْرِهِ وَتَوَقَّعَا عَمَلَهُ
(لابن حجة الحموي)

٢٧٥ قَالَ الصَّنَدِيُّ فِي الْمَدَامِ :

وَمَا شَيْءٌ حَشَاهُ فِيهِ دَاءٌ
وَإِذَا مَا زَالَ آخِرُهُ فَجُمِعَ
وَأَمَّا شَيْءٌ حَشَاهُ فِيهِ دَاءٌ
يَكُونُ الْحَدُّ فِيهِ وَالْمَضَاءُ
وَأِنْ أَهْمَلْتَ أَوَّلَهُ فَفِعْلٌ
لَهُ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ اُعْتِنَاهُ

٢٧٦ لِابْنِ الْمُعْتَزِّ فِي شَمْعَةٍ :

صَفَرَاءُ مِنْ غَيْرِ عِلَلٍ
كَأَنَّهَا غَمْرُ الْقَتَى
مَرْكُورَةٌ مِثْلَ الْأَسَلِ
وَالنَّارُ فِيهَا كَالْأَجَلِ

٢٧٧ لِلْحَلِيِّ فِي دُودِ الْقَرِّ :

وَمَا حَيَوَانٌ عَسَّهُ مِثْلُ طَرْدِهِ
لَهُ جَسَدٌ سَبَطُ وَلَيْسَ لَهُ قَلْبٌ

٢٨٤ وَقَالُوا مُلْغَزًا فِي دُرَّةٍ :

أَيُّ شَيْءٍ مِنَ الْجُمَادَاتِ يُلْقَى وَتَرَاهُ مِنْ بَعْدِ ذَا حَيَوَانَةٍ
وَتَرَى ذَلِكَ الْجُمَادَ عَزِيزًا غَالِيًا مِنْهُ رَصَعُوا تِيْجَانَا
وَتَرَى الرُّوحَ مِنْهُ فِي حَيَوَانٍ ذِي جَنَاحٍ وَيَأْلَفُ الطَّيْرَانَا
وَإِذَا مَا شَدَا عَلَى الْعُودِ يَوْمًا فَوْقَ دُفٍّ يُحْسِلُ الْأَغْصَانَا
أَوْ يَبْدَأُ فِي مُقْصَصٍ فَابْنُ بُرْدٍ عِنْدَ أَشْجَاعِهِ يَسِيرُ مَهَانَا
كُهُ طَائِرٌ وَفِي ثُلَيْثِهِ لَكَ ذُو أَرْبَعٍ مَعَ الْعَكْسِ بَانَا
كُهُ عَاطِلٌ بِهِ تَحَلَّى كُلُّ خُودٍ وَتَسْتَقِلُّ الْجَمَانَا
وَتَرَاهُ عِنْدَ الْمُلُوكِ عَظِيمًا وَبِتَضَخُّفِهِ حَقِيرًا مَهَانَا
عَكْسُهُ فِي تَضَخُّفِهِ زِدْ بِقُصِّ قَالُمَعَى هُنَا فَكُنْ يَقْظَانَا
وَإِذَا لَمْ تَذَرِ التَّصَاحِيفَ ذَرَهُ لِلَّذِي فِيهِ فَهُوَ يَذِرِي الْبَيَانَا
وَيَتَحَرِّفُهُ تَوَدِّبُ مَنْ شِئْتَ إِذَا كَانَ يَجْهَلُ الْعِرْفَانَا
ثُلَاثُهُ دُرٌّ نَفِيسٌ وَفِي فِيهِ إِذَا جَاءَ يَضْحَبُ الْمَرْجَانَا
لَكِنَّ الثَّلَاثَ عِنْدَهُ نِصْفٌ وَخَشَرٌ ذَبَّ عَنَّا تَضَخُّفُهُ مَا أَعْتَرَانَا
وَهُوَ فِي الْبَرِّ نَافِرٌ وَإِذَا مَا حَضَرُوهُ قَدْ يَأْلَفُ الْإِنْسَانَا
فَأَفْتَرِسُهُ بِالْحَلِّ إِنْ كُنْتَ لَيْثًا فَهُوَ لَنْزُ عَنْ فَضْلِهِ قَدْ أَبَانَا
٢٨٥ قَالِ الْحَمَوِيُّ فِي الْقَقْصِ :

أَيُّ مَنَى أَعْوَادُهُ يَتَّ شَدُو مُرْقِصٌ مُطْرَبٌ وَبِالْقَلْبِ صَفْقٌ
وَلِتَجْمُوعِهِ النَّبَاتِيُّ حُسْنٌ فُرْتُ مِنْ بَعْضِهِ لِسَجْعِ الْمُطَوَّقِ

٢٨٢ . قَالَ الْقَاضِي نُجَيِّ الدِّينُ بْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ مُلْغَزًا فِي بَابٍ أَيْضًا:
 أَيُّ شَيْءٍ تَرَاهُ فِي الدُّورِ وَالْكَتَبِ مَجَازًا هَذَا وَذَلِكَ مُحَقَّقٌ
 هُوَ زَوْجٌ وَتَارَةٌ هُوَ فَرْدٌ وَهُوَ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ يُطْرَقُ
 وَطَلِقٌ فِي نَشْأَتِهِ وَلَكِنْ بِحَدِيدٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يُوثَقُ
 وَهُوَ فِي الْقَلْبِ يَسْتَوِي وَتَرَاهُ بَانَ تَصَوُّفُهُ لِمَنْ يَرْمَقُ
 فَاجِبْنِي عَنْهُ بَقِيَتْ مُطْلَعًا لَسْتُ فِي حَلَةِ الْأَضَائِلِ لَسْتُ
 ٢٨٣ قَالَ صَاحِبُ دَوَائِنِ الْإِنْشَاءِ بِدَمَشَقِ الْخُرُوسَةِ مُلْغَزًا فِي فَاحِشَةٍ:
 وَمَا طَارَ يَهْوَى الرِّيَاضِ تَنْزَهَا وَيَسْرَحُ فِي أَفْكَانَهَا وَيَغْرُدُ
 وَفِيهِ أَخٌ إِنْ تَهَتَّ عَنْهُ فَأَخْتُهُ تَدُلُّ عَلَى مَا قَدْ عَنَيْتُ وَتُرْشِدُ
 هَذَا الْفُتْرُ وَرَدَّ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَحَلَّ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ الْعَجَّيِّ بِقَوْلِهِ:
 أَيَّامَنْ لَهُ مَجْدٌ أَثِيلٌ وَسُودٌ غَدَا دُونَ رِقَاةِ رِيَمَاكَ وَفَرَقْدُ
 تُفِيدُ يَسَارَ الْمُقْتَرِينَ يَمِينُهُ وَيُسْرَاهُ مِنْ يَمِينِ الْعِمَامَةِ أَجْوَدُ
 سُؤَالِكَ عَنْ أَنْتَى طُرُوبٍ وَلَمْ تَرَلْ عَلَى عُودِهَا فِي الرُّوضِ شَدُو وَنَشْدُ
 وَتَجِدُنِي بِالطُّوقِ عِنْدَ نَشِيدِهَا لِنَحْوِ التَّصَايِي لَا أُطِيقُ أَفْنَدُ
 وَمُذْبَانِ مِنْهَا الطَّرْفُ أَمْسَتْ بِعَكْسِهَا تَخَافُ الرَّدَى مِمَّنْ لَهَا يَتَرَصَّدُ
 وَإِنْ سُلِبَتْ ثَانِي الْأَخِيرِ فَإِنَّهُ عَلَى الْعَكْسِ خَافٍ بَلْ يُلُوحُ وَيَشْهَدُ
 فَأُولَاهَا مَعَ مَا يَلِيهِ وَطَرَفُهَا لَنَا فَاهُ بِالْمَعْنَى الَّذِي فِيهِ يُقْصَدُ
 بَقِيَتْ بَقَاءُ الدَّهْرِ غَزْلُكَ بَاذِخٌ وَفِي مَفْرِقِ الْجُوزَا لَوَاوُكَ يَمْتَدُّ
 فَخِذُهُ مُمِينًا مُغْضِيًا عَنْ إِسَاءَتِي فَإِنَّكَ لِلْإِحْسَانِ أَهْلٌ وَمَقْصَدُ

وَيُنَالُ مِنْهُمْ مَنْ غَيْرِ حَدِّهِمْ. حَتَّى إِذَا أَشْرَقَ وَأَشْرَفَ سَقَاهُ مِنْ فَوْقِهِ
 أَلْدَى. وَغَدَاهُ مِنْ تَحْتِهِ أَلْتَرَى. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَدْرُجُ لَابَهُ. وَيَغْنِي ذُبَابُهُ.
 فَيَنْمَاهِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دُرَّةَ بَيْضَاءَ. إِذَا هِيَ غَبَرَةُ سُودَاءَ. فَإِذَا هِيَ
 زَبْرَجْدَةُ خَضْرَاءَ. فَنَعَالَى اللَّهُ الْفَعَالُ لِمَا أَيْشَاءَ. فَلَمَّا وَقَفَ عُمَرُ عَلَى كَلَامِهِ
 قَالَ: لِلَّهِ دَرُّكَ يَا ابْنَ الْعَاصِ لَقَدْ وَصَفْتَ لِي مِصْرَ حَتَّى كَأَنِّي شَاهَدْتُهَا

وصف دابته

٢٨٨ قِيلَ اشْتَرَى رَجُلٌ دَابَّةً مِنْ دَهِيرَةٍ. فَوَجَدَهَا عُيُوبًا كَثِيرَةً.
 فَخَضَرَ إِلَى الْقَاضِي يَشْتَكِي حَالَهُ. وَمَا أَصَابَهُ مِنَ النِّعَمِ وَنَالَهُ. فَقَالَ لَهُ
 الْقَاضِي: مَا قِصَّتُكَ وَشَكْوَاكَ. وَمَا الَّذِي مِنَ النِّعَمِ وَالنِّعَمِ دَهَاكَ.
 فَقَالَ: أَيُّهَا الْقَاضِي. إِنِّي بِحُكْمِكَ رَاضِي. إِنْتَرَيْتُ مِنْ هَذَا الْفَرِيمِ
 دَابَّةً اشْتَرَطْتُ لِي فِيهَا الصَّحَّةَ وَالسَّلَامَةَ. فَوَجَدْتُ بِهَا عُيُوبًا أَعْقَبَتْ بِي
 نَدَامَةً. وَقَدْ سَأَلْتُهُ رَدَّهَا فَأَبَى. وَقَالَ عِنْدَ رُؤْيِيهِ إِيَّايَ: لَا أَهْلًا بِكَ
 وَلَا مَرْحَبًا. فَقَالَ الْقَاضِي: ابْنُ مَا بِهَا مِنَ الْعُيُوبِ. وَإِلَّا جَعَلْتُكَ عَلَى
 هَذِهِ الْحَشْبَةِ مَصْلُوبًا. فَقَالَ: كُلُّهَا عُيُوبٌ وَذُنُوبٌ. وَهِيَ أَيُّهَا الْقَاضِي
 أُنْحَسُ مَرْكُوبٍ. وَأَخْسُ مَضْحُوبٍ. إِنْ رَكِبْتُهَا رَدَّسَتْ. وَإِنْ نَحَسْتُهَا
 شَمَسَتْ. وَإِنْ هَمَزْتُهَا قَمَصَتْ. وَإِنْ لَكَزْتُهَا رَقَصَتْ. وَإِنْ سَقَمْتُهَا
 رَقَدَتْ. وَإِنْ تَزَلْتُ عَنْهَا شَرَدَتْ. تَهْطُطُ فِي يَدَيْهَا. وَتَصُكُّ
 بِرِجْلَيْهَا. حَذْبَاءُ جَرَبَاءُ كَبَاءُ. لَا تَقُومُ حَتَّى تُنْجَمَلَ عَلَى الْحَشْبِ.
 وَلَا تَنَامُ حَتَّى تُكْبَلَ بِالسَّلْبِ. إِنْ قَرَبْتُ مِنَ الْجِرَارِ كَسَرْتُهَا.

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي الْوَصْفِ

٢٨٦ (قَالَ أَعْرَابِيٌ يَصِفُ قَوْمًا) : هُمْ لِيُوثُ غَابَاتٍ . وَغِيُوثُ
جَدَبَاتٍ . مَا فِي عُهْدِهِمْ خَوْرٌ . وَلَا فِي صَفْوِهِمْ كَدَرٌ . وَلَا فِي
خُدُودِهِمْ صَعَرٌ . وَلَا فِي عُيُونِهِمْ خَزَرٌ . وَلَا فِي صُدُورِهِمْ وَغَرٌ . وَلَا فِي
حَدِيثِهِمْ زَوَرٌ . وَلَا فِي قَوْلِهِمْ خَلَفٌ

وصف مصر

٢٨٧ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى عُمَرُو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ
أَمِيرُ مِصْرَ : أَنَّ صِفَ لِي مِصْرَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . وَمِصْرُ
تُرْبَةٌ غَبْرَاءُ . وَشَجَرَةٌ خَضْرَاءُ . طُولُهَا شَهْرٌ . وَعَرْضُهَا عَشْرٌ . يَكُنُّهَا جَبَلٌ
أَغْبَرُ . وَرَمْلٌ أَغْفَرُ . يَخْطُ وَسْطُهَا نَهْرٌ مَيَّوْنُ الْغَدَوَاتِ . مُبَارَكُ
الرَّوْحَاتِ . يَجْرِي بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ . كَجُرْيِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَهُ أَوَانٌ .
تَظْهَرُ بِهِ عُيُونُ الْأَرْضِ وَيَنَابِعُهَا . حَتَّى إِذَا أَصْلَحَ عِمَّا جُهِ . وَتَعَظَّمَتِ
أَمْوَاجُهُ . لَمْ يَكُنْ وُصُولُ بَعْضِ أَهْلِ الْفَرَى إِلَى بَعْضٍ إِلَّا فِي خِفَافِ
الْقَوَارِبِ . وَصِنَارِ الْمَرَائِبِ . فَإِذَا تَكَامَلَتِ تِلْكَ كَذَلِكَ نَكَصَرَتْ عَلَيَّ
عَقْبِهِ كَأَوَّلِ مَا بَدَأَ فِي شِدَّتِهِ وَطَمًا فِي حِدَّتِهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ أَهْلُ مِلَّةٍ
مُخْشَوْرَةٌ يُخْرِجُونَ مِنْ كُلِّ مَحَلَّةٍ أَدَلَّةً . يَخْرُتُونَ بِطُونِ أَوْدِيَّتِهِ وَرَوَايِهِ .
يَبْذَرُونَ الْحَبَّ . يَذْجُونَ الثِّمَارَ مِنَ الرَّبِّ لِنَعِيرِهِمْ مَا سَعَوْا مِنْ كَسْبِهِمْ .

وَبَعِيدِ الْخِدْنَالِي. أَضَلَّتْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ. بِالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَالنُّسُوسِ.
وَكَانَ مِنْ جِنْسِ بَنِي آدَمَ كَذَاوَكْذَا أَلْفَ عَالَمٍ خُدَّامِي وَمَعِي.
وَجُنْدِي وَتَبْعِي. مِنْهُمْ رُؤُوسُ الزُّهَّادِ. وَعُلَمَاءُ الْعُبَادِ. وَعَلَى حَبَّتِي
مَضَوْا. وَيَاتِبَعُ أَوَامِرِي قَضَوْا. فَأَنَا فِتْنَةُ الْعَالَمِ. وَأَعْدَى أَعْدَاءِ بَنِي
آدَمَ. الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ. وَإِبْلِيسُ الذَّمِيمُ. اسْمُ ذَاتِي. وَوَصَفُ
صِفَاتِي. أَنَا رَأْسُ الْغَفَارِيَةِ الْمُتَمَرِّدِينَ. وَمَحَلُّ غَضَبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
خُشِيتُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ. وَطُيْعْتُ عَلَى إِلْقَاءِ الْبُورِ وَالْذَّمَامِ. رُجُومُ
النُّجُومِ إِنَّمَا أُعِدَّتْ لِأَجْلِي. وَعُتَاةُ الْغَوَاةِ لَا تَصِلُ رُؤُوسَهَا إِلَى مَوَاطِئِ
رِجْلِي. الشَّيَاطِينُ تَسْتَمِدُّ مِنْ زَوَاخِرِ مَكْرِي. وَالزُّنْدِيقُ يَفْتَسِسُ مِنْ
ضَمَائِرِ فِكْرِي. لَمْ تَمْ فَضِيَّةٌ مِنَ الزَّمَانِ الْغَابِرِ إِلَّا وَلِي شِرْكَةٌ فِيهَا.
وَلَا حَدَّثَتْ مِحْنَةً لِنَبِيِّ وَلَا وَلِيٍّ إِلَّا وَأَنَا مُتَعَاطِيهَا. جَدِّي إِبْلِيسُ.
نَهَضَ لَجَدِّي النَّعِيسِ. وَإِلَى نُحُورِ آدَمَ هَوَى. فَغَضَى رَبُّهُ فَعْوَى. وَأَنَا
قَضَيْتُ بِالنُّسُوبِ. حَتَّى قَتَلَ قَايِنَ هَابِيلَ. أَنَا سَوَّلْتُ لِأَوْلَادِي يَهُوْبَ.
وَحَاوَلْتُ فِي فَضِيَّةِ أَيُّوبَ. وَأَنَا كُنْتُ الْعُونُ. لِهَامَانَ وَفِرْعَوْنَ.
وَجَرَأْتُ عَلَى قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ. وَتَوَصَّلْتُ بِتَرْيِينِ النُّسُوسِ
لِقَاتِلِي الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْفَسْطِ مِنَ النَّاسِ. وَدَعَوْتُ إِلَى عِبَادَةِ النُّجْلِ
قَوْمَ مُوسَى. وَسَاعَدْتُ فِي التَّفْرِيقِ وَالْإِضْلَالِ بَيْنَ أُمَّةِ عِيسَى.
وَكَمْ أَغْوَيْتُ مِنْ بُلْدَانٍ. بِمَا زَخَرَفْتُ مِنْ أَوْنَانٍ. وَقَبْدَ بَلَنِي عَنْ جَمْعٍ مِنْ
مُسْتَرْتِقِي السَّمْعِ وَطَنَ عَلَى أَدْنِي وَوَعَاهُ خَاطِرِي. وَوَقَرْتُ فِي ذِهْنِي.

وَأِنْ دَنَتْ مِنَ الصِّغَارِ رَفَسَتْهُمْ . وَإِنْ دَارَ حَوْلَهَا أَهْلُ الدَّارِ
كَدَمَتْهُمْ . تَكِشُ عَلَى أَسْنَانِهَا . وَتَقْرُضُ فِي عِنَانِهَا . وَتَمُشِي فِي سَنَةِ
أَقْلٍ مِنْ يَوْمٍ . الْوَيْلُ لِرَاكِبِهَا إِنْ وَثَبَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ . وَإِنْ رَمَتْ
تَقْدِيمَهَا تَأَخَّرَتْ . وَإِنْ لَكَزَتْهَا شَجَرَتْ وَتَحَوَّرَتْ . مَنْ اسْتَنْصَرَ بِهَا
خَذَلَتْهُ . وَمَنْ سَاقَهَا رَمَتْهُ . فَتَلَّتُهُ . وَمَتَى حَمَلَتْهَا فَلَا تَهْضُ . وَتَقْرُضُ
فِي حَبْلِهَا . وَتُجْفِلُ مِنْ ظِلِّهَا . وَلَا تَعْرِفُ مَنْزِلَ أَهْلِهَا . كَدَامَةٌ . هَجَامَةٌ .
نَوَامَةٌ . كَانَتْهَا هَامَةٌ . وَهِيَ فِي الدَّوَابِّ شَامَةٌ . حَرُونَةٌ . مَلْعُونَةٌ . مُجْنُونَةٌ .
تَقْلَعُ أَوْتَدَ وَتَقْرُضُ الْجَسَدَ . وَتُقَتِّتُ الْكَيْدَ . وَلَا تَزْكُنُ إِلَى أَحَدٍ .
لَشَبْرٍ وَتَنْدُرُ وَتَعْتُرُ . وَاقِفَةُ الصَّدْرِ . مَحْلُولَةُ الظَّهْرِ . بَدَاءَةُ الْأَذْنَيْنِ .
عَمَشَاءُ الْعَيْنَيْنِ . طَوِيلَةُ الْأَصْبَعَيْنِ . قَصِيرَةُ الرَّجْلَيْنِ ضَيْقَةُ الْأَنْفَاسِ .
مُقْلَمَةُ الْأَضْرَاسِ . غَبِيرَةُ الرَّأْسِ . كَثِيرَةُ النَّعَاسِ . مَشِيهَا قَلِيلٌ . وَجِسْمُهَا
تُحِيلٌ . وَرَاكِبُهَا عَلِيلٌ . وَهُوَ بَيْنَ الْأَعْزَاءِ ذَلِيلٌ . تُجْفِلُ مِنَ الْهَوَا . وَتَنْتَرُ
بِالنَّوَى . وَتُجْبَلُ بِشَعْرَةٍ . نَهَاقَةُ شَهَاقَةٍ غَيْرُ مَطْرَاقَةٍ . وَتُحْشَرُ صَاحِبَهَا
فِي كُلِّ ضَيْقٍ . وَتَهْوَسُ عَلَيْهِ فِي الْمُسْكَانِ الْمَضِيقِ . وَتَقْطَعُ بِهِ فِي
الطَّرِيقِ عَنِ الصَّدِيقِ . وَتَعَضُّ ذُكْبَةَ الرَّفِيقِ . وَهِيَ عَدِيمَةُ التَّوْفِيقِ .
عَلَى التَّحْقِيقِ . فَإِنْ رَدَّهَا فَأَكْرِمْ جَانِبَهُ . وَإِنْ لَمْ يَرُدَّهَا فَاصْفَعْ غَارِبَهُ . وَفَكَ
مَضَارِبَهُ . وَلَا تُخَوِّجِي أَنْ أَضَارِبَهُ . وَالسَّلَامُ (الكثر المدفون للسيوطي)

وصف البليس لنفسه

٢٨٩ قَالَ شَيْخُ الْفَرَائِطِ الطُّغَاةِ الْمَصَالِيتِ : إِنِّي مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ

غَيْرُ عُبُوسٍ . أَلَيْسَتْ بِكَ بِطَافِقَةٍ . وَيُحْيِيكَ بِدُشْرِ . وَيَسْتَدِيرُكَ بِكَرَمٍ
 غَيْثٍ وَجَمِيلٍ بِشَرِّ . تَبْهِيكَ طَافِقَتُهُ . وَيُزِيكَ بَشَرُهُ . صِمَّاكَ عَلَى
 مَا أَدْرِيهِ . عَبْدُ اضْيَافِهِ . غَيْرُ مُلَاحِظٍ لِأَكِيلِهِ . بَطِينٌ مِنْ أَعْقَلِ .
 حَمِصٌ مِنَ الْجَهْلِ . رَاجِعُ الْجَلَمِ . ثَاقِبُ الرَّأْيِ . طَيِّبُ الْخَلْقِ .
 مُحَصَّنُ الضَّرْبَةِ . مُعْطٍ غَيْرُ سَأَلٍ . كَاسٌ مِنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ . عَارٍ مِنْ
 كُلِّ مَلَأْمَةٍ . إِنْ سِئِلَ بِذَلِكَ . وَإِنْ قَالَ فَعَلَّ (للقيرواني)

٢٩١ قَالَ مُجِيرُ الدِّينِ بْنِ تَمِيمٍ فِي وَصْفِ نَاعُورَةٍ :

وَنَاعُورَةٌ قَدْ أَلَسَتْ لِحْيَانَهَا مِنْ الشَّمْسِ ثَوْبًا فَوْقَ أَثَوَابِهَا الْخَضِرِ
 كَطَاوُوسٍ يُسْتَانُ تَدُورُ وَتَجَلِي وَتَنْفُضُ عَنْ أَرْيَاسِهَا بَلَلُ الْقَطْرِ
 ٢٩٢ قَالَ نُورُ الدِّينِ بْنِ سَعْدِ الْأَنْدَلُسِيِّ فِي ذَوْلَابِ النَّاعُورَةِ :

لِلَّهِ ذَوْلَابٌ يَفِيضُ بِسَلْسَلٍ فِي رَوْضَةٍ قَدْ أُنِيعَتْ أَفْنَا
 قَدْ طَارَحَتْهَا الْحَمَامُ سَجْوَهَا فَيَحْيِيهَا وَيَرْجِعُ الْأَلْحَانَ
 فَكَأَنَّهُ دَفْءٌ يَدُورُ بِمَعْدٍ يَبْكِي وَيَسْأَلُ فِيهِ عَمَّنْ بَانَ
 ضَاقَتْ مَجَارِي جَنَنِهِ عَنْ دَمْعِهِ فَتَفْتَحُ أَضْلَاعُهُ أَخْفَانَ

٢٩٣ قَالَ ابْنُ النَّبِيِّ :

وَرَوْضَةٌ وَجَنَاتُ الْوَرْدِ قَدْ حَجَلَتْ فِيهَا ضَمْحَى وَعُيُونُ التَّرْجِسِ انْفَتَحَتْ
 نَشَاجِرُ الطَّيْرِ فِي أَفْنَانِهَا سَحَرًا وَمَالَتِ الْقُضْبُ لِلتَّعْنِيقِ وَأَهْطَلَتْ
 وَالْقَطْرُ قَدْ رَشَّ ثَوْبُ الدَّوْحِ حِينَ رَأَى تَجَامِرَ الزَّهْرِ فِي أَذْيَالِهِ نَفَتْ

٢٩٤ قَالَ عَلِيُّ بْنُ رُسْتَمِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ السَّاعَاتِيِّ :

وَأَنَا أَشَارِفُ الثُّغُومَ . وَأَسَارِقُ الثُّجُومَ . وَأَسَاقِ الرُّجُومَ . بِي تَكْثُرُ
الْبِدْعُ . بَيْنَ الْجَبَاعَاتِ وَالْجَمْعِ . وَيَظْهَرُ مِنَ الْفِتَنِ . مَا بَطَنَ . وَيَغْلِبُ مِنَ
الْتِتَارِ . وَأَهْلُ الْبَوَارِ وَالْحَسَارِ . أَنْوَاعُ الشُّرُورِ وَالْجِدَالِ . إِلَى حِينَ
يَظْهَرُ الدَّجَالُ . وَتَسْتَمِرُّ إِلَى هَذِهِ الْأُمُورُ . إِلَى يَوْمِ الْبَغْثِ وَاللُّشُورِ .
وَبِالْجُمْلَةِ وَالْفَصِيلِ . أَنَا شَيْخُ التَّكْفِيرِ وَالتَّضْلِيلِ . وَتِلْكَ صَنَعَتِي مِنَ
الْإِبْتِدَاءِ . وَحِرْفَتِي إِلَى الْإِنْتِهَاءِ . أَنَسَهُمْ مَرَامِي الْمَشُومَةِ نَافِذَةٌ فِي
الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَسُيُوفُ مُنَاشِرِي الْمُسُومَةِ قَاطِعَةٌ فِي الْأَعَاجِمِ .
وَالْأَعَارِبِ . كَمْ لِي فِي الْأَطْرَافِ وَالْأَقَاقِ وَالْأَكْنَافِ مِنْ قَاضٍ
وَنَائِبٍ . وَمَنَاجِعٍ مِنَ الْخَيْرِ وَحَاجِبٍ . وَكَمْ لِي مِنْ جَائِي . مُنْوَطٍ
بِتَفْرِيقِ قُلُوبِهِمْ وَجَمْعِ سُودَانِهَا إِلَى بَابِي . وَكَمْ لِي فِي الزَّوَايَا . مِنْ
خَبَايَا . وَفِي أَصْحَابِ الرِّوَايَاتِ . مِنْ دَرَايَاتٍ . وَفَقِيهِ فِي النَّادِي . فَاقَ
الْحَاضِرِ وَالْبَادِي . يُعَلِّمُ لِي فِي الشَّيْطَنَةِ أَوْلَادِي . وَفِي الْبَيْلَسَةِ
حَفْدَتِي وَأَجْنَادِي . وَبِالْجُمْلَةِ غَايِبُ الطَّوَائِفِ . وَأَرَبَابُ الْوُطَائِفِ .
عَلَى بَابِ خِدْمَتِي وَاقِفُ . وَعَلَى طَاعَةِ مَرَّاسِمِي لَيْلًا وَنَهَارًا عَاكِفُ .
مُنَايَ مُنَاهُمْ . وَرِضَايَ رِضَاهُمْ . وَإِنْ خَالَفَ بَعْضُ سِرِّي نَجْوَاهُمْ .
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ (ابن عربشاه)
٢٩٠ وَصَفَ بَعْضُ الْبُلَّاءِ رَجُلًا فَقَالَ : إِنَّهُ بَسِيطُ الْكَفِّ . رَحْبُ
الصَّدْرِ . مُوْطَأُ الْأَكْنَافِ . سَهْلُ الْخُلُقِ . كَرِيمُ الطَّبَاعِ . غَيْثُ
مَغُوثٍ . وَبَحْرُ زُخُورٍ . وَضُحُوكُ السِّنِّ . بِشِيرُ الْوَجْهِ . بَادِي الْقَبُولِ .

أَوْ مَا تَرَى الْغَنِيمَ الرَّقِيقُ وَمَا بَدَا
وَأَسْنَبُ تَقْدُدُ فِي السَّمَاءِ مَا تَمَّا
وَالْغَنِيمُ يَحْكِي الْمَاءُ فِي حَرِيَانِهِ
فَأَبْكُرُ إِلَى رَوْضِ الصَّرَاةِ وَظِلِّهَا
٢٩٧ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ زُرَّارٍ فِي مَدِينَةِ وَادِي آش :

وَادِي الْأَشَاتِ يَهْجِي وَجْدِي كُلَّمَا
لِلَّهِ ظِلُّكَ وَالْهَجِيرُ مُسَلِّطُ
وَالشَّمْسُ تَرَعَبُ أَنْ تَفُوزَ بِلَحْظَةٍ
وَالنَّهْرُ يَنْسِيمُ بِالْحَبَابِ كَأَنَّهُ
فَلَدَاكَ تَحْدَرُهُ الْأَنْصُونُ قِيَاهَا
٢٩٨ قَالَ مُجِيرُ الدِّينِ بْنُ تَمِيمٍ :

مُذْقِلَ الْأَغْصَانِ إِنْ الْوَرْدُ قَدْ
بَسَمَتْ تُغَوِّرُ الْأَفْحَوَانِ مَسَرَّةً
٢٩٩ قَالَ الصَّائِي فِي شِعْمَةٍ

وَلَيْلَةٍ مِنْ مُحَاقِ الشَّهْرِ مُذْجَنَةٍ
كَانَتْ نَفْسِي بِهَا الْإِدْلَاجُ مُتَطِيلًا
إِلَى حَيْبٍ لَهُ فِي النَّفْسِ مَنْزِلَةٌ
وَلَا دَلِيلَ سِوَى هَيْفَاءِ مُخْطَفَةٍ
غُضْنُ مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيذِ أَمْرٌ فِي
لَا النَّجْمُ يَهْدِي السَّرَى فِيهَا وَلَا الْقَمَرُ
عَزَمَ هُوَ الصَّارِمُ الْعَتَمَصَامَةُ الذَّكْرُ
مَا حَلَّهَا قَبْلَهُ تَنَمُّعٌ وَلَا بَصَرُ
تَهْدِي الرِّكَابِ وَجَنَحُ الْبَلْبِلِ مُعْتَكِرُ
أَعْلَاهُ يَأْقُوتَةُ صَفْرَاءُ تَسْتَعِيرُ

وَالطَّلُّ فِي سِلَاحِ الْفُصُونِ كُلُّوهُ رَطْبُ يُصَافِحُهُ اللَّهُمَّ فَيَسْقُطُ
وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ وَالْعَدِيدُ صَحِيفَةٌ وَالرَّيْحُ تَكْتُبُ الْعِطَامُ يَنْطُطُ
٢٩٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ يَصِفُ رَوْضًا :

رَوْضٌ بِهِ أَشْيَاءُ لَيْسَتْ فِي سِوَاهُ تُؤَلَّفُ
فَمِنْ الْهَزَارِ تَهَازَرُ وَمِنْ الْأَضْيَابِ تَتَّصِفُ
وَمِنْ الْأَسِيمِ تَلَطَّفُ وَمِنْ الْعَدِيدِ تَلَطَّفُ

زهرية صفي الدين الحلبي

٢٩٦

وَرَدَ الرَّبِيعُ قَرَحَبًا يوروده وَبُورٌ بَهْجَتِهِ وَنَوْرٌ وَرُودِهِ
وَمُحْسَنٌ مَنَظَرُهُ رَطْبٌ لَسِيهِ وَأَنِيقٌ مَلَأَهُ وَوَشِيٌّ بِرُودِهِ
فَضْلٌ إِذَا أَفْتَحَرَ الزَّمَانُ فَإِنَّهُ إِنْسَانٌ مُقَاتِلُهُ وَبَيْنَهُ تَصِيدُهُ
يُغْنِي الْمَزَاجُ عَنِ الْعِلَاجِ لَسِيهِ بِالطُّفْرِ عِنْدَ هَبْرِهِ رُودُهُ
يَا حَبَّذَا أَزْهَارُهُ وَنَمَارُهُ وَنَبَاتٌ نَاجِحُهُ وَحَبٌّ حَصِيدُهُ
وَتَجَاوُبُ الْأَطْيَارِ فِي أَشْجَارِهِ كَبَاتٌ مَعْبَدٌ فِي مَوَاجِبِ عُودِهِ
وَالنُّصْنُ قَدْ كَسَى الْعَلَائِلَ بَعْدَ مَا أَخَذَتْ يَدَا كَانُونَ فِي تَجَرِيدِهِ
نَالَ الصَّبَا بَعْدَ الْمَشِيبِ وَقَدْ جَرَى مَاءُ الشَّيْبَةِ فِي مَنَاتِ عُودِهِ
وَالْوَرْدُ فِي أَعْلَى الْفُصُونِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ تُحَفُّ بِهِ سَرَاةُ جُنُودِهِ
وَأَنْظُرْ لِنَرْجِسِهِ الْجَنِيِّ كَأَنَّهُ طَرَفٌ تَنَبَّهُ بَعْدَ طُولِ هُجُودِهِ
وَأَعْجِبْ لَا ذِيُونُوهَ وَبَهَارِهِ كَالْتَبَرِيزِ هُوَ بِاخْتِلَافِ نُشُودِهِ
وَأَنْظُرْ إِلَى الْمَنْظُومِ مِنْ مَشُورِهِ مُتَوَعًّا بِنُصُولِهِ وَنُشُودِهِ

ذَلِكَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ نَصْرٍ تَقِيهِ نَفْسِي حَادِثَاتِ الدَّهْرِ
 ٣٠٢ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ بَغْدَادَ بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهَا طَاهِرُ بْنُ
 الْحُسَيْنِ وَخَرَّبَ بِنَاءَهَا :

بَكَيْتُ دَمًا عَلَى بَغْدَادَ لَمَّا فَقَدْتُ نَضَارَةَ الْعَيْشِ الْأَنِيقِ
 تَبَدَّلْنَا هُمُومًا مِنْ شَرُورٍ وَمِنْ سَعَةٍ تَبَدَّلْنَا بِضِيقِ
 أَصَابَتَنَا مِنَ الْحُسَادِ عَيْنٌ فَافْتَتِ أَهْلَهَا بِالْمُتَخَنِّقِ
 وَقَوْمٌ أَحْرَقُوا بِالنَّارِ قَسْرًا وَنَائِحَةٌ تَنُوحُ عَلَى غَرِيقِ
 وَصَائِحَةٌ تَنَادِي وَاصْبَاحًا وَبَاكِئَةٌ لِفَقْدَانِ الشَّقِيقِ
 تَفِرُّ مِنَ الْحَرِيقِ إِلَى التَّهَابِ وَوَالِدُهَا يَفِرُّ إِلَى الْحَرِيقِ
 حَيَارَى هَكَذَا وَمُفَكِّرَاتٌ عَلَيْهِنَّ الْقَلَانِدُ فِي الْحُلُوقِ
 يُنَادِينَ الشَّقِيقَ وَلَا شَفِيقٌ وَقَدْ فُقدَ الشَّقِيقُ مِنَ الشَّقِيقِ
 وَمُتَرَبِّ قَرِيبِ الدَّارِ مُلْقَى بِلَا رَأْسٍ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ
 تَوَسَّطَ مِنْ قِتَالِهِمْ جَمِيعًا فَمَا يَذْرُونَ مِنْ أَيْ الْقَرِيقِ
 فَمَا وَلَدٌ يُقِيمُ عَلَى أَبِيهِ وَقَدْ فَرَّ الصَّدِيقُ مِنَ الصَّدِيقِ
 وَمَهْمَا أُنْسَ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّى فَإِنِّي ذَاكِرُ دَارِ الرَّفِيقِ
 وَصَفَ صَبِي الدِّينِ الْحَلِيِّ حَدِيقَةً قَالَ :

وَأَطْلَقَ الطَّيْرُ فِيهَا سَمْعَ مَنْطِقِهِ مَا بَيْنَ مُخْتَلَفٍ فِيهَا وَمُتَّفِقِ
 وَالظِّلُّ يَسْرِقُ بَيْنَ الدُّوْحِ خُطْوَتَهُ وَلِلْمَيَّاهِ دَنِيبٌ غَيْرُ مُسْتَرْقِ
 وَقَدْ بَدَأَ الْوَرْدُ مُفَبَّرًا مَبَايِمُهُ وَالزَّرْجِسُ الْغَضُّ فِيهَا شَاخِصٌ مُلْحَدِي

تَأْتِيكَ لَيْلًا كَمَا أَتَى الْمُرِيبُ فَإِنْ لَاحَ الصُّبْحُ طَوَّعَتْهَا لَهَا وَنَهَى الْجَدْرُ
 ٣٠٠ قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيُّ فِي الشَّمْعَةِ أَيْضًا :

وَصَفْرَاءُ لَوْنِ التَّبَرِّ مِثْلِي حَلِيدَةٌ عَلَى نُوبِ الْأَيَّامِ وَالْعَيْشَةُ الضَّنْكَ
 تُرِيكَ أَنْتَسَامًا دَائِمًا وَتَجَلَّدًا وَصَبْرًا عَلَى مَا نَابَهَا وَهِيَ فِي الْهَلَاكِ
 وَلَوْ نَطَقَتْ يَوْمًا لَقَالَتْ أَظُنُّكُمْ تَحَاوُلُونَ أَتَى مِنْ حِذَارِ الرَّدَى أَبْكِي
 فَلَا تَحْسَبُوا دَمْعِي لَوْجِدٍ وَجِدُّهُ فَقَدْ تَدْمَعُ الْأَحْدَاقُ مِنْ كَثْرَةِ الضَّحْكَ

٣٠١ كَتَبَ الصَّابِيُّ فِي وَصْفِ الْبَيْتَاءِ إِلَى ابْنِ نَصْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَيْتَاءِ :

أَلْفَتْهَا صَبِيحَةً مَلِيحَةً نَاطِقَةً بِاللُّغَةِ الْفَصِيحَةِ
 عُدَّتْ مِنَ الْأَطْيَارِ وَاللِّسَانِ يُوهَمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ
 تُنْهِي إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارَا وَتَكْشِفُ الْأَسْرَارَ وَالْأَسْتَارَا
 بِكُمَا إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَةٌ تُعِيدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَةٌ
 زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةِ وَاسْتَوَطَّتْ عِنْدَكَ كَالْقَعِيدَةِ
 صَيْفٌ قَرَاهُ الْجُوزُ وَالْأَرُزُّ وَالضَّيْفُ فِي إِيَّتَانِهِ يُعَزُّ
 تَرَأَى فِي مِقَارِهَا الْخُلُوفِي كَلُولُوهُ يُلْقَطُ بِالْعَقِيقِ
 تَمِيسُ فِي حَاطَتِهَا الْخَضْرَاءُ مِثْلَ الْفَتَاةِ الْغَادَةِ الْعُذْرَاءِ
 خَرِيدَةٌ خُدُورُهَا الْأَقْقَاصُ لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبْسِهَا خَلَاصُ
 مُحْبَسُهَا وَمَا لَهَا مِنْ ذَنْبٍ وَإِنَّمَا ذَاكَ لِقَرْطِ الْحَبِّ
 تِلْكَ الَّتِي قَلْبِي بِهَا مَشْغُوفٌ كُنْتُ عَنْهَا وَأَسْمَهَا مَعْرُوفُ
 يُشْرِكُ فِيهَا شَاعِرُ الزَّمَانِ الْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ بِالْيَلِيَانِ

وَبَلْبُلُ اللَّوْحِ فَصِيحٌ عَلَى الْإِيكَةِ وَالشَّخْرُورُ تَمْتَامُ
وَسَمَةُ الرِّيحِ وَفِي ضَعْفِهَا لَهَا بِنَا مَرٌّ وَالْمَلَمُ

٣٠٧ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو سَهْلٍ فِي وَصْفِ فَرَسٍ :

أَطْرَفُ قَاتٍ طَرْفِي أَمْ شِهَابُ هَذَا كَأَلْبَرْقِ ضَرَمِهِ النَّهَابُ
أَعَارُ الصَّبْحِ صَفْحَتُهُ يُقَابَا فَقَرَبَهُ وَصَحَّ لَنَا النَّقَابُ
إِذَا مَا أَنْقَضَ كُلَّ النَّجْمِ عَنْهُ وَضَلَّتْ عَنْ مَسَالِكِهِ السَّحَابُ
مَلِ الْأَرْوَاحُ عَنْ أَدْنَى مَدَاهُ فَعِنْدَ الرِّيحِ قَدْ يَأْنِي الْجَوَابُ

٣٠٨ قصيدة الشيخ عبد الغني النابلسي في وصف الشام

إِنْ سَامَكَ أَلْخَطْبُ الْمُهُولُ فَأَقْلَقَا فَأَنْزَلَ بِأَرْضِ الشَّامِ وَأَسْكُنْ حِلَقَا
مَجْدِ الْمَرَامِ بِهَا وَكُلُّ مُنَاكَ بَلٍ وَتَرَى بِهَا عِزًّا وَتَنْصَحُ مَنْطَقَا
بَلَدٍ سَمَتْ بَيْنَ الْبِلَادِ مُحَاسِنَا وَنَمَتْ بِهَا وَأَسْتَرَدَّتْ رَوْنَقَا
زَادَ السُّرُورُ بِهَا لِكُلِّ مُعْرِجٍ لَاسِيًا إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ التُّنْقَى
إِنْ تَمَشَّقُوا وَطَنًا فَذِي أَوَّلَى لَكُمْ دُونَ الْبِلَادِ بِأَنْ تُحِبَّ وَتُشَقَّا
خَيْرُ الْأَنْاسِ أَنْاسُهَا يَرْغَوْنَ أَنْوَاعَ الْوَدَادِ وَيَحْفَظُونَ الْمَوْثِقَا
هِيَ جَنَّةٌ لِلطَّائِعِينَ مُعَدَّةٌ يَتَمَتَّعُونَ وَلَا يَرُونَ بِهَا شَقَا
ظَلَبَتْ هَوَاءَ لِلنُّفُوسِ وَمَاوَهَا عَذْبُ زُلَالٍ سَائِغٌ لِمَنْ أَسْتَقَى
جَلَّتْ مُحَاسِنُهَا عَنِ التَّعْدَادِ فَلَنَاتٍ يَمَا يُخْتَارُ مِنْهُ وَيُنْتَقَى
يَا حُسْنَ وَادِيهَا وَطِيبَ شِمِيمِهِ قَدْ فَاحَ عَرَفُ الزَّهْرِ فِيهِ وَعَبَّأَ
وَرَأَسَلَتْ أَطْيَارُهُ بَيْنَ الرَّبِّي مَحَرًّا فَهَيَّجَتْ الْفَوَادِ الشَّيْمَا

مِنْ أَحْمَرٍ سَاطِعٍ أَوْ أَخْضَرٍ نَضِيرٍ أَوْ أَصْفَرٍ قَاطِعٍ أَوْ أَيْبُضٍ يَبْقُ
 وَالسَّحْبُ تَبْكِي وَتَغْرُ الْبَرْقُ مَبْتَسِمٌ وَالطَّيْرُ تَسْمَعُ مِنْ تَبِيهِ وَمِنْ أُنْقِ
 فَالطَّيْرُ فِي حَرْبٍ وَالسَّحْبُ فِي حَرْبٍ وَالْمَاءُ فِي هَرْبٍ وَالنُّعْنَ فِي قَلْقِ
 ٣٠٣ قَالَ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ يَصِفُ دِجْلَةَ فِي الظَّلَامِ وَالْقَمَرُ يَلْمَعُ عَلَيْهَا
 أَحْسَنَ بِدِجْلَةَ وَاللَّجَى مُتَصَوِّبٌ وَالْبَدْرُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ مُغْرِبٌ
 فَكَانَهَا فِيهِ بِسَاطٌ أَزْدَقُ وَكَأَنَّهُ فِيهَا طِرَازٌ مُذْهَبٌ
 ٣٠٤ وَقَالَ أَيْضًا :

كَمْ لَيْلَةٍ سَامَرْتُ فِيهَا بِدْرَهَا مِنْ فَوْقِ دِجْلَةَ قَبْلَ أَنْ تَيْغَبَا
 وَالْبَدْرُ يَجْعُجُ الْأَفْوَلُ كَأَنَّهُ قَدْ سَلَ فَوْقَ الْمَاءِ سَيْفًا مُذْهَبَا
 ٣٠٥ قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ فِي حَمَامَةٍ :

وَمَا نَارِحَاتُ سَاجِمَاتٍ لِشَجْوِهَا تَرْمَحُ أَغْصَانُ النَّقَا وَتَرْمَحُ
 تَسُوحُ بِلا إِلْفٍ وَتَمْلِي غَرَامَهَا عَلَى وَرَقِ الْأَشْجَارِ وَالطَّلُّ يَرْقُمُ
 وَتَغْرِبُ فِي الْحَانِهَا وَتُفْوِنُهَا فَتُغْرِبُ عَنْ أَشْجَانِهَا وَهِيَ تُغِيمُ
 وَتَنْظُرُ فَرْخَيْهَا قَدْ اخْتَطَفَتْهُمَا كَوَاسِرُ أَطْيَارٍ عَلَى الْأَفْقِ حُومُ
 تَرَامَتْ بِهَا أَيْدِي النَّوَى عَنْ وَكُونِهَا فَلَا عَيْشَهَا يَصْفُو وَلَا يَتَصَرَّمُ
 بِأَكْثَرِ مَتْنِي لَوْعَةٍ وَصَبَابَةٍ سِوَى أَنَّهَا تُبْدِي الْغَرَامَ وَأَكْثَمُ

٣٠٦ مِنْ الْمُعْجَبِ قَوْلُ بَدْرِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ لَوْلُو مِنْ قَصِيدَةٍ :

بَاكِرٌ إِلَى الرُّوْضَةِ لَسْتَجْلَاهَا فَتَغْرُهَا فِي الصُّبْحِ بِسَامُ
 وَالْتَرَجِسُ الْغَضُّ اعْتَرَاهُ الْحَيَا فَغَضَّ طَرَفَا فِيهِ أَسْقَامُ

قَدْ أَتَقَنَّا صُنَاعَهُ بُنْيَانَهُ فَأَتَى الْمَرْخِفُ زَانَهُ وَتَأَنَّقَا
 وَرَى دُرُوسَ الْعِلْمِ فِيهِ دَائِمًا فِي كُلِّ فَنٍ مَنْ تَدَاوَلَهُ رَقَى
 وَأَلَاثُ هَاتِيكَ الْمَآذِنِ تَجَلَّى مِثْلَ الْعَرَائِسِ قَدْ لَبَسْنَ أُلَيْمًا
 مِنْ فَوْقِهَا أَهْلُ الْأَذَانِ تَرَسَّلُوا بَرَّثُمُ يُشْجِي الْفُؤَادَ الشَّيْقَا
 وَالْعَشْرَةُ الْأَبْوَابُ لَمَّا أَنْ زَهَتْ فَتَحَتْ عَلَى الْمُشْتَاقِ بَابًا مُغْلَقًا
 يَا حَبْنَكَ الصَّنْعُ أَشْرَقَ وَأَنْجَلَى فَقَدَا بِهِ مَا أَلْسِمَ مُرْقِرًا
 فِيهِ الصَّحَابُ رَوَاحِيًا وَغَوَادِيَا مَا بَيْنَهُ وَتَجْمَعَا وَتَفَرَّقَا
 مِنْ حَوْلِهِ الْأَسْوَاقُ تُشْرِقُ فِي الدُّجَى مِثْلَ النَّهَارِ بِمَا يَبْهَا قَدْ عَلَقَا
 فِيهَا تَرَى مَا تَشْتَهِي وَتَلَذُّهُ وَيُوتُ قَهْوَاتٍ شَذَاهَا عَبَقَا
 هِيَ شَامِنَا أَعْلَى الْإِلَهِ مَنَارَهَا وَمِهَا أَدَامَ اللَّهُ عَيْنَا رَيَقَا
 لَمْ تَرْضَ عَيْنِي غَيْرَهَا مِنْ مَنْظَرٍ وَلِذَا تَرَى قَلْبِي بِهَا مُتَعَلِّقَا

وسقف الجامع كله من خارج الواح رصاص . واعظم ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالحراب
 وهي سامية في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من
 الحراب الى الصحن . والقبة قد اغصت الهواء فاذا استقبلتها رأيت مرأى هائلا . ومن اي جهة
 استقبلت البلد ترى القبة في الهواء كأنها معلقة في الجو . وعدد شعائرها الزجاجية المذهبة الملونة
 اربع وسبعون . فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انعكس الشعاع الى كل لون منها واتصل
 ذلك بالجدار القلبي . ويتصل بالابصار منها اشعة ملونة هائلة لا تبلغ العبرة تصورها . وعجابه
 من العجب الحاريب الاسلامية حسنا وغرابة صنعة يتقد ذهابا كله . قد قامت في وسطه محاريب
 صفار متصلة بجداره تحفها سوريات مفتولات قتل الاسورة . فانها عنروطة بعضها احمر كأنها
 مرجان لم ير شيئا اجمل منها . وله اربعة ابواب وباب جبرون اعظمها وله والغربي دهليز
 متسع يفضي كل دهليز منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة . فبقيت على حالها
 ثم ذكر ابن جبير في الصحن عجائب من الابنية والقباب والمياه المدبرة فيه ما يطول وصفه
 واختصاره انه قال : هذا الصحن من اجمل المناظر واحسنها . وللجامع اربع سقايات في كل جهة

كَيْفَ انْجَحَتْ يَخْرُجُ نَحْوَكْ مَاؤُهُ وَإِلَيْكَ يَرْكُ كُلُّ عُصْنٍ أَوْرَقًا
 يَا حَبْذَا إِشْرَاقُ مَرْجَبِهَا أَلَّتِي أَضْحَى غَنِيَّ أَلْهَمَ فِيهَا مُثْلَقًا
 وَتَلَاعَبَتْ فُرْسَانُهَا وَتَرَكَضَتْ مَا بَيْنَهَا تَمَلُّوْا أَلْيَادَ السُّبْقَا
 ضَحَكَتْ أَزَاهِرُهَا عَلَى أَغْصَانِهَا فَأَتَى التَّسِيمُ يُمِيلُهُنَّ وَصَفَقَا
 قَدْ دَنَدَنْتْ أَنْهَارُهَا فِي جَرِيهَا لَمَّا تَنَدَّدَا ذَاكَ الْحَمَامُ وَشَفَقَا
 وَالصَّالِحِيَّةُ يَالَهَا مِنْ مَنَزَلٍ فِيهَا قُبُورُ الصَّالِحِينَ أُولِي التُّقَى
 وَبِهَا الْفُصُورُ الْعَالِيَاتُ تَخْرَفَتْ مِثْلَ النُّجُومِ زَهَتْ بِكُلِّ مَنْ أَرْتَقَى
 تَسْمُو عَلَى أَطْرَافٍ جَلَّقَ بَهْجَةً وَطَلَاوَةً فِيهَا السَّرُورُ تَحَقَّقَا
 سُقَيْتِ دِمَشْقُ الشَّامِ صُوبَ عَمَامَةٍ أَشْنَى عَلَى غِيَطَانِهَا فَتَدَقَّقَا
 كَمْ زَهَّةٍ لِلْعَيْنِ فِيهَا قَدْ زَهَتْ وَسَرَتْ عَلَى طَرَفِ الْهُومِ فَأَطْرَقَا
 مَا الْجَامِعُ الْأُمَوِيُّ (*) إِلَّا زَهَّةٌ فِيهَا تَرَاهُ بِالْعِبَادَةِ مُشْرِقَا

(٥) ذكر ابن جبير جامع دمشق قال : هذا الجامع من اشهر جوامع الاسلام حسنا
 واتقان بناء وغرانه صفة واحتفال تنميق وتزيين . اتدب لبنائه الوليد وبلغ الغاية في
 التأنيق فيه . وأثرت جذره كلها بقصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء . وخلطت بها انواع من
 الالصفة الغريبة قد مثلت انجارا وفرعت اغصانا منظومة بالفصوص بديع الصنعة المعجزة وصف
 كل واصف . فجاء يفشي العيون ويمضأ وريصا . وبلغت الفقة فيه احد عشر الف الف دينار
 ومائتي الف دينار . وطول هذا الجامع من الغرب الى الشرق ذره ثلاثمائة ذراع . وذره في
 السعة من القبلة الى الشمال مائتا ذراع . وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق الى
 المغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة . وقد قامت البلاطات على ثمانية وستين عمودا منها
 ٥٤ سارية وارجل واثنتان مرخمة ملصقة بالحدار الذي يلي الصحن . واربع ارجل مرخمة ابدع
 ترخيم مرصعة بقصوص من ارخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت محاريب واشكالا غريبة
 قائمة في البلاط الاوسط . ودور كل رجل منها اثنان وسبعون شبرا . ويستدير بالصحن بلاط من
 ثلاث جهاته سمته عشرين خطا . عدد قوائمه سبع واربعون منها اربعة عشر رجلا والباقي سوار .

الْبَابُ الْخَامِسُ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

هارون بن عبد الله والفيل

٣٠٩ قَالَ الْقُرَوِينِيُّ: كَانَ هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى الْأَزْدِ شَجَاعًا شَاعِرًا. وَلَمَّا حَارَبَ الْهِنْدُ الْمُسْلِمِينَ بِالْفِيلِ لَمْ يَقِفْ قُدَّامَ الْفِيلِ شَيْءٌ. وَقَدْ رَبَطُوا فِي خُرُطُومِهِ سِفًا هَذَا مَا طَوِيلًا ثَقِيلًا يَضْرِبُ بِهِ عَيْنًا وَشِمَالًا لَا يَرْفَعُهُ فَوْقَ رَأْسِ الْفِيلَيْنِ عَلَى ظَهْرِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ. فَوَثَبَ هَارُونُ وَثَبَةً أَعْجَلَهُ بِهَا عَنِ الضَّرْبِ وَلَزِقَ بِصَدْرِ الْفِيلِ وَتَعَلَّقَ بِأَنْيَابِهِ. فَجَالَ بِهِ الْفِيلُ جَوْلَةً كَأَنَّهُ يَخْطُمُهُ مِنْ شِدَّةِ مَا جَالَ بِهِ. وَكَانَ هَارُونُ شَدِيدَ الْخُلُقِ رَاضِيًا بِالْجَاشِ. فَأَعْتَمَدَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ عَلَى نَائِيهِ وَأَصْلُهُمَا مُجُوفٌ فَأَنْقَلَعَتَا مِنْ أَصْلِهِمَا. وَأَذْبَرَ الْفِيلُ وَبَقِيَ النَّابَانِ فِي يَدَيْ هَارُونِ. وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ هَزِيمَةِ الْهِنْدِ وَغَنَمِ الْمُسْلِمُونَ. فَقَالَ هَارُونُ فِي ذَلِكَ:

مَشَيْتُ إِلَيْهِ رَادِعًا مُتَمَهِّلًا وَقَدْ وَعَلُوا خُرُطُومَهُ بِحُسَامٍ
فَقُلْتُ لِنَفْسِي إِنَّهُ الْفِيلُ ضَارِبًا بِأَبْيَضٍ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ هَذَا
فَإِنِّي تَكَايِي مِنْهُ فَعُذْرُكَ وَأَخْخُجْ لَدَى كُلِّ مَنُخَوَّبِ الْفُؤَادِ عِبَامٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ السِّيفَ فِي رَأْسِ هَضْبَةٍ كَمَا لَاحَ بَرْقٌ مِنْ خِلَالِ غَمَامٍ
فَصَافَسْتُهُ حَتَّى لَزِقْتُ بِصَدْرِهِ فَلَمَّا هَوَى لَزِمْتُ أَيْ لَزَامُ
وَعَذْتُ بِنَائِيهِ وَأَذْبَرُ هَارِبًا وَذَلِكَ مِنْ عَادَاتِ كُلِّ مُحَارِبٍ

لَهُ أَيَّامٌ تَقْضَتْ لِي بِهَا مَا زِلْتُ نَحْوَ ظِلَالِيهَا مُتَشَوِّقًا
 هِيَ مَنْشَأِي لَا حَاجِرٌ وَطَوِيلِعُ وَمَحَلُّ أَنْسِي لَا أَلْوَدُّ وَلَا أَلْتَقَا
 وَطَنِي وَأَوَّلُ مَا وَطِئْتُ بِهَا الثَّرَى لَا زَالَ عَيْشِي عَنْ حِمَاهَا مُطْلَقًا
 لَدَى يَا فُؤَادَ بِمَا بِهَا مِنْ مَعَشَرٍ إِنْ سَامَكَ الْخُطْبُ الْمُهُولُ فَأَقْلَقَا

سقاية وأَعْظَمَهَا سقاية باب جيرون . وذكر أن حَوْلَ مَابَ جيرون من الابنية الغربية ما يطول وصفه . وذكر باب جيرون فقال : يخرج من دهليز الى بلاط طويل عريض لَهُ خَمْسَةُ ابواب مقوَّسة لها ستة اعمدة في جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه راس الحسين قبل أن ينقل الى القاهرة بازائه مسجد صغير لمُعر بن عبد العزيز . وقد انتظمت امام البلاط ادراج يتخدر عليها الى الدهليز وهي كالخندق العظيم متصل الى باب عظيم الارتفاع يتحير الطرف دونه سُمُوًا . قد حَفَّتْهُ اعمدة كالجدوع طولًا وكالاطواد ضخامة وبجاني الدهليز اعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوائث العطارين وغيرهم . وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت للكرام شرفة على الدهاليز . وفوقها سطح بيت فيه سكان الحجر والبيوت وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة ثَقُلَهَا اعمدة من الرخام . وفي وسط الحوض ابواب صُغُر يَرِجُ الماء بقوة فيرتفع في الهواء ازيد من القامة . وحوله انايب صغار ترمي الماء علوًا فتخرج منها كفضبان اللبن فكأحما اغصان تلك الدوحة المائتة . ومطرها ابدع من ان يوصف . وعن عين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي امامه تَبْهُ عُرْفَةٌ لها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيقان من صُغُر وقد فتحت ابوابًا صُغَرًا على عدد ساعات النهار ودُبُرَت تدابير هندسية . فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صمغتان من صُغُر من في بازيتين من صُغُر قائمتين على طاستين من صُغُر مثقوبتين فبصر البازيتين يمدان اعاقهما بالبندقيتين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بدبير عجيب تتحلبه الاوهام سحرًا . فعند وقوعها يسمع لها دوي فيعودان من الانجاب الى داخل الجدار الى العرفة وينطلق باب تلك الساعة بلوح اصفر . فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات فتتعلق الابواب كلها . ثم تعود الى حالها الأول ولها بالليل تدبير آخر . وذلك ان في القوس المنعطف على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من الخاس محزومة في كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة . فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وافاض على الدائرة شعاعًا فلاحت دائرة محزومة ثم ينقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل . وقد وكل بها من يدبر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصنع الى موضعه وهي التي تُسَمَّى المقاتة . ثم ذكر في دمشق عجائب ليس من غرضنا اثباتها (للشريشي)

قَصَّيْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ . وَالْأَمْرُ فِيهَا إِلَيْكَ . إِعْلَمْ أَيُّ عَرِيمٍ مِنَ الْعَرَبِ
 الْعَرَبَاءُ نَبْتُ فِي مَنَازِلِ الْبَادِيَةِ . وَصَبَّغَتْ عَلَيَّ أَسْوَدُ السِّنِينَ الْعَادِيَةِ .
 فَأَقْبَلْتُ إِلَى ظَاهِرِ هَذَا الْبَلَدِ . بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ . فَأَنْصَبْتُ بِي
 بَعْضُ طَرِيقِهَا . إِلَى الْمَسِيرِ بَيْنَ حَدَايِقِهَا . بِنِيَّاقٍ إِلَيَّ حَبِيبَاتٍ . عَلَيَّ
 عَزِيزَاتٍ . بَيْنَهُنَّ فُحْلُ كَرِيمٍ الْأَصْلِ . كَثِيرُ النَّسْلِ . مَلِيجُ الشَّمَكْلِ .
 حَسَنُ النَّسَاجِ . يَمِشِي بَيْنَهُنَّ كَأَنَّهُ مَلِكٌ عَلَيْهِ تَاجٌ . فَدَنِمْتُ النَّوْقُ إِلَى
 حَدِيقَةٍ قَدْ ظَهَرَ مِنَ الْحَانِطِ شَجَرُهَا . فَتَنَاوَلْتُهَا بِعِشْرِهَا . فَطَرَدْتُهَا
 عَنْ تِلْكَ الْحَدِيقَةِ فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ ظَهَرَ . وَتَسَوَّرَ الْحَانِطَ وَزَفَرَ . فِي يَدِهِ
 أَلْيَمْنِي حَجْرٌ . يَتَأَدَّى كَأَلَيْثٍ إِذَا خَاطَرَ . فَضَرَبَ الْفُحْلَ بِذَلِكَ الْحَجَرِ
 فَأَصَابَ مَقْتَلَهُ وَأَبَادَهُ . فَلَمَّا رَأَيْتُ الْفُحْلَ سَاطَ لَحْنِهِ وَأَنَقَابَ .
 تَوَقَّعْتُ فِي جَرَاتِ الْغَضَبِ . فَتَنَاوَلْتُ ذَلِكَ الْحَجَرَ بِعَيْنِهِ فَضَرَبْتُهُ
 بِهِ . فَكَانَ سَبَبَ حَيْنِهِ وَلَيْتِي سُوءَ مُنْقَلَبِهِ . وَالْمَرْءُ مُقْتُولٌ بِمَا قَتَلَ بِهِ .
 بَعْدَ أَنْ صَاحَ صَيْحَةً عَظِيمَةً . وَصَرَخَ صَرْخَةً أَلِيمَةً . فَأَمْرَعْتُ هَارِبًا
 مِنْ مَكَانِي . فَلَمْ أَكُنْ بِأَسْرَعٍ مِنْ هَذَيْنِ الشَّابَّيْنِ فَأَمْسَكَا نِي .
 وَأَحْضَرَانِي كَمَا تَرَانِي . قَالَ عُمَرُ : قَدْ اعْتَرَفْتَ . بِمَا اقْتَرَفْتَ . وَتَعَذَّرَ
 الْخَلَّاصُ . وَوَجِبَ الْفَصَاصُ . وَلَاتَ حِينَ مَنَاصُ . فَقَالَ الشَّابُّ :
 سَمِعَا وَطَوَعَا لِمَا حَكَّمَ الْإِمَامُ . وَرَضِيْتُ بِمَا اقْتَضَتْهُ شَرِيعةُ الْإِسْلَامِ .
 وَلَكِنْ لِي أَخٌ صَغِيرٌ . كَانَ لَهُ أَبٌ خَيْرٌ . خَصَّهُ قَبْلَ وَقَاتِهِ بِأَلِ جَزِيلٍ .
 وَذَهَبٍ جَلِيلٍ . وَأَحْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيَّ . وَسَلَّمْ أَمْرُهُ إِلَيَّ . وَأَشْهَدُ لِلَّهِ

الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء ١

٣١٠ حكي أَنَّهُ بَيْنَمَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ جَالِسًا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَعِنْدَهُ أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ . وَأَهْلُ الرَّأْيِ وَالْإِهَابَةِ . وَهُوَ فِي الْقَضَايَا . يَخُكُّكُمْ بَيْنَ الرَّعَايَا . إِذَا أَقْبَلَ شَابٌّ مِنْ أَحْسَنِ الشَّبَابِ . نَظِيفُ الْأَثْوَابِ . يَكْتَفُهُ شَابَانٌ مِنْ أَحْسَنِ الشَّبَابِ أَيْضًا . وَقَدْ جَذَبَاهُ وَسَجَّاهُ . وَأَوْقَفَاهُ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَبَّاهُ . فَلَمَّا وَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ . نَظَرَ إِلَيْهِمَا وَإِلَيْهِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَحْنُ أَخَوَانِ شَقِيقَانِ . جَدِيرَانِ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ حَقِيقَانِ . كَانَ لَنَا أَبُو شَيْخٍ كَبِيرٌ . حَسَنُ التَّدْبِيرِ . مُعَظَّمٌ فِي قَبَائِلِهِ . مُنَزَّهٌ عَنْ رَذَائِلِهِ . مَعْرُوفٌ بِفَضَائِلِهِ . رَبَّنَا نَا صَغَارًا . وَأَوْلَا نَا مِتْنَا غَرَارًا . كَمَا قِيلَ فِي الْمَعْنَى :

لَنَا وَالِدُلُوكَانَ لِلنَّاسِ مِثْلُهُ أَبٌ آخَرُ أَغْنَاهُمْ بِالْمُنَاقِبِ
فَخَرَجَ الْيَوْمَ إِلَى حَدِيقَةٍ لَهُ يُنْتِزَهُ فِي أَشْجَارِهَا . وَيَقْتَطِفُ بِأَنَعِ
أَثْمَارِهَا . فَقَتَلَهُ هَذَا الشَّابُّ . وَعَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ . فَتَسَاءَلَكَ
الْفَصَاصَ عَمَّا جَنَاهُ . وَالْحُكْمَ فِيهِ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ . قَالَ الرَّأْيِي : فَظَنَرَ
عُمَرُ إِلَى الشَّابِّ . وَقَالَ لَهُ : قَدْ سَمِعْتَ فَمَا الْجَوَابُ . وَالْقَلَامُ مَعَ ذَلِكَ
ثَابِتُ الْجَنَانِ . خَالَ عَنِ الْإِسْتِحْشَاءِ . قَدْ خَلَعَ ثِيَابَ الْهَلَعِ . وَتَرَعَ
لِبَاسَ الْجُرْعِ . فَتَبَسَّمَ عَنْ مِثْلِ الْجُمَانِ . وَتَكَلَّمَ بِأَفْضَحِ لِسَانٍ . وَحَيَّا
بِكَلِمَاتٍ حِسَانٍ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ لَقَدْ وَعَيْتَا . فِي مَا أَدْعَيْتَا .
وَصَدَقَا . فِي مَا نَطَقْنَا . وَأَخْبَرَا بِمَا جَرَى . وَعَبَّرَا عَمَّا طَرَا . وَسَأْنَهِي

الشَّيْخُ . فَعَرَضَ كِبَارُ الصَّحَابَةِ عَلَى الشَّابَّيْنِ اخْذَ الدِّيَةِ . وَاعْتَبَامَ
 الْأَثْنِيَّةَ . فَأَصْرَأَ عَلَى عَدَمِ الْقَبُولِ . وَأَيَّاءُ إِلَّا الْأَخْذَ بِثَارِ الْمُقْتُولِ . فَبَدَأَ
 النَّاسُ يَوجُونَ تَلَهُفًا لِمَا مَرَّ . وَيَصِيحُونَ تَأْسَفًا عَلَى أَبِي ذَرٍّ . إِذَا أَقْبَلَ
 الْغُلَامُ . وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْإِمَامِ . وَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَمَّ سَلَامٍ . وَوَجْهُهُ يَتَهَلَّلُ
 مُشْرِقًا . وَيَتَكَلَّلُ عَرَقًا . وَقَالَ : قَدْ أَسَلَمْتُ الصَّبِيَّ إِلَى أَخَوَالِي . وَعَرَفْتُهُمْ
 خَفِيَّ أَخَوَالِي . وَأَطْلَعْتُهُمْ عَلَى مَكَانِ مَالِهِ وَأَمْوَالِي . ثُمَّ أَقْتَحَمْتُ
 هَاجِرَاتِ الْحَرِّ . وَوَفَيْتُ وَفَاءَ الْحُرِّ الْأَعْرَجِ . فَحَبَّبَ النَّاسُ مِنْ صَدَقِهِ
 وَوَفَائِهِ . وَانْقَادَ عَلَيْهِ عَلَى الْمَوْتِ وَاجْتِرَانِهِ . فَقَالَ : مَنْ غَدَرَ . لَمْ يَعْفُ عَنْهُ
 مَنْ قَدَرَ . وَمَنْ وَفَى . رَحِمَهُ الطَّالِبُ وَعَفَا . وَتَحَقَّقَتْ أَنَّ الْمَوْتَ إِذَا
 حَضَرَ لَمْ يُنَجَّ مِنْهُ أَحْتِرَاسٌ . وَبَادَرْتُ كَيْ لَا يُقَالَ ذَهَبَ الْوَفَاءُ مِنْ
 النَّاسِ . فَيَقَالُ أَبُو ذَرٍّ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ صَحْنْتُ هَذَا الْغُلَامَ
 وَلَمْ أَعْرِفْهُ مِنْ أَيِّ قَوْمٍ . وَلَا رَأَيْتُهُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَلَكِنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ
 مَنْ حَضَرَ فَقَصَدَنِي . وَقَالَ : هَذَا يَضْمَنُنِي . فَلَمْ أَسْتَحْسِنِ رَدَّهُ . وَأَبَتِ
 الْمُرُوءَةُ أَنْ تُحِبَّ قَصْدَهُ . إِذْ لَيْسَ فِي إِجَابَةِ الْقَصْدِ مِنْ بَاسٍ . كَيْ لَا
 يُقَالَ : ذَهَبَ الْفَضْلُ مِنَ النَّاسِ . فَقَالَ الشَّابَّانِ عِنْدَ ذَلِكَ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ . قَدْ وَهَبْنَا لِهَذَا الْغُلَامِ دَمَ أَبِينَا . فَلْتُبْدَلْ وَحْشَتُهُ بِإِنْسَانٍ .
 كَيْ لَا يُقَالَ : ذَهَبَ الْمَعْرُوفُ مِنَ النَّاسِ . فَاسْتَبَشَرَ الْإِمَامُ . بِالْعَفْوِ
 عَنِ الْغُلَامِ . وَعَجِبَ مِنْ صَدَقِهِ وَوَفَائِهِ . وَاسْتَغْزَرَ مُرُوءَةَ أَبِي ذَرٍّ
 دُونَ جُلَسَائِهِ . وَاسْتَحْسِنَ اعْتِمَادَ الشَّابَّيْنِ فِي أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ

عَلَيَّ . وَقَالَ : هَذَا لِأَخِيكَ عِنْدَكَ . فَاحْفَظْهُ جَهْدَكَ . فَاتَّخَذَتْ لِدَيْكَ
مَدْفِنًا . وَوَضَعَتْهُ فِيهِ وَلَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا أَنَا . فَإِنْ حَكَمْتَ الْآنَ
بِقِتْلِي ذَهَبَ الذَّهَبُ . وَكُنْتَ أَنْتَ السَّبَبُ . وَطَالَ بَكَ الصَّغِيرُ بِحَبِّهِ .
يَوْمَ يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ . وَإِنْ أَنْظَرْتَنِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . أَقَمْتُ مَنْ
يَتَوَلَّى أَمْرَ الْغُلَامِ . وَعَدْتُ وَافِيًا بِالذِّمَامِ . وَلِي مَنْ يَضْمِنُنِي عَلَى هَذَا
الْكَلَامِ . فَأَطْرَقَ عَمْرُ سَاعَةً ثُمَّ نَظَرَ . إِلَى مَنْ حَضَرَ . وَقَالَ :
مَنْ يَقُومُ عَلَى ضَمَانِهِ . وَالْعُودُ إِلَى مَكَانِهِ . قَالَ : فَظَرَ الْغُلَامُ إِلَى
وُجُوهِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ النَّاطِرِينَ . وَأَشَارَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ دُونَ الْحَاضِرِينَ .
وَقَالَ : هَذَا يَكْفُنِي . وَهُوَ الَّذِي يَضْمِنُنِي . فَقَالَ عُمَرُ : أَتَضْمَنُهُ يَا أَبَا
ذَرٍّ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ أَضْمَنُهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَرَضِيَ
السَّابَّانِ بِضَمَانِ أَبِي ذَرٍّ . وَأَنْظَرَاهُ ذَلِكَ الْقَدْرَ . فَلَمَّا انْقَضَتْ مُدَّةُ
الْإِمَهَالِ . وَكَادَ وَقْتُهَا يَزُولُ أَوْ زَالَ . حَضَرَ السَّابَّانِ إِلَى مَجْلِسِ عُمَرَ .
وَالصَّحَابَةُ حَوْلَهُ كَالنَّجُومِ حَوْلَ الْقَمَرِ . وَأَبُو ذَرٍّ قَدْ حَضَرَ . وَالْخَصَمُ
يُنْتَظَرُ . فَقَالَا : أَيْنَ الْغَرِيمُ يَا أَبَا ذَرٍّ . وَكَيْفَ يَرْجِعُ مِنْ قَدَفٍ . فَلَا
نَبْرَحُ مِنْ مَكَانِنَا . حَتَّى تَفِي بِضَمَانِنَا . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَحَقُّ الْمَلِكِ
الْغُلَامِ . إِنْ أَنْقَضَى تَمَامَ الْأَيَّامِ . وَلَمْ يَخْضِرِ الْغُلَامُ . وَفِيَتْ بِالضَّمَانِ .
وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي بِاللَّهِ الْمُسْتَعَانَ . فَقَالَ عُمَرُ : وَاللَّهِ إِنْ تَأَخَّرَ الْغُلَامُ .
لَأَمْضِينَ فِي أَبِي ذَرٍّ مَا أَقْتَضَتْهُ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ . فِهَلَمْتَ عِبْرَاتِ
الْحَاضِرِينَ . وَارْفَضْتَ زَفَرَاتِ النَّاطِرِينَ . وَعَظُمَ الصَّعِيمُ . وَتَرَايَدَ

وَجَمَلَنِي مَعَ الْفَرَسَانِ لَرَأَى مِنِّي مَا يُغَيِّبُهُ . قَالَ الرَّاوي : فَبَجَبَ الْحُجَّاجُ مِنْ ثَبَاتِ عَقْلِهِ وَمَنْطِقِهِ . ثُمَّ قَالَ : يَا جَدْرُ إِنِّي قَادِفُ بَك فِي حَفَايِرِهَا أَسَدٌ عَظِيمٌ . فَإِنْ قَتَلْتُكَ كَفَانَا مَوْتُكَ . وَإِنْ قَتَلْتَهُ عَفَوْنَا عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ قَرُبَ الْقَرْجِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَأَمَرَ بِهِ فَصَفَّدُوهُ بِالْحَدِيدِ ثُمَّ كَتَبَ لَهُ أَمْلَهُ أَنْ يَرْتَادَ لَهُ أَسَدًا عَظِيمًا وَيَجْعَلَهُ إِلَيْهِ . فَأَرْتَادَ لَهُ الْعَامِلُ أَسَدًا كَرِيهَ الْمُنْظَرِ كَاشِرًا خَبِيثًا قَدْ أَفْنَى عَامَّةَ الْمَوَاشِي . وَأَمَرَ أَنْ يَصِيرَ فِي قَفْصِ حَدِيدٍ وَيُسْتَبَ الْقَفْصُ عَلَى عَجَلٍ . فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى الْعَجَلِ إِلَى الْحُجَّاجِ أَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ فِي الْحَفَايِرِ وَلَمْ يُطْعَمْ شَيْئًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَاعَ وَاسْتَكَبَ . ثُمَّ أَمَرَ بِجَدْرٍ أَنْ يُنْزِلُوهُ إِلَيْهِ فَأَعْطَوْهُ سَيْفًا وَأَنْزَلُوهُ إِلَيْهِ مُقَيَّدًا وَأَشْرَفَ الْحُجَّاجُ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَسَدِ مَا هُوَ صَانِعٌ بِجَدْرٍ . فَلَمَّا نَظَرَ الْأَسَدُ إِلَى جَدْرٍ نَهَضَ وَوَتَبَ وَتَمَطَّى وَزَارَ زَبِيرًا دَوَى مِنْهُ الْحِبَالُ وَارْتَاعَتْ مِنْهُ أَهْلُ الْأَرْضِ . فَشَدَّ عَلَيْهِ جَدْرٌ وَهُوَ يَقُولُ :

لَيْتَ وَلَيْتَ فِي مَجَالِ ضَنْكِ كِلَاهُمَا ذُو قُوَّةٍ وَسَفْكِ
وَصَوْلَةٍ وَبَطْشَةٍ وَفَتْكِ إِنْ يَكْشِفُ اللَّهُ قِتَاعَ الشَّاكِ

فَأَنْتَ لِي فِي قَبْضَتِي وَمُلْكِي

ثُمَّ دَنَا مِنْهُ وَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَقَلَقَ هَامَتَهُ . فَكَبَّرَ النَّاسُ وَأَعْجَبَ الْحُجَّاجُ وَقَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ مَا أُنْجِدُكَ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَلَخَّرَ مِنْ الْحَفَايِرِ وَفَكَ وَثَاقَهُ وَقَيْدَهُ . وَقَالَ لَهُ : اخْتَرِ إِمَّا أَنْ تُقِيمَ عِنْدَنَا فَتُكْرِمَكَ وَتُقَرَّبَ

وَأَنِّي عَلَيْهِمَا أَحْسَنَ ثَوَاءً وَثَقُلَ بِهِذَا أَلَيْتُ :
 مَنْ يَصْنَعُ الْحَيْرَ لَمْ يَدَمْ جَوَائِزُهُ لَا يَذْهَبُ الْعَرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
 ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصْرِفَ لهُمَا مِنْ بَيْتِ أُمِّالِ دِيَّةِ
 أَبِيهِمَا . فَقَالَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا عَفَوْنَا عَنْهُ أَبْتِغَاءَ لَوْجِهِ اللَّهِ . وَمَنْ
 نَيْتُهُ كَذَا . لَا يُتَّبَعُ إِحْسَانُهُ مِنَّا وَلَا أَذَى . قَالَ الرَّأْيِي : فَأَعَدَدْتُهَا
 مِنْ أَنْفَسِ الْحَبَائِبِ . وَأَبْتَلْتُهَا فِي دِيْوَانِ الْغَرَائِبِ (للالتيدي)

جحدور والسبع

٣١١ قِيلَ إِنَّ جَحْدَرَ بْنَ رَيْمَةَ كَانَ بَطْلًا شَجَاعًا فَاتَّجَسَّأَ شَاعِرًا بَلِيغًا .
 فَغَزَا أَهْلَ أَلْيَمَةِ وَأَبَادَهُمْ فَلَبَّغَ ذَلِكَ الْحُجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ . فَكَتَبَ إِلَى
 عَامِلِهِ يُوجِّهُهُ بِغُلَبِ جَحْدَرَ وَيَأْمُرُهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَثْمُلَهُ أَوْ يَحْمِلَهُ إِلَيْهِ
 أَسِيرًا . فَوَجَّهَ الْعَامِلُ إِلَيْهِ فِتْيَةً مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ وَجَعَلَ لَهُمُ الْجَعَائِلَ
 الْعَظِيمَةَ إِنْ هُمْ قَتَلُوا جَحْدَرَ أَوْ آتَوْا بِهِ أَسِيرًا . فَتَوَجَّهَ الْفِتْيَةُ إِلَى طَائِفَةٍ
 فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ مَكَانِهِ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْإِنْقِطَاعَ
 إِلَيْهِ وَالْقِيَامَ بِخِدْمَتِهِ . فَوَثَّقَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ وَسَكَنَ إِلَى قَوْلِهِمْ . فَيَدْنَاهُ
 مَعَهُمْ يَوْمًا إِذْ وَثَبُوا إِلَيْهِ فَشَدُّهُ وَثَاقًا وَقَدَّمُوا بِهِ إِلَى الْعَامِلِ . فَوَجَّهَهُ
 مَعَهُمْ إِلَى الْحُجَّاجِ . فَلَمَّا قَدَّمُوا بِهِ عَلَيْهِ مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ . قَالَ لَهُ : أَنْتَ
 جَحْدَرُ . قَالَ : نَعَمْ أَضْلَعَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . قَالَ : مَا جَرَّكَ عَلَى مَا بَلَغَنِي
 عَنْكَ . قَالَ : أَضْلَعَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . كَلَبُ الزَّمَانِ . وَخَفَؤُ السُّلْطَانِ .
 وَجَرَاءَةُ الْجَنَانِ . قَالَ : وَمَا بَأْسٌ مِنْ أَمْرِكَ . قَالَ : لَوْ أَبْتَلَانِي الْأَمِيرُ

بِهِ حَصِيرٌ وَبَسَاطٌ وَوُسْدٌ نَظِيفَةٌ مِنْ جُلُودٍ . ثُمَّ إِنَّ الْأَسْوَدَ أَعْلَقَ عَلَى
 الْبَابِ وَمَضَى . فَتَوَهَّمْتُ أَنَّهُ سَمِعَ بِجَمَالِهِ الْمَأْمُونِ لِلَّذِي يَأْتِيهِ بِي وَطَمَعَ
 بِالرَّيْحِ وَخَرَجَ يَدُلُّ عَلَى قَبِيضَتِ أَثَقَلَى عَلَى جَمْرِ الْغَضَا . فَيَنِمَّا كُنْتُ
 أَفَكِّرُ فِي ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ وَمَعَهُ حَمَالٌ حَامِلٌ كُلِّ مَا يَخْتِاجُ إِلَيْهِ مِنْ خُبَرٍ
 وَلَحْمٍ وَفَدْرًا جَدِيدَةً وَجِرَّةً نَظِيفَةً وَكِيْرًا جَدْدًا فَحَطَّهَا عَنْ الْحَمَالِ
 وَقَالَ لَهُ : أَمَضِرْ بِخَيْرٍ . فَخَرَجَ وَأَقْفَلَ وَرَاءَهُ بَابَ الدَّارِ وَجَاءَ إِلَيَّ وَقَالَ
 لِي : جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا مَوْلَايَ إِنِّي رَجُلٌ حَجَّامٌ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَتَقَدَّرُ
 مِنِّي لِمَا أَتَوَّلَاهُ مِنْ مَعِيشَتِي . فَشَأْنُكَ أَنْتَ بَمَا لَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ يَدِي . قَالَ
 إِبْرَاهِيمُ : وَكُنْتُ شَدِيدَ الْجُوعِ وَلِي حَاجَةٌ عَظِيمَةٌ إِلَى الطَّعَامِ فَطَبَخْتُ
 لِنَفْسِي قَدْرًا لَمْ أَذِرْ فِي عُمْرِي أَنِّي أَكَلْتُ الذِّمْنِهَا . فَلَمَّا قَضَيْتُ
 أَرْبِي مِنَ الطَّعَامِ قَالَ لِي الْأَسْوَدُ : هَلْ لَكَ يَا مَوْلَايَ فِي شَرَابٍ
 فَإِنَّهُ يَنْفِي الْهَمَّ وَيَدْفَعُ الْغَمَّ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَكْرَهُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي
 مُوَانَسَتِكَ . فَمَضَى وَجَاءَ بِي بِقَدَحٍ وَبَدَسْتُ مَلَانَ شَرَابًا مُطَيَّبًا وَقَالَ
 لِي : رَوِّقْ لِنَفْسِكَ مَخَافَةً أَنْ تَتَقَدَّرَ مِنِّي . فَظَرْتُ فِي الدُّسْتِ
 قَرَأْتُ شَرَابًا فِي غَايَةِ الْجُودَةِ قَرَوْتُ مِنْهُ . ثُمَّ أَتَانِي بِفَاكِهَةٍ وَأَبْقَالَ
 مُخْتَلَفَةٍ . وَبَعْدَهُ قَالَ لِي : يَا مَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَقْعُدَ فِي نَاحِيَةٍ
 أَمَامَكَ وَأَتِي بِشَرَابٍ لِي فَأَشْرِبَهُ سُرُورًا بِكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَفْعَلْ
 فَشَرِبَ وَشَرِبْتُ . ثُمَّ دَخَلَ إِلَى خِزَانَتِهِ لَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهَا عُودًا وَقَالَ
 لِي : لَيْسَ مِنْ قَدْرِي أَنْ أَسْأَلَكَ فِي الْفِنَاءِ وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ

مَنْزِلَتِكَ . وَإِمَّا أَنْ نَأْذَنَ لَكَ فَتَلْحَقَ بِإِلَادِكَ وَتَشْرِطَ عَلَيْكَ أَنْ لَا تُحَدِّثَ مِنْكَرًا وَلَا تُؤْذِيَ أَحَدًا . قَالَ : بَلْ أَخْتَارُ صُحْبَتَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَعَمَلَهُ مِنْ سُمَارِهِ وَخَوَاصِهِ . ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَلَّاهُ عَلَى الْيَمَامَةِ وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ

عصيان ابرهيم بن المهدي على امير المؤمنين المأمون وما جرى له في اختفائه

٣١٢ حَكَى الْوَاقِدِيُّ قَالَ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهَدِيِّ أَخَا هَارُونَ الرَّشِيدِ لَمَّا آلَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ إِلَى الْمَأْمُونِ ابْنِ أَخِيهِ هَارُونَ الرَّشِيدِ لَمْ يُبَايِعْهُ بَلْ ذَهَبَ إِلَى الرَّيِّ وَادَّعَى فِيهَا الْخِلَافَةَ لِنَفْسِهِ . وَأَقَامَ مَا لِكُلِّهَا سَنَةً وَاحِدَةً عَشَرَ شَهْرًا وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا وَابْنُ أَخِيهِ الْمَأْمُونُ يَتَوَقَّعُ مِنْهُ الْإِنْفِيَادَ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْإِنْتِظَامِ فِي سَبِيلِ الْجَمَاعَةِ حَتَّى يَنْسَ مِنْ عَوْدِهِ . فَرَكِبَ بِحَيْلِهِ وَرَجَلِهِ وَذَهَبَ إِلَى الرَّيِّ وَحَاصَرَ الْمَدِينَةَ وَافْتَتَحَهَا وَدَخَلَهَا . قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ نَفْسِهِ : فَخَفْتُ عَلَى دِيٍّ وَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنْ دَارِي عِنْدَ الظُّهْرِ وَأَنَا لَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ أَتَوَّجَّهُ . وَكَانَ الْمَأْمُونُ قَدْ جَعَلَ لِمَنْ أَتَاهُ فِي مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَفِيمَا كُنْتُ سَائِرًا فِي الطَّرِيقِ إِذَا أَنَا بِرِفَاقٍ فَمَشَيْتُ فِيهِ فَوَجَدْتُهُ غَيْرَ نَافِذٍ . فَقُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إِنْ رَجَعْتُ عَلَى أَثَرِي يُرْتَابُ فِي أَمْرِي وَالشَّارِعُ غَيْرُ نَافِذٍ فَمَا الْحِيلَةُ . ثُمَّ نَظَرْتُ فَرَأَيْتُ فِي صَدْرِ الشَّارِعِ عَبْدًا أَسْوَدَ قَانِمًا عَلَى بَابِ دَارٍ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ أَقِيمُ بِهِ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ . فَقَالَ : نَعَمْ وَفَعَّعَ الْبَابَ . فَدَخَلْتُ إِلَى بَيْتٍ ظَلِيلٍ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَأَشْبَدَ عَلَيَّ الطَّرَبُ وَنِمْتُ وَلَمْ أَسْتَيْقِظْ إِلَّا بَعْدَ
 النَّسَاءِ . فَعَاوَدَنِي فِكْرِي فِي نَفَاسَةِ هَذَا الْحُجَّامِ وَحُسْنِ آدِيهِ . فَضَمْتُ
 ثُمَّ أَخَذْتُ خَرِيطَةً كَانَتْ صُحْبَتِي فِيهَا دَنَانِيرُ لَهَا قِيَمَةٌ . فَرَمَيْتُ بِهَا
 إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي هَذَا وَلَكَ
 عِنْدِي الزَّيْدُ إِنْ أَمِنْتُ مِنْ خَوْفِي . فَأَبَى أَخْذَهَا وَأَعَادَهَا عَلَيَّ بِعِزَّةٍ
 وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ إِنْ الصَّعَالِكَ مِنَّا لَا قَدَرَ لَهُمْ عِنْدَكُمْ . أَاخْذُ عَلَى
 مَا وَهَبَنِيهِ الزَّمَانُ قُرْبُكَ وَحُلُولَكَ فِي مَنْزِلِي غِنَى . وَاللَّهِ لَنْ رَاجَعْتَنِي
 بِهَا لَا قَتْلًا نَفْسِي . فَأَعَدْتُ الْخَرِيطَةَ إِلَى كُمِّي وَقَدْ أَثْقَلَنِي حَمْلُهَا
 وَأَنْصَرَفْتُ . وَلَمَّا أَتَيْتُ إِلَى بَابِ دَارِهِ قَالَ لِي : يَا سَيِّدِي إِنْ هَذَا
 الْمَكَانُ أَخْفَى لَكَ مِنْ غَيْرِهِ وَلَيْسَ عَلَيَّ فِي مَوَوتِكَ ثِقَلٌ فَأَقِمْ
 عِنْدِي إِلَى أَنْ يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْكَ . فَقُلْتُ لَهُ : بِشَرِّطٍ أَنْ تُثْفِقَ مِمَّا فِي
 هَذِهِ الْخَرِيطَةِ . فَأَوْهَمَنِي الرِّضَا بِذَلِكَ الشَّرِّطِ . فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ أَيَّامًا
 عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فِي الدِّعْشِ وَهُوَ لَمْ يَصْرِفْ مِنْ الْخَرِيطَةِ شَيْئًا .
 فَتَذَمَّتْ مِنَ الْأَقَامَةِ فِي بَيْتِهِ وَأَحْسَمْتُ مِنَ التَّثْقِيلِ عَلَيْهِ . فَتَرَيْتُ
 بَنِي النَّسَاءِ بِالْخُفِّ وَالتَّقَابِ وَوَدَعْتُهُ وَخَرَجْتُ . فَلَمَّا صِرْتُ فِي
 الطَّرِيقِ دَاخِلَنِي مِنَ الْخَوْفِ أَمْرٌ شَدِيدٌ وَجِئْتُ لِأَعْبُرَ الْجِسْرَ وَإِذَا
 بِمَوْضِعِ مَرَشُوشٍ فَنَظَرَنِي جُنْدِيٌّ مِمَّنْ كَانَ يُجَدِّمُنِي فَصَاحَ وَقَالَ :
 هَذَا حَاجَةُ الْمُأْمُونِ . ثُمَّ تَعَلَّقَ بِي فَمِنْ حَلَاوَةِ الرُّوحِ دَفَعْتُهُ هُوَ وَفَرَسُهُ
 فَوَقَعَا فِي ذَلِكَ الْمَرْلَقِ فَصَارَ عِبْرَةً . وَتَبَادَرَا النَّاسُ إِلَيْهِ فَاجْتَهَدَتْ

عَبْدَكَ يُغْنِي فَكَأَنَّكَ عَلُو الرَّأْيِ . قُلْتُ لَهُ : وَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَيُّ أَحْسَنُ
الْعَنَاءِ . فَقَالَ : يَا بُنَيَّ إِنَّ اللَّهَ . مَوْلَايَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَخْفَى أَلَسْتَ أَنْتَ
سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدِّي حَلِيفَتَنَا فِي الْأَمْسِ الَّذِي جَعَلَ الْمُأْمُونُ لِمَنْ
دَلَّهُ عَلَيْكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَلَمَّا تَبِعْتُ ذَلِكَ عَظَمَ الرَّجُلُ فِي عَيْنِي
وَتَبَّتْ مِرْوَةٌ تَهْ عِنْدِي . فَتَأَوَّلْتُ الْعُودَ وَأَصْلَحْتُهُ وَقَدْ مَرَّ بِخَطَرِي
فِرَاقُ أَهْلِي وَوُلْدِي وَوَطَنِي فَغَنَيْتُ :

وَعَسَى الَّذِي أَهْدَى لِيُوسُفَ أَهْلَهُ وَأَعَزَّهُ فِي السِّجْنِ وَهُوَ أَسِيرُ
أَنْ يَسْتَجِيبَ لَنَا وَيَجْمَعَ بَيْنَنَا وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدِيدُ
فَأَسْتَوِلِي عَلَيْهِ الطَّرْبُ الْمَفْرُطُ وَطَابَ خَاطِرُهُ وَقَالَ لِي : يَا سَيِّدِي
وَمَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُغْنِيَ مَا سَخَعَ بِخَطَرِي وَإِنْ كُنْتُ مِنْ غَيْرِ
أَهْلِ الصَّنَاعَةِ . قُلْتُ : وَهَذَا مِنْ زِيَادَةِ أَدَبِكَ وَمِرْوَةٍ بَكَ . فَأَخَذَ
الْعُودَ وَأَنَشَدَ :

شَكُونَا إِلَى أَحْبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا
وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّوْمَ يَغْشَى عِيُونَهُمْ سَرِيعًا وَلَا يَغْشَى لَنَا النَّوْمُ أَعْيُنَا
فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُلَاقُونَ مِثْلَنَا نُلَاقِي لَكَانُوا فِي الْمَضَاجِعِ مِثْلَنَا
قَالَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ أَخَانِي مِنَ الطَّرْبِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَأَذْهَبَ مِنِّي
كُلُّ مَا كَانَ بِي مِنَ الْهَلَعِ قُلْتُ لَهُ : لَقَدْ أَحْسَنْتَ كُلَّ الْإِحْسَانِ
وَأَذْهَبَتْ عَنِّي أَلَمُ الْأَحْزَانِ . فَرِذْنِي مِنْ هَذِهِ التَّرْهُاتِ فَأَنَشَدَ لِلسُّبُوحِ :
تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْنَا لَهَا إِنْ الْكِرَامَ قَلِيلُ

عِيَانًا . فَحَمَلُونِي بِالزَّيْطِ الَّذِي أَنَا فِيهِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ . فَقَعَدَ مَجْلِسًا عَامًّا
وَأَدْخَلَنِي إِلَيْهِ فَلَمَّا مَنَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ . فَقَالَ : لَا
سَلَامَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَا حَيَاكَ وَلَا رَعَاكَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلًا يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ وَلِيَّ الثَّغَارِ مُحْكَمٌ بِالْقِصَاصِ وَلَكِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى .
وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ عَهْوٍ كَمَا جَعَلَ ذَنْبِي فَوْقَ كُلِّ ذَنْبٍ . فَإِنْ
تَقَتَّلَ بَعْدَكَ وَإِنْ تَعَفُّوا فَمِنْ فَضْلِكَ . ثُمَّ أَلْشَدْتُ :

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
فَخُذْ بِحِمْلِكَ أَوْ لَا فَأُضْفَحْ بِحِمْلِكَ عَنْهُ
إِنْ لَمْ أَكُنْ عِنْدَ فِعْلِي مِنَ الْكِرَامِ فَذَنْهُ
قَالَ : فَرَقَعَ الْمُؤْمِنُونَ رَأْسَهُ وَنَظَرُوا إِلَيَّ فَبَدَرْتُهُ قَائِلًا :
أَتَيْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلٌ
فَإِنْ عَفَوْتَ فَمِنْ قَاتِلِ قَتَلْتَ فَعَدَلُ

فَرَّقَ لِي الْمُؤْمِنُونَ فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ قَدْ هَشَّ وَاسْتَرْوَحَتْ رَوَائِحُ
الرَّحْمَةِ مِنْ شَمَائِلِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ وَأَخِيهِ أَبِي إِسْحَاقَ وَجَمِيعِ مَنْ
حَضَرَ مِنْ خَاصَّتِهِ وَقَالَ لَهُمْ : مَاذَا تَرَوْنَ فِي أَمْرِهِ فَكُلُّ أَشَارٍ بِقَتْلِي
إِلَّا أَنَّهُمْ اُخْتَلَفُوا فِي الْقِتْلَةِ . فَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ : مَا تَقُولُ
يَا أَحْمَدُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَقَدْ وَجَدْنَا مِثْلَكَ قَدْ قُتِلَ
مِثْلُهُ . وَإِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ لَمْ نَجِدْ مِثْلَكَ قَدْ عَفَا عَنْ مِثْلِهِ . فَتَنَكَّسَ الْمُؤْمِنُونَ
رَأْسَهُ مُطْرِقًا إِلَى الْأَرْضِ سَاعَةً . ثُمَّ رَفَعَهُ وَأَنشَدَ :

أَنَا فِي الْمَشْيِ حَتَّى قَطَعْتُ الْجِسْرَ فَدَخَلْتُ شَارِعًا فَوَجَدْتُ بَابَ دَارٍ
وَأَمْرَأَةً وَاقِفَةً فِي الدَّهْلِيزِ . فَقُلْتُ لَهَا : يَا سَيِّدَةُ النِّسَاءِ أَحَقَّنِي دُمِّي
فَإِنِّي رَجُلٌ خَائِفٌ . فَقَالَتْ لِي : عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ . وَأَظْلَمَنِي إِلَى
غُرْفَةٍ وَفَرَشَتْ لِي فِرَاشًا وَقَدَّمَتْ لِي طَعَامًا وَقَالَتْ : هَدِي رَوْعَكَ
فَمَا عَلِمَ بِكَ مَخْلُوقٌ . فَبَيْنَمَا هِيَ كَذَلِكَ إِذَا بِالْبَابِ يُطْرَقُ طَرَفًا
عَنِيفًا . فَخَرَجَتْ وَفَتَحَتْ الْبَابَ وَإِذَا بِصَاحِبِ الَّذِي دَفَعْتُهُ عَلَى الْجِسْرِ
وَهُوَ مُشْدُوخُ الرَّأْسِ وَدَمُهُ يَسِيلُ عَلَى ثِيَابِهِ وَلَيْسَ مَعَهُ فَرَسٌ . فَقَالَتْ
لَهُ : يَا هَذَا مَا دَهَاكَ . فَقَالَ : إِنِّي ظَفِرْتُ بِالْغَنَى وَأَنْفَلْتُ مِثِّي .
وَأَخْبَرَهَا بِمَا جَرَى لَهُ . فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَصَائِبَ وَعَصَبَتْ رَأْسَهُ وَفَرَشَتْ
لَهُ فَنَامَ عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّهَا طَلَعَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ : أَظْنُكَ أَنْتَ صَاحِبُ
الْقَضِيَّةِ . فَقُلْتُ لَهَا : نَعَمْ . فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَلَا تَخَفْ . ثُمَّ
جَدَدَتْ لِي الْكِرَامَةَ فَأَقَمْتُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا . ثُمَّ قَالَتْ لِي : إِنِّي خَائِفَةٌ
عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ (وَعَنْتَ زَوْجَهَا) لِئَلَّا يَطْلُعَ عَلَيْكَ فَيَنِمَّ بِكَ .
فَالْأَوَّلَى بِكَ أَنْ تَنْجُو بِنَفْسِكَ فِي خَيْرٍ . فَسَأَلْتُهَا الْمُهَلَّةَ إِلَى اللَّيْلِ .
فَقَالَتْ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ . فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ لَبِسْتُ زِيَّ النِّسَاءِ وَخَرَجْتُ
مِنْ عِنْدِهَا وَأَتَيْتُ إِلَى بَيْتِ جَارِيَةِ لِي . فَلَمَّا رَأَيْتُنِي بَكَتْ وَتَوَجَّعَتْ
وَحَدَّتْ اللَّهُ عَلَى سَلَامَتِي وَخَرَجَتْ وَهِيَ تُؤْهِمُنِي أَنَّهَا تُرِيدُ السُّوقَ
لِلْإِهْتِمَامِ بِالصِّيَافَةِ وَظَنَنْتُ بِهَا خَيْرًا . فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ
قَدْ أَقْبَلَ بِحَبْلِهِ وَرَجَلِهِ وَالْجَارِيَةَ مَعَهُ . فَاسْتَدْنَيْتُ إِلَيْهِ فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ

الْمَأْمُونُ : يَا عَمُّ لَقَدْ أَمَتَ حِفْذِي بِحَيَاةِ عُذْرِكَ . وَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ .
 وَلَمْ أُجْرِعْكَ مَرَارَةً أَمْتَانِ الشَّافِعِينَ . ثُمَّ إِنَّ الْمَأْمُونَ سَجَدَ وَقَبَّلَ
 الْأَرْضَ وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِي : يَا عَمُّ أَتَدْرِي لِمَاذَا سَجَدْتُ وَقَبَّلْتُ
 الْأَرْضَ . فَقُلْتُ : نَعَمْ أَظْنُهُ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَظْفَرَكَ بَعْدَ
 دَوْلَتِكَ . فَقَالَ : مَا أَرَدْتُ هَذَا وَلَكِنْ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَلْهَمَنِي
 الْعَفْوَ عَنْكَ فَحَدَّثَنِي الْآنَ حَدِيثَكَ فِي اخْتِفَانِكَ . فَشَرَحْتُ لَهُ
 صُورَةَ أَمْرِي مَعَ الْحَجَّامِ وَالْجُنْدِيِّ وَأَمْرَاتِهِ وَمَا جَرَى لِي مَعَ جَارِيَتِي .
 فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِإِخْضَارِ الْجَمِيعِ . فَدَعَا جَارِيَتِي وَكَانَتْ مُنْتَظِرَةً لِلْجَائِزَةِ .
 فَقَالَ لَهَا : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ بِسَيِّدِكَ . فَقَالَتْ : الرِّغْبَةُ فِي الْمَالِ .
 فَقَالَ لَهَا الْمَأْمُونُ : أَلَيْكَ وَلَدٌ أَوْ زَوْجٌ . فَقَالَتْ : لَا . فَأَمَرَ بِضَرْبِهَا
 مِائَةَ سَوْطٍ وَخَلَدَ سِجْنَهَا . ثُمَّ أَحْضَرَ الْجُنْدِيَّ وَأَمْرَاتَهُ وَالْحَجَّامَ . فَسَأَلَ
 الْجُنْدِيَّ مَا حَمَلَهُ عَلَى مَا فَعَلَ . فَقَالَ : الرِّغْبَةُ فِي الْمَالِ . فَقَالَ لَهُ
 الْمَأْمُونُ : أَنْتَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حَجَّامًا لِتَتَعَلَّمَ الْحِجَامَةَ . ثُمَّ طَرَدَهُ مِنَ
 الْجُنْدِيَّةِ وَأَكْرَمَ زَوْجَتَهُ وَأَمَرَ فَأَدْخَلُوهَا قَصْرَهُ وَقَالَ : هَذِهِ أَمْرَاةُ
 عَائِلَتِكَ تَصْنَعُ لِلْمِهْمَاتِ . ثُمَّ أُلْفَتْ إِلَى الْحَجَّامِ وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ ظَهَرَ مِنْ
 مِرْوَةٍ تِلْكَ مَا يُوجِبُ الْمُبَالَغَةَ فِي إِكْرَامِكَ . فَسَلَّمَ إِلَيْهِ دَارَ الْجُنْدِيِّ بِمَا
 فِيهَا وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ رِزْقَ الْجُنْدِيِّ وَأَجْرَى لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ
 سَنَةٍ . فَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ النِّعْمَةِ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ (حَدِيقَةُ الْأَفْرَاحِ لِلْبَيْهَقِيِّ)

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيمَ أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
 (قَالَ) فَكَشَفْتُ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُنْعَمَةَ عَنْ رَأْسِي وَكَبَّرْتُ تَكْبِيرَةً عَظِيمَةً
 فَرَحًا وَقُلْتُ: عَفَا وَاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ الْمُأْمُونُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ
 يَا عَمَّاهُ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَتَفَوَّذَ مَعَهُ بِعُذْرٍ.
 وَعَفْوُكَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَنْطِقَ مَعَهُ بِشُكْرِ وَلَكِنِّي أَقُولُ:

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمَكَارِمَ حَازَهَا فِي صُلْبِ آدَمَ الْإِمَامِ السَّابِعِ
 مُلِئَتْ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْكَ مَهَابَةً وَتَظَلُّ تَكَلُّهُمُ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ
 فَعَفَوْتَ عَمَّنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ عَفْوٌ وَلَمْ يُشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعٍ
 وَرَحِمْتَ أَطْفَالَ كَأَفْرَاحِ الْقَطَا وَحَنِينَ وَالِدَةٍ بِقَلْبٍ جَارِعٍ
 فَقَالَ الْمُأْمُونُ: لَا تَثْرِبَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. وَقَدْ عَفَوْتَ عَنْكَ وَرَدَدْتَ
 عَلَيْكَ مَالَكَ وَضِيَاعَكَ بِأَجْمَعِهَا. فَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ وَأَنْشَدْتُ:

رَدَدْتَ مَا لِي وَلَمْ تَبْخُلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ رَدِّكَ مَا لِي قَدْ حَقَّقْتَ دِمِّي
 نَأَيْتُ مِنْكَ وَقَدْ خَوَّلْتَنِي نِعْمًا هُمَا الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمٍ
 فَلَوْ بَذَلْتُ دِمِّي أَبْنِي رِضَاكَ بِهِ وَالْمَالُ حَتَّى أَسْأَلَ النَّعْلَ مِنْ قَدَمِي
 مَا كَانَ ذَلِكَ سِوَى عَارِيَةٍ رَجَعْتُ إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تُعْرِهَا كُنْتُ لَمْ تُلَمَّ
 فَإِنْ حَجَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ * إِنِّي إِلَى الْيَوْمِ أَوْلَى مِنْكَ يَا الْكَرِيمَ
 فَقَالَ الْمُأْمُونُ: إِنَّ مِنْ أَلْكَالَامِ لَدَرًا وَهَذَا مِنْهُ. ثُمَّ خَلَعَ عَلَيَّ وَقَالَ
 لِي: يَا عَمُّ إِنَّ أَبَا اسْحَاقَ أَخِي وَالْعَبَّاسَ أَشَارَا عَلَيَّ بِقَتْلِكَ. فَقُلْتُ لَهُ:
 إِنَّهُمَا نَصَحَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ. فَقَالَ

كُونَ اللَّهُ حَذَبَةً فِيكَ إِنْ شِئْتَ مِنْ أَلْهَضِلَ لَا مِنْ الْأَنْصَالِ
فَأَتَتْ رُبُوبَةً عَلَى طُودٍ حِلْمٍ مِنْكَ أَوْ مَوْجَةً يَبْخِرُ نَوَالِ
مَا رَأَتْهَا النِّسَاءُ إِلَّا تَمَنَّتْ أَنَّهَا حَلِيَّةٌ لِكُلِّ الرِّجَالِ
٣١٦ قَالَ أَبُو دَانِيَالٍ فِي أَحَدَبَ يُتَمَّى حَسَّانَ :

قَسَمًا بِحُسْنِ قِوَامِكَ الْفَتَّانِ يَا أَوْحَدَ الْأَمْزَاءِ فِي الْخُدَّانِ
يَا مُشْبِهَ الْغَضَنِ الرُّطِيبِ إِذَا انْتَنَى مِنْ حَذَبَةٍ قِيمِيسُ كَالرَّيَّانِ
يَا مُنْجِلًا شَكْلَ الزَّمَانِ بِقَدَمِهِ حَاشَاكَ أَنْ تَمْرَى إِلَى نُفُوسَانِ
مَا عَابَ قَامَتِكَ الْحُسُودُ جَهَالَةً إِلَّا أَحْبَبْتَ مَمَالَةَ بِيَّكَانِ
هَلْ تَحْسُنُ الْحَرَكَاتُ إِلَّا أَنْ يُرَى ذُو حَذَبَةٍ فِي حَلَبَةِ الْمِيدَانِ
لَوْلَاكَ مَا أَشْتَقْنَا قِبَابَ الْمُتَحَنَّى مِنْ حَاجِرٍ وَالتَّلَّ مِنْ عُسْفَانِ
وَالْعُودُ أَحَدَبُ وَهُوَ يُلْهِي مُطَرِبًا وَأَقْدَمَتْ نِعْمَةً الْعِيدَانِ
وَأَنْظُرْ سَفِينِ الْبَحْرِ لَوْلَا حَذَبُهُ فِي ظُهُورِهِ لَمْ يَقْوِ الطُّرُوفَانِ
وَمُدِّرُ الْأَكْسِيرِ يُدْعَى أَحَدَبًا فِي عِلْمِهِ وَالْقِسْطُ فِي الْمِيزَانِ
وَإِذَا اكْتَسَى الْإِنْسَانُ قِلَ تَمَثَّلَا بِالْمَدْحِ قَامَتْ حَذَبُهُ الْإِنْسَانِ
يَفْدِيكَ فِي الْخُدْبَانِ كُلِّ مُكَرَّبٍ يُمِشِي الْهُوَيْنَا مِشْيَةَ السَّرَطَانِ
مُنْجِمِ الْكَتِفَيْنِ أَقُوسَ قَدْ بَدَا فِي هَيْئَةِ الْمُتَخَوِّفِ الضَّعْفَانِ

الطيب والحليمة

٣١٧ يُحْكِي أَنْ فَلَاحًا حَصَلَ لَهُ شِدَّةٌ مِنْ مَرَضٍ آَلَمَهُ وَأَصَابَ قَدَمَهُ
فَجَاءَ إِلَى طَيْبٍ وَشَكَا إِلَيْهِ الْأَلَامَ وَقَالَ: أَلَمْ يَكُنْ فِي رِجْلِي ضَائِفٌ هَمِي

الْبَابُ السَّادِسُ عَشَرَ
فِي الْفَكَاهَاتِ

٣١٣ كَتَبَ ابْنُ الْحَازَنِ الْكَاتِبُ الدِّيَوَرِيُّ إِلَى الْحَكِيمِ أَبِي
الْقَاسِمِ الْأَهْوَازِيِّ وَقَدْ فَصَدَهُ وَالْمُه :

رَحِمَ إِلَاهُ مُجَدِّلِينَ سَلِيمُهُمْ مِنْ سَاعِدَيْكَ مُبَضَّعٌ مُبَضَّعٌ
فَعَصَابُ تَأْتِيهِمْ بِعَصَابٍ نُشِرَتْ فَطُوي أذْرَعًا فِي الْأَذْرَعِ
أَفْصَدَتْهُمْ بِاللَّهِ أَمْ أَفْصَدَتْهُمْ وَخَرَا بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ الشَّرْعِ
دَسْتُ الْمُبَاضِعِ أَمْ كِنَانَةٌ أَنَّهُمْ أَمْ ذُو الْفَقَارِ مَعَ الْبَطِينِ الْأَنْزَعِ
غَرَرًا بِنَفْسِي إِنْ لَقِيتُكَ بَعْدَهَا يَا غَنَرُ الْعَبْسِيِّ غَيْرَ مُدْرِعِ
٣١٤ كَتَبَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ إِلَى صَاحِبِهِ لِيُطْلَبَ خُمْرًا :

أَشْكُو إِلَيْكَ بِرَأْيِيهَا بَلِيتُ بِهَا سُودًا إِذَا أَنْتَبَهُوا فِي اللَّيْلِ لَمْ أَنْتَبِهْ
أَصِيدُ هَذَا فَيَبْقَى ذَا فَيَلْدَغُنِي فَيَنْقُضِي اللَّيْلُ فِي صَيْدِي وَلَدَغِهِمْ
وَقَدْ تَيَقَّنْتُ أَنِّي لَيْسَ يُنْقِذُنِي سِوَى ابْنَةِ الْكَرَمِ يَا ابْنَ الْجُودِ وَالْكَرَمِ
إِبْعَثْ إِلَيَّ دَمَ الْعُقُودِ أَشْرِبَهَا لَكِنِّي أَنَامُ وَلَا أَشْعُرُ بِسَفْكَ دَمِي
٣١٥ قَالَ ابْنُ الدَّرَوِيِّ فِي ابْنِ أَبِي حُصَيْنَةَ الْأَحْدَبِ :

لَا تَطَنَّ حَذَبَةَ الظَّهْرِ عَيْنًا فَهِيَ فِي الْحُسْنِ مِنْ صِفَاتِ الْهَلَالِ
وَكَذَلِكَ الْفَسِيُّ مُحْدُودَاتٌ وَهِيَ أَنْكَى مِنَ الطُّبَا وَالْعَسْوَالِي
وَإِذَا مَا عَلَا السَّامُ فِيقِهِ لِقُرُومِ الْجَمَالِ أَيْ جَمَالِ

وَذَا مِنْ الْبَحْرِ بَحْرُ الصَّيْنِ مَعْدِنُهُ وَذَا مِنْ الْبَرِّ الْمَدْعُو بِبُرْبُورٍ
فَإِنْ رَأَيْتَ بِالْإِسْتِسْقَاءِ ذَا وَرَمٍ فَكُلْ تَوَرَّمٍ مِنْ لَسَعِ الزَّنَابِيرِ
إِنْ أَقْشَعَرَّ قُفْلُ بَرْدِ عَرَاهُ وَإِنْ يُحِمُّ قُلْ حَرَهُ وَهَجِ السَّكَايِيرِ
وَإِنْ أَتَاكَ مَرِيضٌ لَا تَخَفْ وَأَشِرْ بِمَا تَرَى مِنْ دَوَاءٍ دُونَهُ الْبُورِي
فَإِنْ يَعِشْ قُلْ دَوَائِي كَانَ مُنْعِشُهُ وَإِنْ يَمُتْ قُلْ أَتَاهُ حُكْمُ مَقْدُورِ
فَإِنْ أَصَبْتَ فَقُلْ عَلِمِي وَمَعْرِفَتِي وَفِي التَّخَالُفِ قُلْ ضِدُّ الْمَقَادِيرِ
وَإِنْ رَأَيْتَ فَصِيهَا فَرِّ مِنْهُ وَلَا تَنْطِقْ يُخْطِئُكَ فِي جَهْلِ وَتَكْفِيرِ
وَأَنْتَ تَحْتَاجُ فِي هَذَا وَذَاكَ إِلَى ذَوْقٍ وَمَعْرِفَةٍ مَعَ حُسْنِ تَدْبِيرِ
فَأَتَّفَقَ أَنْ زِمَامَ خَلِيفَةِ الْأَنَامِ رَأَى فِي الْمَنَامِ شَيْئًا هَالَهُ وَغَيْرَ
حَالَهُ فَحَصَلَ لَهُ فِي رَأْسِهِ صُدَاعٌ وَفِي فُؤَادِهِ أَوْجَاعٌ فَسَمِعَ بِهَذَا الْمُعْبَرِ
الْجَدِيدِ . وَأَنَّهُ أَسْتَاذٌ مُفِيدٌ . فَقَالَ : مَاذَا تَشْكُو . فَقَالَ : فِي فُؤَادِي
أَوْجَاعٌ . وَفِي رَأْسِي صُدَاعٌ . فَقَالَ : يَا زَيْنَ مَنْ فَاحِرٌ . أَعْطِنِي دِينَكَارًا
آخَرَ . أَصِفْ لَكَ أَيْسَرَ دَوَاءٍ . يَحْصُلُ لَكَ مِنْهُ الْعَافِيَةُ وَالشِّفَاءُ .
فَدَفَعَ إِلَيْهِ الدِّينَارَ . وَطَلَبَ مِنْهُ دَوَاءَ الدُّوَارِ . وَمَا بِفُؤَادِهِ مِنْ أَلَمٍ .
أَوْ بِرَأْسِهِ أَلُوحَجُّ وَالضَّرْمُ . فَقَالَ : يَا أَبَا الْفَيْضِ . صَمِّدْ رِجْلَكَ بِعُجَّةٍ بَيْضٍ .
مُصَافًا إِلَيْهَا عَسَلٌ مُسْتَأَرٌّ . وَلِيَكُنْ ذَلِكَ مُسْتَحْنًا بِالنَّارِ . فَاسْتَشَاطَ غَضَبًا .
وَفَارَ كَالنَّارِ شَوَاطِئًا وَلَهَبًا . وَعَرَفَ أَنَّهُ جَاهِلٌ . وَعَنْ طَرُقِ الْعِلْمِ غَافِلٌ .
فَادَّبَهُ التَّادِيبُ الْبَالِغُ . وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مُتَادِمَةِ السَّالِغِ . وَاسْتَمَرَّ
عَلَى كَلَاخَتِهِ . بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَى فَلَاحَتِهِ . (فَاكْهَمَةُ الْخُلَفَاءِ . لَابْنِ عَرَبِشَاهِ)

وَأَضَعَفَ هَمِي . فَقَالَ لَهُ الطَّيِّبُ : لَا بَأْسَ يَا حَبِيبُ هَذَا ذَا هَمِي .
وَعَلَّاجُهُ بَيْنَ . أَعْطِنِي دِينَارًا أَصِفْ لَكَ دَوَاءً شَافِيًا . فَأَعْطَاهُ مَا أَسْتَهَيَّ
وَأَسْتَوْصَفُهُ الدَّوَاءَ . فَقَالَ صَمِّدْهُ بِحُجَّةٍ بَيِّضَ كَثِيرَةٍ الْأَبْرَارِ . وَضَعْ عَلَيْهِ
عَسَلًا مُسَخَّأً عَلَى النَّارِ . فَفَعَلَ ذَلِكَ فَبَرَّتْ قَدَمُهُ . وَزَالَ بِالْكُلِّيَةِ أَلْمُهُ .
فَفَكَّرَ انْتِمَاحُ فِي أَمْرِ الطَّيِّبِ . وَقَوْلُهُ الْبُطِيبُ . فَرَأَى الرَّاحَةَ . فِي
تَرْكِ الْفَلَاحَةِ . وَالْإِسْتِغَالَ يَعْلَمُ الطَّبَّ فَإِنَّهُ أَمْرُهُ هَيْنَ يُسِيرُ . وَبِأَذْنِي
أَمْرِ حَقِيرٍ . يُحْصِلُ أَلْمَالُ الْكَثِيرَ . فَبَاعَ آتَاتِ الزَّرَّاعَةِ . وَعَزَمَ عَلَى تَعَاطِي
مَا فِي الطَّبِّ وَالتَّعْبِيرِ مِنَ الصَّنَاعَةِ . وَجَمَعَ كُتُبًا وَدَقَاقِيزَ . وَكَرَارِيسَ مُخَرَّمَةً
مَنَازِرَ . وَوَسَّعَ أَكْثَامَهُ . وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةً كَعِمَامَةِ . وَجَمَعَ عَقَاقِيرَ
وَأَوْرَاقًا وَبَسَطَ بُسْطَهُ فِي بَعْضِ الْأَسْوَاقِ وَأَشَارَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ مُخْبِرًا : أَنَّ
الْمَكَانَ الْفُلَانِيَّ فِيهِ طَبِيبٌ مُعَبَّرٌ وَهُوَ أَسْتَاذُ الزَّمَانِ وَعَلَامَةُ الْأَوَانِ .
وَتَلَامِذَتُهُ فِي الطَّبِّ حُكَمَاءُ الْيُونَانِ . وَفِي التَّعْبِيرِ ابْنُ سِيرِينَ وَكَرْمَانُ .
وَتَصَدَّرَ كَأَبِي زَيْدٍ وَسَاسَانُ . عَامِلًا بِمَا قَالَهُ شَيْخُ الْبَيَانِ وَهُوَ :

الطَّبُّ أَهْوَنُ عِلْمٍ يُسْتَفَادُ فَطَرُ بَيْنَ الْأَنَامِ بِهِ طَبِيرُ الزَّنَابِيرِ
وَأَجْمَعَ لِذَلِكَ كَرَارِيسًا مُنْتَرَةً وَجُمْلَةً مِنْ حَشِيشٍ مِنْ عَقَاقِيرِ
وَضَعَ عَلَى الرَّأْسِ بَقِيَارًا تُدَوِّرُهُ كَفَبَّةِ النَّسْرِ فِي وَزْنِ الْقَنَاطِيرِ
وَأَجْمَعَ مَعَاجِينَ مِنْ رُبِّ تُخَلِّطُهَا وَاسْتَحَقَّ سَفُوفًا وَاعْتِمَالُ الْعَوَاوِيرِ
وَسَمَّ مَا شِلَّتْ مِنْ أَسْمَاءٍ مُغَرَّبَةٍ كَالسِّنْدِ وَالْهِنْدِ وَالسَّرْحَا وَخَنْفُورِ
وَقُلَّ مِنَ الْهِنْدِ جَاهُذًا وَمِنْ عَدَنِ هَذَا وَهَذَا أَتَى مِنْ مُلْكٍ ثَقُورِ

إِلَيْكَ تَسِيرُ النَّاسُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فُرَادَى وَأَزْوَاجًا كَانَهُمْ تَحُلُ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ . أَتَشْدُنَا غَيْرَ
 الْأَسْمِ وَالْكُنْيَةِ وَالْقَافِيَةِ . قَالَ : وَاللَّهِ لَنْ زَادَنِي الْفَضْلُ وَامْتَنَعَنِي
 بَعْدَهُذَا لِأَقُولَنَّ أَرْبَعَةَ آيَاتٍ مَا سَبَقَنِي إِلَيْهِنَّ عَرَبِيٌّ وَلَا أَعْجَبِي .
 وَلَنْ زَادَنِي بَعْدَهَا لِأَجْمَعَ قَوَائِمَ نَاقَتِي هَذِهِ وَأَجْعَلَهَا فِي فَمِ الْفَضْلِ .
 وَلَا زَجَعَنِّي إِلَى قُضَاعَةٍ خَاسِرًا وَلَا أَبَالِي . فَكَسَّ الْفَضْلُ رَأْسَهُ وَقَالَ
 لِلْأَعْرَابِيِّ : يَا أَخَا الْعَرَبِ اسْمِعْنِي الْآيَاتِ الْأَرْبَعَةَ . قَالَ أَقُولُ :

وَلَا نِمَّةٌ لَأَمَتِكَ يَا فَضْلُ فِي النَّدَى فَقَلْتُ لَهَا هَلْ يَبْدَحُ اللَّوْمُ فِي الْبُخْرِ
 أَتَنْهَيْنَ فَضْلًا عَنْ عَطَايَاهُ لِأَوْرَى فَمِنْ ذَا الَّذِي يَنْهَى السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ
 كَانَ نَوَالُ الْفَضْلِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ تَحْدُرُ مَاءُ الْمَزْنِ فِي مَهْمِهِ قَفَرٍ
 كَانَ وَفُودُ النَّاسِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ إِلَى الْفَضْلِ لَأَقْوَا عِنْدَهُ لَيْلَةُ الْقَدْرِ
 قَالَ فَأَمْسَكَ الْفَضْلُ عَنْ فِيهِ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ صَاحِكًا . ثُمَّ رَفَعَ
 رَأْسَهُ . وَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَنَا وَاللَّهِ الْفَضْلُ بْنُ يُحْيَى . سَلْ مَا شِئْتَ .
 فَقَالَ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّكَ لَهْوٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ لَهُ :
 فَأَقِلْنِي قَالَ : أَقَالَكَ اللَّهُ أَذْكَرَ حَاجَتِكَ . قَالَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .
 قَالَ الْفَضْلُ : أَزْدَدْتِ بِنَا وَبِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . تُعْطِي عَشْرَةَ آلَافٍ
 دِرْهَمٍ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَأَمْرٍ يَدْفَعُ الْمَالَ . فَلَمَّا صَارَ الْمَالُ إِلَيْهِ
 حَسَدَهُ وَزِيرُ الْفَضْلِ وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ هَذَا إِسْرَافٌ . يَا تَيْكَ جَافٌ مِنْ
 أَجْلَافِ الْعَرَبِ بِآيَاتِ اسْتَرْقَافِهَا مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ فَتَجْزِيهِ بِهَذَا الْمَالِ .

رَمَقْتِكَ الْأَذْبَابَ بِالْأَبْصَارِ وَأَمْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ إِلَيْكَ وَتَحْتَاجُ أَنْ تَنَاضِلَ
عَنْ نَفْسِكَ . قَالَ : إِذَنْ أَقُولُ :

مَلَكْتُ جِهَائِدُ فَضْلٍ وَزَنَ نَائِلُهُ وَمَلَّ كُتَابُهُ إِحْصَاءَ مَا يَهَبُ
وَاللَّهُ لَوْلَاكَ لَمْ يَمْدَحْ بِمَكْرَمَةٍ خَلَقَ وَلَمْ يَرْتَفِعْ بِمَجْدٍ وَلَا حَسْبُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ هَذَانِ الْيَتَانِ
مَسْرُوقَانِ . أَنَشِدْنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ : قَالَ . إِذَنْ أَقُولُ :

وَلَوْ قِيلَ لِلْمَعْرُوفِ نَادِرُ أَخَا الْعُلَا لَنَادَى بِأَعْلَى الصَّوْتِ يَا فَضْلُ يَا فَضْلُ
وَلَوْ أَنْفَقَتْ جَدُّوَالِكُ مِنْ رَمْلِ عَالِجٍ لَا ضَبْعَ مِنْ جَدُّوَالِكُ قَدْ نَفَذَ الرَّمْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : هَذَانِ
الْيَتَانِ مَسْرُوقَانِ أَيْضًا . أَنَشِدْنِي غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ : قَالَ أَقُولُ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا اثْنَانِ صَبٌّ وَبَازِلٌ وَإِنِّي لَذَلِكَ الصَّبُّ وَالْبَازِلُ الْفَضْلُ
عَلَى أَنْ لِي مِنْهُ لَا إِذَا ذُكِرَ الْوَرْدَى وَلَيْسَ لِفَضْلٍ فِي سَمَاحَتِهِ مِثْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : أَنَشِدْنِي
غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ . قَالَ : أَقُولُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ :

حَكَمِي الْفَضْلُ عَنْ يَحْيَى سَمَاحَةَ خَالِدٍ فَقَامَتْ بِهِ التَّقْوَى وَقَامَ بِهِ الْعَدْلُ
وَقَامَ بِهِ الْمَعْرُوفُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَلَمْ يَكُ لِلْمَعْرُوفِ بَعْدُ وَلَا قَبْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ . فَإِنْ قَالَ لَكَ : قَدْ صَحِرْنَا مِنْ الْفَاضِلِ وَالْمَفْضُولِ
أَنَشِدْنِي يَبْتَيْنِ عَلَى الْكُنْيَةِ لَا عَلَى الْأِسْمِ فَمَا تَقُولُ . قَالَ : إِذَنْ أَقُولُ :
أَلَا يَا أَبَا الْعَبَّاسِ يَا وَاحِدَ الْوَرْدَى وَيَا مَلِكًا خَدَّ الْمُلُوكِ لَهُ نَعْلُ

أَلْبَابُ السَّابِعِ عَشَرَ فِي التَّوَادِرِ

مدينة الزهراء في الاندلس

٣١٩ كَانَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ كِفَا بِعِمَارَةِ الْأَنْدَلُسِ وَأَقَامَهُ
مَعَالِمَهَا وَتَحْلِيدِ الْأَثَارِ الدَّالَّةِ عَلَى قُوَّةِ الْمَلِكِ وَعِزَّةِ السُّلْطَانِ . فَأَفْضَى بِهِ
الْإِغْرَاقُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ ابْتَنَى مَدِينَةَ الزَّهْرَاءِ الْبِنَاءَ الشَّائِعَ ذِكْرُهُ
الْمُنْتَشِرَ صِلَتُهُ . وَاسْتَفْرَغَ جُهْدَهُ فِي تَمِيمِهَا وَإِتْقَانِ قُصُورِهَا وَزَخْرَفَةِ
مَصَانِعِهَا . فَاسْتَدْعَى عُرَفَاءَ الْمُهَنْدِسِينَ وَحَشَدَ بُرْعَاءَ الْبَنَائِينَ مِنْ كُلِّ قَطْرِ
فَوْقَدُوا عَلَيْهِ حَتَّى مِنْ بَغْدَادَ وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . ثُمَّ أَخَذَ فِي بِنَاءِ الْمُسْتَشْرَهَاتِ
وَأِنْشَاءِ مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ الْمَوْصُوفَةِ بِالْقُصُورِ الْبَاهِرَةِ . وَأَقَامَهَا بِطَرِيقِ
الْبَلَدِ عَلَى ضِفَّةِ نَهْرِ قَرْطَبَةٍ . وَنَسَقَ فِيهَا كُلَّ أَقْتَدَارٍ مُجِيزٍ وَنِظَامٍ .
وَكَانَ قَصْرُ الْخَلِيفَةِ مُتَاهِيًا فِي الْجَلَالَةِ وَالْفَخَامَةِ . أَطْبَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ
يُبْنَ مِثْلُهُ فِي الْإِسْلَامِ الْبَتَّةَ . وَمَادَّ خَلَّ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ الْإِنْسَانِيَّةِ
وَالْخَلِّ الْخَلِيفَةِ إِلَّا وَكُلُّهُمْ قَطَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرَلْهُ شَيْبًا بَلْ لَمْ يَسْمَعْ بِهِ بَلْ لَمْ
يَتَوَهَّمْ كَوْنَ مِثْلِهِ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا السُّطْحُ الْمُرْدُّ الْمَشْرِفُ عَلَى
الرَّوْضَةِ الْمُبَاهِيِ بِمَجْلِسِ الذَّهَبِ وَالْقُبَّةِ . وَغَجِبَ مَا تَصَنَّمَهُ مِنْ إِتْقَانِ
الصَّنْعَةِ وَفَخَامَةِ الْهَيْمَةِ وَحُسْنِ الْمُسْتَشْرِفِ وَرَّاعَةِ الْمَلْبَسِ وَالْحَلَةِ مَا بَيْنَ
مَرْمَرٍ مُسْنُونٍ وَذَهَبٍ مَصُونٍ وَعَمْدٍ كَأَنَّمَا أَقْرِغَتْ فِي الْهَوَالِبِ . وَمَثَائِلِ

فَقَالَ : اُسْتَحْتَهُ بِحُضُورِهِ إِلَيْنَا مِنْ أَرْضِ قُضَاعَةَ . قَالَ الْوَزِيرُ : أَقْسَمْتُ
عَلَيْكَ إِلَّا أَخَذْتَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِكَ وَرَكَبْتَهُ فِي كَبِدِ قَوْسِكَ
وَأَوْمَأْتَ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ . فَإِنْ رَدَّ عَنْ نَفْسِهِ بَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ . وَإِلَّا
فَأَسْتَغْفَ مَا لَكَ وَيَكُونُ لَهُ فِي بَعْضِهِ كَفَايَةٌ . فَأَخَذَ الْفَضْلُ سَهْمًا
وَرَكَبَهُ فِي كَبِدِ قَوْسِهِ وَأَوْمَأَ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ وَقَالَ لَهُ : رُدَّ سَهْمِي
بِبَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

لَقَوْسُكَ قَوْسُ الْجُودِ وَالْوَزْرُ النَّدَى وَسَهْمُكَ سَهْمُ الْبِرِّ فَارْمِ بِهِ قَهْرِي
قَالَ فَصَحَّحَ الْفَضْلُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

إِذَا مَلَكَتْ كَفِّي مَنْ أَلَا وَلَمْ أَنْزِلْ فَلَا تَبْسَطْ كَفِّي وَلَا تَهْضَمْ رِجْلِي
عَلَى اللَّهِ إِخْلَافَ الَّذِي قَدْ بَدَّلْتَهُ فَلَا مُبْقِي لِي بَخْلِي وَلَا مُتْلَفِي بِذُلِّي
أَرُونِي بَخِيلًا نَالَ نَجْدًا بِبَخْلِهِ وَهَاتُوا كَرِيمَاتٍ مِنْ كَثْرَةِ الْبَذْلِ
ثُمَّ قَالَ الْفَضْلُ لَوَزِيرِهِ : أَعْطِ الْأَعْرَابِيَّ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ لِقَضْدِهِ
وَشِعْرِهِ وَمِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ لِيَكْفِينَا شَرَّ قَوَانِمِ نَاقَتِهِ . فَأَخَذَ الْأَعْرَابِيُّ
الْمَالَ وَأَنْصَرَفَ . وَهُوَ يَبْكِي فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : مِمَّ بُكَؤُكَ يَا أَعْرَابِي .
أَسْتَعْلَا لَنَا لِمَالِ الَّذِي أَعْطَيْنَاكَ . قَالَ : لَا وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى مِثْلِكَ يَا كَلْهُ
الْتَرَابِ وَتَوَارِيهِ الْأَرْضِ . وَتَذَكَّرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزْيَةُ فَقَدْ مَالَ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرُ
وَلَكِنَّ الرِّزْيَةَ فَقَدْ حَرَّ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلَقُ كَثِيرُ

ثُمَّ أَنْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ مُسْرُورًا (اعلام الناس للتليدي)

الْبَسَامِينَ وَقَدْ أَتَقَنَّهُ إِلَى الْغَايَةِ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ أَمْوَالًا طَائِلَةً . وَوَضَعَ فِي وَسْطِ الْخَيْرَةِ قَبَّةً مِنْ زُجَاجٍ مُلَوَّنٍ مَنقُوشٍ بِالذَّهَبِ وَجَلَبَ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِ الْقَبَّةِ بِتَنْدِيرٍ أَحْكَمَهُ الْمُهَنْدِسُونَ . فَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقَبَّةِ عَلَى جَوَانِبِهَا مُحِيطًا بِهَا وَيَتَّصِلُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَكَانَتْ قَبَّةُ الزُّجَاجِ فِي غَالَاةٍ يَمَّا سَكَبَ خَلْفَ الزُّجَاجِ لَا يَفْقَرُ مِنَ الْجَرِيِّ وَتَوَقَّدُ فِيهَا الشُّعُوعُ فَيُرَى لِذَلِكَ مَنْظَرٌ بَدِيعٌ . وَتَمَّ بِنَاءُ الزَّهْرَاءِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً (للقري)

عجائب مصر منها المقياس والاهرام والنيل

٣٢٠ قَالَ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنِ الْأَثِيرِ فِي وَصْفِ مِصْرَ : وَلَقَدْ شَاهَدْتُ مِنْهَا بَلَدًا يَشْهَدُ بِفَضْلِهِ عَلَى الْبِلَادِ . وَوَجَدْتُهُ هُوَ الْمِصْرَ وَمَا عَدَاهُ فَهُوَ السَّوَادُ . فَمَا رَأَاهُ رَأَى إِلَّا مَلَأَ عَيْنَهُ وَصَدْرَهُ . وَلَا وَصَفَهُ وَاصْفُ إِلَّا عِلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ قَدْرَهُ . وَبِهِ مِنْ عَجَائِبِ الْأَنْثَارِ مَا لَا يَضِيطُّهَا إِلَيَّانُ فَضْلًا عَنْ الْإِخْبَارِ . مِنْ ذَلِكَ الْهَرَمَانِ اللَّذَانِ هَرَمَ الدَّهْرِ وَهَمَا لَا يَهْرَمَانِ . قَدْ اخْتَصَّ كُلُّ مِنْهُمَا بِعِظَمِ الْبِنَاءِ . وَسَعَةِ الْقِنَاءِ . وَبَلَغَ مِنَ الْإِرْتِفَاعِ غَايَةً لَا يَبْلُغُهَا الطَّيْرُ عَلَى بُعْدِ تَحْلِيفِهِ . وَلَا يُدْرِكُهَا الطَّرْفُ عَلَى مَدَى تَحْدِيقِهِ . فَإِذَا أُضْرِمَ بِرَأْسِهِ قَبَسُ ظَنِّهِ الْمُتَأَمِّلُ نَجْمًا . وَإِذَا اسْتَدَارَ عَلَيْهِ قَوْسُ السَّمَاءِ كَانَ لَهُ سَهْمًا . وَمِنْ عَجَائِبِ مِصْرَ الْمَقْيَاسُ الَّذِي يُتَبَرُّ فِيهِ قَدْرُ زِيَادَةِ فَيْضِ النَّيْلِ كُلِّ سَنَةٍ . وَابْتِدَاؤُهُ مِنْ شَهْرِ جُودَةِ وَمُعْظَمُ انْتِهَائِهِ أَغْشَتْ وَآخِرُهَا أَوَّلُ شَهْرِ الْكُوزِ . وَالْمَقْيَاسُ عُمُودُ رُخَامٍ سَمَرٍ فِي مَوْضِعٍ نَحْصِرُ فِيهِ الْمَاءَ عِنْدَ انْتِهَائِهِ إِلَيْهِ . وَهُوَ مُفَصَّلٌ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ

لَا يَهْدِي الْأَوْهَامُ إِلَى سَبِيلِ اسْتِفْصَاءِ التَّعْيِيرِ عَنْهَا (لَكِنِّي مَثَلًا). وَكَأَنَّكَ
تَرَى فِي مَقْصُورَةِ الْخَلِيفَةِ بَرَكَةَ الْمَاءِ فِيهَا بِصُنْعَةِ مُحْكَمَةٍ وَفِي وَسْطِهَا
يَعُومُ أَسَدٌ عَظِيمٌ الصُّرُورَةِ بَدِيعُ الصَّنْعَةِ شَدِيدُ الرُّوعَةِ. لَمْ يُشَاهَدْ أَبْعَى
مِنْهُ فِيمَا صَوَّرَ الْمُلُوكُ فِي غَايِرِ الدَّهْرِ. مَطْلِي بِذَهَبٍ إِبْرِيذٍ وَعَيْنَاهُ
جَوْهَرَتَانِ لَهَا وَبَيْضٌ شَدِيدٌ. فَمِجُّ الْمَاءِ فِي تِلْكَ الْبَرَكَةِ مِنْ فِيهِ قَبِيرُ
الْمَنَاطِرِ بِحُسْنِهِ وَرُوعَةِ مَنْظَرِهِ وَتَحَاجَةِ صَبِّهِ. فَتُسْقَى مِنْ مُجَاجِهِ حِنَانُ هَذَا
الْقَصْرِ عَلَى سَعَتِهَا وَيُسْتَفِيزُ عَلَى سَاحَاتِهِ وَجَنَابَاتِهِ. وَهَذِهِ الْبَرَكَةُ
وَمَثَلُهَا مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ الْمُلُوكِ فِي غَايِبِ الدَّهْرِ لِلْحَمَامَةِ بُلْبَانِهَا. وَمَا
يُخْصُّ سَائِرَ الْبَنَائَا فَكَانَ النَّاصِرُ قَدْ جَلَبَ إِلَيْهَا الرُّخَامَ الْأَبْيَضَ
الْمُخْتَجِعَ مِنْ رِيَّةٍ وَالْأَبْيَضَ مِنْ غَيْرِهَا وَالْوَرْدِيَّ وَالْأَخْضَرَ مِنْ أَفْرِيقِيَّةٍ
وَبَنَى فِي الْقَصْرِ الْمَجْلِسَ وَجَعَلَ فِي وَسْطِهِ أَلِيمَةً أَلَّتِي أَنْحَفَ النَّاصِرُ
بِهَا إِلَيَّونَ مَلِكُ قُسْطَنْطِينِيَّةٍ. وَكَانَتْ قَرَامِدُ هَذَا الْقَصْرِ مِنْ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَهَذَا الْمَجْلِسُ فِي وَسْطِهِ صِهْرٌ مِجُّ عَظِيمٌ مَمْلُوءٌ بِالزَّبْيَقِ.
وَكَانَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ هَذَا الْمَجْلِسِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ قَدْ أُنْعَمِدَتْ عَلَى حَنَائَا
مِنْ الْعَاجِ وَالْأَبْنُوسِ الْمُرْصَعِ بِالذَّهَبِ وَأَصْنَافِ الْجَوَاهِرِ قَامَتْ عَلَى
سَوَارٍ مِنْ الرُّخَامِ الْمَلُونِ وَالْبَلُورِ الصَّافِي. وَكَانَتْ الشَّمْسُ تَدْخُلُ
عَلَى تِلْكَ الْأَبْوَابِ فَيَضْرِبُ شِعَاعُهَا فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَحَيْطَانِهِ فَيَصِيرُ
مِنْ ذَلِكَ نُورٌ يَأْخُذُ بِالْأَبْصَارِ. وَكَانَ بِنَاءُ الزَّهْرَاءِ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ
وَالْحُسْنِ وَبِهَا مِنَ الرَّمْيِ وَالْعَمْدِ كَثِيرٌ وَأَجْرَى فِيهَا أَلْيَاهُ وَأَحْدَقَ بِهَا

الهندسة وحسن التقدير بحيث إنه لم يتأثر بعصف الرياح وهطل
السحاب وزغرة الزلازل . وهذا البناء ليس بين حجراته ملاط إلا
ما يتخلل أنه ثوب أبيض فرش بين حجرين أو ورقة لا يتخلل بينهما
الشعرة . وطول الحجر منها خمسة أذرع في سمك ذراعين . قال بعضهم :
ما سمعت شيئا عظيم فحشته إلا رأيت دونه صفته إلا الهرمين . فإني
لما رأيتهما كان رؤيتهما أعظم من صفتهما . وقد اختلفوا في من بنى
الأهرام . قال بعضهم :

حسرت عقول ذوي النهى الأهرام واستصغرت لِعَظِيمِهَا الأجرام
مُسُّ مَوْتِنَهُ البناء شواهي قَصُرَتْ لِعَالِ دُونِهَا سِهَامُ
لَمْ أَدْرِ حِينَ كَبَا التَّفَكُّرُ دُونَهَا وَاسْتَوَهَمَتْ لِحِجَّتِهَا الْأَوْهَامُ
أَقْبُرُ أَمْلَاكِ الْأَعَاجِمِ هُنَّ أَمْ طَلَعَتْ رَمْلُ هُنَّ أَمْ أَعْلَامُ
وَدَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْأَهْرَامَ يَمْضِرُ قُبُورُ مُلُوكٍ عِظَامُهَا آثُرُ وَأَنَّ
يَتَمَيَّزُ عَلَى سَائِرِ الْمُلُوكِ بَعْدَ مَمَاتِهِمْ كَمَا تَمَيَّزُوا عَنْهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ .
فَبَقِيَ ذِكْرُهُمْ عَلَى تَطَاوُلِ الدُّهُورِ . قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

بِعَيْشِكَ هَلْ أَبْصَرْتَ أَحْسَنَ مَنَظَرًا عَلَى مَا رَأَتْ عَيْنَاكَ مِنْ هَرَمِي وَمِصْرٍ
أَنَاقًا بِأَعْنََاءِ السَّمَاءِ وَأَشْرَفًا عَلَى الْجَوَائِشِ أَرَفَ السَّمَاءِ أَوِ النَّسْرِ
وَقَالَ الْفَقِيهَ عُمَارَةُ الْبَيْهَقِيُّ الشَّاعِرُ :

مَطْلَبِي مَا تَحْتَ السَّمَاءِ بَابِي تَمَائِلُ فِي إِثْقَانِهَا هَرَمِي مِصْرِي
تَزَرُّ طَرَفِي فِي بَدِيحِ بَنَانِهَا وَلَمْ يَتَزَرَّ فِي الْمُرَادِ بِهَا فَكْرِي

ذِرَاعًا . وَكُلُّ ذِرَاعٍ مُفَصَّلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ قِسْمًا أَقْسَامًا مُتَسَاوِيَةً
 تُعْرَفُ بِالْأَصَابِعِ . فَإِذَا اسْتَوَى الْمَاءُ تِسْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الْفَيْضِ فَهِيَ
 الْغَايَةُ عِنْدَهُمْ فِي طَيْبِ الْعَامِ . وَرُبَّمَا كَانَ الْمَاءُ فِيهَا كَثِيرًا الْعُمُومِ الْفَيْضِ .
 وَالْمُتَوَسِّطُ مَا اسْتَوَى سَبْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَهُوَ أَحْسَنُ مِمَّا زَادَ عَلَيْهِ . وَالَّذِي
 يَسْتَحِقُّ بِهِ السُّلْطَانُ خَرَاجَهُ سِتَّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَصَاعِدًا . وَعَلَيْهَا تُطَى
 الْبَشَارَةُ لِلَّذِي يَرْقُبُ الزِّيَادَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيُعْلِمُ بِهَا مِيَاوِمَةً .
 وَمِنَ الْمَبَانِي الَّتِي يَبْلِي الزَّمَانُ وَلَا تَبْلَى وَتَدْرُسُ مَعَالِمُهَا وَأَخْبَارُهَا لَا
 تَدْرُسُ الْأَهْرَامُ الَّتِي بِأَعْمَالِ مِصْرَ . وَهِيَ عَلَى نَحْوِ سَبْعَةِ أَمْيَالٍ فِي
 الصَّخْرَةِ الَّتِي يُفَضُّ مِنْهَا إِلَى الْأِسْكَندَرِيَّةِ . وَهِيَ قَدِيمَةُ الْعَهْدِ مُعْجَزَةٌ
 الْبِنَاءِ غَرِيبَةُ الْمَنْظَرِ مَرْبَعَةُ الشَّكْلِ كَأَنَّهَا الْقِبَابُ الْمَضْرُوبَةُ . قَدْ قَامَتْ
 فِي جَوْ السَّمَاءِ لَا سِيَّمَا الْإِثْنَانِ مِنْهَا . فِي سَعَةِ الْوَاحِدِ مِنْهُمَا مِنْ رُكْنِهِ إِلَى
 رُكْنِهِ الْإِثْنَانَةُ خُطْوَةٌ وَسِتُّ وَسِتُّونَ خُطْوَةً مُحَدَّدَةٌ الْأَطْرَافِ فِي رَأْيِ
 الْعَيْنِ . وَرُبَّمَا امْكُنَ الصُّعُودُ إِلَيْهَا عَلَى خَطَرٍ وَمَشَقَّةٍ فَتَلْقَى أَطْرَافَهَا الْمُحَدَّدَةَ
 كَأَنَّ سَبْعَ مَا يَكُونُ مِنَ الرِّجَابِ . قَدْ أُقِيمَتْ مِنَ الصُّخُورِ الْعِظَامِ
 الْمُنْحَوْتَةِ وَرُكِبَتْ تَرْكِيبًا بَدِيعُ الْإِلْصَاقِ يَكَادُ يُغْجِزُ أَهْلَ الْأَرْضِ
 نَقْضُ بِنَائِهَا . أَمَّا الْهَرَمَانُ الْعَظِيمَانِ فَحَاذِيَانِ لِلْفُسْطَاطِ . كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمَا جَنْمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْحِجَارَةِ مَرْبَعُ الْقَاعِدَةِ . إِرْتِفَاعُ عُمُودِهِ أَرْبَعُ مِائَةٍ
 ذِرَاعٍ يُحِيطُ بِهَا أَرْبَعَةُ سَطُوحٍ مُتَسَاوِيَاتٍ الْأَضْلَاعِ وَفِي أَغْلَاهُ سَطْحٌ
 مَرْبَعٌ دَحْبٌ . وَهُمَا مَعَ هَذَا الْعِظَمِ مِنْ إِحْكَامِ الصَّنْعَةِ وَإِثْقَانِ

وَسَرَحَتِ الْأَغْنَامُ تَرْغَبِي . فِي ذَلِكَ الْمَرْعَى . وَإِذَا هُوَ بِأَسَدٍ كَبِيرٍ مِنْ بَطْنِ
الْوَادِي ظَهَرَ يَمْشِي وَيَنْجُرُّ . أَفْطَسُ الْمَخْرَجِ . يَطِيرُ مِنْ عَيْنِهِ الشَّرُّ . يَقْلِبُ
الْوَادِي إِذَا هَمَّرَ . بِأَنْيَابِ أَحَدٍ مِنَ النَّوَابِ . وَخَابَ أَمْرٌ مِنَ الْمَصَابِ .
شَدُوقُ شَدَقْتُمْ . عَبُوسُ أَدْعَمُ . تَسْمَعُ الرِّعْدَ إِذَا هَمَّهِمْ وَدَمْدَمُ . يَلْعَقُ الْبَرْقُ
مِنْ عَيْنِهِ إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ وَأَعْتَمَ . شَدِيدُ الْحِيلِ صَنْبُ الرِّاسِ . عَرِيضُ
الْكَفِّ كَبِيرُ الرِّاسِ . فَلَمَّا ظَهَرَ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي وَشَمَّتِ الْحِيلُ رَأَيْتَهُ
فَرَّتْ مِنْ هَيْبَتِهِ . وَكَذَلِكَ الْتَوَقُّ وَالْجَمَالُ . شَرَدَتْ فِي الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ .
فَلَمَّا نَظَرَ عَنَتْرُ . إِلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُنْكَرِ . نَزَلَ إِلَى الْوَادِي حَتَّى يُبْصِرَ .
وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ مُشَهَّرٌ . وَإِذَا هُوَ بِالْأَسَدِ رَابِطٌ بِأَسْطِ يَدَيْهِ . وَهُوَ
يَلْعَبُ بِذَنَبِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ جَنْبَيْهِ . وَالشَّرُّ يَطِيرُ مِنْ عَيْنِهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
زَعَقَ عَنَتْرُ عَلَيْهِ رَعْقَةً دَوَّتْ بِهَا الْجِبَالُ . وَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا
الْأَشْبَالِ . يَا كَلْبَ الْفُلَا . يَا نَحْسَ وَحُوشَ الْبَيْدَا . فَلَقَدْ أَبَدَيْتَ
بَأْسَكَ وَصَوْلَتَكَ . وَأَفْتَحْتَ بَهْمَتَكَ وَهَمَمَتَكَ . فَلَا شَكَّ أَنَّكَ لَكُ
السَّبَاعِ . وَسُلْطَانُهُمُ الْمَطَاعُ . وَلَكِنْ عُدَّ بِالْخَيْبَةِ وَالْإِذْلَالِ . فَمَا أَنَا
كَمَنْ لَا قِيَمَتُهُ مِنَ الرِّجَالِ . أَنَا مُهْلِكُ الْأَبْطَالِ . أَنَا مُبْتِمُّ الْأَطْفَالِ .
فَأَنَا لَا أَرْضَى أَنْ أَقْتَلَكَ بَسَنَانٍ وَلَا بِجُسَامٍ . وَلَا بُدَّ أَنْ أَسْقِيكَ كَأْسَ
الْحِمَامِ . ثُمَّ إِنَّهُ أَلْقَى السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَحَمَلَ عَلَى السَّبْعِ وَهُوَ يَنْشُدُ
يَا أَيُّهَا السَّبْعُ الْهَجُومُ عَلَى الرَّدَى هَا قَدْ بَقِيتَ مُعْفَرًا مَنُوبًا
أَتُرِيدُ أَمْوَالِي تَكُونُ مُبَاةً هَا قَدْ تَرَكْتُكَ بِالْأَيْدِ مَخْضُوعًا

وَقَالَ سَيْفُ الدِّينِ بْنِ حَبَّارَةَ :

لِلَّهِ أَيُّ غَرِيبَةٍ وَعَجِيبَةٍ فِي صَنْعَةِ الْأَهْرَامِ لِأَلْتَابِ
أَخَفَتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ قِصَّةَ أَهْلِهَا وَقَصَّتْ عَلَى الْأَنْبَاءِ كُلِّ نِقَابِ
فَكَأَنَّمَا هِيَ كَالْحَيَامِ مُقَامَةٌ مِنْ غَيْرِ مَا عَمَدٍ وَلَا أَطْنَابِ
قَالَ الْقُضَاعِيُّ : مِنْ تَحَابُّبِ مِصْرَ النَّيْلِ قَالُوا لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
نَهْرٌ أَطْوَلُ مِنَ النَّيْلِ لِأَنَّ مَسِيرَهُ شَهْرٌ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَشَهْرَانِ فِي
بِلَادِ النَّوْبَةِ وَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ فِي الْحَرَابِ إِلَى أَنْ يُخْرَجَ بِبِلَادِ الْقَمَرِ خَلْفَ
خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ . وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَهْرٌ يَصُبُّ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ
وَيَمْدُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ عِنْدَ انْتِقَاصِ الْمِيَاهِ وَالْأَنْهَارِ كُلُّهَا وَيَزِيدُ بِتَرْتِيبِ
وَيَنْقُصُ بِتَرْتِيبِ إِلَّا النَّيْلُ . وَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَقِيًّا يَرْعُ عَلَيْهِ وَيُسْتَفْنَى
عَنِ الْمَطَرِ بِهِ فِي زَمَانِ التَّمْيِظِ إِذَا نَضَبَ الْمِيَاهُ . قَالَ ابْنُ خَرُوفٍ :

مَا أَعْجَبَ النَّيْلَ مَا أَبْهَى شِمَائِلُهُ فِي ضَفَّتَيْهِ مِنَ الْأَشْجَارِ أَدْوَاخِ
مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ فَيَاضُ عَلَى زَرْعِ تَهْ فِيهَا هُبُوبَ الرِّيحِ أَرْوَاخِ
لَيْسَتْ زِيَادَتُهُ مَاءً كَمَا زَعَمُوا وَإِنَّمَا هِيَ أَرْزَاقُ وَأَرْبَاحُ

(اخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي)

عنترة والاسد

٣٢١ قَالَ الرَّائِي : وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ تَوَعَّلَ عُنْتَرُ فِي الْبَرِّ بِالْجِمَالِ
وَالنَّعَمِ . وَقَصَدَ بِهَا الرَّائِي وَالْأَكْمَ . إِلَى أَنْ حَمِيَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَبَعْدَ
مِنْ حَيِّ عَيْسٍ . فَقَصَدَ شَجَرَةً مِنَ الْأَشْجَارِ يَسْتَظِلُّ بِهَا مِنْ حَرِّ النَّهَارِ .

الْأَضْرَارَ بِالْعَقْلِ وَالْبَدَنِ . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّعَاوَى وَالتَّبَعَاتِ
 الْوُدِّيَّةِ إِلَى الْجِدَالِ وَالْفِتَنِ . وَأَمَّا اشْتِهَاقُ اسْمِ الْقَهْوَةِ (كَمَا قَالَ الْإِسْلَامِيُّ
 الْفَخْرُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي يَزِيدٍ فِي مُؤَلَّفِهِ إِثَارَةَ الْخَوْفِ بِحِلِّ الْقَهْوَةِ)
 فَمِنْ الْأَضْيَاءِ وَهُوَ الْاجْتَوَاءُ أَيُّ الْكَرَاهَةِ . أَوْ مِنَ الْأَفْعَاءِ بِمَعْنَى الْإِقْعَادِ
 مِنْ أَفْهَى الرَّجُلِ عَنِ الشَّيْءِ أَيُّ قَعْدَعْنَهُ وَكَرَاهَهُ كُلَّ شَيْءٍ وَالْقُودُ
 عَنْهُ بِحَسَبِهِ . وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْحَمْرَةُ قَهْوَةً لِأَنَّهَا تُفْهِي أَيُّ تُكْرِهُ الطَّعَامَ أَوْ
 تُقْعِدُ عَنْهُ أَوْ تُقْعِدُ عَنِ النَّوْمِ . وَكَانَ ظُهُورُهَا وَانْتِشَارُهَا عَلَى يَدِ جَمَالِ
 الدِّينِ بْنِ سَعِيدٍ الْمَعْرُوفِ بِالذَّجَانِيِّ . وَكَانَ مُتَوَلِّيًا لِرِوَيْفَةِ تَضَمُّنِ
 الْفَتَاوَى بِعَدَنَ . وَسَبَبُ إِظْهَارِهِ لَهَا أَنَّهُ كَانَ عَرَضَ لَهُ أَمْرٌ اقْتَضَى لَهُ
 الْخُرُوجَ مِنْ عَدَنَ إِلَى بَرٍّ أَهْجَمَ فَأَقَامَ بِهِ مُدَّةً فَوَجَدَ أَهْلَهُ يَسْتَعْمِلُونَ الْقَهْوَةَ
 وَلَمْ يَعْلَمْ لَهَا خَاصَّةً . ثُمَّ عَرَضَ لَهُ لَمَّا رَجَعَ إِلَى عَدَنَ مَرَضٌ فَذَكَرَهَا فَشَرِبَهَا
 فَفَعَّلَتْهُ فِيهِ . وَوَجَدَ فِيهَا مِنْ الْخَوَاصِّ أَنَّهَا تَذْهَبُ النَّعَاسَ وَالْكَسَلَ
 وَتُورِثُ الْبَدْنَ خَفَّةً وَلِنَاسًا . فَلَمَّا سَلَكَ طَرِيقَ التَّصَوُّفِ صَارَ هُوَ
 وَغَيْرُهُ مِنَ الصُّوفِيَّةِ بِعَدَنَ يَسْتَعِينُونَ بِشُرْبِهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ . ثُمَّ تَتَابَعَ
 النَّاسُ بِعَدَنَ عَلَى شُرْبِهَا لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى مُطَالَعَةِ الْعِلْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
 مِنَ الْحِرَفِ وَالصَّنَاعَاتِ وَلَمْ تَزَلْ فِي انْتِشَارِ . قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِهَا :
 يَا قَهْوَةُ تَذْهَبُ هَمَّ الْفَقِي أَنْتِ لِحَاوِي الْعِلْمِ نِعَمَ الْمُرَادِ
 شَرَابُ أَهْلِ اللَّهِ فِيهَا الشِّفَا . لِطَالِبِ الْحِكْمَةِ بَيْنَ الْعِبَادِ
 نَظِيحُهَا قِشْرًا فَتَاتِي نَسَا فِي نَكْمَةِ الْمَسْكِ وَلَوْنِ الْمِدَادِ .

شَرِبْتَ أَغْنَايِي وَلَمْ تَكُ عَلِيًّا أَنِّي هَزَبْتُ لَا أَزَالُ
هَٰذَا وَمَا لِي فِيكَ يَا كَلْبَ الْهَلَا هَلَّا شَهِدْتَ مَوَاقِعًا وَحُرُوبًا
لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَٰذَا تَلْتَقِي مِنِّي وَتُضْحِي لِلْحِمَامِ شَرُوبًا
لَمْ تَأْتِ تُخَوِي تَبْتَنِي صَيْدًا فَقَدْ وَأَفَاكَ حَتْفَكَ عَاجِلًا مَضُوبًا
ثُمَّ هَجَمَ عَلَى الْأَسَدِ وَوَقَعَ عَلَيْهِ كَوْقُوعُ الْبَرْدِ . وَنَفَخَ عَلَيْهِ مِثْلُ
الْثُعْبَانِ الْأَسْوَدِ . وَوَثَبَ عَلَيْهِ حَتَّى سَاوَاهُ فِي وَثْبَتِهِ . وَصَرَخَ عَلَيْهِ
صَرَخَةً أَعْظَمَ مِنْ صَرَخَتِهِ . وَقَبَضَ عَلَى فَمِهِ بِكَفَيْهِ . وَاتَّكَأَ عَلَيْهِ
فَشَقَّ حَنَكَيْهِ . إِلَى حَدِّ كَفَيْهِ . وَصَاحَ صَيْحَةً أَرْعَجَ بِهَا الْوَادِي وَجَانِبَيْهِ .
وَصَبَرَ عَلَى الْأَسَدِ حَتَّى قَضَى عَلَيْهِ (سيرة عنترا بن اسمعيل)

ذكر القهوة

٣٢٢ بِاعْلَمَنَّ أَنَّ الْقَهْوَةَ هِيَ النَّوْعُ الَّتِي تُتَّخَذُ مِنْ قَشْرِ الْبُنِّ أَوْ مِنْهُ مَعَ حَبِّ
الْبَحْجَمِ أَيْ الْمَقْلِيِّ . وَصِفَتُهَا أَنَّ يُوضَعَ الْقَشْرُ إِمَّا وَاحِدَهُ وَهِيَ الْقَشْرِيَّةُ
أَوْ مَعَ الْبُنِّ الْبَحْجَمِ الْمَذْقُوقِ وَهِيَ الْبَنِيَّةُ فِي مَاءٍ . ثُمَّ يُغْلَى عَلَيْهِ حَتَّى
تُخْرَجَ خَاصِيَّتُهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَجِدُ غَايَةَ اعْتِدَالِ اسْتَوَائِهَا بِطَعْمٍ مَذَاقِهَا
إِلَى الْمَرَارَةِ . ثُمَّ تُشْرَبُ . فَمِنْ قَائِلٍ بِحَالِهَا بِرَى أَنَّهَا الشَّرَابُ الطَّهُّورُ الْمُبَارَكَةُ
عَلَى أَرْبَابِهَا . الْمَوْجِبَةُ لِلنَّشَاطِ وَالْإِعَانَةِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِعْلِ
الْعِبَادَةِ لِطُلَّابِهَا . وَمِنْ قَائِلٍ بِجُرْمَتِهَا مُفْرَطٍ فِي ذَمِّهَا وَالنَّشِيعِ عَلَى
شَرِّبِهَا . وَكَثُرَ فِيهَا مِنْ الْجَانِبَيْنِ التَّصَانِيفُ وَالْفَتَاوَى . وَبَالَغَ الْقَائِلُ
بِجُرْمَتِهَا فَادَّعَى أَنَّهَا مِنَ الْخَمْرِ وَقَاسَمَهَا بِهِ وَسَاوَى . وَبَعْضُهُمْ نَسَبَ إِلَيْهَا

هُنْدِيُونَ فِي إِفْرَاطِ عَنَائَتِهِمْ بِالْعُلُومِ وَحُبِّهِمْ فِيهَا وَضَبْطِهِمْ لَهَا وَرَوَائِيَتِهِمْ
 صِينِيُونَ فِي إِتْقَانِ الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ وَإِحْكَامِ الْمَهَنِ الصُّورِيَّةِ .
 تُرْكِيُونَ فِي مُعَانَةِ الْحُرُوبِ وَمُعَالَجَاتِ آلَاتِهَا وَالنَّظَرِ فِي مَهْمَاتِهَا .
 بَعْدَادِيُّونَ فِي نَظَافَتِهِمْ وَظَرَفِهِمْ وَرِفَّةِ أَخْلَاقِهِمْ وَنَبَاهَتِهِمْ وَذَكَائِهِمْ
 وَحُسْنِ نَظَرِهِمْ وَجُودَةِ قَرَائِحِهِمْ وَلَطَافَةِ أَذْهَانِهِمْ وَحِدَّةِ أَفْكَارِهِمْ
 وَنَفُوذِ خَوَاطِرِهِمْ . يُونَانِيُّونَ فِي اسْتِبْطَاطِهِمْ لِلْيَمَاءِ وَمُعَانَاتِهِمْ لِضُرُوبِ
 الْفَرَاسَاتِ وَاخْتِيَارِهِمْ لِأَجْنَاسِ الْفَوَاحِشِ وَتَذْيِيرِهِمْ لِتَرْكِيبِ الشَّجَرِ
 وَتَحْسِينِهِمْ لِلْبَسَائِنِ بِأَنْوَاعِ الْخَضِرِ وَصُوفِ الزَّهْرِ . فَهُمْ أَحْكَمُ
 النَّاسِ لِأَسْبَابِ الْفَلَاحَةِ . وَمِنْهُمْ ابْنُ بَصَالٍ صَاحِبُ كِتَابِ الْفَلَاحَةِ
 الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ الشَّجَرَةُ بِفَضْلِهِ . وَهُمْ أَصْبَرُ النَّاسِ عَلَى مُطَاوَلَةِ التَّيِّبِ
 فِي تَجْوِيدِ الْأَعْمَالِ . وَمُقَاسَاةِ النَّصَبِ فِي تَحْسِينِ الصَّنَائِعِ . أَحَذَقُ
 النَّاسِ بِالْفَرُوسِيَّةِ وَأَبْصَرُهُمْ بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ . وَمِنْ فَضَائِلِهِمْ
 اخْتِرَاعُهُمْ لِلْخُطُوطِ الْخُصُوصَةِ بِهِمْ (قَالَ) وَكَانَ خَطُّهُمْ أَوَّلًا مَشْرِقِيًّا .
 وَعَدَّ ابْنُ غَالِبٍ فِي فَضَائِلِهِمْ اخْتِرَاعَهُمْ لِلدُّوشَحَاتِ الَّتِي اسْتَحْسَنَهَا أَهْلُ
 الْأَشْرِقِ وَصَارُوا يَنْزِعُونَ مَنْزَعَهَا . وَأَمَّا نَظْمُهُمْ وَتَرْهُمُ فَلَا يَخْفَى عَلَى مَنْ
 وَقَفَ عَلَيْهِمَا غُلُوطَبَاتُهُمْ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَلَمَّا نَفَذَ قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى
 عَلَى أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بَحْرُوجَ أَكْثَرِهِمْ عَنْهَا فِي هَذِهِ الْقِنْسَةِ الْأَخِيرَةِ
 الْمِيرَةِ تَفَرَّقُوا بِإِلَادِ الْغَرْبِ الْأَقْصَى مِنْ بَرِّ الْمُدَوَّةِ فِي بِلَادِ أَفْرِيقِيَّةِ .
 فَأَمَّا أَهْلُ الْبَادِيَةِ فَمَالُوا فِي الْبُؤَادِي إِلَى مَا اعْتَادُوهُ وَدَاخَلُوا أَهْلَهَا

فِيهَا لَنَا تَبَرُّ وَفِي حَانِهَا
كَالَّذِينَ الْحَالِصِ فِي حِلِّهِ مَا خَرَجَتْ عَنْهُ سِوَى بِالْأَسْوَدِ
قَالَ آخَرُ :

عَرَجَ عَلَى الْقَهْوَةِ فِي حَانِهَا فَالْلُّطْفُ قَدْ حَفَّ بِئَدَمَانِهَا
فَانْهَارَ لَا غَمَّ يُبْقِي إِذَا قَالَبَكَ السَّاقِي بِفُتْحَانِهَا
لَا يُوجَدُ الْغَمُّ بِحَانَاتِهَا قَدْ خَضَعَ الْغَمُّ لِسُلْطَانِهَا
بِمَانِهَا نَفْسُ الْكَدَارِ وَأَتَحْرَقُ الْهَمُّ بِدِرَانِهَا
يَقُولُ مَنْ أَبْصَرَ كَانُونَهَا أَفَّ عَلَى الْخَمْرِ وَأَذَانِهَا
فَأَشْرَبَ وَلَا تَسْمَعُ كَلَامَ الَّذِي بِجَهْلِهِ يُفْتِي بِبُطْلَانِهَا
(عمدة الصفوة في حل القهوة لعبد القادر الجزيري)

ذكر الاندلس وما خُصَّ به أهلها من العوائد والاختراعات

٣٣٣ إِنْ عِلْمٌ أَنْ فَضْلَ الْأَنْدَلُسِ ظَاهِرٌ . كَمَا أَنَّ حُسْنَ بِلَادِهِمْ بَاهِرٌ .
أَشْرَافُ عَرَبِ الْمَشْرِقِ أَفْتَحُوا . وَسَادَاتُ أَشْرَافِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ
تَزَلُّوْهَا . فَفِي الْأَنْسَلُ فِيهَا بِكُلِّ إِقْلِيمٍ . عَلَى عِرْقٍ كَرِيمٍ . فَلَا يَكَادُ
بَلَدٌ مِنْهَا يَخْلُو مِنْ كَاتِبٍ مَاهِرٍ . وَشَاعِرٍ قَاهِرٍ . وَقَدْ أَعَاتَتْهُمْ عَلَى الشُّعْرِ
أَنْسَابُهُمُ الْعَرَبِيَّةُ . وَبِقَاعُهُمُ النَّصْرَةُ وَهُمْهُمْ الْأَبِيَّةُ . قَالَ صَاحِبُ
الْفَرَحَةِ : أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَرَبٌ فِي الْأَنْسَابِ وَالْعِزَّةِ وَالْأَنْفَةِ وَعُلُوِّ
الْهَمِّ وَفَصَاحَةِ الْأَلْسُنِ وَطِيبِ النُّفُوسِ وَإِبَاءِ الضَّمِيرِ وَقِلَّةِ احْتِمَالِ
الذَّلِّ وَالسَّمَاحَةِ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالنَّزَاهَةِ عَنِ الْخُضُوعِ وَإِتْيَانِ الدَّنِيَّةِ .

الْبَابُ الثَّامِنُ عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب كسرى بن هرمز الى موريقي ملك الروم

لما وثب الفرس على هرمز ملكهم فسلموا عينيه ثم قتلوه وملكوا عليهم هرام الرزبان. كان لهرمز ابن حدث اسمه كسرى وهو المعروف بانوشروان العادل. فتكر كانه سائل وشق سلطان الفرس حتى جاء نصيبين وصار الى الرما ومنها الى مئرج وكتب الى موريقي كتابا نخته:

٣٢٤ اَللّٰهُمَّ الْمُبَارَكُ وَالسَّيِّدُ الْمُقَدَّمُ مُوْرِيقِي مَلِكِ الرُّومِ مِنْ كِسْرَى
أَبْنِ هُرْمَزِ السَّلَامُ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَعْلَمُ الْمَلِكَ أَنَّ بَهْرَامَ وَمَنْ مَعَهُ
مِنْ عِبِيدِ أَبِي جَهْلُوا قَدَرَهُمْ وَتَسَوُّوا أَنَّهُمْ عَبِيدُ وَأَنَا مَوْلَاهُمْ . وَكَفَرُوا
نَعَمَ آبَائِي لَدَيْهِمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيَّ وَأَرَادُوا قَتْلِي . فَهَمَمْتُ أَنْ أَفْرَعَ إِلَى
مِثْلِكَ فَأَعْتَصِمَ بِفَضْلِكَ وَأَكُونَ خَاضِعًا لَكَ . لِأَنَّ الْخُضُوعَ لِمَلِكٍ مِثْلِكَ
وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا أَيْسَرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَيْدِي الْعَبِيدِ الْمُرْدَةِ . وَلَآنَ يَكُونُ
مَوْتِي عَلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ أَفْضَلَ وَأَقْلُّ عَارًا مِنْ أَنْ يَخْرِي عَلَى أَيْدِي
الْعَبِيدِ . فَفَرَعْتُ إِلَيْكَ ثِقَةً بِفَضْلِكَ وَرَجَاءً أَنْ تَتَرَأَّفَ عَلَيَّ مِثْلِي
وَتُمَدِّدَنِي بِجُيُوشِكَ لِأَقْوَى بِهِمْ عَلَى مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ وَأَصِيرَ لَكَ وَلَدًا
سَامِعًا وَمُطِيعًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

فلما ثرا موريقي كتاب كسرى بن هرمز عزم على اجابة مسئلته لانه لما اليه فأنجده
بمشرين ألفا . وسير له من الأموال أربعين قنطارا ذهباً وكتب اليه كتابا نخته:

٣٢٥ مِنْ مُوْرِيقِي عَبْدِ يَشُوعَ الْبَسِيحِ إِلَى كِسْرَى مَلِكِ الْفُرْسِ وَلَدِي

وَشَارَكُوهُمْ فِيهَا . فَاسْتَبَطُوا الْمِيَاهَ وَغَرَسُوا الْأَشْجَارَ وَأَخَذُوا الْأَرْضَ
الطَّاحِنَةَ بِالْمَاءِ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَعَلَّمُوهُمْ أَشْيَاءَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَهَا وَلَا
رَأَوْهَا . فَشَرَفَتْ بِلَادُهُمْ وَصَلَحَتْ أُمُورُهُمْ وَكَثُرَتْ مُسْتَعْلَاتُهُمْ وَعَمَّتْهُمْ
الْخَيْرَاتُ . وَأَمَّا أَهْلُ الْحَوَاضِرِ فَأَلَوْا إِلَى الْجَوَاضِرِ وَاسْتَوَطَنُوهَا . وَأَمَّا
أَهْلُ الْأَدَبِ فَكَانَ مِنْهُمْ الْوُزَرَاءُ وَالْكَتَّابُ وَالْعَمَالُ وَجِبَاةُ الْأَمْوَالِ
وَالْمُسْتَعْمِلُونَ فِي أُمُورِ الْمَمْلَكَةِ . وَلَا يُسْتَعْمَلُ بِلَدِيٍّ مَا وَجَدَ أُنْدَلُسِيُّ .
وَأَمَّا أَهْلُ الصَّنَاعِ فَإِنَّهُمْ فَأَفُوا أَهْلَ الْبِلَادِ وَقَطَعُوا مَعَاشَهُمْ وَاجْتَلَوْا
أَعْمَالَهُمْ وَصَيَّرُوهُمْ أَتْبَاعَهُمْ وَمُتَصَرِّفِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَمَتَى دَخَلُوا
فِي شُغْلِ عَمَلِهِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ وَأَفْرَغُوا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْهَذَقِ وَالنَّجْوِيدِ
مَا يَمِيلُونَ بِهِ النَّفُوسَ إِلَيْهِمْ وَيُصَيِّرُ الذِّكْرَ لَهُمْ . وَلَا يَدْفَعُ هَذَا عَنْهُمْ إِلَّا
جَاهِلِيٌّ أَوْ مُبْطِلٌ . وَمِنْ حِكَايَاتِهِمْ فِي الذِّكَاةِ وَاسْتِخْرَاجِ الْعُلُومِ
وَاسْتِجَابِهَا أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ عَبَّاسَ بْنَ فِرْنَاسٍ حَكِيمَ الْأَنْدَلُسِ أَوَّلُ مَنْ
اسْتَبَطَ بِالْأَنْدَلُسِ صِنَاعَةَ الزُّجَاجِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ بِهَا
كِتَابَ الْعَرُوضِ لِلْخَلِيلِ . وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ الْمَوْسِيقَى وَصَنَعَ الْأَلَةَ
الْمَعْرُوفَةَ بِالْمِثْقَالِ لِيَعْرِفَ الْأَوْقَاتَ عَلَى غَيْرِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ . وَاحْتَالَ فِي
تَطْيِيرِ جُثَمَانِهِ وَكَمَا نَفَسَهُ الرِّيشَ وَمَدَّ لَهُ جَنَاحَيْنِ وَطَارَ فِي الْجَوِّ
مَسَافَةً بَعِيدَةً . وَلَكِنَّهُ لَمْ يُحْسِنِ الْأَحْسَالَ فِي وَفْوَعِهِ . وَلَمْ يَذَرِ أَنَّ
الطَّيَّارَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى زِمِكِهِ وَلَمْ يَفْعَلْ لَهُ ذَنْبًا . وَصَنَعَ فِي بَيْتِهِ هَيْئَةً
السَّمَاءِ وَخَيَّلَ لِلنَّظَرِ فِيهَا النُّجُومَ وَالنُّيُومَ وَالْبُرُوقَ وَالرُّعُودَ (للقري)

أَقْدَمَكَ مِصْرَ أَجْعَلَهَا لَكَ طُعْمَةً وَلَا لِقَوْمِكَ . وَلَكِنِّي وَجَّهْتُكَ لِمَا
 رَجَوْتُ مِنْ تَوْفِيرِكَ الْخُرَاجَ وَحُسْنِ سِيَاسَتِكَ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَأَحْمِلْ
 الْخُرَاجَ فَإِنَّمَا هُوَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَعِنْدِي مَنْ تَعْلَمُ قَوْمٌ مُحْصُونَ . وَالسَّلَامُ
 ٣٢٧ (فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَبْطِئُ فِي الْخُرَاجِ . وَيَزْعُمُ أَنِّي أَغْدُو عَنْ الْحَقِّ وَأَنْكَبُ
 عَنْ الطَّرِيقِ . وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرْغَبُ عَنْ صَالِحٍ مَا تَعْلَمُ وَلَكِنْ أَهْلُ
 الْأَرْضِ اسْتَنْظَرُونِي إِلَى أَنْ تُدْرِكَ غَلَّتْهُمْ فَظَرْتُ لِلْمُسْلِمِينَ فَكَانَ
 الرِّفْقُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْ أَنْ يُخْرَقَ بِهِمْ فَصَصِرَ إِلَى مَا لَا غِنَى بِهِمْ عَنْهُ .
 وَالسَّلَامُ (لجلال الدين السيوطي)

كتاب غنصة بن اسحاق الى المأمون وهو عامله على الرقة

يصف خروج الأعراب بناحية سنجار وغبثهم بها

٣٢٨ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَطَعَ سُبُلَ الْمُجْتَازِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ
 نَفَرٌ مِنْ شَذَازِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ لَا يُزُقُّونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ وَلَا
 يَخَافُونَ فِي اللَّهِ حَدًّا وَلَا عُقُوبَةً . وَلَوْ لَا ثِقَتِي بِسَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَحَصْدِهِ هَذِهِ الطَّائِفَةَ وَبُلُوغِهِ فِي أَعْدَاءِ اللَّهِ مَا دَعَوْتُ قَاصِبَهُمْ وَدَائِبَهُمْ
 لِأَذْنَتِ بِالْإِسْتِجَادِ عَلَيْهِمْ وَلَا سَعَيْتُ الْخَيْلَ إِلَيْهِمْ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُعَانٌ
 فِي أُمُورِهِ بِالتَّائِيدِ وَالنَّصْرِ . (فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ) :

اسْتَمَعْتُ غَيْرَ كَهَامِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لَا يَقْطَعُ السَّيْفُ إِلَّا فِي يَدِ الْحَدِيدِ
 سَيُضِجُ الْقَوْمُ مِنْ سَيْفِي وَضَارِبِهِ مِثْلَ الْمَشِيمِ ذَرْنَهُ الرِّيحُ بِالْمَطَرِ

وَأَخِي السَّلَامُ . أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهَيْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ مِنْ
أَمْرِ الْعَبِيدِ الَّذِينَ تَمَرَّدُوا عَلَيْكَ . وَكَوْنِهِمْ غَمَطُوا أَنْعَمَ آبَائِكَ وَأَسْلَافِكَ
غَمَطًا وَخَرَوْهُمْ عَلَيْكَ وَدَخَضِهِمْ إِيَّاكَ عَنْ مُلْكِكَ فَقَدْ دَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ
أَمْرٌ حَرَّكَني عَلَى التَّرَافِ بِكَ وَعَلَيْكَ وَإِمْدَادِكَ بِمَا سَأَلْتُ . فَأَمَّا مَا
ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّ الْأَسْتِثَارَ تَحْتَ جَنَاحِ مَلِكٍ عَذُوٌّ وَالْأَسْتَظْلَالَ بِكَفِّهِ
آثَرٌ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَيْدِي الْعَبِيدِ الْمُرْدَةِ وَالْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ
أَفْضَلُ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي الْعَبِيدِ فَإِنَّكَ اخْتَرْتَ أَفْضَلَ الْحِصَالِ
وَرَغِبْتَ إِلَيْنَا فِي ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقْنَا قَوْلَكَ وَقَلَبْنَا كَلَامَكَ وَحَقَّقْنَا
أَمْلَكَ وَأَتَمَمْنَا بُعَيْتَكَ وَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ وَحَمَدْنَا سَعْيَكَ وَشَكَرْنَا حُسْنَ
ظَنِّكَ بِنَا . وَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ بِمَا سَأَلْتَ مِنَ الْجُيُوشِ وَالْأَمْوَالِ وَصَيَّرْنَاكَ
لِي وَلَدًا وَكُنْتَ لَكَ أَبَا . فَأَقْبِضِ الْأَمْوَالَ مُبَارَكًا لَكَ فِيهَا وَقَدْ الْجُيُوشَ
وَسِرْ عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَلَا يَعْتَرِكَ الضَّجَرُ وَالْهَلَعُ . بَلْ تَشْتَرِ لِعَدُوِّكَ
وَلَا تَقْصِرْ فِيمَا يَجِبُ لَكَ إِذَا تَطَاطَأْتَ مِنْ دَرَجَتِكَ وَانْحَطَطْتَ عَنْ
مَرْتَبَتِكَ . فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُظْفِرَكَ اللَّهُ بِعَدُوِّكَ وَيُرَدِّدَ كَيْدَهُ فِي نُحْرِهِ
وَيُعِيدَكَ إِلَى مَرْتَبَتِكَ بِرَجَاءِ اللَّهِ تَعَالَى (لابي الفرج الملطبي)

كتاب عمرو بن الخطاب الى عمرو بن العاص

٣٢٦ إِيَّيْ أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ . أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَجِبْتُ
مِنْ كَثْرَةِ كُتُبِي إِلَيْكَ فِي إِبْطَائِكَ بِالْخُرَاجِ وَكِتَابِكَ إِلَيَّ بِبَيِّنَاتِ
الطُّرُقِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لَسْتُ أَرْضَى مِنْكَ إِلَّا بِالْحَقِّ الْبَيِّنِ . وَلَمْ

مِنَ الْمُؤَنَةِ وَمرَّةً أَكْتُبُ كِتَابَ الرَّاجِعِ مِنْكَ إِلَى الثَّقَةِ . وَالمُتَمِّدِ مِنْكَ
عَلَى الْفَيْلِ لَا أَعِدُّنَا اللَّهُ دَوَامَ عِزِّكَ وَلَا سَبَّ الدُّنْيَا بِهَيْجَتِهَا بِكَ وَلَا
أَخْلَانَا مِنَ الصُّنْعِ لِلَّهِ . فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ إِلَّا نِعْمَتَكَ وَلَا نَجِدُ الْحَيَاةَ طَعْمًا
إِلَّا فِي ظِلِّكَ . وَلَئِنْ كَانَتْ الرَّغْبَةُ إِلَى بَشَرٍ مِنَ النَّاسِ خَسَاسَةً وَذُلًّا
لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الرَّغْبَةَ إِلَيْكَ كَرَامَةً وَعِزًّا . لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ حُرًّا قَعَدَ
بِهِ دَهْرُهُ إِلَّا سَبَّتَ مَسَلَّتُهُ بِالْمَطِيَّةِ وَصُنَّتْ وَجْهَهُ عَنِ الطَّلَبِ وَالذَّلَّةِ .
(فَصْلُ) : لَكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ عِنْدِي أَيَادٍ تَشْفَعُ لِي فِي مَحَبَّتِكَ وَمَعْرُوفُ
يُوجِبُ عَلَيْكَ الْوُدَّ وَالْإِتِّمَامَ . وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُخَيِّرَنِي مَا لَمْ تَرَلِ
الْقِرَاسَةَ تَعْدُنِيهِ فِيكَ . (فَصْلُ) : قَدْ أَجَلَ اللَّهُ قَدْرَكَ عَنِ الْإِعْتِذَارِ
وَأَغْنَانِي فِي الْقَوْلِ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ بِمَا فَعَلْتُ وَتَرْضَى بِمَا أُنْعَمُ
وَصَلَتْ أَوْ قَطَعَتْ

(العقد الفريد)

كان الامير عبد الرحمن قد جفا ابنته المنذر وبغده لسوء خلقه فكتب الى ابيه :

٣٣٣ إِنِّي قَدْ تَوَحَّشْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَوَحُّشًا مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ
وَعَدِمْتُ فِيهِ مَنْ كُنْتُ آسُ إِلَيْهِ . وَأَصْبَحْتُ مَسْلُوبَ الْعِزِّ فَقِيدَ
الْأَمْرِ وَالتَّهْيِ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عِقَابًا لِلذَّنْبِ كَبِيرٍ أَرْتَكِبْتُهُ وَعِلْمُهُ
مَوْلَايَ وَلَمْ أَعْلَمْهُ فَإِنِّي صَابِرٌ عَلَى تَأْدِيبِهِ ضَارِعٌ إِلَيْهِ عَفْوُهُ وَصَحْفُهُ :
وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلُهُ لَكَالْدَهْرِ لَا عَارَ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

(للمغري)

(فلما وقف الأمير على رفقته أرجعه الى ما اعتاده)

(فوجه غيبة باليتين الى الاعراب فابقي منهم اثنان) (لابن عبد ربو)

في الطلب وحسن التواصل

كتاب ابي الغناء الى عبيد الله بن سليمان

٣٢٩ أَنَا أَعَزُّكَ اللَّهُ وَوُلْدِي وَعِيَالِي زَرْعٌ مِنْ زَرْعِكَ إِنْ أَسْقَيْتَهُ رَاعٌ وَزَكَا. وَإِنْ جَفَوْتُهُ ذَبَلٌ وَذَوَى. وَقَدْ مَشَّنِي مِنْكَ جَفَاءً بَعْدَ بَرٍّ وَإِعْفَالٍ بَعْدَ تَعَاهِدٍ حَتَّى تَكَلِّمَ عَدُوَّ وَصِيَّتِ حَاسِدٍ. وَلَعِبْتَ بِي ظُنُونٌ رِجَالٍ كُنْتُ بِهِمْ لَا عِبَاءَ وَلَهُمْ مُخْرَسًا. وَلِلَّهِ دَرَأِي الْأَسْوَدُ فِي قَوْلِهِ: لَا تُهِنِّي بَعْدَ أَنْ أَكْرَمْتَنِي وَشَدِيدُ عَادَةٍ مُنْتَرَعَةٍ

٣٣٠ (فَوْقَ فِي رُقْعَتِهِ): أَنَا أَسْعِدُكَ اللَّهُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي عَهِدْتُ وَمِيلِي إِلَيْكَ كَمَا عَلِمْتُ. وَلَيْسَ مِنْ أَنْفِسِيئِهِ أَهْمَلْنَاهُ وَلَا مِنْ آخِرِنَاهُ تَرَكْنَاهُ مَعَ اقْتِطَاعِ الشُّغْلِ لَنَا وَاقْتِسَامِ زَمَانِنَا. وَكَانَ مِنْ حَقِّكَ عَلَيْنَا أَنْ تُذَكِّرَنَا بِنَفْسِكَ وَتُعَلِّمَنَا أَمْرَكَ. وَقَدْ وَقَعْتُ لَكَ بِرِزْقِ شَهْرَيْنِ لِيُرِيحَ غَلَّتْكَ وَتُعَرِّفَنِي مَبْلَغَ اسْتِحْقَاقِكَ لِأُطْلِقَ لَكَ بَاقِي أَرْزَاقِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَالسَّلَامُ

(للقيرواني)

فصول لابن عبد ربو

٣٣١ لِلْمُفْضِلِ أَنْ يُخَصَّ بِفَضْلِهِ مِنْ شَاءَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ثُمَّ لَهُ فِيمَا أَعْطَى وَلَا حُجَّةَ عَلَيْهِ فِيمَا مَنَعَ. كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنِّي وَاجِدُ أَمْرِي خَالِصَةً سَرِيرَتِي. أَرَى بِبَقَائِكَ بَقَاءَ سُرُورِي وَبِدَوَامِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ دَوَامًا عِنْدِي. لَا أَزَالُ أَبْقَاكَ اللَّهُ أَسْأَلُ الْكِتَابَ إِلَيْكَ. فَمَرَّةً أَتَوَقَّفُ تَوَقَّفَ الْمُخْتَفِّ عَنكَ

تَعِيَهُ أَذُنَاكَ . وَتَجْنُ لِعَيْنَيْكَ كَمَقْدٍ ذَهَبَتْ وَاسِطَتُهُ وَشَبَابٍ قَدْ أَخَذَتْ
جِدَّتُهُ . وَإِذَا غَابَتْ شَمْسُ السَّمَاءِ غَنًّا فَلَا بُدَّ أَنْ تَدْنُو شَمْسُ الْأَرْضِ
مِنَّا . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْضُرَ لِتَتَّصِلَ الْوَاسِطَةُ بِالْعَقْدِ . وَتَحْصُلَ بِكَ فِي جَنَّةِ
الْخُلْدِ . فَكُنْ إِلَيْنَا أَسْرَعَ مِنْ السَّهْمِ فِي مَرِّهِ . وَالْمَاءِ إِلَى مَقَرِّهِ . لِئَلَّا يَخْبَثَ
مِنْ يَوْمِي مَا طَابَ . وَيَعُودَ مِنْ يَوْمِي مَا طَارَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ (للنواحي)

فصول في العتاب والاعتذار

فصول لاحمد بن يوسف

٣٣٦ لَوْلَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ أَغْرَكَ اللَّهُ لَكَانَ فِي إِغْضَائِكَ عَنِّي
مَا يَقْضِي عَنِ الطَّلِبَةِ إِلَيْكَ . وَلَكِنْ أَمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنَ الرَّجَاءِ عَلَيَّ
بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَيَّ الَّذِي لَوْ قَبَضْتَهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ
لَهُ إِلَّا كَرْمُكَ مُذَكِّرًا وَسُودُوكَ شَافِعًا . (فَضْلٌ) . لَا سَبِيلَ إِلَى
شِكَايَتِكَ إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا أَسْتَعَانَةَ إِلَّا بِكَ . وَمَا أَحَقَّ مَنْ جَعَلَكَ عَلَى
أَمْرِ عَوْنًا أَنْ تَكُونَ لَهُ إِلَى التَّنَجَّحِ سَبَبًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

عَجِبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ انْقَلَبَ وَمِنْ طُولِ وِدِّكَ أَنِّي ذَهَبْتُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَنَّنِي أَرَاكَ بَعِينَ الرِّضَا فِي الْغَضَبِ
(فَضْلٌ) . إِنْ مَسَّلَتْنِي إِلَيْكَ حَوَائِجِي مَعَ عَتَبِكَ عَلَيَّ مِنَ الْلُومِ . وَإِنْ
إِمْسَاكِ عَنْهَا فِي حَالِ ضَرُورَةٍ إِلَيْهَا مَعَ عَلَيَّ بِكَرْمِكَ فِي السُّخْطِ وَالرِّضَا
لَعَجْزُ . غَيْرَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ أَقْرَبَ الْوَسَائِلِ فِي طَلَبِ رِضَاكَ مَسْأَلَتُكَ
مَاسْتَعٍ مِنَ الْحَاجَةِ . إِذْ كُنْتُ لَا تَجْمَلُ عَتَبَكَ سَبَبًا لِنَعْرِ مَعْرُوفِكَ

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى بعض الحلة يستدعيه

٣٣٣ يَوْمَنَا يَوْمَ لَيْلِ الْحَوَاشِي وَطِي النَّوَاحِي وَسَمَاؤُنَا قَدْ أَقْبَلَتْ
وَرَعَدَتْ بِالْخَيْرِ وَبَرَقَتْ. وَأَنْتَ قُطْبُ السُّرُورِ وَنِظَامُ الْأُمُورِ. فَلَا
تَفْرُدْنَا قَلِيلًا. وَلَا تَفْرُدْنَا فَنَذِلَّ (للقيرواني)

كتاب ابي العباس الغساني كاتب صاحب افريقية لبعض الاصدقاء .

٣٣٤ سِرٌّ إِلَى مَجْلِسٍ يَكَادُ يَسِيرُ شَوْقًا إِلَيْكَ. وَيَطِيرُ بِأَجْحَةٍ مِنْ
جَوَاهُ حَتَّى يَجُلَّ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَلِلَّهِ دُرُكُمَا إِنْ طَلَعَتْ بَدْرًا بِأَعْلَاهُ
وَجَمَالِهِ إِنْ ظَهَرَتْ غُرَّةً بِمَجْيَاهُ. فَهَوَاؤُكَ قَدْ حَوَى نُجُومًا تَتَشَوَّقُ إِلَى
طُلُوعِ بَدْرِهَا. وَقَطْرُكَ قَدْ اشْتَمَلَ عَلَى أَنْهَارٍ تَتَشَوَّقُ إِلَى بَحْرِهَا. لَتَسْتَمِدَّ
مِنْهُ. فَإِنْ مَنَنْتَ بِالْحُضُورِ. وَإِلَّا فَيَا خَيْبَةَ السُّرُورِ. قَالَ ابْنُ الزَّيْنِ

قَامَتْ لِعَيْنَيْكَ الدُّنْيَا عَلَى سَاقٍ وَالْكَأْسُ أَضْجَعُ غَضْبَانًا عَلَى السَّاقِ
وَالرَّاحُ قَدْ أَقْسَمَتْ أَنْ لَا تَطِيبَ لَنَا حَتَّى تَرَى وَجْهَكَ الْأَزْهَى بِإِشْرَاقٍ
وَأَعْيُنُ الزَّهْرِ نَحْوَ أَلْبَابِ نَازِرَةٍ وَقَدْ صَغَتْ أُذُنُ السُّوسَنِ لِلطَّاقِ
فَأَسْعَ بِمَجُودِكَ فَضْلًا بِالْحُضُورِ لَنَا مَا دَامَ تَمَلُّ مَسَرَّاتِ الْهَنَاءِ بَاقٍ
فَلَوْ دُعِيتُ إِلَى هَذَا سَعَيْتُ لَهُ يَا حَبْذَاكَ عَلَى رَأْسِي وَأَحْدَايِ

كتاب صاحب ابن عباد الى صديق له

٣٣٥ مَجْلِسُنَا يَا سَيِّدِي مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ مُعَوِّلٌ فِي شَوْقِهِ عَلَيْكَ. وَقَدْ أَبَتْ
رَاحَتُهُ أَنْ تَصْفُرُوا إِلَّا أَنْ تَتَنَاوَلَهَا يَمْنَاكَ. وَأَقْسَمَ غِنَاؤُهُ لَا يَطِيبُ حَتَّى

دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ نَائِبَةَ اللَّهِ رِوَحَاشَاكَ أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ
 أَشْهَدُ اللَّهَ مَا عَلِمْتُ وَمَاذَا لَكَ مِنَ الْعُذْرِ جَائِزًا مَقْبُولًا
 وَلَعَمْرِي أَنْ لَوْ عَلِمْتُ قَلَّازِمَ نُكَ حَوْلًا لَكَانَ عِنْدِي قَلِيلًا
 فَأَجْعَلَنِي لِي إِلَى التَّلَاقِ بِالْعُذْرِ رِسِيلًا إِنْ لَمْ أَجِدْ لِي سَبِيلًا
 قَدِيمًا مَا جَادَ بِالصَّنْعِ وَالْعَمَلِ وَمَا سَاحَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا

فصول في الذم

كتاب أبي بكر الخوارزمي الى العامل على البريد بالاهواز

٣٤٠ كُنْتُ ظَنَنْتُ بِكَ يَا أَخِي ظَنًّا كَذِبُهُ قُبْحُ فِعْلِكَ . وَضَعْفُ هَجْرِكَ
 وَوَصْلِكَ . فَإِنَّكَ لَا تَعْمَلُ فِيهِمَا عَلَى قِيَاسٍ وَاجِبٍ وَلَا تَصِيرُ مِنْهُمَا عَلَى
 طَعَامٍ وَاحِدٍ . فَلَا جَرَمَ لَقَدْ رَجَعْتُ فِي وَدِّي لَكَ وَمَا كُنْتُ أَرْجِعُ فِي
 هَيْهَةِ . وَنَدِمْتُ عَلَى ثِقَتِي بِكَ وَعَهْدِي أَنْ لَا أَنْدَمَ عَلَى حَسَنَةِ (الخوارزمي)

كتاب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري

٣٤١ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ لِلنَّاسِ نَفْرَةً عَنْ سُلْطَانِهِمْ . فَاحْذَرِ أَنْ تُدْرِكَنِي
 وَإِيَّاكَ عَمِيَّةٌ مَجْهُولَةٌ . وَضَعَانٌ مَحْمُولَةٌ . وَأَهْوَاءٌ مُتَّبَعَةٌ وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةٌ . فَأَقِمِ
 الْحُدُودَ وَلَوْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ وَبَاشِرِ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَأَفْتَحْ بَابَكَ لَهُمْ .
 فَإِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ غَيْرُ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ أَثَقَلَهُمْ حِمْلًا . وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ قُشِتَ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ هَيْهَةُ فِي لِبَاسِكَ وَطَعَامِكَ
 وَمَرْكَبِكَ لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ مِثْلُهَا . فَإِيَّاكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ كَأَبْهِيَةِ

فصل في العتاب للعتابي

٣٣٧ تَأْنِينًا إِفَافَتَكَ مِنْ سَكْرَتِكَ وَتَرَقَّبْنَا أَنْتَبَاهُكَ مِنْ رَقْدَتِكَ .
وَصَبْرَنَا عَلَى تَجَرُّعِ الْغَيْظِ فِيكَ . فَهَذَا أَنَا قَدْ عَرَفْتُكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ فِي
تَعْدِيكَ لِطُورِكَ وَإِطْرَاحِكَ حَقَّ مَنْ غَلِطَ فِي اخْتِيَارِكَ (لابن عبد ربه)

فصول لابن مكرم في الاعتذار

٣٣٨ لَيْسَ يُزِيلُنِي عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ فِعْلُ حَمْلِكَ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِ .
وَلَا يَقْطَعُنِي عَنْ رَجَائِكَ عَتَبُ حَدَثٍ عَلَيَّ مِنْكَ . بَلْ أَرْجُو أَنْ
بَتَقَاضَى كَرَمِكَ إِجْزَارَ وَعْدِكَ إِذَا كَانَ أَبْلَغَ الشُّفْعَاءِ إِلَيْكَ . وَأَوْجَبَ
الْوَسَائِلِ لَدَيْكَ . (فضل) أَنْتَ أَعَزُّكَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعُفْوِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ
أَنْ تُجَازِيَنِي بِالسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْهِ بِيدٍ وَلَا لِسَانٍ بَلْ جَنَاهُ عَلَى لِسَانٍ
وَاشٍ . فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تَسْهَلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْكَرَمِ
وَأَرْغَى لِلْحُقُوقِ . وَأَقْعُدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِدِمَائِمَاتِهِ . مِنْ أَنْ تُرَدِّدَ يَدَ مُؤَمِّلِكَ
صَفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا أَلْتَمَسَهُ . وَمِنْ عُذْرِكَ إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ

٣٣٩ مرض الحسن بن وهب فلم يعهده ابن الزيات ولم يتعرف خبره فكتب إليه :
أَيُّهَا إِذَا أُلْوِزِرَ أَيْدِيكَ أَلَا هُ وَأَبْقَاكَ لِي زَمَانًا طَوِيلًا
أَحْمِيلًا تَرَاهُ يَا أَكْرَمَ الدَّاءِ سِ لِكَيْمَا أَرَاهُ أَيْضًا جَمِيلًا
أَنْتِي قَدْ أَقَمْتُ عَشْرًا عَلِيلًا مَا تَرَى مُرْسِلًا إِلَيَّ رَسُولًا
إِنْ يَكُنْ يُوجِبُ التَّعَهُدُ فِي الصُّحُوبَةِ مِنَّا عَلَيَّ مِنْكَ طَوِيلًا
فَهُوَ أَوْلَى يَا سَيِّدَ النَّاسِ بِرَأَا وَافْتِقَادًا لِمَنْ يَكُونُ عَلِيلًا

أَنْكَرْتَ شَيْئًا فَلَسْتُ فَأَعْلَهُ وَلَنْ تَرَاهُ يُخْطِ فِي كُتُبِكَ .
 إِنْ يَكُ جَهْلٌ أَتَاكَ مِنْ قِبَلِي فَقَدْ بِفَضْلِ عَلِيٍّ مِنْ حَسَبِكَ
 فَأَعْبُ فِدَّتِكَ النَّفْسُ عَنْ رَجُلٍ يَعِيشُ حَتَّى أَمَاتَ فِي أَدَبِكَ

فصول في التوصية

كتاب نحو الى ابي عبيدة بعد فتوح الشام

٣٤٤ . وَبَعْدُ فَإِنِّي وَلَيْتَكَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا تَسْتَحْيَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي
 مِنْ الْحَقِّ . وَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي يَبْقَى وَيَنْفَى مَا سِوَاهُ
 وَالَّذِي اسْتَغْرَجَكَ مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهُدَى وَقَدْ اسْتَعْمَلَكَ عَلَى جُنْدٍ مَا
 هُنَاكَ مَعَ خَالِدٍ فَأَقِضْ جُنْدَهُ وَأَعِزَّهُ عَنْ إِمَارَتِهِ . وَلَا تَقُلْ إِنِّي
 أَرْجُو لَكُمْ النَّصْرَ فَإِنَّ النَّصْرَ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْيَقِينِ وَالثِّقَةِ بِاللَّهِ .
 وَإِيَّاكَ وَالْغَرِيرَ بِالِقَاءِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْهَلَكَةِ . وَغَضَّ عَنْ الدُّنْيَا عَيْنَكَ
 وَأَلْهِ عَنْهَا قَلْبَكَ . وَإِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْآخِرَةِ سِتْرُ الْحِمَارِ وَقَدْ تَهَدَّمَكَ
 سَلْفُكَ . وَأَنْتَ كَأَنَّكَ مُنْتَظِرُ سَفَرٍ أَوْ رَحِيلًا مِنْ دَارٍ مَضَتْ نَضَارَتُهَا
 وَذَهَبَتْ زَهْرَتُهَا . فَأَحْزَمُ النَّاسِ فِيهَا الرَّحَالُ عَنْهَا لِغَيْرِهَا وَيَكُونُ زَادُهُ
 التَّقْوَى . وَرَاعِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتَ . وَأَمَّا اخْتِصَامُكَ أَنْتَ وَخَالِدٌ
 فِي الصُّلْحِ أَوْ الْقِتَالِ فَأَنْتَ الْوَلِيُّ وَصَاحِبُ الْأَمْرِ . وَالسَّلَامُ وَرَحْمَةُ
 اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ (فتوح الشام للواقدي)

كتاب بديع الزمان الى ابن اخته

٣٤٥ . أَنْتَ وَلَدِي مَا دُمْتَ وَالْعِلْمُ شَأْنُكَ . وَالْمَدْرَسَةُ مَكَانُكَ .

هُمَا فِي السَّمَنِ وَالسَّيْنِ حَتْفُهَا . وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَامِلَ إِذَا زَاغَ زَاغَتْ رَعِيَّتُهُ .
وَأَشَقُّ النَّاسِ مَنْ يَشْقَى بِهِ النَّاسُ . وَالسَّلَامُ لابن عبد ربه .

كتاب صلاح الدين الى معز الدين صاحب الجزيرة

٣٤٢ إِنَّكَ أَنْتَ قَصَدْتَ الْإِنْتِمَاءَ إِلَيَّ ابْتِدَاءً وَرَاجَعْتَنِي فِي ذَلِكَ
مِرَارًا . وَأَظْهَرْتَ الْحَقِيقَةَ عَلَى نَفْسِكَ وَقَلْبِكَ وَبَلَدِكَ مِنْ أَهْلِكَ .
فَقَبْلَتُكَ وَأَوَيْتُكَ وَنَصَرْتُكَ وَبَسَطْتُ يَدَكَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ وَدِمَائِهِمْ
وَأَعْرَضْتُهُمْ . فَتَقَدَّزْتُ إِلَيْكَ وَنَهَيْتُكَ عَنْ ذَلِكَ مِرَارًا فَلَمْ تَنْتَهِ . فَأَتَقَقَّ
وُقُوعُ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ لِلْإِسْلَامِ قَدْ عَوْنَاكَ فَأَتَيْتَ بِعَسْكَرٍ قَدْ عَرَفْتَهُ وَعَرَفَهُ
النَّاسُ . وَأَقَمْتَ هَذِهِ الْمُدَّةَ الْمُدِيدَةَ وَقَلَّتْ هَذَا الْفَلَقُ وَتَحَرَّكَتْ هَذِهِ
الْحَرَكَةُ . وَأَنْصَرَفْتَ عَنْ غَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ وَغَيْرِ قَصْدِ حَالٍ مَعَ الْعَدُوِّ .
فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَأَبْصِرْ مَنْ تَلْتَمِي إِلَيْهِ غَيْرِي . وَاحْفَظْ نَفْسَكَ مِمَّنْ
يَقْصِدُكَ فَمَا لِي إِلَى جَانِبِكَ الْتِفَاتٌ (سيرة صلاح الدين لابن شازي)

٣٤٣ كتاب عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات

أَحْلَتَ عَمَّا عَمِدْتُ مِنْ أَدَبِكَ أَمْ نَلْتَ مُلْكَاً قَتَيْتَ فِي كُسْبِكَ
أَمْ قَدْ رَى أَنَّ فِي مُلَاطَفَةِ أَلْ إِيْخْوَانٍ نَفْصاً عَلَيْكَ فِي أَدَبِكَ
أَكَانَ حَقًّا كِتَابُ ذِي مِقَّةٍ يَكُونُ فِي صَدْرِهِ وَأَمْتَعَ بِكَ
أَتَبْتَ كَفَيْكَ فِي مَكَانَتِي حَسْبُكَ مِمَّا لَقِيتَ مِنْ تَعَبِكَ
(فَكُتِبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتُ)

كَيْفَ أَخُونُ الْإِحَاءَ يَا أَمَلِي وَكُلُّ شَيْءٍ أَنَالُ مِنْ سَبَبِكَ

شُكْرِي لَكَ عَلَى مُجِبَةِ أَحْيَتَهَا وَحُشَاشَةِ أَبْقِيَتِهَا وَرَمَقِ أَمْسَكَتَ بِهِ
وَقْتَ بَيْنِ التَّلَفِ وَبَيْنَهُ . فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا حَدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ
وَمَدَى يُوقِفُ عَنْدَهُ وَغَايَةٌ مِنَ الشُّكْرِ يَسْتَوِي إِلَيْهَا الطَّرْفُ . خَلَا هَذِهِ
النِّعْمَةُ الَّتِي قَدْ فَاقَتْ الوُصْفَ وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قَدْرَهُ . وَأَنْتَ
مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ . رَدَدْتَ عَمَّا كَيْدَ الدُّدُوِّ وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ الْحُسُودِ
فَتَحْنُ نَفْسًا إِلَيْهِ مِنْهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَفَى كَرِيمٍ فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ
وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدُ التَّجَهُّدِ . (وَلَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ) : وَصَلَ كِتَابُكَ فَمَا
رَأَيْتُ كِتَابًا أَسْهَلَ فَنُونًا وَلَا أَمْلَسَ مَثُونًا وَلَا أَكْثَرَ عُيُونًا وَلَا أَحْسَنَ
مَقَاطِعَ وَمَطَالِعَ مِنْهُ . أُنْجِزْتُ فِيهِ عِدَّةُ الرَّأْيِ وَبُشِّرَى الْقِرَاسَةِ . وَعَادَ
الظَّنُّ يَقِينًا وَالْأَمَلُ مَبْلُوغًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ .

كتاب ابن مكرم الى احمد بن المدير

٣٤٨ إِنْ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُتَنَبِّهِ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافَ الْإِفْرَاطَ وَلَا
يَأْمَنَ التَّقْصِيرَ . وَيَأْمَنُ أَنْ تُلْحَقَهُ نَقِصَةُ الْكُذِبِ . وَلَا يَنْتَهِي بِهِ الْمَدْحُ
إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا . وَمِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ أَنَّ الدَّاعِيَ لَا
يُقَدِّمُ كَثْرَةَ التَّائِبِينَ لَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ (لَا بِنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

فصول في التهنة والهدايا

فصل للحسن بن وهب

٣٤٩ لَئِنْ تَخَلَّفْتُ عَنْ عِيَادَتِكَ بِالْعُذْرِ الْوَاضِحِ مِنْ الْعِلَّةِ مَا أَغْضَلَ
قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي فَحْصَا عَنْ خَبْرِكَ . وَلَمَّا بَلَغْتَنِي إِطَاقُكَ كَتَبْتُ

وَالْمَجْرَةُ حَلِيفُكَ . وَالْدَقْرُ أَلِيفُكَ . فَإِنْ قَصَرْتَ وَلَا إِخَالَكَ . فَعَنِي
خَالَكَ وَالسَّلَامُ (رسائل بديع الزمان الهمداني)

فصول محمد بن عبد الملك الزيات للخلفاء في التوصية

٣٤٦ إِنْ حَقَّ الْأَوْلِيَاءُ عَلَى السُّلْطَانِ تَفْعِيدُ أُمُورِهِمْ وَتَقْوِيمُ أَوْدِهِمْ
وَرِيَاضَةُ أَخْلَاقِهِمْ . وَأَنْ يُبَيِّرَ بَيْنَهُمْ فِقْدَمَ مُحْسِنِهِمْ وَيُؤَخِّرَ مَسِيئَتِهِمْ .
لِيَزِدَّ أَدَاهُ وَلَا يَفْزَحَ فِي إِحْسَانِهِمْ وَتَزْدَجِرَ هَوْلًا عَنْ إِسَاءَتِهِمْ . (وَفَصْلٌ لَهُ) :
إِنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ لِحُلَفَائِهِ عَلَى عِبَادِهِ حَقَّ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ . وَلِعَبِيدِهِ عَلَى
حُلَفَائِهِ بَسْطَ الْعَدْلِ وَالرَّأْفَةِ وَإِحْيَاءَ الشُّنَنِ الصَّالِحَةِ . فَإِذَا أَدَّى كُلُّ
إِلَى كُلِّ حَقِّهِ كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِتَامِ الْمَعُونَةِ وَاتِّصَالِ الزِّيَادَةِ وَاتِّسَاقِ
الْكَلِمَةِ وَدَوَامِ الْأَلْفَةِ . (وَفَصْلٌ) : لَيْسَ مِنْ نِعْمَةٍ يُجَدِّدُهَا اللَّهُ لِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفْسِهِ خَاصَّةً إِلَّا أَنْ تَصَلَتْ بِرِعَّتِهِ عَامَةً وَشَمَّتِ الرِّعْيَةُ
كَافَّةً وَعَظُمَ بَلَاءُ اللَّهِ عَنْدهُمْ فِيهَا وَوَجِبَ عَلَيْهِمْ شُكْرُهُ عَلَيْهَا . لِأَنَّ اللَّهَ
جَعَلَ بِنِعْمَتِهِ تَامَ نِعْمَتِهِمْ وَبَتَدْبِيرِهِ وَذِيهِ عَنْ دِينِهِ حِفْظَ حَرِيمِهِمْ .
وَبِحِيَاطَتِهِ حَقْنَ دِمَائِهِمْ وَأَمْنِ سَبِيلِهِمْ . فَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مُنْطَوِي الْقَلْبِ عَلَى مَنَاصِحِهِمْ مُؤَيَّدًا بِالنَّصْرِ . مُعَزِّزًا بِاتِّمَاسِكِينَ .
مَوْضُولَ الْبَقَاءِ بِالنَّعِيمِ الْمُتِمِّمِ .

فصول في المديح والشكر

فصول للحسن بن رهب

٣٤٧ مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرَوَةٍ أَقْدَرْتَهُ إِيَّاهَا . فَإِنْ

أَوْطَأَ مِنْ أَمَلٍ . شَفَاكَ اللَّهُ تَعَالَى . وَحَسْبُكَ بِهِ طَيْبًا (للخوارزمي)

وكتب الى تلميذه له ورد عليه كتابه بانه عليل

٣٥٦ . وَصَلَ بِتَابِكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّنِي نَظْرِي إِلَيْهِ . ثُمَّ غَمَّنِي
أَطْلَاعِي عَلَيْهِ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ . جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَوَّلَهَا كَهْرًا
وآخِرَهَا عَافِيَةً . وَلَا أَعْدَمُكَ عَلَى الْأَوَّلَى أَجْرًا . وَعَلَى الْآخِرَةِ شُكْرًا .
وَيُودِي لَوْ قَرُبَ عَلَيَّ مُتَاوَلُ عِيَادَتِكَ . فَأَخْتَمْتُ عَنْكَ بِالْتَّمُودِ
وَالْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عِلَّتِكَ . فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هَذِهِ أَلَمَةٍ قِسْمٌ
كَتَفَيْتُكَ . وَمَرَضَ قَلْبِي لِمَرَضِ جِسْمِكَ . وَأَظُنُّ أَنِّي لَوْ لَقَيْتُكَ عَلِيلًا
لَا نَصَرْتُ عَنْكَ وَأَنَا أَعْلُ مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى جَلَدْتُ عَلَى أَوْجَاعِ
أَعْضَائِي . غَيْرُ جَلَدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي . شَفَاكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ . وَكَفَانِي
فِيكَ الْمَحْذُورُ وَكَفَاكَ . وَغَفَرَ ذَنْبَكَ . وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَمَبِكَ لَهُ

فصل في وصاة للمحافظ

٣٥٧ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ أَسْفَقْتُهُ فِي حَاجَتِهِ وَأَجَبْتُهُ إِلَى طَلِبَتِهِ مَنْ
تَوَسَّلَ إِلَيْكَ بِالْأَمَلِ وَنَزَعَ نَحْوَكَ بِالرَّجَاءِ . وَإِنْ فَلَانَا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ
بِنَا يَلْزِمُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ مُوَاقِفَتِهِ مِنْ أَيْدِيكَ عِنْدَنَا . وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ
الْتِمَاعِ مِنْ مُكَافَأَتِهِ فَأَوْلُنَا فِيهِ مَا نَعْرِفُ مَوْضِعَنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَتَكُونُ
مُسْكَافَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا (وَلَهُ) : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانَا كِتَابُكَ فِي فَلَانٍ وَلَهُ لَدُنَا
مِنْ الذِّمَامِ مَا يَلْزِمُنَا مُكَافَأَتُهُ وَرِعَايَةُ حَقِّهِ . وَنَحْنُ مِنَ الْمُعْتَبَةِ بِأَمْرِهِ عَلَى
مَا كَانَ فِي حُرْمَتِهِ وَيُودِي شُكْرَهُ (لابن عبد ربّه)

وَمِنَ الصَّبْرِ عَلَيْهَا بِاِحْتِسَابِ الْاَجْرِ فِيهَا بِاَوْفَرِ الْاَنْصَابِ . فَوَهَبَ اللَّهُ
لَكَ مِنْ عِصْمَةِ الصَّبْرِ مَا يَكْمُلُ لَكَ بِهِ زُلْفَى اَلْهَازِنِ وَقُرْبَهُ الشَّاكِرِينَ .
وَجَعَلَكَ مِنَ الْمَرْضِيِّينَ قَوْلًا وَفِعْلًا (لابن عبدربه)

كتاب ابي القيناء الى المهدي بعد موت الخليفة المنصور

٣٥٤ أَجَرَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهُ وَبَارَكَ لَهُ فِيمَا خَافَهُ
لَهُ . فَلَا مُصِيبَةَ أَعْظَمَ مِنْ مُصِيبَةِ إِمَامٍ وَالِدٍ وَلَا عَقْبَى أَفْضَلَ مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ
عَلَى أَوْلِيَائِهِ . فَأَقْبَلَ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلَ الْعَطِيَّةِ وَأَصْبَرَ لَهُ عَلَى أَعْظَمِ الرِّزْيَةِ

فصول الى عليل

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى تلميذه له قد ظهر عليه الجديري

٣٥٥ وَصَلَنِي خَبَرُ الْجُدَرِيِّ فَقَالَ مِثْنِي وَهَجَّ حُزْنِي . وَرَاعَ قَلْبِي
وَأَنَهَرَ عَيْنِي وَهَذِهِ الْعِلَّةُ وَإِنْ كَانَتْ مُوجِعَةً . وَفِي رَأْيِ الْعَيْنِ قِطْعَةً
شَنِيعَةً . فَإِنَّهَا إِلَى السَّلَامَةِ أَقْرَبُ . وَطَرِيْقَهَا إِلَى الْحَيَاةِ أَقْصَدُ . لِأَنَّ
عَيْنَ الطَّيِّبِ تَقَعُ عَلَيْهَا . وَظَاهِرُ الدَّاءِ أَسْلَمُ مِنْ بَاطِنِهِ . وَبَارِزُ الْجُرْحِ
أَهْوَنُ مِنْ كَامِنِهِ . وَلَعَمْرِي إِنَّهَا تُورِثُ سَوَادَ الْأَلْوَنِ . وَتَذْهَبُ مِنْ
الْوَجْهِ بِدِيَابِجَةِ الْحُسْنِ وَلَكِنْ ذَلِكَ يَسِيرُ فِي جَنْبِ السَّلَامَةِ لِلرُّوحِ
اللطيفة . وَالنَّفْسِ الشَّرِيفَةِ . وَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ لَكَ غَيْرَ الدُّعَاءِ . لَا أَسْأَلُ
صِحَّتَكَ . إِلَّا مِمَّنْ خَاقَ عِلَّتَكَ . وَأَرَى لَكَ أَنْ تُحْسِنَ خُلُقَكَ بِرَبِّكَ .
وَتَسْتَغْفِرَ مِنْ ذُنُوبِكَ . وَتَجْعَلَ الصَّدَقَةَ شَفِيعَكَ . وَالْيَقِينَ طَيِّبَكَ .
وَتَعْلَمَ أَنَّهُ لَا دَلَّةَ أَذْوَاءٍ مِنْ أَجْلِ . وَلَا دَوَاءَ أَشْفَى مِنْ مَهَلٍ . وَلَا فِرَاشَ

وَسَارِ قَبَائِلَ رَبِيعَةَ يَسْتَحْجِدُونَهُ وَقَالُوا: قَدْ جَلَّ الْخَطْبُ فَلَا قَرَارَ لَنَا عَلَيْهِ. وَكَانَ الْبَرَّاقُ مُعْتَرِلاً عَنْهُمْ يَقُومُهُ. فَأَخَذَتْهُ الْقَبِيلَةُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ: لَعَمْرِي لَسْتُ أَتْرُكُ آلَ قَوْمِي وَأَرْحَلُ عَنْ فِنَائِي أَوْ أَسِيرُ أَوْ أَتْرُكُ بَيْنَهُمْ إِنْ كَانَ يُسَرُّ وَأَرْحَلُ إِنْ أَلَمَ بِهِمْ عَسِيرُ ثُمَّ نَادَى فِي قَوْمِهِ وَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُمْ كَثْرَةَ قَبَائِلِ طِيٍّ وَشِدَّةَ بَأْسِهِمْ وَتَجَدُّدَهُمْ فَشَدُّوا بِنَا الْخَيْلَ وَأَبْدَوْهُمْ بِالْفَارَةِ. فَوَضَعُوا فِيهِمُ السُّيُوفَ وَعَلَّتِ الْأَصْوَاتُ وَتَبَادَرَتْ إِلَيْهِمُ النَّاسُ وَحَمَلَتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِمَا يَلِيهَا. فَأَعْتَرَكُوا سَاعَةً وَوَلَّتْ طِيٌّ وَقَضَاعَةُ بَعْدَ قِتْلَةِ مَرِيعَةَ. وَأَتَجَمَعُ الْبَرَّاقُ. وَامْتَلَأَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ وَأَنْقَادَتْ إِلَيْهِمُ الْعُرَبَانُ. وَعَظُمَتْ مَنَزِلَةُ الْبَرَّاقِ فِي أَغْنَى النَّاسِ وَاسْتَهْلَوْا أَمْرَهُ وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ جَمِيلًا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ وَخَمْسٍ وَعِشْرِينَ لِلْمَسِيحِ.

٣٥٩ (أَمْرُ وَائِلِ بْنِ الْقَيْسِ ٥٦٦). قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هُوَ أَمْرُ وَائِلِ بْنِ الْقَيْسِ بْنِ حَجْرٍ ابْنِ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي كِنْدَةَ صَاحِبِ الْمَعْلَقَةِ الْمَشْهُورَةِ. وَكَانَ مِنْ فُحُولِ شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مُقَدِّمًا عَلَى سَائِرِ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ. سَبَقَ إِلَى أَشْيَاءَ ابْتَدَعَهَا وَاسْتَحْسَنَتْهَا الْعَرَبُ وَاتَّبَعَتْهُ عَلَيْهَا الشُّعْرَاءُ. وَكَانَ تُحْجَرُ أَبُو أَمْرِئِ الْقَيْسِ مَلِكًا عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَقَتَلُوهُ غِيلَةً. قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: فَجَاءَ رَسُولٌ إِلَى أَمْرِئِ الْقَيْسِ فَأَخْبَرَهُ عَنْ أَمْرِ أَبِيهِ فَقَالَ: الْخُرُوعُ عَلَيَّ وَاللَّعْنُ حَرَامٌ حَتَّى أَقْتُلَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مِائَةً. وَأَجَزَ نَوَاصِي مِائَةً ثُمَّ قَامَ أَمْرُ وَائِلِ بْنِ الْقَيْسِ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ غُلَامًا قَدْ تَرَعَّعَ لِيَسِيرَ فِي أَجَاءِ

الْبَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ . فِي التَّرَاجِمِ (*)

شعراء النصرانية

٣٥٨ (الْبَرَّاقُ بْنُ رَوْحَانَ ٥٢٥) . هُوَ أَبُو النَّصْرِ بْنِ رَوْحَانَ بْنِ أَسَدِ
الْتَّمِيعِيِّ مِنْ شُعَرَاءِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَهُوَ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ . وَكَانَ فِي صِغَرِهِ
يَتَّبَعُ رِعَاةَ الْإِبِلِ وَيَجْلِبُ اللَّبَنَ وَيَأْتِي بِهِ إِلَى رَاهِبٍ حَوْلَ الْمُرَايِ
فَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ تِلَاوَةَ الْإِنْجِيلِ وَكَانَ يَدِينُ بدينِهِ . ثُمَّ اشْتَهَرَ أَمْرُهُ وَسَارَ
بَعْدَ ذَلِكَ . وَظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الْقِيَامِ وَالْفُرُوسِيَّةِ فِي الْحَرْبِ الَّتِي وَقَعَتْ
بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي إِيَادٍ وَلَحِمَ مَا لَمْ يَكُنْ لَعَنِيهِ . وَمِنْ شِعْرِهِ :
يَا طَالِبَ الْأَمْرِ لَا يُعْطَى أَمَانِيهِ اسْتَعْمِلِ الصَّبْرَ فِي مَا كُنْتَ تَعْنِيهِ
وَالْبَسْ لِسِرِّكَ مَا تَخْفِيهِ مُجْتَهِدًا وَالْبَسْ عَفَافَكَ فِي مَا كُنْتَ تَعْنِيهِ
فَصَاحِبُ الصَّدَقِ يَجْنِي صِدْقَهُ حَسَنًا وَصَاحِبُ الشَّرِّ سُوءَ الشَّرِّ يَجْنِيهِ
وَلَمَّا وَقَعَتْ بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي ظُلَيْ وَفُضَاةَ الْحُرُوبِ الْمَشْهُورَةِ
وَتَعَاطَفَتِ الْقَبِيلَةُ بَيْنَهُمْ وَاتَّسَعَتْ أَعْيَا التَّدْيِيرِ فِي الصُّلْحِ حَتَّى لَحِقَ شَرُّهُمْ
مَنْ كَانَ مُعْتَرِلاً عَنْهُمْ . فَاجْتَمَعَ إِلَى الْبَرَّاقِ كَلِيبُ بْنُ رَبِيعَةَ وَإِخْوَتُهُ

(*) قد افردنا هذا الباب لذكر تراجم المشاهير من اهل النصرانية الذين مع اشتهارهم بجنى
على الكثير تاريخهم . وقد افردنا باباً آخر لتراجم المشاهير من الاسلام وغيرهم قضى علينا ضيق
المقام بوضعه في الجزء التالي . وقد اصطغنا في ١٢ لارقام ان يكون المدد الاول دالاً على سنة الميلاد
والثاني على سنة الوفاة . وان لم تر الا عدداً فذلك تاريخ سنة الوفاة . وهو بحسب التاريخ المسيحي

أُنْقِصَ وَالْأَذْرُعُ وَالْبِسْلَاحُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ بْنُ مَازِنٍ
 الْفَزَارِيُّ : يَا ابْنَ حَجْرٍ إِنِّي أَرَاكَ فِي خَلٍّ مِنْ قَوْمِكَ وَأَنَا أَنْفَسُ
 بِمَثَلِكَ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ . أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَلَدٍ فَقَدْ جِئْتُ قَيْصَرَ وَجِئْتُ
 النُّعْمَانَ فَلَمْ أَرِ لَيْصِفٍ نَازِلٍ وَلَا لِعُجْدٍ مِثْلَهُ وَلَا مِثْلَ صَاحِبِهِ . قَالَ :
 مَنْ هُوَ وَأَيْنَ مَنْزِلُهُ . قَالَ : السَّمْوَلُ بَنِيَاءَ وَسَوْفَ أَضْرِبُ لَكَ مِثْلَهُ . هُوَ
 يَمْنَعُ ضَعْفَكَ حَتَّى تَرَى ذَاتَ غَيْكِ . وَهُوَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَحَسْبُ
 كَبِيرٍ . قَضَى الْقَوْمُ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى السَّمْوَلِ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ :
 وَلَقَدْ أَتَيْتُ بَنِي الْمَصَاصِ مُفَاخِرًا وَإِلَى السَّمْوَلِ زُرْتُهُ بِالْأَبْلَقِ
 فَأَتَيْتُ أَفْضَلَ مِنْ تَحَمُّلِ حَاجَةٍ إِنْ جِئْتُهُ فِي غَارِمٍ أَوْ مُرْهَقِ
 عَرَفْتُ لَهُ الْأَقْوَامَ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَحَوَى الْمَكَارِمَ سَابِقًا لَمْ يُسْبَقِ
 وَعَرَفَ لَهُمُ السَّمْوَلُ حَقَّهُمْ فَأَتَرَهُمْ فِي مَجْلِسٍ لَهُ بِرَاحٍ فَكَانَ عِنْدَهُ
 مَا شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ إِنَّهُ طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَيْمِرٍ
 الْغَسَّانِيِّ بِالسَّامِ لِيُوصِلَهُ إِلَى قَيْصَرَ . فَاسْتَجَدَّ لَهُ رَجُلًا وَاسْتَوْدَعَ عِنْدَهُ
 الْأَذْرَاعَ وَالْمَالَ وَأَقَامَ مَعَهَا يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ابْنِ عَمِّهِ . قَضَى
 حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَيْصَرَ فَقَبِلَهُ وَكَرَّمَهُ وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَهُ مَنْزِلَةٌ . فَأَنْدَسَ
 رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ الطَّمَّاحُ حَتَّى أَتَى إِلَى بِلَادِ الرُّومِ فَأَقَامَ
 مُسْتَخْفِيًا . ثُمَّ إِنْ قَيْصَرَ ضَمَّ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا وَفِيهِمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ
 فَلَمَّا فَصَلَ دَخَلَ الطَّمَّاحُ عَلَى قَيْصَرَ فَقَالَ : إِنَّ الْعَرَبَ قَوْمٌ غَدَرٌ وَلَا تَأْمَنُ
 أَنْ يَظْفَرَ بِمَا يُرِيدُ ثُمَّ يَفْزُوكَ بِمَنْ بَعَثَ مَعَهُ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ قَيْصَرُ

أَلْعَرَبُ . وَلَمَّا جَنَّهُ الْأَيْلُ رَأَى بَرَقًا فَقَالَ :
 أَرِقْتُ لِبَرَقِ بَلَدِ أَهْلِ بَيْتِي سَنَاهُ بَاعَلَى الْجَبَلِ
 أَنَا نِي حَدِيثُ فَكَذَّبْتُهُ بِالْعَمْرِ تَزْعُمُ مِنْهُ الْقُلَلُ
 يَقْتُلُ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ إِلَّا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلُ
 ثُمَّ أَرْتَحِلُ حَتَّى نَزَلَ بَكْرًا وَتَغَابَ فَسَأَلَهُمُ النَّصْرَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ .
 وَبَثَّ الْعِيُونَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَذَرَوْا بِالْعِيُونَ وَجَاءُوا إِلَى بَنِي كِنَانَةَ .
 فَهَضَّ إِلَيْهِمْ وَبَنُو أَسَدٍ جَاءُوا عَلَى الْمَاءِ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى كَثُرَتِ الْجُرُحُ
 وَأَقْتُلُوا فِيهِمْ . وَحَجَزَ اللَّيْلُ بَيْنَهُمْ وَهَرَبَتْ بَنُو أَسَدٍ . فَلَمَّا أَصْبَحَتْ بَكْرٌ
 وَتَغَلَّبَ أَبَوَا أَنْ يَتَّبِعُوهُ وَقَالُوا لَهُ : قَدْ أَصَبْتَ ثَارَكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا
 فَعَلْتُ وَلَا أَصَبْتُ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدًا .
 قَالُوا : بَلَى وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ مَشُورٌ . وَكَرَهُوا قِتَالَهُمْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَنْصَرَفُوا
 عَنْهُ فَمَضَى هَارِبًا لَوَجْهِهِ حَتَّى لَحِقَ بِحَمِيرٍ . ثُمَّ خَرَجَ فَظَفَرَ بِبَنِي أَسَدٍ
 (قَالُوا) وَلَحِقَ الْمُنْذِرُ فِي طَلَبِ أَمْرِ الْقَيْسِ وَأَمَدَهُ أَنْ يُشِيرَ وَأَنْ يُجِيشَ مِنْ
 الْأَسَاوِرَةِ فَسَرَّحَهُمْ فِي طَلَبِهِ . وَتَفَرَّقَ حَمِيرٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ عَنْهُ فَتَجَا فِي
 عُصْبَةٍ مِنْ بَنِي آكِلِ الْمَرَارِ حَتَّى نَزَلَ بِالْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ مِنْ بَنِي
 حَنْظَلَةَ وَمَعَ أَمْرِ الْقَيْسِ أَدْرَاعٌ يَتَوَارُثُونَهَا مَلِكًا عَنْ مَلِكٍ . فَقَلَمَا
 لَبِثَا عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ حَتَّى بَثَّ إِلَيْهِ الْمُنْذِرُ مَائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ
 يُوعِدُهُ بِالْحَرْبِ إِنْ لَمْ يُسَلِّمْ إِلَيْهِ بَنِي آكِلِ الْمَرَارِ . فَاسْلَمَهُمْ وَجَاءَ
 أَمْرُ الْقَيْسِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بْنُ مَعْلُوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَبَيْتُهُ هِنْدُ بِنْتُ أَمْرِ

وَرَيْنَا الْمُجْدَعَنَ كَبِيرًا زَرَادٍ فَأَوْرَثَنَا مَا ثَرْنَا بَيْنَنَا
وَكُنَّا حَيْثُمَا عَلِمْتُ مَعَدٍ أَقْنَا حَيْثُ سَارُوا هَارِبِينَ
تُخْبِرُكَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ إِذَا عَدُوا سِعَايَةَ أَوْلِينَا
بِأَنَّا أَلْنَزِلُونَ بِكُلِّ ثَغْرِ وَأَنَا الضَّارِبُونَ إِذَا التَّقِينَا
وَأَنَا الْمَانِعُونَ إِذَا أَرَدْنَا وَأَنَا الْعَاطِفُونَ إِذَا دُعِينَا
وَأَنَا الْحَامِلُونَ إِذَا أَنَاخْتُ خُطُوبُ فِي الْعَشِيرَةِ تَبْلِينَا
وَأَنَا الرَّافِعُونَ عَلَى مَعَدٍ أَكْفَاءُ فِي الْمَكَارِمِ مَا بَقِينَا
تُسَرِّدُ بِالْخَافَةِ مَنْ أَنَا وَنُعْطِينَا الْمَقَادَةَ مَنْ يَلِينَا
نَسِيرُ بِمَشْرِ قَوْمًا لِقَوْمٍ وَنَدْخُلُ دَارَ قَوْمٍ آخَرِينَ
وَحَضَرَ يَوْمًا مَجْلِسَ بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَطْبَاقٌ مِنَ الذَّهَبِ
فِيهَا وَرْدٌ أَيْضٌ وَأَحْمَرٌ فَأَمَرَهُ بِوَضْعِهَا فَقَالَ :

كَأَنَّمَا الْوَرْدُ الَّذِي نَشْرُهُ يَعْبِقُ مِنْ طِيبِ مَعَانِكَا

دِمَاءُ أَعْدَائِكَ مَسْفُوحَةٌ قَدْ قَابَلَتْ بَيْضَ أَيْدِيكََا

وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ يَمْدَحُ ابْنُ جَدْعَانَ التَّيْمِيَّ صَدِيقَهُ :

خَلِيلٌ لَا يُنْيِرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْخَلْقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ

وَأَزْضَكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَلَّتْهَا بُنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ

إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّكَاةُ

قَالَ اللَّيْثِيُّ : لَمَّا مَرَضَ أُمَيَّةُ الْمَرَضَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلَ يَقُولُ :

قَدْ دَنَا أَجَلِي وَهَذِهِ الْمَرْضَةُ مَيِّتِي . فَلَمَّا دَنَتْ وَقَاتَهُ أَغْمِيَ عَلَيْهِ قَلِيلًا

٣٦١ (حَاتِمُ الطَّائِي ٦٠٥) . هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ الطَّائِي .

وَكَانَ نَصْرَانِيًّا مِنَ الْكُرَمِ عَلَى أَفْضَلِ جَانِبٍ . فَيُنْفِكُ الْمَانِي وَيُجَمِّعُ الدَّمَارَ
وَيُثَرِّي الضَّيْفَ وَيُشْبِعُ الْجَائِعَ وَيُفْرِجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ
وَيُنْفِثِي السَّلَامَ . وَلَمْ يَرُدَّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ . وَكَانَ حَاتِمٌ مِنْ شُعْرَاءِ
أَعْرَبِ جَوَادٍ يُشَبِّهُ شِعْرَهُ جُودَهُ . وَيُضَدِّقُ قَوْلَهُ فِعْلُهُ . وَكَانَ حَيْثَمَا
نَزَلَ عُرِفَ مَنَزَلُهُ وَكَانَ مُظْفَرًا إِذَا قَاتَلَ غَلَبَ . وَإِذَا غَنِمَ أَهَبَ . وَإِذَا
سُئِلَ وَهَبَ . وَكَانَ إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ يُوعِزُّ إِلَى غَلَامِهِ أَنْ يُوقِدَ النَّارَ فِي
يَفَاعٍ مِنَ الْأَرْضِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا مِنْ أَضْلَى الطَّرِيقِ فَيَأْوِي إِلَى مَنَزَلِهِ وَيَقُولُ :
أَوْقِدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ وَالرِّيحُ يَا مُوقِدُ رِيحٌ صِرٌّ
عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ . إِنْ جَلَبَتْ ضَيْقًا فَأَنْتَ حُرٌّ

وَكَانَ إِذَا أَهَلَ الشَّهْرَ يُخْرِعُ عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ فَيُطْعِمُ النَّاسَ (دواوين العرب)

٣٦٢ (أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ٦٢٤) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ

الْتَمِيَّ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ مِنْ شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى . وَكَانَ أُمَيَّةٌ مِنْ
رُؤَسَاءِ ثَقِيفٍ وَفَصَحَاءِهِمْ يَتَعَبَّدُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُؤْمِنُ بِالْبَثِّ . وَيُنْشِدُ
فِي أَثْنَانِهِ الشَّعْرَ الْمِيحَ وَأَذْرَكَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يُسْلِمَ . وَلَهُ فِي الْفَخْرِ :

إِلِهِ هَدَايَا وَمَالًا وَأَلْقَى نَفْسَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَأَمَّا إِنْ صَفَحَ عَنْكَ فَعَدَتْ مَلَكَا عَزِيزًا . وَأَمَّا إِنْ
أَصَابَكَ فَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَلَمَّبَ بِكَ صَعَالِكَ الْعَرَبِ وَيَخْطُفَكَ ذَنَاجُهَا وَتَأْكُلَ مَالَكَ
وَتَبْشِقَ فَعْرًا بِمَادِرًا أَوْ تُقْتَلَ مَهْجُورًا . فَضَى إِلَى كَدْرِي حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى اللَّدَائِنِ بَلَغَ كَدْرِي أَنَّهُ
بِالْبَابِ فَبِمَتْ إِلَيْهِ فَبَدَّهُ وَبَشَتْ بِهِ إِلَى سَجِينٍ كَأَنَّ لَهُ بَحَاغَيْنِ فَلَمْ يَزَلْ فِيهِ حَتَّى مَاتَ . وَقَالَ
الْكَلْبِيُّ : الْقَاهُ تَحْتَ أَرْجُلِ الْفَيْلَةِ فَوُطِئَتْهُ حَتَّى مَاتَ وَذَلِكَ قَبِيلُ الْإِسْلَامِ بِحِينَ (الْأَغَانِي)

وَسَارَةَ حَسَنَةَ زُرْمِي بِنَا الْمَهَارِي بِأَكْسَانِهَا وَنَحْنُ زُرَيْدُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شُمَّةٍ
الْفَسَّانِي مَلِكُ الشَّامِ . فَأَخْرَوْطُ بِنَا السَّيْرُ فِي حِمَارَةِ الْقَيْظِ حَتَّى إِذَا
عَصَبَتْ الْأَفْوَاهُ . وَذَبَلَتْ الشَّفَاهُ وَسَالَتِ الْمِيَاهُ . وَأَذَكَّتِ الْجُوزَاءُ الْمَغْرَاءُ
وَصَرَ الْجُنْدُبُ قَالَ قَائِلٌ : أَيُّهَا الرُّكْبُ غُورُوا بِنَا فِي صَبُوحِ هَذَا
الْوَادِي . وَإِذَا وَادٍ قَدْ بَدَأْنَا كَثِيرُ الدَّغَلِ دَائِمُ الْغُلَلِ . أَشْجَارُهُ مَغْنَّةٌ
وَأَطِيلُهُ مَرْنَةٌ . فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأَصُولِ دَوَحَاتِ كَنْهَبَلَاتٍ . فَأَصْبْنَا مِنْ
فَضَلَاتِ الزَّادِ وَاتَّبَعْنَا الْمَاءَ الْبَارِدَ . فَإِنَّا لَنَصِفُ حَرَّ يَوْمِنَا وَمِمَّا طَلَّتْهُ إِذْ
صَرَ أَقْصَى الْحَيْلِ أَذْنِيهِ . وَفَحَصَ الْأَرْضَ بِيَدَيْهِ . فَوَاللَّهِ مَا لَيْتَ أَنَّ
جَالَ . ثُمَّ حَنَمَ الْحَيْلُ وَتَكَمَّكَتِ الْأَيْلُ وَتَهَقَّرَتِ الْبِغَالُ . فَمِنْ نَائِرٍ
بِشْكَالِهِ . وَنَاهِضٍ بِعِقَالِهِ . فَعَلِمْنَا أَنَّ قَدْ آتَيْنَا وَأَنَّهُ السَّبْعُ قَفْزِعُ كُلِّ وَاحِدٍ
مِنَّا إِلَى سَيْفِهِ فَاسْتَلَّهُ مِنْ جَرَابِهِ . ثُمَّ وَقَفْنَا رَزْدَقًا أَرْسَالًا وَأَقْبَلَ أَبُو
الْحَارِثِ مِنْ أَجْتِهِ يَنْظُلُّعُ فِي مَشْيَتِهِ مِنْ نَعْتِهِ كَأَنَّهُ مُجْنُوبٌ أَوْ فِي هِجَارٍ
بَصْدَرِهِ نَحِيطٌ . وَلِبَاسُهُ غَطِيطٌ . وَلِطَرْفِهِ وَمِيزٌ . وَلَا رِسَاعَهُ نَقِيزٌ .
كَأَنَّمَا يَخِيطُ هَشِيمًا . أَوْ يَطَأُ صَرِيمًا . وَإِذَا هَامَةً كَالْحِجْنِ . وَخَذَّ كَالْمَسْنِ .
وَعَيْنَانِ سَجَرَاوَانِ . كَأَنَّهُمَا سَرَاجَانِ يَتَقَدَّانِ . وَكَفَّ شَتْنَةُ الْبَرَاثِنِ إِلَى
تَحَالِبِ كَالْحَاجِنِ . فَضْرَبَ بِيَدِهِ فَارْهَجَ . وَكَشَرَ فَافْرَجَ عَنْ أَنْيَابِ
كَالْمَعَاوِلِ مَضْفُولَةٍ غَيْرِ مَفْلُولَةٍ . ثُمَّ أَقْبَى فَأَقْشَعَرَّ ثُمَّ مَثَلَ فَأَكْفَهَرَ . ثُمَّ
تَجَمَّهَ فَازْبَارَ . فَلَا وَذُو بَيْتِهِ فِي السَّمَاءِ مَا اتَّقَيْنَاهُ إِلَّا بِأَخٍ لَنَا مِنْ قَرَارَةٍ
كَانَ ضَخْمُ الْجَزَارَةِ . فَوْقَهُ ثُمَّ نَفَضَهُ نَفْضَةً فَفَضَّضَ مَتْنِيهِ فَعَجَلَ

ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ : لَبَيْكُمَا لَبَيْكُمَا هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا . لَا مَالَ لِي
يَفِدِينِي وَلَا عَشِيرَةَ تُحْمِنِي . وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَقُولُ :
كُلُّ حَيٍّ وَإِنْ تَطَاوَلَ ذَهْرًا حَازِرُهُ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي قِلَالِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوَعُولَا
إِجْعَلِ الْمَوْتَ نُصَبَ عَيْنِكَ وَأَحْذَرْ غَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنَّ الدَّهْرَ غُولَا
ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ فِي قُصْرِ مِنْ قُصُورِ الطَّائِفِ (لَا يَزُكُّهَا النَّوَوِي)
٣٦٣ (أَبُو زَيْدٍ ٦٤٥) . هُوَ حَرَمَلَةٌ بَنُ الْمُنْذِرِ مِنْ بَنِي طَيْيٍّ . وَكَانَ
نَضْرَانِيًّا وَعَلَى دِينِهِ مَاتَ . وَهُوَ مِنْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ .
كَانَ يَزُورُ الْمُلُوكَ وَخَاصَّةً مُلُوكَ الْعَجَمِ . وَكَانَ عَالِمًا بِسِيرِهِمْ . وَكَانَ عُثْمَانُ
ابْنُ عَفَّانٍ يَقْرُبُهُ إِلَى ذَلِكَ وَيُدْنِي مَجْلِسَهُ . وَكَانَ يَكْثُرُ وَصْفَ الْأَسَدِ
فَقَذَاكَرُوا مَا ثَرَّ الْعَرَبُ وَأَشْعَارَهَا فَأَلْتَفَتْ عُثْمَانُ إِلَى أَبِي زَيْدٍ وَقَالَ :
يَا أَخَا تُجَعِّ الْمَسِيحِ أَسْمِعْنَا بَعْضَ قَوْلِكَ . فَقَدْ أَنْبَأْتُ أَنَّكَ تُحِيدُهُ . فَأَنْشَدَهُ
قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

مَنْ مُبْلَغُ قَوْمِنَا النَّائِينَ إِذْ شَحَطُوا أَنَّ الْفُؤَادَ إِلَيْهِمْ شَيْقُ وَلِغِ
وَوَصَفَ الْأَسَدَ فَقَالَ عُثْمَانُ : تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ الْأَسَدَ مَا حَيَّتْ وَاللَّهِ
إِنِّي لَا أَحْسَبُكَ جَبَانًا هَرَّابًا . قَالَ : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنِّي رَأَيْتُ
مِنْهُ مَنْظَرًا وَشَهِدْتُ مِنْهُ مَشْهَدًا لَا يَرَحُ ذِكْرُهُ يُجَدِّدُ وَيَرْدَدُ فِي قَلْبِي .
وَمَعْدُورُ أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مَلُومٍ . فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : وَأَنْتَى كَانَ ذَلِكَ .
قَالَ : خَرَجْتُ فِي صِيَابَةِ أَشْرَافٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ذَوِي هَيْبَةٍ

وَحَقَّنَ اللَّهُ بِكَفِّكَ دَمِي مِنْ بَعْدِ مَا جَفَّ لِسَانِي وَفِي
 أَنْقَذْتَنِي مِنْ بَطْلٍ مُعَمَّمٍ وَالْحَيْلُ تَحْتَ الْعَارِضِ الْمَسُومِ
 أَخْبَرَ الْمَدَائِنِي قَالَ: قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِلْأَخْطَلِ وَعِنْدَهُ
 عَامِرُ الشَّعْبِيِّ: أَتُحِبُّ أَنْ لَكَ قِيَاضًا بِشَعْرِكَ شِعْرًا أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ
 أَمْ تُحِبُّ أَنْ تَكُ قَتْلُهُ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَنِّي وَدِدْتُ أَنِّي
 كُنْتُ قُتِلْتُ أَيْدِي تَائِقَاتِهَا رَجُلٌ مِنَّا مُغْدِفُ الْقِنَاعِ. قَالِ السَّمَاعُ قَصِيرُ
 الذَّرَاعِ قَالَ: وَمَا قَالَ. فَأَشَدَّهُ قَوْلَ الْقَطَامِيِّ فِي عَبْدِ الْوَاحِدِ سُلَيْمَانَ
 إِنَّا نَحْيُوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّلِيلُ
 لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبْقَى بِشَاشَتُهُ إِلَّا قَلِيلًا وَلَا ذُو حَلَةٍ يَصِلُ
 وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالٌ إِلَّا سَوْفَ تَنْقُصُ
 قَدْ يَذْرُوكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعِجِلِ الزَّلَالُ
 حَتَّى أَنَّى عَلَى آخِرِهَا. فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: نَكَلْتُ
 الْقَطَامِي أُمَّهُ. هَذَا وَاللَّهُ الشَّعْرُ

٣٦٥ (الْأَخْطَلُ ٧١٢) هُوَ أَبُو الْمَكِ غِيَاثُ بْنُ غَوْثِ بْنِ الصَّلْتِ بْنِ
 الطَّارِقَةِ. وَأَصْلُ تَسْمِيَّتِهِ بِالْأَخْطَلِ أَنَّهُ هَجَرَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ:
 يَا غُلَامُ إِنَّكَ لَأَخْطَلُ اللِّسَانِ. فَقَلَبَتْ عَلَيْهِ. وَكَانَ الْأَخْطَلُ نَصْرَانِيًّا
 وَمَحَلَّهُ فِي الشَّامِ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى وَصْفٍ. وَهُوَ وَجَرِيذٌ وَأَفْرَزْدَقٌ
 طَبَقَةً وَاحِدَةً. سُئِلَ حَمَّادُ الرَّائِيَّةِ عَنِ الْأَخْطَلِ فَقَالَ: مَا تَسْأَلُونِي
 عَنْ رَجُلٍ قَدْ حَبَّبَ شِعْرُهُ إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: لَوْ أَدْرَكَ

يَلُغُ فِي دَمِهِ . فَذَمَرْتُ لِأَصْحَابِي فَأَخْلَجَ رَجُلًا عَجَزًا ذَا حَوَايَا فَفَضَّضَهُ
نَفْضَةً تَرَأَيْتَ مَفَاصِلَهُ . ثُمَّ نَهَمَ فَمَرَّ فَرْتَمَ زَفَرُ فَبَرِيرٍ . ثُمَّ زَارَ فَجْرَ جَرٍ .
ثُمَّ لَحَظَ فَوَاللَّهِ لَحَلَّتْ أَلْبَرْقُ يَتَطَايَرُ مِنْ تَحْتِ جُنُونِهِ مِنْ شِمَالِهِ وَبَيْنِهِ .
فَارْعَشَتْ أَلْأَيْدِي وَأَصْطَكَّتْ الْأَرْجُلُ وَأَطَّتِ الْأَضْلَاعُ . وَارْتَجَّتْ
الْأَسْمَاعُ . وَشَخَصَتِ الْعُيُونُ . وَتَحَقَّتِ الظُّنُونُ وَانْخَزَلَتِ الْمُتُونُ . فَقَالَ
لَهُ عُثْمَانُ : أَسْكُتْ فَقَدْ أَرَعَبْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ . وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا زَيْدٍ
عُمِرَ مِائَةَ سَنَةٍ بَنَفٍ وَدُفِنَ فِي الرَّقَّةِ فِي بَيْعَةِ النَّصَارَى (الْإِغَانِي)
٣٦٤ (الْقَطَامِيُّ ٧١٠) . دُوَلَبُ غَلَبَ عَلَيْهِ وَأَسْمَهُ عُمَيْرُ بْنُ شُعَيْمٍ
وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ : أَوَّلُ مَا حَرَكَ مِنَ الْقَطَامِيِّ
وَرَفَعَ مِنْ ذِكْرِهِ أَنَّهُ قَدِمَ فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ دِمَشْقَ
لِيَمْدَحَهُ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ بَخِيلٌ لَا يُعْطِي الشُّعْرَاءَ وَالشُّعْرُ لَا يَنْفَقُ عِنْدَهُ . وَهَذَا
عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ فَاِمْدَحَهُ . فَدَمَعَهُ فَقَالَ لَهُ : كَمْ أَمَاتَ مِنْ أُمَيْرِ
الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : أَمَاتَ أَنْ يُعْطِيَنِي ثَلَاثِينَ نَاقَةً . فَقَالَ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ
بِخَمْسِينَ نَاقَةً مُوقَرَةً بَرًّا وَتَمْرًا وَثِيَابًا ثُمَّ أَمَرَ بِدَفْعِ ذَلِكَ إِلَيْهِ . وَلَمَّا سَارَ
عُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ لِمُحَارَبَةِ بَنِي عَتَّابٍ وَفِيهِمْ أَخْلَاطُ ثَقَلِ اسْتَحْرَجَهُمْ
الْقَتْلُ وَأَصِيبَ أَكْثَرُهُمْ وَأَسِرَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ الْقَطَامِيُّ . وَأَخَذَتْ إِلَيْهِ
فَأَتَى الْأَمِيرَ زُفَرُ فَعَلَى سَبِيلِهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِائَةَ نَاقَةٍ . فَقَالَ الْقَطَامِيُّ يَمْدَحُهُ :
يَا زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ ابْنَ الْأَكْرَمِ . قَدْ كُنْتُ فِي الْحَيِّ قَدِيمَ الْقَدَمِ
إِذَا نَجَّمَ الْقَوْمُ وَلَمَّا تَنَجَّمَ إِنَّكَ وَأَبْنَيْكَ حَفَنْتُمْ مَحْرَمِي

وَقَوْلِي فِي الْهَجَاءِ :

وَكُنْتُ إِذَا لَقِيتُ عِيْدَتَيْهِمْ وَتَيْمًا قُلْتُ أَيُّهَا الْعِيْدُ
لَيْتَ الْعَالَمِينَ يَسْوُدُ تَيْمًا وَسَيِّدُهُمْ وَإِنْ كَرِهُوا مَسْوَدُ
قَالَ عَبْدُ الْخَالِقِ : وَصَدَقَ لَعْمَرِي لَقَدْ فَضَّلَهُمْ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ :
كَانَ مِمَّا يُقَدَّمُ بِهِ الْأَخْطَلُ أَنَّهُ كَانَ أَخْبَثَ الشُّعْرَاءِ هَجَاءً فِي عَفَافٍ
مِنَ الْفُحْشِ . وَقَالَ الْأَخْطَلُ : مَا هَجَوْتُ أَحَدًا قَطُّ مَا تَسْتَحْيِي الْعِزَّاءُ
أَنْ تُنْشِدَهُ أَبَاهَا . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : قَدِمْتُ السَّامَ وَأَنَا شَابٌ .
فَكُنْتُ أَطُوفُ فِي كَنَائِسِهَا وَمَسَاجِدِهَا فَدَخَلْتُ كَنِيسَةً دِمَشْقَ وَإِذَا
الْأَخْطَلُ فِيهَا مَجْبُوسٌ . فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَسَأَلَ عَنِّي فَأَخْبِرَ بِنِسْبِي .
فَقَالَ : يَا فَتَى إِنَّكَ لَرَجُلٌ شَرِيفٌ وَإِنِّي أَسْأَلُكَ حَاجَةً . فَقُلْتُ :
حَاجَتِكَ مَقْضِيَّةٌ . قَالَ : إِنْ أَلْقَسَ حَبْسِي هُنَا فَتَكَلِّمُهُ لِيُخْلِيَ عَنِّي .
فَأَتَيْتُ أَلْقَسَ فَأَتَسَبَّبْتُ لَهُ فَرَحَّبَ وَعَظَّم . فَقُلْتُ : إِنْ لِي إِلَيْكَ
حَاجَةٌ . قَالَ : مَا حَاجَتُكَ . قُلْتُ : الْأَخْطَلُ يُخْلِي عَنِّي . قَالَ : أُعِيدُكَ
بِاللَّهِ مِنْ هَذَا . مِثْلَكَ لَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ . فَاسِقٌ يَشْتُمُ أَعْرَاضَ النَّاسِ
وَيَهْجُوهُمْ . فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ إِلَيْهِ حَتَّى مَضَى مَعِيَ مُتَكِنًا عَلَى عَصَاهُ .
فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَرَفَعَ عَصَاهُ وَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَعُوذُ لَشْتَمِ النَّاسِ
وَيَهْجُوهُمْ وَتَقْدِفُ الْفُحْصَانَ . وَهُوَ يَقُولُ : لَسْتُ بِعَايِدٍ وَلَا أَقْفَلُ
وَلَيْسَتْخَذِي لَهُ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا مَالِكٍ النَّاسُ يَهَابُونَكَ وَالْحَلِيفَةُ
يُكْرِمُكَ وَقَدْرُكَ فِي النَّاسِ قَدْرُكَ وَأَنْتَ تَخْضَعُ لِهَذَا هَذَا الْخُضُوعِ

الْأَخْطَلُ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ الْجَاهِلِيَّةِ مَا قَدَّمْتُ عَلَيْهِ أَحَدًا . قِيلَ لِحِرِيرٍ مَا
 تَقُولُ فِي الْأَخْطَلِ . قَالَ : كَانَ أَشَدَّنَا أَجْرًا وَأَرْمَانًا لِنَفَرَانِصِ
 وَأَمْدَحَ النَّاسِ لِكَرِيمٍ . وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَقُولُ : شُعْرَاءُ الْإِسْلَامِ
 الْأَخْطَلُ ثُمَّ حِرِيرٌ ثُمَّ الْفَرَزْدَقُ . وَكَانَ يُشَبِّهُ الْأَخْطَلُ بِالنَّابِغَةِ لَصِحَّةِ
 شِعْرِهِ وَيَقُولُ : الْأَخْطَلُ أَشَبُّهُ بِالْجَاهِلِيَّةِ وَأَشَدُّهُمْ أَمْرَ شِعْرِ وَأَقْلَهُمْ
 سَقَطًا . أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ قَالَ : دَخَلَ الْأَخْطَلُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
 فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ زَعَمَ ابْنُ الْمِرَاغَةِ أَنَّهُ يَبْلُغُ مِدْحَتَكَ فِي ثَلَاثَةِ
 أَيَّامٍ . وَقَدْ أَقَمْتُ فِي مِدْحَتِكَ (خَفَّ الْقَطِينُ قَرَأُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا)
 سَنَةً فَمَا بَلَغْتُ كُلَّمَا أَرَدْتُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا سَمِعْنَاهَا يَا أَخْطَلُ .
 فَأَنشَدَهُ إِيَّاهَا فَجَعَلَتْ أَرَى عَبْدَ الْمَلِكِ يَتَطَاوَلُ لَهَا . ثُمَّ قَالَ : وَنَحْكُ
 يَا أَخْطَلُ أَتُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْ الْأَفَاقِ أَنَّكَ أَشَعْرُ الْعَرَبِ . قَالَ :
 أَكْفَيْ يَقُولُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَمْرٌ لَهُ بِجَفَنَةٍ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّتْ
 دَرَاهِمَ وَأَلْقَى عَلَيْهِ خِلْعًا . وَخَرَجَ بِهِ مَوْلَى لِعَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى النَّاسِ يَقُولُ :
 هَذَا شَاعِرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَشَعْرُ الْعَرَبِ . وَأَخْبَرَ أَبُو عَمْرٍو قَالَ :
 لَقَدْ كَانَ الْأَخْطَلُ يُحِبُّ عَلَيْهِ جُبَّةَ خَزٍّ وَفِي عُقْبِهِ سَيْسَلَةٌ ذَهَبٍ فِيهَا
 صَلِيبٌ ذَهَبٌ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بَغِيرِ إِذْنٍ . قَالَ الْأَخْطَلُ :
 فَصَلَّتْ الشُّعْرَاءُ فِي الْمَدِيحِ وَالْهَجَاءِ بِمَا لَا يُلْحَقُ بِي فِيهِ . فَقَوْلِي بِالْمَدِيحِ :
 نَفْسِي فِدَاهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَبْدَى التَّوَاجِدَ يَوْمَ عَارِمٍ ذَكَرُ
 الْحَارِثِصُ النُّعْمَةَ أَلْيُونَ طَائِرُهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ

لَّمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوْمِي تَحْوَهَا يَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَاكِرُ
أَيَقُنْتُ أَنِّي لَا نَحَا لَهَ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرًا (*)

٣٦٧ (إِلْيَا الْكَاتِبُ ١١٢٨ - ١١٩٠). هُوَ ابْنُ الْحَدِيدِيِّ الْمَعْرُوفُ
بِأَبِي حَلِيمٍ. هَذَا الْأَبُّ كَانَ كَهْلًا حَسَنَ الْخِلْقَةِ تَامَ الْقَامَةِ حَبِيبًا
كَرِيمًا عَلِيمًا فَاضِلًا مِنْ أَهْلِ بَلَدٍ مَيَّافَارِقِينَ وَكَانَ مَطْرَانًا عَلَى نَصِيبِينَ
فَانتَشَرَتْ شُهْرَتُهُ. وَلَمَّا اسْتَنَاحَ يَشُوعِيَابُ وَرَدَ إِلَى بَنْدَادٍ مَعَ الْأَبَاءِ
لِلْأَخْتِيَارِ. وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ لِأَنَّ الْأَبَاءَ الْوَارِدِينَ مَعَهُ لَمْ يَكُنْ
مِنْهُمْ مَنْ يَمَانُهُ عِلْمًا وَحِكْمَةً وَكَرَمًا وَحُسْنًا وَبَلَاغَةً وَفَصَاحَةً. فَاخْتِيرَ
فِي خِلَافَةِ الْمُسْتَضِيِّ وَأَقِيمَ فَطْرَكََا بِدَيْرِ الْمَدَانِ... وَوَفَّقَهُ اللَّهُ وَأَجْرَى
أَخْبِرَاتٍ عَلَى يَدِهِ. وَأَقَامَ جَمَاعَةً مِنَ الْمَطَارِنَةِ وَجَدَّدَ بِنَاءَ هَيْكَلِ مَارِ

(*) وجاء في كتاب الأغاني عن بعضهم قال: بينما أنا يجيل يُقال له سيمان في يوم شديد
الحر إذ أنا بقس بن ساعدة وبقبرين بينهما مسجد فقلت له: ما هذان القبران قال: هذان
قبرا أخوين كانا لي فانا فالتحذت بينهما مجددًا أعبد الله جل وعز فيه حتى ألحقهما. ثم ذكر آياتهما
فبكى ثم أنشأ يقول:

خَلِيلِي هُبَا طَالَمَا قَد رَقْدْتُمَا	أَجْدَاكُمَا لَا تَقْضِيَانِ كِرَاكُمَا
أَلَمْ تَعْلَمَا مَا لِي بِرَأُونَدٍ هَذِهِ	وَلَا بِخُزَائِقٍ مِنْ نَدِيمٍ سِوَاكُمَا
مُقِيمٌ عَلَى قَبْرِيكُمَا لَسْتُ بَارِحًا	طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يَجِبُ صَدَاكُمَا
جَرَى الْمَوْتُ مَجْرَى اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ مِنْكُمَا	كَأَنَّ الَّذِي يَسْقِي الْمَقَارَ سَقَاكُمَا
أُنَادِيكُمَا صَحْبًا تَحِيًّا وَتَنْتَفَعَا	وَلَيْسَ بِجَابًا صَوْتُهُ مِنْ دَعَاكُمَا
أَمِنْ طَوْلِ نَوْمٍ لَا تَحْيِيَانِ دَاعِيَا	خَلِيلِي مَا هَذَا الَّذِي قَدْ دَهَاكُمَا
قَضَيْتُ بَاتِي لَا مَحَالَةَ هَالِكًا	وَأَنِّي سَيَمُرُونِي الَّذِي قَدْ عَرَاكُمَا
سَأُكَلِّمُكَ طَوْلَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِي	يُرْدُّ عَلَى ذِي عَوْلَةٍ إِنْ بَكَىكُمَا

وَتَسْتَحْذِي لَهُ . فَيَجَلُّ يَقُولُ لِي : إِنَّهُ الدِّينُ إِنَّهُ الدِّينُ (الاعاني) (*)

خطباء النصرانية

٣٦٦ (قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ ٦٠٠) . هُوَ أَسْفُفُ نَجْرَانَ خَطِيبُ الْعَرَبِ
وَشَاعِرُهَا . وَحَايِمَا وَحَكِيمَا وَحَكَمَا فِي عَصْرِهِ . يُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ
عَلَا عَلَى شَرَفٍ وَخَطَبَ عَلَيْهِ وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي كَلَامِهِ : أَمَّا بَعْدُ .
وَأَوَّلُ مَنْ أَتَكَأَ عِنْدَ خُطْبَتِهِ عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصَا . حَدَّثَ بَعْضُهُمْ قَالَ :
كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قُسٍّ بِسُوقٍ عَكَظَ وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا
وَعُوا : مَنْ عَاشَ مَاتَ . وَمَنْ مَاتَ فَاتَ . وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ . لَيْلٌ
دَاجٍ . وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ . بِحَارٍ تَزْخَرُ . وَنُجُومٌ تَزْهَرُ . وَضَوْءٌ وَظَلَامٌ .
وَبِرٌّ وَأَتَامٌ . وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ . وَمَلْبَسٌ وَمَرْكَبٌ . مَا لِي أَرَى النَّاسَ
يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ . أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا أَمْ تَرَكُوا فَنَامُوا . وَإِلَهُ
قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ الدِّينِ . فَطُوبَى لِمَنْ
أَذْرَكَهُ فَأَتْبَعَهُ وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

فِي الدَّاهِيَيْنِ الْأَوَّلِيْنَ نَ مِنْ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ

(٥) ومن شعراء النصرانية المتلمس وخُتَيْنَ الحِمْيَرِيِّ من فحول المفتين . وله صنعة فاضلة
متفمة . ومنهم قيس بن زهير تنصّر قبل وفاته . ومنهم أبو قابوس والرباب بن البراء وخالد
للقيصري . وقد ذكّرهم جميعاً صاحب الاعاني . ومنهم أبو المليلح المائي ذكّره ابن خلكان . ومنهم
ثابت بن هارون الرقي ورواؤه للثني معروف . ومنهم المرغوي ذكّره المقرئ في نفع الطيب .
ومنهم سابان بن إسماعيل الماردني وله نظم رفيق حسن الموقع في النفوس . ومنهم الاسقف
جبرائيل الكلداني الكاثوليكي وله القصائد الطائفة . ومنهم السيد جرمانوس فرحات والحوري
نيلولا الصانع وغيرهم معن يستغنى بشهرتهم عن ذكرهم

بِخَيْشُوعَ الْجَنْدِيسَاوَرِيِّ إِنَّهُ أَفْضَلُ الْأَطِبَّاءِ فَقَدَّمَ بِإِخْضَارِهِ فَأَنْفَذَهُ
الْعَامِلُ بِجَنْدِيسَاوَرٍ بَعْدَ مَا أَكْرَمَهُ . فَخَرَجَ وَوَصَّى وَلَدَهُ بِخَيْشُوعَ
بِالْبِيَارِ سِتَانِ . وَاسْتَضَجَّ مَعَهُ تَلْمِيزُهُ عِيسَى بْنِ شَهْلَانَا . وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى
بَعْدَادَ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِإِخْضَارِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْحَضْرَةِ دَعَا لَهُ بِالْأَنْفَارِ سِيَّةَ
وَالْعَرَبِيَّةَ فَحَبَّبَ الْمَنْصُورُ مِنْ حَسَنِ مَنَظِفِهِ وَمَنْظَرِهِ . وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ
وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ أَجَابَهُ عَنْهَا بِسُكُونٍ . وَخَبَرَهُ بِمَرْضِهِ فَقَالَ لَهُ
جِيورْجِيسُ : أَنَا أَدْرِيكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ . فَأَمَرَ لَهُ فِي الْوَقْتِ بِخَلْعَةِ
جَلِيلَةٍ وَتَقَدَّمَ إِلَى الرَّبِيعِ بِإِزَالِهِ فِي أَجْمَلِ مَوْضِعٍ مِنْ دُورِهِ وَإِكْرَامِهِ
كَمَا يُكْرَمُ أَخْصُ الْأَهْلِ . وَلَمْ يَزَلْ جِيورْجِيسُ يَتَلَطَّفُ لَهُ فِي تَدْبِيرِهِ
حَتَّى بَرَى مِنْ مَرْضِهِ وَفَرَّحَ بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا . وَكَانَ الْمَنْصُورُ أَمَرَ أَنْ
يُجْمَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْجَوَارِي أَلْفٌ وَمِائَتٌ ثَلَاثُ فَرَدَّ هُنَّ جِيورْجِيسُ . فَلَمَّا
اتَّصَلَ الْخَبَرُ إِلَى الْمَنْصُورِ أَخْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : لِمَ رَدَدْتَ الْجَوَارِي . قَالَ :
لَا يَجُوزُ لَنَا مَعَشَرَ النَّصَارَى أَنْ تَتَزَوَّجَ بِأَكْثَرٍ مِنْ أَمْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ مَا
دَامَتْ الْأَمْرَأَةُ حَيَّةً لَا نَأْخُذُ غَيْرَهَا . فَحَسَنَ مَوْضِعُ هَذَا مِنَ الْخَلِيفَةِ وَزَادَ
مَوْضِعُهُ عِنْدَهُ وَهَذَا ثَمَرَةُ الْغَفَّةِ . ثُمَّ مَرَضَ جِيورْجِيسُ مَرَضًا صَعْبًا وَلَمَّا
اشْتَدَّ مَرْضَاهُ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِجَمْلِهِ إِلَى دَارِ الْعَامَةِ . وَخَرَجَ مَاشِيًا إِلَيْهِ
وَتَعَرَّفَ خَبْرَهُ فَخَبَرَهُ وَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي
الْإِنْصِرَافِ إِلَى بَلَدِي لِأَنْظُرَ أَهْلِي وَوُلْدِي وَإِنْ مِتُّ قَبِرْتُ مَعَ آبَائِي .
فَقَالَ الْمَنْصُورُ : إِنِّي مِنْذُ رَأَيْتُكَ وَجَدْتُ رَاحَةً مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي

مَارِي الرُّسُولِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْبَيْعِ وَالْأَذْيَارِ . وَكَانَ مَعَ أَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ
 مُحْسِنِ الْخُلُقِ وَالْخَلْقَةِ سَخِيًّا بِالْمَالِ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ مَعَ النَّاسِ الضُّعَفَاءِ
 وَالْمَسَاكِينِ وَمَعَ الْحُكَّامِ وَالْمُتَوَلِّينَ لِأَجْلِ جَاهِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَمَعَ
 ذَلِكَ كَانَ مُرْتَاضًا بِالْعُلُومِ النَّحْوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ السَّرْيَانِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ
 وَالْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ . وَمِنْ جُمْلَةِ مَوْضُوعَاتِهِ كِتَابُ تَرَاجِمِ الْأَعْيَادِ
 السَّيِّدِيَّةِ وَخُطْبُ وَمَوَاعِظُ كَثِيرَةٌ وَرِسَالٌ كَثِيرَةٌ فِي إِبْتَاتِ
 الْأَمَانَةِ وَالْإِعْتِقَادِ وَصَحَّةِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَدَبَّرَ الْكُرْسِيَّ تَذْبيرًا
 حَسَنًا وَاسْتَنَاحَ يَوْمَ الْخَمِيسِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ نَيْسَانَ . وَكَانَتْ مُدَّةُ
 رِئَاسَتِهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً . وَعِنْدَ مَرَضِهِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ جَاءَ الْأَبَاءُ
 وَالرُّؤَسَاءُ إِلَى عِيَادَتِهِ فَأَخَذَ يَرِي نَفْسَهُ وَيُعْزِيهِمْ وَفِي آخِرِ ذَلِكَ قَالَ :
 أُرْوِي مِنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنْ الْخِطَابِ
 يَمَنْ تَسْتَصْرِخُونَ إِذَا حَثَوْتُمْ بِأَعْمَلِكُمْ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ
 (ملخص عن كتاب المجدل لعمر بن متى) (*)

مشاهير اطباء النصرانية

٣٦٨ (جيورجيس بن بختيشوع ٧٧٠) . كَانَ الْمَنْصُورُ فِي صَدْرِ أَمْرِهِ
 عِنْدَمَا بَنَى بَغْدَادَ أَذْرَكَهُ ضَعْفٌ فِي مَعِدَتِهِ وَسُوءٌ اسْتِمْرَاءٌ وَقَلَّةٌ شَهْوَةٌ
 وَكَلَّمَا عَالَجَهُ الْأَطِبَّاءُ أَزْدَادَ مَرَضُهُ . فَقِيلَ لَهُ عَنْ جِيُورْجِيسِ بْنِ

(٥) ومن خطباء النصرانية خالد القسري (٧٤٥) وهو معدود من خطباء العرب المشهورين .
 ومنهم يوسف بن أيوب الصمداني الزاهد الرباني (١١٤٦) صاحب المقامات والكرامات . عقد
 بغداد مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف جاقبولا . ثم انقطع الى الله وتصر بالقسطنطينية

النَّاسِ فِي قُصُورِ ابْتَوَاهَا بَظَاهِرِ الْحِيرَةِ . وَتَسَمَّوْا بِالْعِبَادِ لِأَنَّهُ لَا يُضَافُ
إِلَّا إِلَى الْخَالِقِ وَأَمَّا الْعَبِيدُ فَيُضَافُ إِلَى الْمَخْلُوقِ وَالْخَالِقِ . وَيُنْسَبُ إِلَيْهِمْ
خَلْقُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ . وَكَانَ إِسْحَاقُ وَالِدُ
حُثَيْنٍ صَيْدَ لَانِيًا بِالْحِيرَةِ . فَلَمَّا نَشَأَ حُثَيْنُ أَحَبَّ الْعِلْمَ فَدَجَلَ بَعْدَ
وَحَضَرَ مَجْلِسَ يُوحَنَّا بْنِ مَأْسُوِيهِ وَجَعَلَ يُحَدِّثُهُ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ . ثُمَّ تَوَجَّهَ
إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَأَقَامَ بِهَا سَنَتَيْنِ حَتَّى أَحْكَمَ اللُّغَةَ الْيُونَانِيَّةَ وَتَوَصَّلَ
فِي تَحْصِيلِ كُتُبِ الْحِكْمَةِ غَايَةً إِمْكَانِهِ . وَعَادَ إِلَى بَعْدَادَ بَعْدَ
سَنَتَيْنِ وَنَهَضَ مِنْ بَعْدَادَ إِلَى أَرْضِ فَارِسَ . وَدَخَلَ الْبَصْرَةَ وَلَزِمَ الْحَلِيلَ
أَبْنُ أَحْمَدَ حَتَّى بَرَعَ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَعْدَادَ . قَالَ يُوسُفُ
الطَّيِّبُ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى جَبْرِ بِلَ بْنِ بَجْتِيشُوعَ فَوَجَدْتُ حُثَيْنًا
وَجَبْرِ بِلَ يُخَاطَبُهُ بِالْتَّجِيلِ وَيُسَمِّيهِ الرُّبَّانَ . فَأَعْظَمْتُ مَا رَأَيْتُ وَتَبَيَّنَ
ذَلِكَ جَبْرِ بِلَ مِنِّي . فَقَالَ : تَسْتَكْثِرُ هَذَا مِنِّي فِي أَمْرِ هَذَا الْفَتَى .
قَوْلَ اللَّهِ إِنَّ مَدَّةَ لَهُ فِي الْعُمُرِ لَيَفْضَحَنَّ سَرَجِيسَ . وَسَرَجِيسُ هَذَا هُوَ
الرَّأْسُ عَيْنِي الْيَعْقُوبِيُّ نَاقِلُ عُلُومِ الْيُونَانِيِّينَ فِي السَّرْيَانِي . وَلَمْ يَزَلْ
أَمْرُ حُثَيْنِ يَقْوَى وَعِلْمُهُ يَتَزَايِدُ وَعَجَابُهُ تَظْهَرُ فِي الثَّقَلِ وَالتَّفَاسِيرِ حَتَّى
صَارَ يَتَّبِعُونَ الْعُلُومَ وَمَعْدِنَا لِفَضَائِلِ . وَاتَّصَلَ خَبَرُهُ بِالْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكَّلِ
فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ . وَلَمَّا حَضَرَ أَقْطَعَهُ إِقْطَاعًا سَنِيًّا وَأَحَبَّ امْتِنَانَهُ .
فَاسْتَنْعَاهُ وَأَمَرَ أَنْ يُخْلَعَ عَلَيْهِ . فَشَكَرَ حُثَيْنُ هَذَا الْفِعْلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ بَعْدَ
أَشْيَاءَ جَرَتْ : أَرِيدُ أَنْ تَصِفَ لِي دَوَاءَ يَقْتُلُ عَدُوًّا زَيْدٌ قَتَلَهُ . وَلَيْسَ

تَمَتَّدُنِي . فَقَالَ جِيُوزْ جِيسُ : أَنَا أَخْلَفُ بَيْنَ يَدَيِ أُمِّهِ الْمُؤْمِنِينَ عَيْسَى
تَلْمِيزِي هُوَ مَا هَرُ . فَأَمَرَ لِيُوزْ جِيسَ بِمِشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَذَنَ لَهُ
فِي الْأَنْصَرِافِ . وَأَنْفَذَ مَعَهُ خَادِمًا وَقَالَ : إِنْ مَاتَ فِي الطَّرِيقِ فَأَجِلهُ
إِلَى مَنْزِلِهِ لِيُدْفَنَ هُنَاكَ كَمَا أَحَبَّ . فَوَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ حَيًّا

٣٦٩ (بَحْتِشُوعُ بْنُ جِيُوزْ جِيسَ ٧٩٨) . قِيلَ إِنْ الرَّشِيدَ فِي خِلَافَتِهِ
مَرَضَ مِنْ صُدَاعٍ لَحْمَةٍ . فَقَالَ لِيُحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ . هُوَلَاءُ الْأَطِبَّاءُ
لَيْسُوا يَفْهَمُونَ شَيْئًا وَيَنْبَغِي أَنْ تَطْلُبَ لِي طَبِيبًا مَاهِرًا . فَقَالَ لَهُ عَنْ
بَحْتِشُوعُ بْنُ جِيُوزْ جِيسَ . فَأَرْسَلَ الْبَرِيدَ فِي حِمَاهِ مِنْ نَيْسَابُورَ . وَلَمَّا
كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَرَدَ وَدَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ فَأَكْرَمَهُ وَخَطَّ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً .
وَوَهَبَ لَهُ مَالًا وَافِرًا وَجَعَلَهُ رَئِيسَ الْأَطِبَّاءِ . وَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ
وَسَبْعِينَ وَمِائَةً (٧٩٠) مَرَضَ جَعْفَرُ بْنُ يُحْيَى . فَقَدَّمَ الرَّشِيدُ إِلَى
بَحْتِشُوعُ أَنْ يَخْدُمَهُ وَلَمَّا أَفَاقَ جَعْفَرُ مِنْ مَرَضِهِ قَالَ لِبَحْتِشُوعُ . أَرِيدُ أَنْ
تُخْتَارَ لِي طَبِيبًا مَاهِرًا أَكْرَمُهُ وَأَحْسِنَ إِلَيْهِ قَالَ بَحْتِشُوعُ لَسْتُ أَعْرِفُ
فِي هُوَلَاءِ الْأَطِبَّاءِ أَحَدًا مِنْ أَبْنِي جَبْرِيلَ . فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ : أَحْضِرْ نِيهِ
فَلَمَّا أَحْضَرَهُ شَكَا إِلَيْهِ مَرَضًا كَانَ بُحْتِشُوعُ . فَدَرَّهُ فِي مُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
وَرَأَى فَاحَبَّهُ جَعْفَرُ مِثْلَ نَفْسِهِ

٣٧٠ (حُزَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ ٨٠٩ - ٨٧٤) . فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ اشْتَهَرَ
حُزَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ الطَّبِيبُ الْأَنْصَرَانِيَّ الْعِلَادِيَّ . وَنَسَبَتْهُ إِلَى الْعِلَادِ وَهُمْ
قَوْمٌ مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ مِنْ قَبَائِلِ شَتَّى اجْتَمَعُوا وَانْفَرَدُوا عَنْ

الطَّبِّ . وَكَانَ قَدْ خَدَمَ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ مِنْ خَدَمِهِ أَبُوهُ . ثُمَّ
 انْقَطَعَ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَزِيرِ الْإِمَامِ الْمُتَضِدِّ بِاللَّهِ . وَاخْتَصَّ
 بِهِ حَتَّى إِنَّ الْوَزِيرَ الْمَذْكُورَ كَانَ يُطْلِعُهُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَيُفْضِي إِلَيْهِ بِمَا
 يَكْتُمُهُ عَنْ غَيْرِهِ لَهُ . وَلَا يَبِيهُ الْمُصَنَّفَاتُ الْمُفِيدَةُ فِي الطَّبِّ . وَحَلَقَهُ الْقَاجُ
 فِي آخِرِ عُمْرِهِ . وَكَانَتْ وَقَاتُهُ سِتَّةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ (لَا بَنَ خَلَّ كَانَ)
 ٣٧٢ (يُوحَنَّا بْنُ مَسَوِيهِ ١٥٧) . وَمِنْ أَطِبَّاءِ الرَّشِيدِ يُوحَنَّا بْنُ
 مَسَوِيهِ النَّصْرَانِيُّ السُّرْيَانِيُّ وَلَاهُ الرَّشِيدُ تَرْجَمَةَ الْكُتُبِ الطِّيبَةِ
 الْقَدِيمَةِ . وَخَدَمَ الرَّشِيدَ وَمَنْ بَعْدَهُ إِلَى أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ . وَكَانَ مُعَظَّمًا
 بِبَعْدَادَ جَلِيلَ الْقَدْرِ وَلَهُ تَصَانِيفُ جَمِيلَةٌ . وَكَانَ يَقَعْدُ مُجَلِّسًا لَا يُنْظَرُ
 وَيَجْرِي فِيهِ مِنْ كُلِّ تَوْعٍ مِنَ الْعُلُومِ الْقَدِيمَةِ بِأَحْسَنِ عِبَارَةٍ وَكَانَ
 يُدْرَسُ وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ تَلَامِيذُ كَثِيرُونَ . وَكَانَ فِي يُوحَنَّا دُعَابَةٌ شَدِيدَةٌ
 يَنْخُصُّهُ مِنْ حَضَرٍ لَا جُلَاهَا فِي الْأَكْثَرِ . وَكَانَ مِنْ ضَيْقِ الصَّدْرِ
 وَشِدَّةِ الْحِدَّةِ عَلَى أَكْثَرِ مَا كَانَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ بْنُ بَخْتِشُوعَ . وَكَانَتْ الْحِدَّةُ
 تَخْرُجُ مِنْ يُوحَنَّا أَلْفَاظًا وَهِيَ مُضْحَكَةٌ . فِيمَا حَفِظَ مِنْ نَوَادِرِهِ أَنَّ رَجُلًا
 شَكَا إِلَيْهِ عِلَّةً وَكَانَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالْقَصْدِ . فَقَالَ لَهُ : لَمْ أَعْتَدِ الْقَصْدَ . قَالَ
 لَهُ يُوحَنَّا : وَلَا أَحْسَبُكَ أَعْتَدْتَ الْعِلَّةَ مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ . (لَا يِ الْقَرَجِ)

٣٧٣ (ابْنُ التَّلْمِيزِ ١١٦٥) . وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ هَبَةُ اللَّهِ بْنِ التَّلْمِيزِ
 النَّصْرَانِيُّ الطَّيِّبُ الْمُلَقَّبُ بِأَمِينِ الدَّوْلَةِ . فَشَيْخُ النَّصَارَى وَالْأَطِبَّاءِ
 وَسُلْطَانُ الْحُكَمَاءِ مَقْصِدُ الْعَالَمِ فِي عِلْمِ الطَّبِّ بِقِرَاطِ عَصْرِهِ

يُمْكِنُ إِعْلَانُ هَذَا وَزَيْدُهُ سِرًّا . فَقَالَ حُذَيْفٌ : مَا تَعَلَّمْتُ غَيْرَ الْأَذْوِيَةِ
 النَّافِعَةِ وَلَا عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُ مِنِّي غَيْرَهَا . ثُمَّ رَغِبَهُ وَهَدَّاهُ
 وَأَحْضَرَ سَيْفًا وَنَظْعًا . فَقَالَ حُذَيْفٌ : قَدْ قُلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا فِيهِ
 الْكُفَايَةُ . قَالَ الْخَلِيفَةُ : فَإِنِّي أَفْتُكَ . قَالَ حُذَيْفٌ : لِي رَبٌّ يَأْخُذُ بِي
 حَقِّي غَدًا فِي الْمَوْقِفِ الْأَعْظَمِ . فَتَبَسَّمَ الْمُتَوَكِّلُ وَقَالَ لَهُ : طِبَّ نَفْسًا
 فَإِنَّا أَرَدْنَا أَنْ نَمْتَحَنَكَ وَالطَّمَأْنِينَةَ إِلَيْكَ . فَقَبِلَ حُذَيْفٌ الْأَرْضَ وَشَكَرَ لَهُ .
 فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : مَا الَّذِي مَنَعَكَ مِنَ الْإِجَابَةِ مَعَ مَا رَأَيْتَهُ مِنْ صَدَقِ
 الْأَمْرِ مِنَّا فِي الْحَالِ . قَالَ حُذَيْفٌ : شَيْئَانِ هُمَا الدِّينُ وَالصَّنَاعَةُ . أَمَّا
 الدِّينُ فَإِنَّهُ يَأْمُرُنَا بِاصْطِنَاعِ الْجَمِيلِ مَعَ أَعْدَانِنَا فَكَيْفَ ظَنُّكَ بِالْأَصْدِقَاءِ .
 وَأَمَّا الصَّنَاعَةُ فَإِنَّهَا مَوْضُوعَةٌ لِنَفْعِ آبَاءِ الْخَلَسِ وَمَقْصُودَةٌ عَلَى مُعَالَجَتِهِمْ .
 وَمَعَ هَذَا فَقَدْ جُعِلَ فِي رِقَابِ الْأَطِبَّاءِ عَهْدٌ مُؤَكَّدٌ بِإِيمَانٍ مُغْلَظَةٍ أَنْ لَا
 يُعْطُوا دَوَاءً قَتَالًا لِأَحَدٍ . فَقَالَ الْخَلِيفَةُ : إِنَّهُمَا شَرَّعَانِ جَلِيلَانِ . وَأَمْرٌ بِالْخَلْعِ
 فَأُفِيضَتْ عَلَيْهِ فَخَرَجَ وَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ حَالًا وَجَاهًا (لَا بِي الْقَرَجِ الْمَلَطِي)
 ٣٧١ (إِسْحَاقُ بْنُ حُذَيْفٍ ٨٣٠ - ٩١١) . هُوَ أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ حُذَيْفٍ
 ابْنِ إِسْحَاقَ الْعَبَادِيِّ الطَّبِيبُ الْمَشْهُورُ كَانَ أَوْحَدَ عَصْرِهِ فِي عِلْمِ
 الطَّبِّ . وَكَانَ يُنْقِضُ بِأَبِيهِ فِي النُّقْلِ وَفِي مَعْرِفَتِهِ بِاللُّغَاتِ وَقَصَاحَتِهِ
 فِيهَا . وَكَانَ يُعَرِّبُ كُتُبَ الْحِكْمَةِ الَّتِي بِلُغَةِ الْيُونَانِيِّينَ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
 كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَبُوهُ . إِلَّا أَنَّ الَّذِي وَجَدَ مِنْ تَعْرِيهِ فِي كُتُبِ الْحِكْمَةِ
 مِنْ كَلَامِ أَرِسْطَاطَالِيسَ وَغَيْرِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يُوجَدُ مِنْ تَعْرِيهِ لِكُتُبِ

فَهَذَا بِالتَّوَّاضِعِ فِي الثَّرِيَا وَهَذَا بِالتَّكْبُرِ فِي الْحُضِيِّضِ
وَوُفِّي ابْنُ التَّلْمِيزِ سِتِينَ وَخَمْسِمِائَةً وَقَدْ نَاهَزَ الْمِائَةَ مِنْ عَمْرِهِ
(١١٦٥). وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْجَانِبَيْنِ مَنْ لَمْ يَخْضُرِ الْبَيْعَةَ وَلَمْ يَشْهَدْ
جَنَازَتَهُ. وَلِابْنِ التَّلْمِيزِ فِي الطِّبِّ تَصَانِيفٌ نَافِعَةٌ فِي بَابِهَا مِنْهَا كِتَابُ
أَقْرَابَازِينَ وَحَوَاشٍ عَلَى كَلِمَاتِ ابْنِ سِينَا (الْحَرِيدَةُ لِلْعَمَادِ الْأَصْهْبَانِيِّ) (*)

مشاهير المُرْخِينِ وَالْكَتَابِ وَالْفَلَاسِفَةِ مِنْ أَهْلِ النِّصْرَانِيَةِ

٣٧٤ (أَبُو الْفَرَجِ الْمُلْطِي ١٢٢٦-١٢٨٦). جَمَالَ الدِّينِ غَرِيبُورِ يُوْسُ
أَبُو الْفَرَجِ بْنِ حَكِيمٍ (*) الطَّبِيبُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ النُّعَيْرِيِّ تَاجُ
الْقَضَاءِ. مَحَلُّ الشُّكَايَاتِ الْخَفِيَّةِ مِنَ الْكَلَامَاتِ الْإِلَهِيَّةِ. وَحِيدُ
الْعَصْرِ وَفَرِيدُ الزَّمَانِ. رَئِيسُ رُؤَسَاءِ الْأُمَمَةِ النِّصْرَانِيَّةِ. وَخُلَاصَةُ
نُصَارِ الْمِلَّةِ الْيَهُودِيَّةِ. كَانَ كَثِيرَ الْإِطْلَاعِ وَحَصَلَ لَهُ عُلُومًا شَتَّى
وَأَتَقَنَهَا وَأَنْفَرَدَ بِالطِّبِّ فِي زَمَانِهِ حَتَّى شَدَّتْ إِلَيْهِ الرِّجَالُ بِأَرْضِ

(*) وَمَنْ اشْتَرَى مِنْ النِّصَارِيِّ فِي الطِّبِّ سَعِيدُ بْنُ مَارِي صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ السِّتِينَ.
وَبُوحَانًا بْنُ بَطْرِيقِ تَرْجَمَانِ الْخَلِيفَةِ الْمَأْمُونِ. وَمِنْهُمْ ابْنُ الْعَطَّارِ مَطْبُوبُ الْقَاهِرِ. وَمِنْهُمْ كُنَيْفَاتُ
خَدَمِ الْبِسْطَرِيِّ. وَمِنْهُمْ ابْنُ الْقَشْرِ الْمَصْرِيِّ طَبِيبُ الْغَزِيرِ. وَمِنْهُمْ ابْنُ خِلَانَ وَلَهُ تَصَانِيفُ جَلِيلَةٌ
فِي الطِّبِّ انْقَطَعَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ لِلْعِبَادَةِ. وَمِنْهُمْ حُسَيْنُ الرَّهَاوِيِّ خَدَمُ سَيْفِ الدِّينِ وَزِيرُ قَلْعِ
أَرْشَلَانَ. وَمِنْهُمْ يَعْقُوبُ بْنُ صِقْلَانَ الْمَلِكِيِّ الْمُقَدِّسِيِّ اجْتَمَعَ بِالْمَلِكِ الْمُعْتَمِدِ ابْنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ وَطَالَعَهُ
وَارْتَفَعَتْ عَنْدهُ حَالُهُ. وَمِنْهُمْ صَاعِدُ بْنُ هَبَةَ اللَّهِ وَابُو الْخَيْرِ الْأَرَكَنْدِي الْقَوْنِ أَخُو الْجَائِثِيقِ ابْنِ
الْمُسَيْحِيِّ. وَمِنْهُمْ صَاعِدُ بْنُ تَوْمَ الْبَغْدَادِيِّ الْمَلَقَّبُ بِأَمِينِ الدَّوْلَةِ اسْتَوْثَقَهُ الْأَمَامُ النَّاصِرُ
(*) وَأَخْبَرَ فِي تَارِيخِهِ قَالَ: فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ (١٢٤٣) لَمَّا سَمِعَ أَهْلَ مِلْطِيَّةٍ مَا

فَعَلَ التَّاتَارُ بِقَيْسَارِيَةِ هَلَمُوا وَجَزَعُوا أَفْخَشَ الْهَزَجَ طَالِبِينَ حَلْبٍ. فَأَمْسَكَ وَالِدِي عَنْ الْخُرُوجِ
وَاجْتَمَعَ بِالْمُطْرَانِ دِينُوسِيُوسَ وَتَشَاوَرَا فِي مِرَابِطَةِ الْمَدِينَةِ. وَجَمَعَا الْمُسْلِمِينَ وَالنِّصَارِيَّ فِي الْبَيْعَةِ

وَجَالِيُوسُ زَمَانِهِ . خُتِمَ بِهِ هَذَا الْعِلْمُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَلْخِي مِنْ بَلَّغَ مَدَاهُ
 فِي الطَّبِّ . عُمَرُ طَوِيلًا . وَعَاشَ نَبِيلًا جَلِيلًا . وَرَأَيْتُهُ وَهُوَ شَيْخٌ بِهِ
 الْمُنْظَرُ حَسَنُ الرِّوَاءِ عَذِبُ الْعَجَلِي وَالْمُجْتَنِي لَطِيفُ الرُّوحِ ظَرِيفُ
 الشَّخْصِ بَعِيدُ الْهَمِّ عَالِي الْهِمَّةِ ذِكْرُ الْخَاطِرِ مُصِيبُ الْفِكْرِ حَازِمُ الرَّأْيِ
 رَأْسُ النَّصَارَى وَقَسِيصُهُمْ وَرَيْسُهُمْ . وَلَهُ فِي النِّظَمِ كَلِمَاتٌ رَائِقَةٌ
 وَحَلَاوَةٌ بَيِّنَةٌ وَغَزَارَةٌ بَيِّنَةٌ . وَذَكَرَ فِي التَّمُودِجِ الْأَعْيَانِ مِنْ شُعَرَاءِ
 الزَّمَانِ أَنَّ ابْنَ التَّلْمِيزِ الْمَذْكُورَ كَانَ مُتَفَنًّا فِي الْعُلُومِ ذَا رَأْيٍ رَصِينٍ .
 وَعَقْلٍ مَتِينٍ . طَالَتْ خِدْمَتُهُ لِلْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ . وَكَانَتْ مُجَالَسَتُهُ أَحْسَنَ
 مِنَ التَّبَرُّكِ الْمَسْبُوكِ وَالذَّرِّ فِي السُّلُوكِ . وَكَانَ يُتَجَبُّ فِي أَمْرِهِ كَيْفَ
 حُرِّمَ الْإِسْلَامُ مَعَ كَمَالِ فَهْمِهِ وَغَزَارَةِ عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ . وَكَانَ إِذَا تَرَسَّلَ
 اسْتَطَالَ وَسَطًا . وَإِذَا نَظَّمَ وَقَعَ بَيْنَ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَسَطًا . وَكَانَ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ أَوْحَادِ الزَّمَانِ هَبَّةُ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْمَشْهُورِ تَنَافُسٌ وَكَانَ هَذَا يَهُودِيًّا
 فَاسْلَمَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ . وَأَصَابَهُ الْجُدَامُ فَعَالَجَ نَفْسَهُ بِتَسْلِيطِ الْأَفَاعِي عَلَى
 جَسَدِهِ فَبَالَغَتْ فِي نَهْشِهِ فَبَرَى مِنَ الْجُدَامِ . فَعَمِلَ فِيهِ ابْنُ التَّلْمِيزِ شِعْرًا :
 لَنَا صَدِيقٌ يَهُودِيٌّ حَمَاقَتُهُ إِذَا تَكَلَّمَ تَبَدُّو فِيهِ مِنْ فِيهِ
 بَيِّنَةٌ وَالْكَأْبُ أَعْلَى مِنْهُ مَنْزِلَةٌ كَأَنَّهُ بَعْدُ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْتِيهِ
 وَكَانَ ابْنُ التَّلْمِيزِ مُتَوَاضِعًا وَأَوْحَادُ الزَّمَانِ أَبُو الْبَرَكَاتِ مُتَكَبِّرًا
 فَعَمِلَ فِيهِمَا الْبَدِيعُ الْأَسْطَرْلَاقِيُّ شِعْرًا :
 أَبُو الْحَسَنِ الطَّيِّبُ وَمُتَقِيهِ أَبُو الْبَرَكَاتِ فِي طَرَقِي نَقِيضُ

بلاد الروم . فاجتمع به فرأه فاضلاً فصيحاً فاستصحبه إلى بغداد وأزله
 في داره ووصله بالخليفة . رتبته بها إلى الآن . وله ولد يسمى إبراهيم
 بلغ رتبة أبيه في الفضل وكان من حذاق الأطباء . عالج مرة السري
 الرفاء الشاعر فأصاب العافية فعمل فيه وهو أحسن ما قيل في طب
 هل للعليل سوى ابن قرة شافي بعد الإله وهل له من كافي
 فكأنه عيسى بن مريم ناطقاً يهب الحياة بأيسر الأوصاف
 يبدو له الداء الخفي كما بدا للعين رضراض الغدير الصافي
 ٣٧٦ الكندي (٢٤٦هـ) (٨٦٠م) . هو يعقوب بن إسحاق الكندي
 النصاراني . وكان شريف الأصل بصرياً وكان أبوه إسحاق أميراً على
 الكوفة للهمدي والرشيدي . ويعقوب هذا أوجد عصره في فنون
 الآداب وشهرته تُغني عن الإطناب . وكان له اليد الطولى في علوم
 اليونان والهند والعجم متفنناً عالماً بالطب والمنطق وتأليف الحون
 والهندسة والهيئة والفلسفة . وله في أكثر هذه العلوم تأليف
 مشهورة ولم يكن في العرب من أشتهر عند الناس بمعانة علم
 الفلسفة حتى تنوء فيلسوفاً غير يعقوب . وكان معاصراً لقسطنطين
 ثوماً الفيلسوف البلبكي النصاراني واستوطن بغداد وأخذ عن أبي
 معشر البجلي . ومن أذنباء يعقوب هذا عبد المسيح بن إسحاق
 الكندي وله رسالة مشهورة فند فيها اعتراضات ابن إسماعيل
 الهاشمي على النصارانية . ذكرها أبو ريمان البيروني في تاريخه

الْمَغْرِبِ . وَأَقِيمَ اسْقَطًا عَلَى مَدِينَةِ مَلْطِيَّةٍ وَأَخَذَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنْ فُضْلِهِ
 الْمُسْلِمِينَ . وَبَنَ تَصَانِيفَهُ كِتَابُ تَارِيخِ مُخْتَصَرِ الدُّوَلِ وَهُوَ مِنْ أَشْهَرِ
 التَّوَارِيخِ وَشَرَحَ قَانُونِ ابْنِ سِينَا وَبُقْرَاطَ وَدِيُونِسُورُسَ وَكِتَابَ دَفْعِ
 الْأَهْمِ وَدِيُونِ شِعْرِ فِي الْأَلْهِيَّاتِ وَغَيْرُهَا (*)

٣٧٥ (ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ ٨٣٦-٩٠٢) . أَبُو الْحَسَنِ بْنُ كَرَايَا الْحَاسِبُ
 كَانَ فِي مَبْدَأِ أَمْرِهِ صَيرَفِيًّا بِحِرَّانَ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ . وَاشْتَغَلَ
 بِعُلُومِ الْأَوَائِلِ فَهَرَفَ فِيهَا . وَكَانَ الْقَالِبُ عَلَيْهِ الْفَلَسَفَةُ وَلَهُ تَأْلِيفٌ كَثِيرَةٌ
 فِي فُنُونٍ مِنَ الْعِلْمِ مِقْدَارُ عَشْرِينَ تَأْلِيفًا . وَأَخَذَ كِتَابَ أَفْلِيدُسَ الَّذِي
 عَرَّبَهُ حُثَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ الْعِبَادِي فَهَذَّبَهُ وَنَقَّحَهُ وَأَوْضَحَ مِنْهُ مَا كَانَ مُسْتَحْجِمًا .
 وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ عَصْرِهِ فِي الْفَضَائِلِ . وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ مَذْهَبِهِ
 أُمُورٌ أَنْكَرُوهَا عَلَيْهِ فِي الْمَذْهَبِ . فَرَأَفَعُوهُ إِلَى رَنَسِهِمْ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ
 مَقَالَتَهُ وَمَنَعَهُ مِنْ دُخُولِ الْهَيْكَلِ فَتَابَ وَرَجَعَ عَنْ ذَلِكَ . ثُمَّ خَرَجَ مِنْ
 حِرَّانَ وَزَلَّ كَفَرُوتًا وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً إِلَى أَنْ قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى مِنْ

الكِبَرَةِ وَتَحَالَفُوا أَنْ لَا يَجُوزَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَلَا يَخَالَعُوا الْمَطْرَانَ فِي شَيْءٍ مَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِمْ مِنْ مَدَارَاةِ
 التَّاتَارِ وَالْقِيَامِ بِحِفْظِ الْمَدِينَةِ وَالْبَيْتِ عَلَى أَسْوَارِهَا وَكَفَّ أَهْلَ الشَّرِّ عَنِ الْفَسَادِ . فَظَنَّا أَنَّ اللَّهَ إِلَى
 حَسَنِ نِيَاقِهِمْ وَدَفْعِ الْعَدُوِّ عَنْهُمْ وَوَصُولِهِ بِالْقُرْبِ مِنْ مَلْطِيَّةٍ وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا إِلَيْهَا . وَفِي إِحْدَى
 وَأَرْبَعِينَ (١٢٤٤) غَزَا شَاوَرُونِ بِلْدَ الشَّامِ وَاجْتَازَ بِلْطِيَّةَ وَخَرَّبَ بِلْدَهَا وَأَخَذَ غَلَاظَهَا . ثُمَّ
 رَحَلَ عَنْهَا وَطَلَبَ طَبِيبًا يُدَاوِيهِ عَنْ مَرَضٍ عَرَضَ لَهُ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَالَّذِي وَسَّارَ مَعَهُ إِلَى
 حَرْثٍ بَرَّتْ فِدْرُهُ حَتَّى بَرَأَ . ثُمَّ جَاءَ وَلَمْ يُطِلْ الْمَقَامَ بِمَلْطِيَّةٍ وَرَحَلَ بِنَا إِلَى أَنْطَاكِيَّةٍ فَاسْكَنََهَا

(٥) . وَمِنْ مُؤَرِّخِي النِّصَارِيِّ سَمِيدُ بْنُ الْبَطْرِيقِ بِطَرِكُ الْأَسْكَندَرِيَّةِ وَجَرِيسُ بْنُ الصِّمِيدِ
 مَكْتَبُ تَارِيخِ الطَّاهِرِيِّ . وَمِنْهُمْ ابْنُ الرَّاهِبِ وَابْنُ الْبُرْكَاتِ وَابْنُ السَّيِّحِيِّ وَكَثِيرٌ مَا يَسْتَشْهِدُ
 ابْنَ خَلْدُونَ فِي تَارِيخِهِ . وَمِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ مَتَّى (١٣٤٠) نَقَلَ عَنْهُ الْعَلَّامَةُ السَّمْعَانِيُّ

الْبَابُ الْعِشْرُونَ فِي التَّارِيخِ

صاحب الشريعة الاسلامية محمد بن عبد الله

٣٧٨ ذَكَرَ النَّسَابُونَ أَنَّ نِسْبَتَهُ تَرْتَقِي إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ
الَّذِي وَلَدَتْ لَهُ هَاجِرُ أُمِّهِ سَارَا زَوْجَتِهِ . وَكَانَ وَلَادُهُ بِمَكَّةَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ
وَتِسْعِينَ وَثَمَانِيَةً لِلْإِسْكَانْدَرِ وَلَمَّا مَضَى مِنْ عُمرِهِ سَنَتَانِ بِالتَّقْرِيبِ مَاتَ
عَبْدُ اللَّهِ أَبُوهُ وَكَانَ مَعَ أُمِّهِ أَمْنَةً بِنْتُ وَهْبٍ سِتِّ سِنِينَ . فَلَمَّا
تَوَفَّيَتْ أَخَذَهُ إِلَيْهِ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بِحَيَاتِهِ وَصَّهَ إِلَيْهِ وَكَفَلَهُ . ثُمَّ خَرَجَ
بِهِ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ إِلَى الشَّامِ . فَلَمَّا نَزَلُوا بَصْرَى خَرَجَ إِلَيْهِمْ
رَاهِبٌ عَارِفٌ اسْمُهُ بُحَيْرَا مِنْ صَوْمَعَتِهِ وَجَعَلَ يَتَخَلَّلُ الْقَوْمَ حَتَّى أَتَاهُ
إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ : سَيَكُونُ مِنْ هَذَا الصَّبِيِّ أَمْرٌ عَظِيمٌ يَنْتَشِرُ
ذِكْرُهُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ مِنَ الْعُمْرِ خَمْسُ
وَعِشْرُونَ سَنَةً عَرَضَتْ عَلَيْهِ أُمْرَأَةٌ ذَاتُ شَرَفٍ وَسَارِ اسْمُهَا خَدِيجَةٌ أَنَّ
يَخْرُجَ بِمَا لَهَا تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ وَتُعْطِيَهُ أَفْضَلَ مَا تُعْطِي غَيْرَهُ . فَأَجَابَهَا إِلَى
ذَلِكَ وَخَرَجَ . ثُمَّ رَغِبَتْ فِيهِ وَعَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ فَتَزَوَّجَهَا وَعُمَرُهَا
يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ سَنَةً . وَأَقَامَتْ مَعَهُ إِلَى أَنْ تَوَفَّيَتْ بِمَكَّةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ
سَنَةً . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً أَظْهَرَ الدَّعْوَةَ . وَلَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ
عَمُّهُ وَمَاتَتْ أَيْضًا خَدِيجَةُ زَوْجَتُهُ أَصَابَتْهُ قُرَيْشُ بِعَظِيمٍ مِنْ أَذَى

٣٧٧ (الصابي ٩٣٤-٩٨٣) أبو الحسن إبراهيم بن هلال بن إبراهيم
ابن زهرون بن حنون الحراني الصابي صاحب الرسائل المشهورة
والنظم البديع وكان كاتب الإنشاء ببغداد عن الخليفة وعن عز
الدولة بختيار بن معز الدولة ابن بويه الديلمي. وتقلد ديوان الرسائل
سنة تسع وأربعين وثلاثمائة. وكانت تصدر عنه مكاتبات إلى عضد
الدولة بن بويه بما يؤله فحقد عليه. فلما قتل عز الدولة وملاك عضد
الدولة ببغداد اعتقله في سنة إحدى وسعين. وكان قد أمره أن يصنع
له كتابا في أخبار الدولة الديلمية فعمل الكتاب التاجي. ف قيل لعضد
الدولة إن صديقا للصابي دخل عليه فرآه في شغل شاغل من
التعليق والتسويد والتبيض فسأله عما يعمل فقال: أباطل أنه تمها
وأكاذيب ألقفها. فحركت ساكنه وهاجت حقه ولم يزل مبعدا
في أيامه. وكان متشددا في دينه. وجهد عليه عز الدولة أن يسلم
فلم يفعل وله كل شيء حسن من المنظوم والمنثور (*) (لابن خلکان)

(*) وقد اشتهر كثير من الكتاب والمصنفين بين الصابريين بسفي بن ذكر بعضهم فثم ابن
الفتح الكاتب المشهور صاحب الرسائل البديعة والدرّة البیمة ومعرب كتاب كلیة ودمنة .
ومنه زكريا الافريجي المطقي نزير ببغداد . ومنهم قسطا بن لوقا البعلبي توفي سنة ٩٠٨ الحاسب
الفياسوف عرب كُتبا كثيرة منها كتاب الفلاحة . ومنهم القديس قزما المثنى . ومنهم القديس
يوحنا الدمتقي يعرفه العرب بابن منصور وكان ابوه من اعيان الدولة الاموية خرج في
العلوم والمعارف على القديس قزما الشيخ فبلغ منها المبلغ الطائل حتى صار مشكاة للآداب ودافع
عن اكرام الصور فردت له العذراء يده المقطوعة بدساس الملك لاون الازوري . ثم انقطع
الى الله في بلاد فلسطين وآلف عدة تأليف فلسفية ولاهوتية فلقب ببصري الذهب وتوفي سنة
٧٨٩ . وقد اشتهرت اليسوعية داره بدمشق من عهد قريب وموقعها قرب باب ثوما

حَرْبٍ. وَفِي (السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ) حَجَّ حِجَّةَ الْوَدَاعِ. ثُمَّ وَعَكَ وَمَرَضَ وَتُوِّفِيَ يَوْمَ الْأَثْنَيْنِ لِلَّيْلَتَيْنِ بَقِيَّتًا مِنْ صَفَرٍ وَكَانَ عُمُرُهُ ثَلَاثًا وَسِتِينَ سَنَةً. وَلَمَّا تُوِّفِيَ أَرَادَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَدَّهُ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا مَسْقُطُ رَأْسِهِ. وَأَرَادَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ دَفْنَهُ بِالْمَدِينَةِ لِأَنَّهَا دَارُ هِجْرَتِهِ وَمَدَارُ نَصْرَتِهِ. ثُمَّ دَفَنُوهُ بِالْمَدِينَةِ فِي حُجْرَتِهِ حَيْثُ قُبُصٌ (*) (لَا بِي الْبَرَجِ)

ذكر الخلفاء الراشدين (٦٣٢ - ٦٦١)

خلافة أبي بكر (٦٣٢ - ٦٣٤)

٣٧٩ ثم اجتمع المهاجرون والأنصار للبيعة فارتفعت الأصوات وكثر اللفظ. فلما أشفق عمر الاختلاف قال: إنا والله ما وجدنا أمرًا هو أقوى من مبايعة أبي بكر ثم قال لأبي بكر: بسط يدك فأبايعك. فبسط يده فبايعه وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار. ولما بيع أبو بكر ضرب معًا على أهل المدينة ومن حولهم. وأمر أسامة بن زيد فقال له الناس: إن هؤلاء جُلُ المسلمين على ما ترى نجم فيهم الفناء وانتفضوا بك. فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين. فقال: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأفدنت بئس أسامة إلى الشام. ولو لم يبق في القرى غيري لأفدنته. ثم خرج أبو بكر إلى البعث حتى أتاهم. فاشخصهم وشيعهم وهو ماش وأسامه راكب. فقال له أسامة: يا أمير المؤمنين والله لتركبت أو لأتزلن. فقال: لاتزل ولا أركب وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة (تاريخ الملوك للطبري)

خبر الأسود العنسي ومسيلمة الكذابين (٦٣٤)

٣٨٠ كان الأسود هذا غلب على صنعاء ومغازة حضرموت إلى عمل الطائف إلى البحرين. وأدعى النبوة وطابقت عليه اليمن وجعل يستطير استطارة الحريق. فبعث أبو بكر رجالًا لمجاولته أو مصاولته. فدخلوا على أزد وهي امرأته فقا لوا لها: يا ابنة العم قد عرفت بلاء هذا

(هـ) وصفه علي بن أبي طالب قال: كان راجح العقل يكثر الذكر ويقل اللغو دائم البشر مطيل الصمت لا ينفر أحدًا. وكان لس بال طويل ولا بالقصير ضخم الراس كث اللحية مشربًا وجهه حمرة وقيل: كان ادعج العينين سبط الشعر سهل الخدين. واختلف في أزواجه قال أبو الفداء: تزوج بخمس عشرة امرأة وولد له سبعة أولاد كلهم من خديجة الأبرهيم ابنه فإنه من مارية القبطية التي بعث بها المقوقس ولم يعيش منهم بعده إلا فاطمة فتوفيت بعد أبيها بثلاثة أشهر

فَاحْرَجَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ يَتَرَبُّ . وَفِي (السَّنَةِ الْأُولَى) مِنْ هِجْرَتِهِ
 اخْتَلَفَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَنَصَرُوهُ عَلَى الْمُكَيِّنِ أَعْدَائِهِ . وَفِي (السَّنَةِ الثَّانِيَةِ)
 مِنْ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى غَزَاةٍ بَذَرِ وَهِيَ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى
 وَهَزَمَ بِثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْقَائِمِينَ أَهْلَ مَكَّةَ
 الْمُشْرِكِينَ . وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ صُرِفَتِ الْقِبْلَةُ عَنْ جِهَةِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ
 إِلَى جِهَةِ الْكَعْبَةِ . وَفِيهَا فُرِضَ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ . وَفِي (السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ)
 خَرَجَ إِلَى غَزَاةٍ أُحَدٍ وَفِيهَا هَزَمَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ وَنَجَّحَ فِي وَجْهِهِ
 وَكُثِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ . وَفِي (السَّنَةِ الرَّابِعَةِ) غَزَا بَنِي النَّضِيرِ الْيَهُودَ وَأَجْلَاهُمْ
 إِلَى الشَّامِ . وَفِيهَا اجْتَمَعَ أَحْزَابُ شَتَّى مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ مَعَ أَهْلِ مَكَّةَ
 وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى الْمَدِينَةِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَلِأَنَّهُ هَالِ الْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ
 أَمْرٌ بِخَفَرٍ خَنْدَقَ وَبَقُوا بِضِعْمَةِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ .
 وَفِي (السَّنَةِ السَّادِسَةِ) خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى غَزَاةِ بَنِي الْمُضَلِّقِ وَأَصَابَ
 مِنْهُمْ سَبِيًّا كَثِيرًا . وَفِي (السَّنَةِ السَّابِعَةِ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ خَيْبَرِ مَدِينَةِ
 الْيَهُودِ وَيُنْقَلُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ عَالَجَ بَابَ خَيْبَرٍ وَأَقْتَلَهُ وَجَعَلَهُ
 مَجْنَأً وَقَاتَلَهُمْ . وَفِي (الثَّامِنَةِ) كَانَتْ غَزَاةُ الْفَتْحِ فَفَتَحَ مَكَّةَ وَعَهَّدَ الْمُسْلِمِينَ
 أَنْ لَا يَقْتُلُوا فِيهَا إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُمْ . وَأَمَّنَ مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَمَنْ أَغْلَقَ
 عَلَى نَفْسِهِ بَابَهُ وَكَفَّ يَدَهُ وَمَنْ تَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ سِوَى قَوْمٍ
 يُؤْذُونَهُ . وَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ وَهُوَ عَظِيمُ مَكَّةَ مِنْ تَحْتِ السَّيْفِ . وَفِي
 (السَّنَةِ الثَّاسِعَةِ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ تَبُوكَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَلَمْ يَخْتَجِ فِيهَا إِلَى

فحمل العرب حملة رجل واحد وقتلوا بهران قائدهم . فاهزم الجعم لاحقين بالمدائن . ثم وثى يزدجرد عظيماً من عتائه هرازبته له سنً وتجربة يُقال له رستم . وعقد ايضاً لرجلي آخر يُسمى الصرمزان في جنود كثيرة . وهند الالتقاء قُتِلَ هذان المرزبانان ومُرت العرب في أثر الجعم يقتلون من أدركرامهم (تاريخ ابن خلدون)

وفي خلافة عمر فتح أبو عبيدة وخالد دمشق بعد حصار سبعة اشهر فخرج اهل دمشق وبذلوا الصلح لأبي عبيدة . فأتهم وصالح اهل طبرية وقيسارية وبعابك . وعلى يد عمر انتهى الفتح الى حمص والزها وماردين وطرابلس وعسقلان وما يليها من الساحل وبيت المقدس . وفتح عمرو بن العاص مصر عنوة وفتح الإسكندرية صلحاً . حتى هاب عمر ملوك فارس والروم . ومع ذلك كله بقي على حاله كما كان قبل الولاية في لباسه وزيه وافتاله وتواضعه يسير منفرداً من غير حرس ولا حجاب . لم تغيره الإمرة ولم يستطع على مسلم بلسانه . ولا جاني أحد في الحق . وكان لا يطعم الشريف في جيفه ولا يأس الضعيف من عدله . ومات عمر يوم الاربعاء لحبس بقية من ذي الحجة . وقته أبو لؤلؤة الجوسي وكان عمره ثلاثاً وستين سنة . وكانت خلافته عشر سنين وستة اشهر . ولما فتح عمرو بن العاص مصر طلب منه يوحنا النحوي النصراني كتب الحكمة التي في الخزان الملكية . فكتب عمرو الى الخليفة يستأذن امير المؤمنين . فكتب اليه عمر : الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى . وان كان فيها ما يخالفه فلا حاجة اليه فنقدّم باعداها . فشرع عمرو في تفريقها على حمامات الاسكندرية واحرقها في مواقيدها . فاستيقدت في مدة ستة اشهر (لابن العميد)

عثمان بن عفان (٦٤٥-٦٥٧)

٣٨٣ بُويع له بالخلافة في أول يوم من سنة أربع وعشرين . وكانت له شفقة ورأفة بالرهبة . وافتتحت في ايامه افرقية وغزاه معاوية قبرس وأنقرة وفتحها صلحاً . وانزع عثمان عمرو ابن العاص عن الاسكندرية فأمر طليها اخاه لأُمّه . ثم ان الناس انكروا على عثمان اشياء منها كلفه باقارب . فحنقت العرب على ذلك وجمعوا الجمع وتزلوا فربحاً من المدينة . وبشوا الى عثمان من يستعبه ويقول له : إما أن تعدل او تموت

وكتب عثمان اليهم كتاباً يقول فيه : اني انزع عن كل شيء أنكرتموه وأتوب الى الله . فلم يقبلوا منه ثم اشتد عليه الحصار عشرين يوماً حتى تسور محمد بن أبي بكر مع رجلين حائط عثمان فضربه احدثهم بمشقص في اوداجه . وقتله الآخر والمصحف في حجره . وكانت خلافته اثني عشرة سنة . وعمره نيف وثمانون سنة (للدويري)

علي بن ابي طالب (٦٥٧-٦٦١)

٣٨٤ ولما قُتِلَ عثمان اجتمع طلبة والزبير والمهاجرون والأنصار وأتوا طلياً بيايمونه

الرجل عند قومك قتل أباك وطأطأ في قومك القتل وسفل بمن بقي منهم فهل عندك من مالا؟ عليه. فاجابت أزداد الله قولهم. ولما جن الليل أدخلت الرجال في مقصورة الأسود زوجها. وهو يفتق فالحموه بمسلة وأمرؤا الشفرة على حلقه. فنار خوار الثور. فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة: ما هذا ما هذا. فقالت المرأة: النبي يوحى اليه. ولما قُتل الأسود وأراح الله الإسلام من شره تراجع الامراء واعتذر الناس (الآداب السلطانية للنفري)

ثم ظهر مسيلمة الكذاب. وأوقع أعظم فتنة في أهل اليمامة وكان يؤذن له ويشهد له بالرسالة. وكان يجمع لقومه بالجماع يزعم أنهم قرآنه يأتيه ويأتى بخارق يزعم أنها معجزات فيقع بها ضد المقصود. فامر أبو بكر خالد بن الوليد بالمسير الى محاربه. وكان بينها وقعات واشتد الحرب بين الفريقين. واقفم المسلمون باجمعهم الى مسيلمة وأصحابه. فقاتلهم حتى احمرت الأرض بالدماء. ونظر عبد أسود اسمه وحشي الى مسيلمة فرماه بحجرة فوقعت على خاصرته فسقط عن فرسه قتيلاً (للطبري)

فتح العراق (٦٣٢) والشام (٦٣٣ - ٦٣٨) وموت الي بكر (٦٣٥)

٣٨١ ومن هناك توجه خالد الى أرض العراق فزحف الى الحيرة ففتحها صلماً. وكان ذلك أول شيء افتتح من العراق. وقد كان ابو بكر وجه قبل ذلك أبا عبدة بن الجراح في زهاء عشرين الف رجل الى الشام. وبلغ هرقل ملك الروم ورود العرب الى أرض الشام. فوجه اليهم سرجيس البطريق في خمسة آلاف رجل من جنوده ليحارجم. وكتب أبو بكر الى خالد عند افتتاحه الحيرة يأمره أن يسير الى أبي عبدة بارض الشام. ففعل والتقى العرب والروم بأجنادين فانهزم الروم. وقتل سرجيس البطريق وذلك أنه في هربه سقط من فرسه. فركبه غلامه فسقط فركبوه ثانياً فهبط ايضاً وقال لهم: فوزوا بانفسكم واتركوني أقتل وحدي. وفي سنة ثلاث عشرة للهجرة مرض أبو بكر خمسة عشر يوماً ومات رحمه الله يوم الاثنين لثاني خلون من جمادى الآخرة. وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر

خلافة عمر (٦٣٤ - ٦٤٤) فتح دمشق (٦٣٦) فارس (٦٣٢) مصر (٦٤٢)

٣٨٢ ثم قام بالأمر بعده عمر بن الخطاب ببيع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر. فقام بعده بمثل سيرته وجهاده وثباته وصبره على العيش الخشن والقناعة بالمسير وفتح الفتوحات الكبار والأقاليم الشاسعة. وهو أول من سمي بامير المؤمنين فأرخ التاريخ ودون الدواوين وعمر الأمصار وشهد بدراً. وهو أول من عس في علمه لحفظ الدين والناس. وهابه الناس هبة عظيمة وزاد في الشدة في مواضعها واللين في مواضعه. وأولى الأمر لم يكن له هم إلا العراق. ففقد لأبي عبدة بن مسعود على زهاء الف رجل وأمر بالمسير الى العراق فعبروا اليها. فزحف اليهم العجم فتناجزوا من وقت الزوال الى أن توارت الشمس بالحجاب.

دولٍ وسائس أُممٍ وراعي ممالك ابتكر في الدولة أشياء لم يسبقه أحد إليها . منها أنه وضع البريد لوصول الاخبار بسرعة . واختار ديوان الخاتم فصارت التواقيع تصدر منه مضمومة لا يسكن أحد من تنفيذها . وفي سنة خمسين سیر جيشاً كبيراً إلى القسطنطينية فاوغلوا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية ولم يدخلوها . وفي أيامه بُنيت القيروان وكل بناؤها في خمس سنين . ولما حضرته الوفاة جمع أهله فقال : أَلَسْتُ أَهْلِي . قالوا : بلى فذاك الله بنا . قال : فهذه نفسي قد خرجت من قديم فردوها عليّ أن استظمت . فبكوا وقالوا : ما لنا إلى هذا سبيل . فرفع صوته بالبكاء ثم قال : فلا تفرم الدنيا بعدي . وتوفي بدمشق في مستهل رجب سنة ستين (للفجري)

خلافة يزيد بن معاوية (٦٨٠-٦٨٣)

٣٨٧ بويغ له بالخلافة يوم مات أبوه . وكان يزيد يحرص فقدم منها وبأية الناس . ولم يسأله الحسين بن عليّ بن أبي طالب ولا عبد الله بن زُبَيْر . فسار جيشاً إلى محاربة الحسين فادركوه فحملوا عليه وأصحابه واحتزوا رأس الحسين . أما عبد الله بن زُبَيْر فلحق بمكة وتحصن في المسجد الحرام . فسار إليه الحصين بن غير ونصب الخنق على أبي قيس ورمى به الكعبة فحرقت استارها . وبينما هم كذلك اذ ورد إلى الحصين الخبر بموت يزيد بن معاوية . فإرسل إلى ابن زُبَيْر يسأله المودة فاجابه إلى ذلك . وتوفي يزيد في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين . وكان آدم جعلاً أحور العينين . بوجه آثار جُدري حسن اللحية خفيفها طويلاً . وكان موثق الرغبة في اللهو والقصص . تعلم الفصاحة ونظم الشعر في بادية بني كلب (لأبي الفداء)

معاوية الثاني (٦٨٣) ومروان بن الحكم (٦٨٤)

٣٨٨ ثم قام بعده بالأمر معاوية ابنه ولم تكن ولايته غير ثلاثة أشهر . ثم تحلى بالعبادة ومات بالطاعون . وأما عبد الله بن زُبَيْر فلما مات يزيد دعا الناس إلى البيعة وادعى الخلافة . فظفر بالجزاز والعراق وخراسان واليمن ومصر والشام والأردن . ثم بويغ بالاردن لمروان بن الحكم وكان كاتب السر لعثمان . ثم دخل الشام فاذعن أهلها له بالطاعة . وسار إليه من قبل عبد الله بن زُبَيْر الضحّاك بن قيس . فاقتلوا بنوطة دمشق فقتل الضحّاك . ومات مروان بدمشق مخنوقاً . وكانت مدة خلافته تسعة أشهر

عبد الملك بن مروان (٦٨٥-٧٠٥)

٣٨٩ بويغ سنة خمس وستين بالشام . وأما ابن زُبَيْر فبعث أخاه مصعباً على العراق فقدم البصرة وأعطاه أهلها الطاعة . واستولى المصعب على العراقيين فسار إليه عبد الملك بن مروان . فالتقوا بسكنى وقتل مصعب واستقام العراق لعبد الملك . وكان الحجاج بن يوسف الثقفي على شرطه فرأى عبد الملك من نفاذه وجلالته ما أعجب به . فبعثه إلى عبد الله بن زُبَيْر فقتله وبلغ جلدُه وحشاً ثباتاً وصلبُه . وتوفي عبد الملك سنة ست وثمانين وكان حازماً حافلاً

فأبى . وقال : أن أكون وزيراً لكم خيرٌ من أن أكون أميراً ومَن اخترتم رضيتُ . فالتحقوا عليه وقالوا : لا نعلم أحقَّ مِنك حتى غلبوه في ذلك . ثم ادَّعى الزُّبيرُ بن العوّام وطلحة الإكراه بعد ذلك وقالوا على نقض إِمارة عليّ . فلحق عليّ بهم وناجزهم الحرب وقتل الزُّبير وطلحة . وسَمَّيت هذه الوقعة وقعة الجمل . ولمَّا بلغ معاوية خبر الجمل دعا أهل الشام إلى القتال . فخرج عليّ من الكوفة وافتتلوا قتالاً شديداً في صَفَيْن . ثم تحادنا وافترقا . ثم تعاهد شبيب وابن الحُجَّم على قتل عليّ وكننا له في المسجد . فلَمَّا خرج عليّ ونادى بالصلاة علاه تنبيب بالسيف وضربه ابن الحُجَّم على مقدم رأسه . فدعا عليّ قبل موته الحسن والحسين ابنيه ووصَّاهما وقال : أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بَغْتكما . ولا تأسفا على شيء ذوى منها عنكما . وقولا الحقَّ وارحما اليتم وكونا للظالم خصماً وللظالم ناصراً . ولا تأخذكما في الله لومة . ولمَّا حضرتهُ الوفاة كَتَب وصيَّته العامة ثم قبض . وصفهُ ضرار بن ضمرة قال : كان عليّ بعد المدي شديد القوى يتجبر العلم من جوانبه . وتنطق الحكمة من نواحيه . يستوحش من الدنيا وزهرتها . ويأنس بالليل ووحشته . غزير العبارة . طويل الفكرة . يعجبه من اللباس ما خشن . ومن الطعام ما جشِب . وكان فينا كأحدنا . يخبينا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوانه . ونحن مع تقرُّبه لا نكاد نكلِّمه هيبةً له . لا يطمع القوى في باطله ولا يباشر الضعيف من عدله (لابن خلدون)

الحسن بن عليّ بن أبي طالب (٦٦١ - ٦٦٢)

٣٨٥ ولمَّا قُتِل عليّ اجتمع أصحابه بالكوفة فبايعوا ابنه الحسن . وبويع معاوية بالشام . فسار الحسن إلى المدائن واستقرَّ بها خمسة أشهر . ولمَّا رأى المناوشة بين أصحابه قال : لا حاجة لي في هذا الأمر وقد رأيتُ أن أسلِّمه إلى معاوية فيكون في عنقه تبعاته وأوزاره . فقال له الحسين أخوه : أشدك الله أن لا تكون أوَّل من غاب أباه ورغب عن رأيه . فقال : لا بدَّ من ذلك وقد اخترتُ العار على النار . وبعث إلى معاوية بتسليم الأمر إليه واشترط عليه شروطاً . فاجابه معاوية إلى ما التمسهُ منه . فسلم الأمر إلى معاوية وبايع له الحُسن بقين من ربيع الأوَّل . وذلك لانه رأى المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال (لابي الفداء)

دولة الامويين (٦٦٢ - ٧٤٦)

خلافة معاوية (٦٦٢ - ٦٨٠)

٣٨٦ ولمَّا بويع بالخلافة استقام له الملك وصفت له الولاية . وكان معاوية ملجئ الشكل عظيم الهيبة وافر الحشمة يلبس الثياب الفاخرة ويركب الخيل المُسوَّمة . وكان كثير البذل والمطا ، محسناً إلى رعيتِهِ . وهو أوَّل من اتخذ المنقاصير وأقام الحرس والحجَّاب وأوَّل من مشى بين يديه صاحب الشرطة بالحرب وله في الحلم أخبار كثيرة . وأعلم أن معاوية كان مربي

يزيد الثاني (٧٢٠-٧٢٤) هشام (٧٢٤-٧٤٣)

٣٩٢ ثم قام بالامر بعده يزيد بن عبد الملك . وكان ايض جسيماً مليح الوجه خرج في أيامه يزيد بن المهلب فارس على اخاه مسلمة فقاتله وظفر به . ثم توفي يزيد لاربع سنين من خلافته بعد ان عهد بالخلافة الى اخيه هشام . بوبع له بالاملافة يوم مات اخوه . وكان حازماً عاقلاً صاحب سياسة حسنة ايض . وكان ذاراي ودهاء وحزم وفيه حلم وقلة شره وقام بالخلافة اتم قيام . وكان يجمع الاموال ويوصف بالبخل والحرص . يقال انه جمع من الاموال ما لم يجمعه خليفة قبله . وفي ايامه غزاهم الخطلون بلاد الترك فانتصروا وغنموا شيئاً كثيراً . وقتلوا من الاثراك مقتلة عظيمة وقتلوا ابن خاقان ملك الترك . وكان التولي لحرهم اسد بن عبد الله القهري . وفي ايام هشام ايضاً خرج زيد بن زين العابدين ودعا الى نفسه فامرعت اليه الشيعة . وكان الوالي على الكوفة من قبل هشام يوسف بن عمر الثقفي . فجمع المساكر وناوش زيدا القتال فاصاب زيدا سهم في جبهته فحمل من المعركة فأت ودفن . فلما اصحبوا استخرجوه يوسف من قبره فصالبوه . ومات هشام بالرصافة سنة خمس وعشرين ومائة . وكان مرضه الذبحة

الوليد الثاني (٧٤٣-٧٤٤) يزيد الثالث (٧٤٤-٧٤٤)

٣٩٣ كان الوليد مقيماً في البادية فلما مات هشام سار من فوره الى دمشق واقام في الخلافة سنة واحدة وكان اكمل بني أمية ادباً وفصاحة وظرفاً واعرفهم باللغة والنحو . وكان جواداً مفضالاً . ومع ذلك لم يكن في بني أمية اكثر ادماناً للشراب والسباح ولا اشد مجوناً وضكاً واستغفافاً بامر الأمة من الوليد بن زيد . فاجمع اهل دمشق على خلعه وقتله لاشتهاره بالمتكرات وتظاهره بالكفر والزندقة . فلم يلبث الا اياماً يسيرة حتى قُتل شر قتلة وصلب راسه على شرافات قصره ثم على اعلى سور بلده . ولما قُتل اضطربت البلاد واستنصر على بني أمية اعداؤهم ولم تقم لهم ثأمة بعده . ثم تولى يزيد الثالث ابن الوليد وابن عم الوليد بن يزيد وسعي التلافص فقتل بنو أمية بولايته فاقام في الخلافة والامور مضطربة عليه . وكان مطهراً للنسك محمود السيرة مرضي الطريقة ويتخلق باخلاق عمر بن عبد العزيز . وكان ذا دين وورع الا انه لم يتع وبنته المنية

ابراهيم بن الوليد (٧٤٥) مروان الثاني (٧٤٦)

٣٩٤ ثم بوبع اخوه ابراهيم فلم يثبت له امر . ومكث سبعين يوماً فسار اليه مروان بن محمد . فبرز اليه الخليفة وعسكر بظاهر دمشق فخذله جنده وحاصروا عليه بعد ان اتفق عليهم الخزان واختفى امرهم فبايع الناس مروان واستوثق له الامر وخلصوا ابراهيم . وظهر السفاح بالكوفة ووبع له بالخلافة . فجهز جيشاً لقتال مروان بن محمد فالتقى الجمعان قرب الموصل . فهزم مروان وقُتل في هربه وظهرت دولة بني عباس وانقرضت دولة بني أمية (لاي الفداء)

ثم بجواره تعالى

فقيهاً عالمًا وكان ديناً . فلما تولى الخلافة استهوته الدنيا فتغير عن ذلك (لاي النرج)

الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ - ٧١٥)

٣٩٠ هو سادس خلفائهم وكان مغرمًا بالبناء واستوثقت له الامور . ومن بناياته المسجد الاقصى واعطى المجذمين ومنهم السؤال الى الناس . واعطى كل مقعد خادمًا وكل ضريح قائدًا . ومنع الكتاب النصارى من ان يكتبوا الدفاتر بالرومية ولكن بالعربية . وفي ايامه اجاز طارق الى الاندلس فنهض لذريق ملك القوط وزحف الى طارق فالتقوا بخص شريش فبزم الله لذريق واذغت الاندلس لاسر الوليد . وفتح في ايامه المكتوبات الكثيرة من ذلك ما وراء النهر . وتغلغل الحجاج في بلاد الترك . وتغلغل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الروم ففتح وسى . وفتح محمد بن القاسم الثقفي بلاد الهند . وفي سنة ثمان وثمانين امر الوليد ببناء جامع دمشق . وكان فيه كنيسة فهدمها . فانفق عليه اموال كثيرة تجل عن الوصف . وفي ايامه توفي الحجاج وقيل انه احصى من جملة الذين قتلهم الحجاج فكانوا مائة الف وعشرين الفا . ومات الوليد سنة ست وتسعين (للدويري)

سليمان بن عبد الملك (٧١٥-٧١٧) عمر بن عبد العزيز (٧٢٠-٧٢٥)

٣٩١ ثم قام بالامر بعده اخوه سليمان وهو سابعهم . واحسن السيرة ورد المظالم وآوى المذنبين واخرج المجرمين . وكان غيورًا شديد الغيرة نهماً واتخذ ابن عمر بن عبد العزيز وزيراً وجهازه مسلمة لغزو القسطنطينية . ونزل سليمان في مرج دابق فشئ مسلمة على قسطنطينية وزرع الناس بها الزرع واصكلوه . واقام مسلمة قاهراً قسطنطينية حتى جاءه الخبر بموت سليمان متخماً . وكانت خلافة سليمان سنتين وثمانية اشهر واستغفل وزيره عمر بن عبد العزيز كان عمر عفيفاً زاهداً فاسكاً عابداً تقياً . وهو اول من فرض لابناء السبيل . وابطل في الخطب سب علي . وكان اليه المنتهى في العلم والفن والشرف والورع والتألف ونشر العدل . وتوفي عمر بدير سمعان وكان موته بالسنة عند اكثر اهل التاريخ . فان بني امية علموا انه ان امتدت ايامه اخرج الامر من ايديهم وانه لا يعهده بعده الا لمن يصلح الامر فعاملوه وما املوه . وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر . وكان في وجهه شجرة من ریح دابة . وكان يدعى بالاشع . وكان مغرمًا بسيرة الخلفاء الراشدين . وكانت نفقته كل يوم درهمين . وفي ايامه تحركت دولته بني هشام وكان كثيرًا ما يتمثل بهذه الايات :

خارك يا مغرور سهو وغفلة وليك نور والردى لك لازم
يفرك ما يغنى وتفرح بالمنى كما غر باللذات في النوم حالم
وشغلك فيما سوف تتركه غبة كذلك في الدنيا تعيش الهائم

(٥) راجع مقالة ابن جبير في وصف دمشق وجامعها في وجه ٢٢٦ من هذا الجزء

وجه	وجه	إشارة البنفسج
١٥٩ قصيدة ابن البواب في وصف الخط	١٢٢	إشارة الخزام
١٦٠ في الادب وتربية الصغار	١٢٣	إشارة الشقيق
الباب الثامن في السيف والقلم	١٢٤	إشارة السحاب
١٦٢ فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم	١٢٥	إشارة الهزار
١٦٣ في الدول	١٢٦	إشارة الباز
١٦٦ في شرف الكتاب	١٢٧	إشارة الحمام
١٦٨ الباب التاسع في اللطائف	١٢٨	إشارة الخطاف
١٦٨ وزير المأمون والشاعر	١٣٠	إشارة البوم
١٦٩ مروان بن أبي حفصة وجعفر البرمكي	١٣١	إشارة الدرة
١٧٠ الصلوات والصلوة	١٣٢	إشارة الديك
١٧١ معن بن زائدة والثلاث جوارى	١٣٣	إشارة البط
١٧٢ الحسين بن الضحاك عند المتوكل	١٣٤	إشارة النحل
١٧٣ الباهلي والرشد	١٣٦	إشارة الشعع
١٧٥ علي بن الخليل وزيد بن المزيدي	١٣٧	إشارة الغراب
١٨٠ الباب العاشر في المدح	١٣٨	إشارة الهدهد
١٨٠ بلعاء بن قيس وبنو هاشم	١٤١	إشارة الكلب
١٨٠ مدح المأمون	١٤٢	إشارة الجمل
١٨١ مدح مقامات الحويرثي	١٤٤	إشارة الفرس
١٩٣ الباب الحادي عشر في الفخر والحماة	١٤٥	إشارة دود القز
٢٠١ قصيدة ابن سناء الملك في الفخر	١٤٦	إشارة العنكبوت
٢٠٥ الباب الثاني عشر في الهجو	١٤٨	إشارة النملة
٢٠٨ الباب الثالث عشر في الانغاز	١٤٩	إشارة العنقاء
٢١٤ الباب الرابع عشر في الوصف	١٥٠	الباب السابع في الذكاء والادب
٢١٤ وصف مصر	١٥٢	مدح مختلف العلوم
	١٥٢	أبو تمام والمتنبي وأبو عبادة الجعري
	١٥٧	وصف القلم
	١٥٨	وصف الحجرة و وصف الخط

فهرس الجزء الرابع من كتاب مجافي الادب

وجه	وجه
٦٧	٣
وصية ابن سعيد المغربي لابنه	الباب الأول في التدئين
٧٣	٣
وصية ابن طاهر لابنه	عظمة الخالق وجبروته
٨٠	٤
وصية ابراهيم الدكدي لابنه	ماتن الشيبانية في التوحيد
٨٢	٥
نخبة من حكم ابي عثمان لثون التجيبي	قصيدة للبرعي في الاستدلال على الحق
٨٤	٦
نخبة من حكم اوردها البستي في ديوانه	مُتن بدء الامالي في التوحيد
٨٥	٧
نخبة من اراجيز الشيخ السابوري	قصيدة للبرعي في الحق سبحانه
٨٦	٩
التجارب	قصيدتان له في الانتهال الى الله وحده
٨٧	١١
الصمت وحفظ اللسان	وله ايضا من قصيدة في الرجاء بالله
٨٨	١٢
الصبر صدق الطوق	قصيدة لعبد الغني النابلسي في الثقة بالله
٨٩	١٣
المسكرم	قصيدة للباي في التوسل والاستعطاف
القصيدة الزينية لصالح بن عبد القدوس	١٥
٩٢	١٥
لامية ابن الورددي	الباب الثاني في الزهد
٩٤	١٥
نونية ابي الفتح البستي	الزهد في الدنيا والانتقطاع الى الله
٩٨	١٧
الباب الخامس في الامثال	قصيدة للبرعي في الزهد
٩٨	٢٠
امثال في معاني مختلفة جمعها ابن عبد ربه	زهد رجل من بني عباس
١٠٤	٢١
ايات مثلية للثبي والحريري	ذو النون والزاهدة
١٠٨	٢٢
نخبة من تقرير الصادح لابن حجة الحموي	ذلة الدنيا
١٠٩	٢٣
نخبة من قصيدة ابي الغتاهية المثلية	زوال الدنيا
١١٠	٢٧
الباب السادس في الامثال والاشارات	ذكر المنية والعواقب
١١٠	٣٣
الملك المتروكي	في الدهر ونوائبه
١١٧	٣٤
نخبة من كشف الاسرار عن حكم الطيور	قصيدة لاسماعيل المقرئ في التوبة
١١٨	٣٥
والازهار لابن غانم المقدسي	للبرعي في الاغراء بالتوبة
١١٨	٣٨
اشارة النسيم	ما كتب على القبور
١١٩	٤١
اشارة الورد	الباب الثالث في المراثي
١٢٠	٤٨
اشارة الترجس	رثاء مشاهير العرب
١٢١	٦٥
اشارة البان	الباب الرابع في الحكم

وجه	وجه
٢٧٧	وصف دابة
٢٧٩	وصف ابليس لنفسه
٢٨٠	زهريّة صني الدين الحليّ
٢٨٢	قصيدة عبد الغني النابلسي في وصف الشام ٢٢٥
٢٨٢	الباب الحامس عشر في الحكايات ٢٢٩
٢٩٦	هارون بن عبد الله والفيل ٢٢٩
٢٩٨	الوفاء والفضل والمعرف عند بعض الكرام ٢٣٠
٣٠٥	جمدر والبيع ٢٣٤
٣٠٩	عصيان ابراهيم بن المهدي على امير المؤمنين ٢٣٦
٣٠٩	الباب السادس عشر في المكاهات ٢٤٤
٣١١	الطيب والخليفة ٢٤٥
٣١١	الفضل بن يحيى والامراي ٢٤٨
٣١٢	الباب السابع عشر في النوادر ٢٥٣
٣١٢	مدينة الزهراء في الاندلس ٢٥٣
٣١٢	عجائب مصر كالمقياس والاهرام والبل ٢٥٥
٣١٣	عنزة والاسد ٢٥٨
٣١٣	ذكر القهوة ٢٦٠
٣١٤	الاندلس وعوائد اهلها واختراعاتهم ٢٦٢
٣١٥	الباب الثامن عشر في المراسلات ٢٦٥
٣١٥	فصل في المراسلات بين الملوك والامراء ٢٦٥
٣١٥	في الطب وحسن التواصل ٢٦٨
٣١٦	في الاتوايق ٢٧٠
٣١٦	فصول في الغتاب والاعتذار ٢٧١
٣١٧	فصول في الدم ٢٧٣
٣١٧	فصول في التوصية ٢٧٥
٣١٧	فصول في المدح والشكر ٢٧٦
٢٧٧	فصول في التهنئة والهدايا
٢٧٩	فصول في التعزية
٢٨٠	فصول الى عليل
٢٨٢	الباب التاسع عشر في التراجم
٢٨٢	شعراء النصرانية
٢٩٦	خطباء النصرانية
٢٩٨	مشاهير الحكماء النصرانية
٣٠٥	مشاهير المؤرخين والكتّاب والفلاسفة من اهل النصرانية
٣٠٩	الباب العشرون في التاريخ
٣٠٩	صاحب الشريعة الاسلامية محمد
٣١١	الخلفاء الراشدون خلافة ابي بكر
٣١٢	خبر الاسود العاسي ومسيلمة الكذابين
٣١٢	فتح العراق والشام وموت ابي بكر
٣١٢	خلافة عمر وفتح دمشق وفارس ومصر
٣١٣	عثمان بن عفان
٣١٣	علي بن ابي طالب
٣١٤	الحسن بن علي بن ابي طالب
٣١٤	دولة الامويين خلافة معاوية
٣١٥	خلافة يزيد بن معاوية
٣١٥	معاوية الثاني مروان بن الحكم
٣١٥	عبد الملك بن مروان
٣١٦	عبد الوليد بن عبد الملك
٣١٦	سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز
٣١٧	يزيد الثاني وهشام
٣١٧	الوليد الثاني ويزيد الثالث
٣١٧	ابراهيم بن الوليد ومروان الثاني

